

كتاب

الارشادات الربانيه بالفتوحات الالاهيه

من فيض الحضرة الاحمدية التجانيه

التى تلقاها من أولها الى آخرها حضرة العلامة الشيخ علي حرازم بن العربى براده المغربى الفاسى التجانى

من

شيخه قطب الاقطاب وغوث الاغوات فريد عصره وختم الاولياء بالاجماع سيدى ومولاى أبى العباس احمد التجانى رضى الله عنه ونفعنا به والمسلمين آمين

على

متن الهمزية فى مدح خير البرية للشيخ الامام شرف الدين أبى عبد الله محمد البوصيرى رضى الله عنه

وبهامشه الاطرزة الابريزية على القصيدة الهمزية للمذنب الضعيف الراجى سعة عفو مولاه اللطيف محمد فتحا ابن عبد الواحد النظيفى عامله الله وأهل الايمان بالعفو والغفران وكافاه بالفضل والاحسان وبالرضا والرضوان آمين آمين آمين

بملاحظة الحاج تهامى الريس التاجر بالفحامين بمصر

سنة ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م

(طبع بمطبعة السعاده بجوار محافظة مصر)

الحمد لله في حديث مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه

ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم

في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة

وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده

وحديث [illegible] الله الاجود الاجودين وانا اجود ولد آدم واجودهم من بعدي رجل علم علما فنشر

علمه يبعث يوم القيامة امة وحده

وحديث ادبوا اولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب اهل بيته وحفظ القرآن فان حملة

القرآن في ظل الله يوم لا ظل الا ظله مع انبيائه واصفيائه

تنبيه كلام نقله النبهاني [illegible] من الجزء [illegible] من جواهر البحار [illegible]

[illegible] ابن عباس [illegible] حماد بن عيسى بن عبد الله

ابن [illegible] رسالة [illegible] الشهير [illegible]

[illegible]

694

ولد سنة [illegible] وتوفي سنة [illegible]

ومن شيوخه ابو العباس [illegible] المتوفى سنة [illegible]

[illegible] ابو الحسن [illegible]

[illegible] 952

1034 رضي الله عن الجميع ونفعنا بهم آمين

[illegible] عيسى عليه السلام [illegible] 13 سنة

[illegible] 33

[illegible] 52

ووقع ليلة 21 من رمضان [illegible]

نزل القرآن

[illegible]

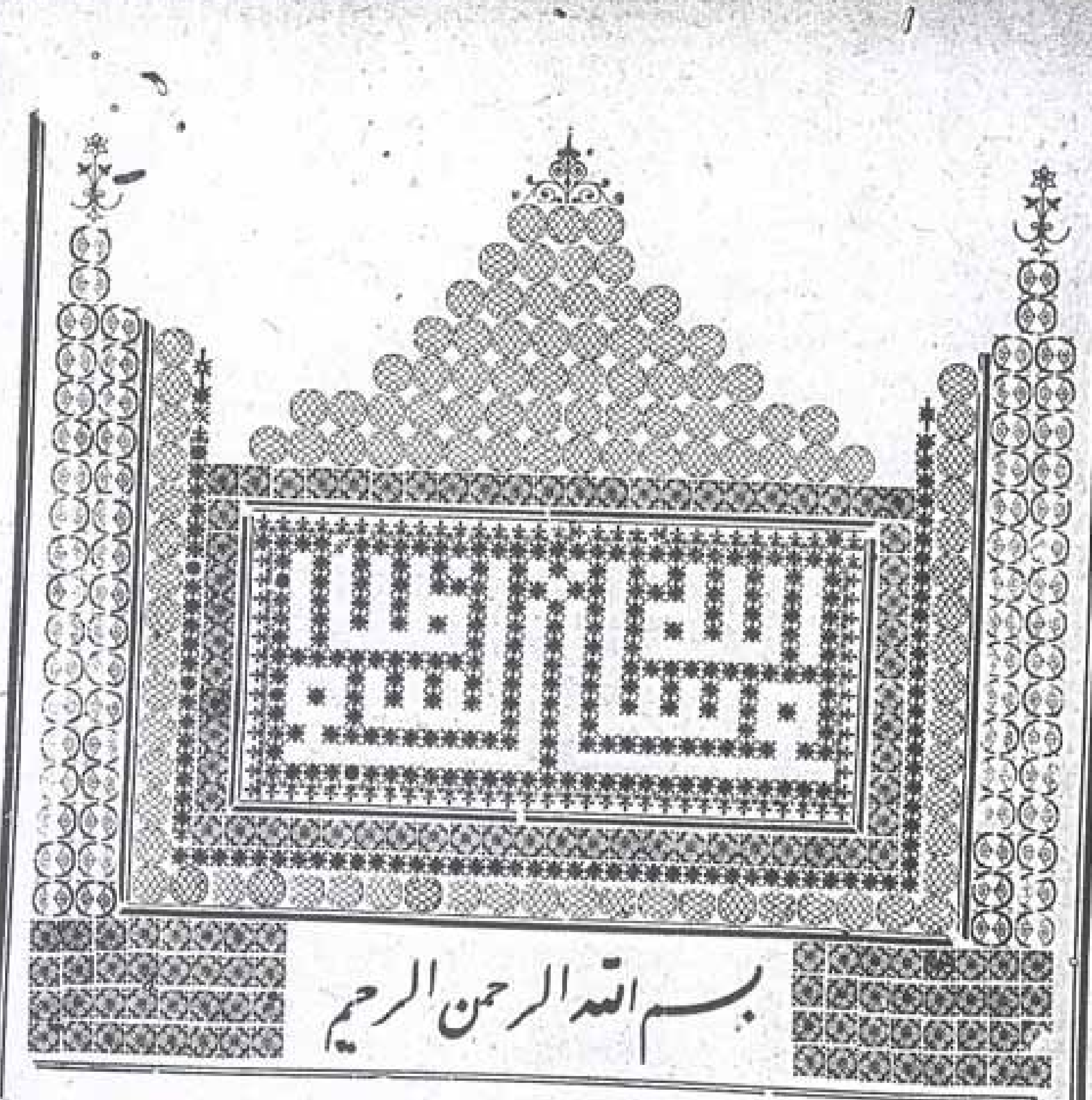
واخرج [illegible] كعب الاحبار فقال

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خص سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالتقدم على سائر الانبياء والمرسلين * وختم به الرسالة كما بدأ به الكون والتكوين * واصطفاه وأكرمه بشمائل ومعجزات * لم يجمع فى أحد غيره من جميع المخلوقات * وأشهد أن لا إله الا الله الواحد الأحد * الفرد الصمد * المنزه عن الصاحبة والولد * شهادة أدخل بها مع أهل العناية فى حضرة القرب والتمكين * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وصفيه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أهل العز والجاه قادة الخلق الى الحق صلاة وسلاما دائمين متلازمين بدوام ملك الله آمين

﴿ أما بعد ﴾ فمن الواجب على كل مسلم أن يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز من الكمالات الباطنة والظاهرة مالم يجتمع فى مخلوق سواه فما من كامل باطنا وظاهرا فى الكونين الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم أصل فى كماله بل منه مدده واتصاله كيف لا وكمالاته لاتحصى وأحواله وصفاته لاتحد فتستقصى ومهما بالغ المادحون وتغالى الواصفون فهم عند كماله قاصرون وعن استيفاء مدحه مقصرون وأن من أحسن وأبلغ مامدح به صلى الله عليه وسلم وكشف به عن صفاته وشمائله قصيدة الهمزية للعالم العارف والكامل الذائق الشيخ شرف الدين أبى عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى رضى الله عنه ولذا تعرض لحل معانيها كثير من أفاضل الشراح فغاصوا بحار مبانيها واستخرجوا درر معانيها وهذا شرح من فيوضات الحضرة الاحمدية التجانية تلقاه حضرة العلامة الشيخ على حرازم بن العربى براده

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد
الفاتح الخاتم وعلى آله وسلم
الحمد لله الذى هدانا لهذا
وما كنا لنهتدى لولا أن
هدانا الله والصلاة والسلام
على سيدنا محمد بن عبد
الله رسول الله وعلى
آله وصحبه * (وبعد)
فهذا التعليق لطيف سميته
(الاطرزة الابريزية *
على القصيدة الهمزية)
نفع الله به النفع العميم
بجاه النبى الكريم وعلى
الله الاعتماد وهو حسبنا
ونعم الوكيل وله الحمد
فى الاولى والآخرة

الفاسي التجاني عن شيخه قطب الاقطاب وغوث الاغواث فريد عصره وختام الاولياء بالاجماع سيدي ومولاي أبي العباس أحمد التجاني رضي الله عنه جاء فيه باشارات علية وأذواق طاهرة زكية فأبان عن كثير من المعمى مما لا يدركه الا ذائق وجده قد نمى وقد قال رضي الله عنه

﴿ كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّكَ الْأَنْبِيَاءُ * يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ ﴾

استفتح بكيف اما تعجبية واما استفهامية اما تعجب انكار واما استفهام انكار معناه أنه لا مطمع لهم عليهم الصلاة والسلام بأن يرتقوا رقيك والنفي ههنا يقول فيه انهم ليست لهم بداية كبدايتك لان الامر الذي وجدت منه الحقيقة المحمدية لا مطمع لأحد أن يكون منه وذلك أنك أصل الاصول والكون كله فرع عنك ومن المعلوم بالضرورة أن الفرع لا يستوعب حكم الاصل من كل وجه لأن له نسبة من الأصل فقط وليس يستوعب حكم الاصل واذا كان هذا الاعتبار من الاصل والفروع فلا مطمع لجميع النبيين والمرسلين أن يرتقوا رقيك والرقي الذي أشار اليه الشيخ في هذا المحل هو قيامه صلى الله عليه وسلم في مقام الوحدة الذي يعبر فيه عن حقيقة الذات المطلقة وأما مقامات النبيين والمرسلين كلهم فانما مراتبهم كلها من مقامات الواحدية فالمراتب ثلاثة الاحدية والوحدة والواحدية فالاحدية كنه الحق من حيث ماهو هو بلا نسبة ولا كيفية ولا غيرية ولا شئ غيرها مما يعقل أو يتوهم أو يتخيل وأما الوحدة فهي مقامه صلى الله عليه وسلم في حضرة الذات من حيث ماهي هي لجميع الاعتبارات الا الغيرية وأما الواحدية فهي حضرة الحق بمرتبة ألوهيته مشتملة على جميع الصفات والاسماء والذات عن صاحبها غيب وليس مشهده الا مرتبة الالوهية المشتملة على جميع الصفات والاسماء ومن كان في هذا الميدان لا مطمع له أن يحوم حول مرتبة الوحدة من حيث ماهي تجلي الذات المطلقة فان تلك مرتبته صلى الله عليه وسلم وحده بلا مشاركة فلهذا قال كيف ترقى رقيك الانبياء اذ لم يساووك في المقام ولا في الاصل الذي وجدت عنه الحقيقة ولا ان لهم احاطة كاحاطتك فلا مطمع لهم حينئذ أن يرتقوا رقيك لانهم فروع عنك وأنت الاصل الجامع صلى الله عليك وعلى آلك * قوله ياسماء ما طاولتها سماء تسميته صلى الله عليه وسلم سماء لكونه هو السقف المرفوع على جميع الوجود كما أن السماء فوق الارض وتنزل منها أرزاق أهل الارض وجميع الآثار التي في الارض انما هي عن تأثيرات كواكبه بقدرة الله ومشيئته فالسماء حينئذ أشرف من الارض وأرفع منها كذلك هو صلى الله عليه وسلم لجميع الوجود الذي به انتفاعه وبقاؤه انما استمداده وبقاؤه من فيض حضرته الكريمة وجميع آثار الوجود انما هو عن الاسماء الالهية والاسرار الربانية التي جعلها الحق سبحانه وتعالى في حقيقته المحمدية مكنوزة كذلك آثار جميع الوجود التي تقع فيه انما هي ناشئة عن الاسماء الالهية والاسرار الربانية التي هي في حقيقته صلى الله عليه وسلم وبتلك الاسرار والاسماء مد جميع الوجود * قوله ما طاولتها سماء يعني ما طالت سماء فوقها ولا ناظرتها اذ لم يكن له صلى الله عليه وسلم ثان في الوجود يحيط بجميع أسراره وعلومه ومعارفه ويتمكن من حقيقة مقامه صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضي الله عنه

قال رحمه الله (كيف) اسم استفهام مبني على الفتح منصوب على الحال والمراد به النفي والتعجب أي على أي حال (ترقى) بفتح فوقية وقاف من رقى كصعد وزنا ومعنى ويقال رقي بفتحتين كسعى في المعنويات (رقيك) الحسي والمعنوي أصله رقوي كقعود قلبت ضمة قاف كسرة فقلبت واو ياء وأدغمت في ياء فصار رقيا (الأنبياء) جمع نبي انسان أوحي اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه (ياسماء) منادى منصوب مشبه بالمضاف والمراد به سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (ما) نافية (طاولتها) غالبتها وقاربتها وساوتها في الطول والارتفاع (سماء) المراد به ساداتنا الانبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام

﴿ لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُلَاكَ وَقَدْ حَا * لَ سَنًا مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاءُ ﴾

ثم جاء بقوله لم يساووك فى علاك مفرعا على قوله كيف ترقى حيث نفى رقيهم عن رقيه صلى الله عليه وسلم كأن هناك سؤالا مقدرا يقول فيه القائل ولم لم يرتقوا رقيه صلى الله عليه وسلم * اجاب بقوله لم يساووك فى علاك والعلى ههنا قد ذكرنا أن مقامه صلى الله عليه وسلم من حضرة الذات من حيث ماهى هى وهى الوحدة ومقامات جميع الانبياء والمرسلين حضرة مرتبة الالوهية والذات عنهم غيب فانه لو تجلى لجميعهم سبحانه وتعالى بذاته كما تجلى له صلى الله عليه وسلم بها لصاروا محض العدم فى أسرع من طرفة العين فلذا قال لموسى عليه السلام لن ترانى منع من الرؤية كأنه يقول له لامطمع لك فى رؤيتى * وقد قال بعض أهل الاشارات فى قوله سبحانه وتعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن قال فيها اشارة لنهى موسى عليه السلام عن طلب تلك المرتبة وهى رؤية الذات انما هى مخبرة لليتيم صلى الله عليه وسلم وهى ماله صلى الله عليه وسلم * قوله وقد حال سنا منك دونهم وسناء السنا هو الضياء والمراد به نوره صلى الله عليه وسلم والسناء هو العلو فالسنا بالقصر هو الضياء والنور والسناء بالمد هو العلو أخبر هنا عن سبب منعهم من ترقيهم رقيه صلى الله عليه وسلم ان ترقيهم الى ذلك المقام حالت دونه أى ذلك المقام حجب الانوار الالهية فانهم لو دنوا من الحجاب الاول من تلك الانوار لاحترقوا فى أسرع من طرفة العين * قوله وسناء يعنى قد حال علو مقامك دون ترقيهم رقيك فانا ذكرنا مقامه هى حضرة الذات المطلقة ومقاماتهم جميعا هى حضرة الالوهية وبين حضرة الالوهية وحضرة الذات حجب لاتحصى ولا تستقصى * ثم قال رضى الله عنه

﴿ إِنَّمَا مَثَّلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّا * سِ كَمَا مَثَّلَ النُّجُومَ الْمَاءُ ﴾

أخبر هنا فى هذا البيت ان جميعهم نواب عنه فى الرسالة وخلفاء له فى مراتبه صلى الله عليه وسلم فالرسول المحقق بجميع الوجود هو صلى الله عليه وسلم الا انه حيث كان فى حجاب الغيب بحقيقته المحمدية ، أقامهم نوابا عنه فى الرسالة فى ظاهر الوجود صلى الله عليه وسلم فظهروا برسالته نوابا عنه وأمدهم بأسراره وصفاته القدسية التى اكتسبها من حضرة الألوهية وحضرة الذات فانطبعت صفاته صلى الله عليه وسلم فيهم بسر المقابلة كما تنطبع النجوم فى الماء اذا قابلته وبذلك الانطباع فيهم حيث انطبعت فيهم صفاته القدسية صلى الله عليه وسلم ظهروا بها فى الناس وأدوا الرسالة وبلغوا الامانة فما ظهروا فى الناس الا بصفاته صلى الله عليه وسلم انطبعت فيهم كما تنطبع النجوم فى الماء بمنزلة من أشرف على البحر ونظر فيه يرى جميع السماء منطبعة فيه بنجومها * ثم قال رضى الله عنه

﴿ أَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصْـ * ـدُرُ إِلَّا عَنْ ضَوْئِكَ الْأَضْوَاءُ ﴾

أخبر هنا فى هذا البيت أنه صلى الله عليه وسلم هو المصباح المضىء فى الظلام لكل كون فى وجود العالم مطلقا من غير شذوذ فى جميع الاعصار فما فى الكون ظهر نور وضياء مطلقا فى كل عصر وفى كل محل من العالم الا عن ضوئك ونورك فكل الوجود مستمد من نوره صلى

(لم يساووك) بضم تحتية من ساواه ماثله وشابهه (فى علاك) بضم عين كهدى الشرف والرفعة أو مجمع عليا كفضلى أى فى مراتبك العالية التى خصك الله بها (وقد حال) كقال حجز ومنع (سنا) كفتى نور عظيم وبهاء فخيم ظهر (منك دونهم) أى دون سناهم فسناهم من نوره صلى الله عليه وعلى آله وسلم (وسناء) كسماء شرف ورفعة (انما) حرف حصر (مثلوا) بتشديد مثلثة بينوا وقرروا وذكروا (صفاتك) وشمائلك ومحاسنك ومكارمك (للناس) فيشمل الجن (كما) مصدرية (مثل) صور وقدر (النجوم) بنصب مفعول به الكواكب (الماء) برفع فاعل (أنت) يارسول الله (مصباح) جميع المصابيح وسراج كل المسرج (كل فضل) وشرف وكمال ومجد وفخار (فما) نافية (تصدر) بفتح فوقية وضم دال وكسرها من صدر كنصر وضرب تبرز وتظهر (الا عن ضوئك) نورك وفضلك وشرفك (الاضواء) الانوار والاسرار من

الله عليه وسلم مطلقا فما تصدر الا عن ضوئه الاضواء وليس فى مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يبسط نورا فى ظلام العالم فى أى محل منه خارج عن نوره صلى الله عليه وسلم لم يشأ هذا سبحانه وتعالى مع كونه قادرا عليه مع كونه لم تنفذ به المشيئة * ثم قال رضى الله عنه

﴿ لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْـ * ـبِ وَمِنْهَا لِآدَمَ الْأَسْمَاءُ ﴾

أخبر أن عالم الغيب كله أسماء ومسميات وقولنا عالم الغيب فعالم الشهادة جزء منه لانه ناشئ عنه فما فى عالم الشهادة شئ الا كان غيبا ثم ظهر فى الشهادة قال لك ذوات المعلومات من عالم الغيب أحاط بها علما صلى الله عليه وسلم بجميع كلياتها وجزئياتها ومركباتها و بسائطها ومفرداتها ومتعدداتها وأجناسها وأنواعها وخواصها وتأثيرها وأحكامها ولوازمها ومقتضياتها فردا فردا وجملة وتفصيلا لم يعزب عنه شئ منها وعلمه بها فى هذا الميدان هو علمه بالصفات الالهية والاسماء الربانية فانهما من العلم بالله لانه ما فى الوجود ذرة فى الكون فما فوقها الا هى صفة من صفاته واسم من أسمائه سبحانه وتعالى هذه احاطته صلى الله عليه وسلم بالمعلومات وهى المسميات ومنها لآدم الاسماء أى من عوالم الغيب منها لآدم الاسماء دون جميع المسميات ويورد ههنا اعتراض هو أن يقال أن آدم عليه السلام كان خليفة وقطبا متصرفا فى جميع المملكة الالهية لا يدفع تصرفه فى شئ والاحاطة التى ذكرناها فيه صلى الله عليه وسلم بالمسميات انما هى لكل قطب فى الوجود من آدم الى النفخ فى الصور فهى واقعة لكل قطب لا يشذ عن القطب شئ منها فى الوجود تصرفا وعلما فكيف نفى عن آدم العلم بالمسميات مع كونه قطبا وخليفة والجواب عن هذا الاعتراض ليس هو الا فى المكتوم فالمكتوم هو لك شهود ذات العلوم وهى الذات العلية المطلقة التى انطمست فيها جميع النسب وعنها انشاء جميع العلوم والمعارف والمراتب والمقامات والاسرار والخواص والفيوضات والتجليات والترقيات وهى الذات الصرفة مرتبة وشهودا والوجود المطلق ومنها لآدم الأسماء مرتبة وشهودا فانه عليه السلام ما عرف من ربه الا الصفات والاسماء والذات عنه غيب وكذا جميع النبيين والمرسلين * ثم قال رضى الله عنه

﴿ لَمْ تَزَلْ فِى ضَمَائِرِ الْكَوْنِ تُخْتَا * رُ لَكَ الْأُمَّهَاتُ وَالْآبَاءُ ﴾

* قوله ضمائر الكون هو الكون الذى ظهر قبل وجوده صلى الله عليه وسلم اذ كان صلى الله عليه وسلم غيبا فى ذلك الكون سمى مضمرا لذلك تختار لك أى تصطفى لك الأمهات والآباء يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطاهرة الى الأرحام الزكية قالوا لم تقع له أم فى الزنى قط ولا اعتراها ما يعترى الجاهلية منه الى آدم عليه السلام تطهيرا له صلى الله عليه وسلم * قوله عليه السلام بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا لم يفترق شعبتان الا كنت فى خيرهما صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

﴿ مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسْلِ إِلَّا * بَشَّرَتْ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ ﴾

الازل الى الابد (لك) يارسول الله فضلا من الله لا لغيرك (ذات) حقيقة وماهية (العلوم) المعلومات (من عالم) بفتح لام ما سوى الله تعالى (الغيب) بمعنى الغائب أى حال كون تلك العلوم من جملة العالم الغائب عن المشاهدة بالنسبة الينا وفى نسخة بكسر اللام اسم من أسمائه تعالى (ومنها) أى ومن تلك العلوم (لادم) أى لأبينا سيدنا آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام (الاسماء) أى أسماء المسميات فقد علمه الله أسماء جميع المعلومات قال تعالى وعلم آدم الاسماء كلها (لم تزل) بفتح فوقية مضارع زال من نواسخ الابتداء (فى ضمائر) جمع ضمير ضد الظاهر (الكون) الوجود فضمائره خفاياه وخباياه والمراد بها أصلاب آبائه وأرحام أمهاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم (تختار) بضم فوقية مبنى للمفعول أى يصطفى ويختار الله سبحانه (لك) فى الغيب (الامهات) بضم همزة جمع أم الوالد مباشرة (والآباء) جمع أب الوالد مباشرة (ما) نافية (مضت) ذهبت وانقضت (فترة) بفتح فاء كفترة ما بين موت رسول و بعث آخر (من الرسل) بسكون سين تخفيفا جمع رسول انسان أوحى اليه بشرع وأمر بتبليغه لغيره (الا بشرت) بتشديد شين من التبشير الاعلام بالخبر السار ضد التنذير والتخويف (قومها) أى الانبياء أو الفترة أى الذين كانوا فى زمان الفترة (بك) أى ببعثك آخر الزمان نبيا رسولا الى سائر الخلق (الانبياء) والمراد بهم الرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام

معناه مامضى زمن فيه الفترة من الرسل الّا ظهر الخبر من الانبياء عليهم السلام بنبوته وشرفه وعلوه * فقد قيل أن سليمان عليه الصلاة والسلام مر بأرض المدينة بجيوش وهى اذ ذاك براح لابناء بها فلما نزلها عليه الصلاة والسلام قال للناس حوله هـذه دار هجرة لنبى فى آخر الزمان قالوا كم بيننا وبين خروجه يانبى الله قال مقدار ألف عام ثم قال لهم فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم وكذا الاخبار عنه بكثير من النبيين عليهم الصلاة والسلام * وقد قال شعياء عليه الصلاة والسلام لبنى اسرائيل قال لهم ان الذى تسمونه ضالا هو صاحب النبوة تفترون ذلك على كثرة فجوركم الى غير ذلك من أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام * وقوله ضالا يعنى أهل زمانه ووقته صلى الله عليه وسلم يسمونه بهذا ولما ظهر صلى الله عليه وسلم بالمدينة وخافت الاحبار على عامة اليهود أن يتبعوه كتبوا صفته فى كتب مجردة عن التوراة كتبوا صفته يعنى أزرق العينين طويلا وبدلوا صفاته صلى الله عليه وسلم المكتوبة فى التوراة ثم أخرجوها الى العامة وقالوا لهم هذه صفته فى التوراة فسكن العامة واتبعوهم وكفروا فلقى بعض أحبار اليهود صلى الله عليه وسلم وكان شابا وكان أكبر أحبارهم لقيه صباحا كان خارجا عن المدينة فقال له صلى الله عليه وسلم يافلان المكتوب فى التوراة الذى من صفته كذا وكذا وذكر صلى الله عليه وسلم أوصافه فى التوراة تزعمون أنى لست به فنظر اليهودى يمينا وشمالا فلم ير أحدا ثم قال له يا محمد كل احبار اليهود تعلم انك المكتوب فى التوراة بصفتك على ما أنت عليه من غير شك عندهم فى ذلك وانما غلب عليهم الحسد وهو منهم عليهم لعنـة الله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * ثم قال رضى الله عنـه

﴿ تَتَبَاهَى بِكَ الْعُصُورُ وَتَسْمُو * بِكَ عَلْيَاءُ بَعْدَهَا عَلْيَاءُ ﴾

* قوله تتباهى بك العصور يعنى تتباهى العصور بظهورك والمراد بها العصور التى ظهر فيها صلى الله عليه وسلم تباهى غيرها من الاعصار والمباهاة هى التعاظم والتفاخر على النظير وعصره صلى الله عليه وسلم يباهى الاعصار التى لم يظهر فيها صلى الله عليه وسلم لأظهار شرفه صلى الله عليه وسلم فى ذلك العصر قال الغافقى فى مراثيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فما فقد الماضون مثل محمد * ولامثله حتى القيامة يفقد

هذا معنى تتباهى بك العصور وعصره صلى الله عليه وسلم هو من يوم ولادته الى يوم موته وذلك العصر هو أفضل الاعصار فيه خير الدنيا والآخرة وعدد العصور مع انه عصر واحد بتعدد أيامه * قوله وتسمو بك علياء بعدها علياء معناه أن مراتب أهل الخصوص والكمال من النبيين والمرسلين والملائكة على افتراق طبقاتهم والاقطاب والصديقين كل تلك المراتب ظهر علوها عنـد الله وارتفاعها بسبب فيضه عليهم من حضرة القـدس فان بذلك الفيض ارتفعت تلك المراتب وعلت مقاديرها عنـد الله تعالى عـلى حسب ماقـدر الله لها فى الغيب وتسمو بك علياء بعدها علياء وهى مراتب أهل الخصوص ممن ذكرت به صلى الله عليـه وسلم يعنى من فيضه عليهم من حضرة القدس * ثم قال رضى الله عنه

(تتباهى) تتفاخر وتتعالى (بك) أى بوجودك وظهورك (العصور) جمع عصر كدهر ودهور وزنا ومعنى فأفضل الازمنة وأشرفها ساعة ولادته صلى الله عليه وعلى آله وسلم (وتسمو) تعلو وترتفع (بك) أى بوجودك (علياء) كحمراء رتبة عالية ببركة قربها اليك (بعدها علياء) أى بعدها رتبة أعلى وأشرف وأفضل منها وهكذا الى مالا نهاية له أبد الابد

*(وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ * مِنْ كَرِيمٍ آبَاؤُهُ كُرَمَاهُ)*

* قوله وبدا للوجود معناه بدا أى ظهر ومعناه ظهر من حجاب الغيب لانه ظهر من حجاب العدم فانه كان موجودا صلى الله عليه وسلم بأعصار كثيرة وقد أخبر عنه ربه سبحانه وتعالى بقوله فأنا أول العابدين فانه صلى الله عليه وسلم هو أول موجود ظهر من العماء الربانى وهو أول موجود تجلى له ربه بصفات كمالاته وهو أول موجود عبد الله تعالى وسجد له لم يسبقه الى هذا الميدان شئ أصلا * قوله للوجود ومعنى الوجود هو صورة العالم وقوله وبدا للوجود وبدوه صلى الله عليه وسلم للوجود لم يكن الا فى صورة هذا العالم الذى نحن فيه يقول الجاهل غيرنا من العوالم لاعلم له به صلى الله عليه وسلم بل التحقيق فيه أن جميع العوالم تعرفه صلى الله عليه وسلم معرفة تامة الا من اتصف بالجهل كعصاة بنى آدم والجن يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى قضية الضب المعروفة قال كل شئ يعلم انى رسول الله غير عصاة بنى آدم والجن * قلنا بجميع العوالم تعرفه غير من ذكر من حيث أن الحق سبحانه وتعالى كلفها كلها بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فهذا معنى وبدا للوجود وليس الوجود الذى نحن فيه فقط كما يظنه الجاهل بل كل من عرف الله عرفه صلى الله عليه وسلم الا من اتصف بالجهل ممن ذكر قبل * قوله منك كريم معناه أن العبارة تعطى من نفسها أن الظاهر للوجود من ذاته للوجود غيره وليس كذلك بل هذه العبارة سارية عند العرب انما يريدون الشخص نفسه وقوله منك كريم هو الجامع لصفات المحامد كلها المنزه عن صفات النقائص هذا هو الذى تسميه العرب كريما فهو صلى الله عليه وسلم جامع لاشتات المحامد والكمالات كلها منزه فى كماله عن جميع النقائص التى لا يحتملها كماله يدل عليها قوله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يتنزهون عن الشئ افعله فوالله انى لاعلمهم بالله وأخشاهم له وعلمه بالله تعالى من حيث أنه متحقق بجميع الكمالات الالهية مما انكشف له صلى الله عليه وسلم فهذا الكريم * قوله من كريم يريد به أباه صلى الله عليه وسلم سيدنا عبد الله الذى هو آخر موجود انفصل عنه صلى الله عليه وسلم آباؤه كرماء كلهم كرماء ظهر فيهم بصفاته صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

*(نَسَبٌ تَحْسَبُ الْعُلَا بِحُلَاهُ * قَلَّدَتْهَا نُجُومَهَا الْجَوْزَاءُ)*

معناه أن نسبه صلى الله عليه وسلم هم آباؤه * قوله تحسب العلا بحلاه تحسب ههنا هو الشرف والعلو والعلا كل من علا فى الوجود من بنى آدم من النبيين والمرسلين ومن قاربهم من الصديقين والاقطاب كلها تتشرف بحلا ذلك النسب لقربهم منه حيث خرجوا من أصله وهو آدم عليه السلام وشيث وادريس ونوح فهؤلاء الآباء الجامعون لبنى آدم ممن بعدهم يشرفون بحلا ذلك النسب والحلا جمع حلية وهى الاخلاق الكريمة ضد الاخلاق اللئيمة تشرف العلا كلها بحلا ذلك النسب من أب لأب * ثم قال قلدتها نجومها الجوزاء أى بضمير التأنيث فى قوله قلدتها التأنيث الجمع فذلك النسب بعلوه وشرفه وظهور أخلاق الكرم فيه كأن النسب فى جماله كأنه نجوم الجوزاء * نسبه صلى الله عليه وسلم هو محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن

(وبدا) ظهر وبرز (أ) تشريف وتكريم هذا (الوجود) الكون كله (منك) من فيض كرمك وجودك (كريم) شخص جامع لجميع أوصاف الكمال والشرف والمجد المراد به سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (من كريم) جامع لاوصاف الكمال والمجد المراد به أبواه سيدنا عبد الله وسيدتنا آمنة رضى الله عنهما وعنا بهما آمين (آباؤه) وامهاته من سيدنا آدم وسيدتنا حواء الى سيدنا عبد الله وسيدتنا آمنة رضى الله عنهم وعنا بهم آمين (كرماء) فضلاء حنفاء (نسب) بفتحتين اسم جامع لافراد الاصول (تحسب) بفتح فوقية وسين وبكسرها من حسب كعلم وضرب ظن واعتقد (العلا) بضم عين جمع عليا كفضلى المراتب العالية (بحلاه) بكسر حاء مهملة وبضمها جمع حلية كلحية ولحى ما يتزين به (قلدتها) بتشديد لام من التقليد ألبستها (نجومها) أى كواكبها المستديرة بها (الجوزاء) كحمراء اسم برج من بروج السماء

(نسب) (تشريف)

الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان * ثم قال رضى الله عنه

*(حَبذَا عِقْدُ سُودَدٍ وَفخَارٍ * أنتَ فِيهِ اليَتِيمَةُ العَصْمَاءُ)*

لما ذكر النسب وعلوه قال حبذا كلمة تقولها العرب فى الشئ الذى جاء فى مطابقة هوى الانسان يقال فيه حبذا يعنى ما أحب ذا لنفى مصدره مصدر التعجب يعنى هذا الشرف وهو النسب العالى يعنى نسبه العالى يعنى نسبه صلى الله عليه وسلم صار فى صورة العقد وهى القلادة التى يلقيها النساء فى اعناقهن من الذهب والياقوت قال عقد سودد صار هذا النسب فى صورة العقد المنظوم يعنى واحدا بعد واحد قال حبذا عقد سودد يعنى عقد شرف ونخار وهو تعظيم الرتبة على الناس أنت فيه ذلك العقد انت فيه اليتيمة العصماء صلى الله عليه وسلم والمراد باليتيمة هى الياقوتة التى تكون بين الصدفين فريدة فان حيتان بحر الهند تطلع فى ايام النيسان على سطح البحر الحيتان والاصداف كلها تطلع على سطح البحر مر تقبين لمطر النيسان فاتحة أفواهها فأى نقطة سقطت فى فمها انعقدت ياقوتة فى جوفها والياقوت والجوهر والدر واللؤلؤ كلها أسماء مترادفة الا أن اصطلحت على تسمية الاحمر بالياقوت وعلى تسمية صغار الياقوت الابيض باللؤلؤ قال سبحانه وتعالى فى وصف الحور كأنهن الياقوت والمرجان والمراد بالياقوت الاحمر ثم قال فى وصف الحور أيضا فى الآية الاخرى وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون فاللؤلؤ اذا كان مكنونا لم تمسه الاهوية والرياح كان فى غاية العلو والشرف والحسن والبهاء وقد قلنا ان كل قطرة قطرت فى فم حوتة أو صدفة ابتلعتها فالحوتة تبتلع النقطة والنقطتين والصدفة كذلك تنطبق على ذلك فمن ابتلعت نقطة تكونت من ذلك ياقوتة أو نقطتين تكونت ياقوتتين وكذلك الصدفة ثم إن النقطة تكونت مع اختها فى جوف الحوت والافى جوف الصدفة لا يختلطان فكل نقطة تكون لؤلؤة فمن كانت فى جوفها نقطة واحدة تكونت ياقوتة واحدة وهى المسماة عند الناس باليتيمة والفريدة فان هذه الياقوتة اليتيمة فى غاية المراتب من العلو والشرف والجمال والحسن والخواص وكل ياقوتة مع غيرها فى الجوف من اثنين فصاعدا انحطت مرتبتها عن الفريدة واليتيمة شبه الشيخ رضى الله عنه هذا النسب العالى بالعقد المنظوم وهو فيه صلى الله عليه وسلم بمنزلة الياقوتة اليتيمة التى هى فى غاية العلو والشرف فانها عند أهلها يضعونها فى أسفل العقد والعقد من فوقها منتظم بالمناظرة واليتيمة لا نظير لها فشبهه صلى الله عليه وسلم باليتيمة فى العقد * قوله العصماء معناه التى عصمت من مشاركة غيرها فى محلها فانها لم يتكون معها شئ وفى هذا البيت اشارة الى تمثيله صلى الله عليه وسلم بالياقوتة اليتيمة فان أبواه صلى الله عليه وسلم لم يكن لهما ولد غيره لا ذكر ولا أنثى فشبهه بالياقوتة اليتيمة التى تكونت بين الصدفين فيه تشبيه بديع يعنى ذلك النسب الشريف على غاية علوه وارتفاعه صار فى منزلة العقد الشريف منتظم من ياقوت وذهب أنت فى ذلك العقد اليتيمة العصماء والعصماء من وجهين انها عصمت نفسها من مشاركة غيرها فى المحل وعصمت طالبها من الالتفات الى غيرها فان طالب الياقوت اذا وجد اليتيمة لم يلتفت الى غيرها كما تقول العرب فى المرأة التى فى غاية الجمال والحسن يسمونها عقيلة ربيعون أن من نظر اليها وأدركها عقلت عقله من الالتفات الى غيرها مأخوذ من عقل البعير اذا عقل حبس فى محله فهذه هى العصماء * ثم قال رضى الله عنه

(حبذا) فعل مدح كنعم معنى وعملا ذا فاعله (عقد) بكسر عين كضرس القلادة من الدرر وغيرها (سودد) بضم سين وفتح دال السيادة والرفعة (وفخار) كسحاب ما يتمدح به من خصال جميلة وأوصاف جليلة (أنت) يارسول الله (فيه) وفى نسخة فيها بتأنيث الضمير رعيا للقلادة الدرة (اليتيمة) العديمة الشبيه والنظير (العصماء) المصونة المحفوظة

*(وَمُحَيَّاً كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيْ * أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةٌ غَرَّاءُ)*

معناه أن المحيا هو الوجه كالشمس شبه بالشمس فى غاية ضيائه وفى غاية كماله وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس من باب التشبيه للاعلى بالادنى وهو سائغ عند العرب لانه صلى الله عليه وسلم فى ضيائه ونوره أضوأ وأنور وأكبر من الشمس بكثير فان ضياء الشمس فى غاية سعته اذا أضيفت الى نوره وضيائه صلى الله عليه وسلم كانت كبصقة فى البحر المحيط يقول ابن الفارض فى التائية حكاية عن نفسه

ومن مشرعى البحر المحيط كنقطة * ومن مطلعى النور البسيط كلمعة

هذا هو فى محله فكيف به صلى الله عليه وسلم الذى لا قياس عليه فان الجنة فى مراتب نورها أى المرتبة السفلى منها لو اخرجت حوراء أصبعها حتى من السماء لأطفأت نور الشمس على اهل الدنيا وهكذا النسبة الثانية الى الجنة التى أسفل منها وهكذا فصاعدا الى ما لانهاية له وأن العرش لو بدا نوره لكانت الشمس معه كالقنديل فى وسط الشمس وفى وقت الظهيرة وقد روى فى الخبر أنه منذ خلق الله العرش كل يوم يكسى ألف حلة من نور وهو لا يعد فى أنواع الحجب التى فوقه وكل هذه الانوار تستمد من نوره صلى الله عليه وسلم وهو المفيض على جميعها بالانوار واذا أضيفت الى نوره صلى الله عليه وسلم كانت كلمعة فلا نسبة بينه وبين الشمس فى الضياء والنور لكن تشبيه الأعلى بالأدنى سائغ عن العرب قال سبحانه وتعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فان نوره سبحانه وتعالى لا غاية له وشبهه بنور المشكاة مع أن المشكاة فى غاية الضعف فلذا قلنا ان تشبيهه بالشمس من باب ضرب المثل للاعلى بالادنى وأيضا نظر آخر لما كانت الشمس هى غاية ما أدركت القوة البصرية من الانوار وغيرها الاعلم لها به كان تشبيهه صلى الله عليه وسلم بغاية ما أدركت البشرية من الانوار وهى الشمس وقد مدح صلى الله عليه وسلم فى قصيدة كعب بن زهير حيث شبهه صلى الله عليه وسلم بالاسد فى الهيبة والشجاعة وهو معلوم حيث يقول

حتى وضعت يمينى لا أنازعه * فى كف ذى نغمات قيله القيل
لذاك أهيب عندى اذ يكلمنى * وقيل انك منسوب ومسئول
من خادر من ليوث الاسد مسكنه * فى بطن عثر غيل دونه غيل

ثم تمادى فى وصف الاسد

ولا يزال بواديه أخا ثقة * مطارح البز والدرسان مأكول
تظل منه سباع الجو ضامرة * ولا تمشى بواديه الاراجيل

ثم تمادى فى وصف الاسد الذى كان عنده صلى الله عليه وسلم أهيب منه الى أن قال

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

قلنا انه شبهه بالاسد مع كونه صلى الله عليه وسلم لا نسبة بينه وبين الاسد لا فى الشجاعة ولا فى الهيبة الا اذا قلنا التشبيه للأعلى بالأدنى سائغ عندهم * قوله منك مضى يريد أنه صلى الله عليه وسلم كان وجهه فى غاية الضياء حتى حكت عائشة رضى الله عنها انها رأت الابرة فى الليل حين سقطت من يدها بنور وجهه صلى الله عليه وسلم يعنى قوة نورانيته صلى الله عليه وسلم * قوله أسفرت عنه

(ومحيا) أى وجهنا محيا كسمى الوجه (كالشمس) فى الاضاءة (منك مضئ) منير حسين بهى (أسفرت) أضاءت وأنارت وأشرقت (عنه) أى بنور ذلك الوجه النير (ليلة) عظيمة القدر والشأن (غراء) بفتح غين معجمة بيضاء بنور ذلك الوجه الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم

ليلة غراء معناه ان الاسفار هو شدة الضياء الواقع بعد الظلام يقول سبحانه وتعالى والليل اذا أدبر والصبح اذا أسفر والاسفار قلنا هو شدة الضياء بعد الظلام قال وجهه صلى الله عليه وسلم كأنه الشمس في ضيائه ثم اردف عليه معنى آخر قال أسفرت عنه ليلة غراء لان الشئ الانور ظهوره في غاية الظلام وهو الليل اكبر جلالا من ظهوره في النهار لذا قال أسفرت عنه ليلة غراء يعني بيضاء بشدة النور وكانت الليلة في اصلها في غاية الظلام فلما طلع الوجه الاكرم فيها بضيائه كانت غراء بذلك الوجه واسفرت عن ذلك الوجه الاكرم حتى صارت بيضاء بقوة النور الذي برز فيها * ثم قال رضي الله عنه

(لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الَّذِي كَانَ لِلدِّيـــنِ سُرُورٌ بِيَوْمِهِ وَازْدِهَاءُ)

* قوله ليلة المولد يحتمل أنه من باب عطف البيان وهو قوله أسفرت عنه ليلة غراء ثم عطف عليها بقوله ليلة المولد ويحتمل أنها جملة استئنافية ثم قال ليلة المولد كأنه يقول ليكن اهتمامك وعلمك ليلة المولد التي ولد فيها صلى الله عليه وسلم بتلك الليلة كان لدين الاسلام بتلك الليلة سرور وازدهاء والزهو هو شدة الانبساط في السرور فان السرور حقيقته هو نور يسطع على القلب يوجب للقلب السرور والفرح والازدهاء وهو ظهور ذلك على الجوارح بشطح أو تصفيق أو شدة حركة * ثم قال رضي الله عنه

*(وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْهَوَاتِفِ أَنْ قَدْ * وُلِدَ الْمُصْطَفَى وَحَقَّ الْهَنَاءُ)*

معناه أنه توالت البشائر على الناس في تلك الليلة بشرت بولادته ونقل من ذلك كثير وحكاية ملك الفرس معلومة لان ايوانه انهدم منه أربع عشرة شرافة فلما أصبح ورآها تكمد في قلبه بكمد عظيم وكتمه مع أن ايوانه كان في غاية التدقيق فلما أصبح وجلس بمجلسه وجلس الديوان معه بجاهه البر بلغه أصحاب نارهم العظمى التي يعبدونها من دون الله بعثوه له يخبرونه بأن النار أطفئت بغير سبب ولم يغفلوا عنها ولا نقص حطبها فلما أخبر بذلك زاد كمده مع ما هو فيه من هم الايوان فقال لأهل مجلسه ما هذا فقال له الموبذان وهو القاضي بلغتهم قال له وأنا أصلح الله الملك رأيت في هذه الليلة رؤيا رأيت ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت في بلادها فقال له كسرى وما عندك في تأويلها يا موبذان قال أراه حدثا يأتينا من ناحية العرب فبينما هو كذلك اذ ورد عليه البريد بأن ماء بحيرة ساوة قد غاض في تلك الليلة بلا سبب ثم ورد عليه البريد بأن وادي السماوة فاض فيضا عظيما فلما وقع في هذا الامر بعث الى عبد المسيح بن بغيلة وكان بالحيرة بعث اليه كسرى ليأتيه ليخبره في أمر ما أتاه فلما جلس بين يديه قال له ما تريد قال له في نفسي أمر عظيم قال له ما هو قال له انما أريد من الناس من يخبرني بالامر الذي في نفسي من غير أن يعلمه بذلك ثم يخبرني ماذا يراد منه فهناك أثق بخبره قال له لا يكون علم هذا الا عند خال لي يسكن بشرقي الشام قال له كسرى فاذهب اليه وسله عما بعثتك فيه وماذا يراد منه فقام من ساعته وسافر اليه وكان بشرقي الشام فلما وصل اليه وجده بآخر زمن من عمره فقال له جلساؤه كلمناه فلم يتكلم لانه في غمرات الموت فأنشد عبد المسيح عنده

أَصَمٌّ أم يسمع غِطْرِيفُ اليمن * أم بادَ قد لَمَّ به شَاوِي العَنَن
يا كريم الخطة أعييت من ومن * أتاك شيخ الحي من آل سنن

(ليلة) برفع بدل أو عطف بيان من ليلة قبله (المولد) بكسر لام كمجلس الولادة (الذي كان) ثبت ودام (للدين) أي دين الاسلام (سرور) جميم وفرح عظيم (بيومه) أي بيوم مولده (وازدهاء) افتخار وشرف ومجد على غيره من الاديان (وتوالت) تتابعت وترادفت بسبب ولادته وظهوره صلى الله عليه وعلى آله وسلم لهذا الوجود (بشرى) البشارة وهي الاعلام بالخبر السار (الهواتف) جمع هاتف من يسمع صوته ولا يرى شخصه والمراد به ما يشمل ذلك وغيره من أخبار الكهان والرهبان وغيرهم (أن) بفتح همزة أي بأن (قد ولد) بضم واو وكسر لام مبني للمفعول أي بولادة وظهور (المصطفى) سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الوجود (وحق) بفتح حاء ثبت ودام (الهناء) بفتح هاء الفرح والسرور لجميع الوجود وكيف لا وهو رحمة لهم دنيا وأخرى

وأمّه من آل ذئب بن حجن * رسول قيل العجم يسري للوسن
لا يرهب الوعد ولا ريب الزمن

أنشدها عند رأسه ففتح سطيح عينيه ثم قال عبدُ المسيح أتى الى سطيح على جمل مشيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لخمود النيران ورؤيا المؤبذان رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت في بلادها عبدَ المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادي السماوة وغاض وادي بحيرة ساوة فليست الشام لسطيح شاما يملك منه ملوك وملكات على عدد الشرافات وكل ما هو آت آت ثم فاضت روحه فلما جاء عبدُ المسيح الى كسرى وأخبره بمقالة سطيح فصدقه وقال هذا هو الذي في نفسي ثم خفف الهم عن نفسه وقال اذا تملك منا أربعة عشر ملكا فقد صارت أمورا * ثم قال رضي الله عنه

*(وتداعى إيوان كسرى ولولا * آية منك ما تداعى البناء)*

معنى تداعى أي هوى للسقوط ايوان كسرى والايوان في لغة الفرس هو المسمى عند العرب قصر المملكة الذي يستقر فيه الملك بما يشتمل عليه من جملة خدمته وحرمه وخدامه ومماليكه وجميع خزائنه فاصل الايوان في لغة الفرس هو الذي فيه الملك بجميع ما يشتمل عليه من خزائنه وحرمه وخدمته وكان هذا الايوان في غاية ما يكون من الضخامة والعظم وفيه من الذخائر والكنوز مالا يعرف له حد ولا مقدار حتى قالوا ان كسرى كانت له اثنى عشر ألف امرأة تداعى للسقوط في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم وفي تلك الليلة أيضا ما بقى صنم في الدنيا بجميع حذافيرها الا سقط على وجهه وأصبح ساقطا وفي ذلك آية واعلام انه جاء وقت سقوطها وذهابها أن تعبد من دون الله وكسرى لقب لملك الفرس بالعراق كل من ملك الفرس بالعراق يسمونه كسرى مضى على ذلك اصطلاحهم على هذا الاسم كما أن من ملك الشام من قبل بني اسرائيل يسمونهم جبابرة وكل من ملك الروم اصطلحوا على تسميته هرقل وقيصر واصطلحوا على ملوك مصر يسمونهم فراعنة وملوك حمير باليمن يسمونهم تبابعة وملوك الترك ببلادهم يسمونهم خاقان وكل من ملك الحبشة بالسودان يسمونه نجاشي * قوله ولولا آية منك ما تداعى البناء معناه لولا آية منك يا رسول الله بالاعلام بظهورك عليهم باستيلاء أمتك على ملكهم فهذه هي الآية ولولا هذه الآية ما تداعى البناء لشدة ضخامته وشدة توثقه واعتناء أهله به فان الملك الذي له اثنى عشر ألف امرأة من أشراف أهل الارض دون ما عنده من الحشمة والخدمة وماذا بنو به في مؤنتهم فان مثل هذا الملك لا يسكن في محل يسقط فيه البناء وما سقط الا بأمر الهي فانه روى أن أبا جعفر المنصور لما أفضت اليه المملكة عزم على هدم ايوان كسرى فاستشار في ذلك رجلا يقال له خالد بن عرفطة وكان ذا رأى سديد فلما استشاره وعزم على هدمه قال له لا تفعل يا أمير المؤمنين قال له ولم قال له انه من أعظم الآيات على قوة هذا الدين فانه ما رآه ذو عقل ورأي الا علم ضخامة ملك أهلهم وقوة سلطانهم وثبوت دولتهم وانهم لم يغلبوا عليه بعجز ولا بضعف ولا بقلة من المال وانما غلبوا عليه بأمر الهي لا دافع له فقال له المنصور ما أبيت عن هدمه الا ميلا مع العجمية قال له لا ثم قال ان في هدمه فساد أموال عظيمة فخالفه المنصور وأخذ في هدمه فما هدم الا سطحا قليلا من سطوحه كان مقببا فأفسد على هدمه مالا عظيما فلما رأى ذلك كف عن ذلك الفعل

(وتداعى) تمايل مائلا الى بناء حتى أشرف على السقوط بسبب ولادته صلى الله عليه وعلى آله وسلم (ايوان) بكسر همزة كديوان بناء واسع يعد لجلوس الملك ومشورته مع أهل مملكته (كسرى) بكسر كاف وتفتح لقب لملك الفرس (ولولا آية) علامة وكرامة ومعجزة عظيمة ظهرت (منك) أي من أجل وجودك وبروزك لهذا العالم (ما) نافية (تداعى) تمايل حتى تساقطت منه أربع عشرة من شرافاته اشارة لهلاك ملوكهم الاربعة عشر وانه لم يبق ملك ولا عز الا لسيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (البناء) الايوان المذكور لانه في غاية الاتقان والاحكام حتى ظن انه لا يهدمه الا نفخة الصور

ثم دعا خالدا فقال له صرنا إلى قولك فقال له خالد إن رأيي الآن أن تبلغ به الماء فقال له المنصور ولم قال له إني آنف لكم أن يكونوا أولئك بنوا بناء تعجزون أنتم عن هدمه والهدم أيسر من البناء فكف المنصور وترك وبقي الايوان على ما كان * ثم قال رضي الله عنه

*(وَغَدَا كُلُّ بَيْتِ نَارٍ وَفِيهِ * كُرْبَةٌ مِنْ خُمُودِهَا وَبَلَاءُ)*

معناه أن كل بيت من بيوت النار للفرس لانهم كانوا يعبدون النار لانهم في كل مدينة لهم أبيات يوقدون النار فيها لعبادتهم يعبدونها من دون الله لان بيوت النار في تلك الليلة خمدت وطفئت وغدا أهل النار في كرب عظيم من خمودها وكذا جميع البلدان ظهر بعد أيام وأخبروا أنها طفئت نيرانهم في تلك الليلة فلحقهم من ذلك هم وكرب عظيم وقالوا كلهم في ذلك الحال بعدما ارتاعوا منه وعاعظيما ان هذا الأمر تراد به فارس * ثم قال رضي الله عنه

*(وَعُيُونٌ لِلْفُرْسِ غَارَتْ فَهَلْ كَا * نَ لِنِيرَانِهِمْ بِهَا اطْفَاءُ)*

من جملة الآيات التي وقعت لهم غارت عيون التي من أعظمها النهر المشهور وادي بحيرة ساوة لانه كان من أعظم الانهار التي في العراق كما غارت لهم في تلك الليلة ودلت على استيلائه واستيلاء أمته على ملكهم فهذه كلها بشائر كأنها تخبرهم بذهاب ملكهم حتى قيل انهم سمعوا في الليالي التي خرجوا فيها من المدائن اذ كان سعد بن أبي وقاص مقارعا لمحاربتهم وهم يضعون المكور في محاربته قالوا اسمعوا قائلا يناديهم بالمدائن علام تهلكون أنفسكم وقد انقضت مدة ملككم * قوله فهل كان لنيرانهم بها اطفاء معناه فهل كان لتلك العيون التي غارت لنيرانهم اطفاء بل طفئت النار بامر الهي كما غارت العيون بامر الهي فان النيران التي طفئت فانها كانت من جملة الاوثان التي كانت تعبد من دون الله وقد قلنا سابقا أن الاوثان التي كانت تعبد من دون الله أصبحت كلها منكوسة على وجهها وفيها آية واعلام ان أمر الله جاء بذهابها وذهاب عبادتها من دون الله * ثم قال رضي الله عنه

(مَوْلِدٌ كَانَ مِنْهُ فِي طَالِعِ الْكُفْـــرِ وَبَالٌ عَلَيْهِمْ وَوَبَاءُ)

معناه مولده صلى الله عليه وسلم اما خبر لمبتدا محذوف تقديره هو مولده أو مولد مبتدا صريح وخبره ما ذكر بعده قال مولد يريد به مولده صلى الله عليه وسلم وقد جمع مولده صلى الله عليه وسلم أربعة أمور كمال السعادة والشرف وكمال الوبال والو[illegible] فكان منه في طالع الاسلام سعادة وشرف وكان في طالع الكفر وبال عليهم ووباء والوبال هو [illegible] والعذاب قال سبحانه وتعالى وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا والوبال هو مأخوذ مما عرف من حال الكواكب السيارة في السماء فان لها سعادة في بعض البروج ووبالا في بعض البروج مثال ذلك زحل فان شرفه في الدلو والجدي وبيته الحمل وهو غاية سعادته اذا نزل برج الحمل كان في غاية السعادة ونظير الميزان يكون بيت شقائه وهلاكه من برج الميزان وبيت شرفه الدلو والجدي ووباله هو السرطان والاسد فاذا حل بها كان في غاية الهلاك وهكذا في جميع الدراري اذا تتبعتها كلها هكذا وهذا المولد على صاحبه أفضل الصلاة والسلام كان منه في طالع الاسلام سعادة وشرف وفي طالع الكفر وبال عليهم ووباء والطالع الذي يسمونه طالعا هو البرج الذي وقع على آخر الافق من جهة الشرق هو الطالع وحكمه

(وغدا) ذهب وزال والمطفي (كل بيت نار) كانوا يعبدونها (وفيه) أي ولهم في ذهاب وانطفاء كل بيت نار (كربة) كغرفة حزن عظيم وغم شديد كادت نفوسهم تهلك منه (من خمودها) سكون لهبها وانطفائها (وبلاء) كسماء بلية وعقوبة وهلاك (وعيون) جمع عين الجارية بالماء (للفرس) كقفل أمة عظيمة أهل شجاعة وفراسة ونجدة (غارت) ذهب ماؤها في الارض وجفت ويبست بسبب ولادته صلى الله عليه وعلى آله وسلم (فهل كان) ثبت وحصل (لنيرانهم) الخامدة (بها) أي بتلك العيون التي غارت وذهب ماؤها (اطفاء) بكسر همزة مصدر أطفأها أخمدها وأزال لهبها بشيء لا بل لا سبب لاطفائها الا سر وجوده صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبروزه لهذا العالم (مولد) بجر بدل من المولد أو برفع خبر لمحذوف (كان) ثبت ودام (منه) أي من أجله (في طالع) وهو نجم يستدل به اذا طلع على وقوع مكروه كالعذاب والزلازل (الكفر) ضد الايمان (وبال) كهلاك وزنا ومعنى وخذلان وخسران (عليهم) أي على أهل الكفر (ووباء) كسماء مرض عام يكثر منه الموت بلا سبب

هو الظاهر على الارض بجميع أحكامه ولوازمه ومقتضياته والمعتبر ما حل فيه من الدرارى بامر يعرفه المنجمون فهذا هو الطالع وهو البرج والذى هو فيه السعادة فيه السعادة والشرف والوبال والوباه هو الذى يقع فى الطالع من السبع السيارة * ثم قال رضى الله عنه

(فَهَنِيئاً بِهِ لِآمِنَةَ الفَضْلُ الَّذِى شُرِّفَتْ بِهِ حَوَّاءُ)

معناه هنيئا بذلك المولود لآمنة رضى الله عنها الذى سعدت بحيث أن لا نظير لها فى العالم كله حتى الحور ليس لهم هذا الشرف الذى حازته آمنة ولا غيرها من النساء فى سائر الوجود كله فلهذا قال هنيئا لها بذلك المولود صلى الله عليه وسلم وذلك المولود هو الذى شرفت به حواء من حيث انها أم لجميع النبيين والمرسلين فلها شرف عظيم لانها أم له ولجميع النبيين والمرسلين لانها الاصل الذى اليه المرجع ومنه التفريع قال هنيئا بذلك المولود لآمنة ولها الفضل الذى شرفت به حواء عليها السلام بان حواء أم لجميع النبيين والمرسلين ولها الشرف الاعظم والفضل الافخم ثم ان آمنة حصلت ذلك الشرف بتمامه من حيث انها كانت صدفة لجوهرته صلى الله عليه وسلم حيث انعقدت جوهرته فى جوفها فان قالت حواء مثلا وافتخرت بجميع النبيين والمرسلين فآمنة مثلا تقول أنا باشرته ولم تباشريه وولدته وهو أصل الاصول لانه أصل جميع النبيين والمرسلين لان الطينة التى تكون منها جسده الكريم ما خلق الله منها مخلوقا فى العالم كله الا الملائكة والنبيين والمرسلين والاقطاب خاصة لا غير تكونوا من طينته صلى الله عليه وسلم فكان بذلك أصل الاصول صلى الله عليه وسلم وجميع بنى آدم طينة آدم لا غير فاذا أراد الله تكوين الصبي فى الرحم بعث الله الملائكة للمحل الذى قضى أن يقبر فيه ذلك الصبي فامرهم أن يأخذوا من تراب ذلك القبر الذى يقبر فيه ويعجن بنطفة ذلك الصبي ويتخلق منها فالبشر من نطفة آدم لان النطفة ما وقعت فيه الا بعد نفخ الروح فيه فصارت النطفة وخرجت منها الذرية وأما الطينة لا نطفة فيها وأما الأنبياء والمرسلون والاقطاب والملائكة خاصة انما هم من طينته صلى الله عليه وسلم ولكن ليست الطينة التى هى موضع قبره صلى الله عليه وسلم ولكن طينته صلى الله عليه وسلم كونها ربنا قبل خلق العالم ونظر اليها بعين العناية والمحبة ثم خمرها دهورا متطاولة لا يأتى عليها الحساب وجعلها مخزونة فى خزائن علمه فما زالت كذلك الى أن كون منها جسده الكريم وأضاف اليها موضع قبره صلى الله عليه وسلم وكون من طينته جميع الملائكة والنبيين والمرسلين والاقطاب فاذا أراد الله تكوين واحد من أصحاب هذه المراتب الاربعة أخذ له من الطينة المخمرة عنده فى الغيب وأضاف اليها ترابا من موضع قبره وعجنها بتلك النطفة فكون منها ذلك الصبي وأما الملائكة اذا أراد الله تكوينهم يأخذ من تلك الطينة جزءا فيكون منها الملك ويزيل كثافته ويصير كله نورا لا كثافة فيه وقد ورد أن جبريل عليه السلام يدخل فى كل يوم نهر الحياة ينغمس فيه انغماسا ثم يخرج منه فينفض يقطر منه سبعون ألف قطرة فيخلق الله من كل قطرة ملكا فيدخلون البيت المعمور ومن دخل منهم لا تعود النوبة اليه الى أبد الابد والقطرات التى يتكون منها الملك هى بمنزلة النقطة التى يتكون منها الصبي قلنا ولذا يقول أهل الحقائق ليس عند الآدمى عصمة من الذنوب بعد النبيين والمرسلين الا للقطب وحده فانه معصوم كعصمة النبيين والمرسلين فان تكوينه من أصل تكوينهم والطينة

(فهنيئا) كلمة يهنأ بها من حل به فرح وسرور ونعمة (به) بمولده أى بولادة سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مباشرة (لآمنة) أى لسيدتنا آمنة بنت وهب (الفضل) برفع مبتدأ حذف خبره أى لها الفضل والشرف والمجد (الذى شرفت) بضم شين وكسر راء مشددة مبنى للمفعول من التشريف التكريم والتعظيم والتميز عن الغير وفى نسخة شرفت ككرمت من الشرف العلو والمجد والرفعة مبنى للفاعل (به) أى بمولده أى ببركة ولادته بوسائط عديدة سيدتنا (حواء) اسم زوجة سيدنا آدم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام

(من) استفهام انكارى أى من يتكفل و ينسب (لحواء) رضى الله عنها (أنها) بفتح (١٤) همزة (حملت) أى جعلت فى بطنها مباشرة سيدنا ومولانا (أحمد) صلى الله عليه وعلى آله وسلم سماه الله تعالى بهذا الاسم الشريف فى أزله قال تعالى اسمه احمد (أوأنها) بفتح همزة أى من يتكفل و ينسب لها انها (به) أى بمولده وولادته مباشرة (نفساء) بضم نون وفتح فاء كعشراء أى وضعته مباشرة وأصابها نفاس كبكتاب دم الولادة (يوم) بدل من مولد (نالت) ظفرت وأدركت (بوضعه) أى بولادتها لسيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. سيدتنا آمنة (ابنة وهب) ابن زهرة (من فخار) وفضل وشرف ومجد (ما) أى شأنا عظيما وقدرا فخيما (لم تنله) تدركه وتظفر به (النساء) كلهن من جهة ولادته مباشرة (وأتت) أى يوم جاءت آمنة (قومها) قريشا (بأفضل) أى بولد أفضل وأشرف باجماع (مما) أى من ولد (حملت) به هو سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام (قبل) أى قبل آمنة (مريم) بنت عمران الصديقة رضى الله عنها (العذراء) بذال معجمة البكر التى لم تتزوج وبقيت على خاتم ربها وقصة حملها به فى القرآن العظيم

التى تكونت منها الملائكة والنبيون والمرسلون تكون منها قطب الاقطاب والامر الذى يعصم به القطب هو سر القرآن فان من حل فى ذاته سر القرآن لا يقدر صاحبه أن يلم بالمعصية طرفة عين وأجمعوا على أنه معصوم من الموت على الكفر دون الصديقين ثم قال رضى الله عنه

(مَنْ لِحَوَّاءَ أَنَّها حَمَلَتْ أَحْمَدَ أَوْ أَنَّها بِهِ نُفَسَاءُ)

معنى البيت ليس هذا الفضل الذى حازته آمنة وهو أن تكون حاملا به مباشرة وانها به نفساء من لها بذلك يريد أن ليس لها هذا المنصب الذى حازته آمنة ولا يقال انه يلزم فيها ما يلزم فى آدم عليه الصلاة والسلام من حيث انه فى جميع بنيه انه أشرف من كل أب مباشر لان السر الذى فى آدم ليس هو فى حواء فان الولد سر أبيه بالمباشرة يسرى فيه سر أبيه وان كانت فيه أخلاق أجداده أو أخواله فانما سرى فيه ذلك بالابوة امامن جهة أبيه واما من جهة أمه فما كان من أخلاق أخواله أو أجداده أو أمه فانما سرى فيه ذلك من جهة أمه من نطفتها سرى فيه ذلك وما كان فيه من أخلاق أجداده لا بعد أو أعمامه فانما سرى فيه ذلك من نطفة أبيه فلم له أن يلتحق بأخلاق الماضين عاريا عن أبيه وأمه واذا عرف هذا بين الولد وأبيه فآدم عليه الصلاة والسلام هو الاصل الجامع والنسب كلها مجموعة فيه فما من نسبة فى ولد من أولاده منه الى قيام الساعة إلا وهى مستمدة منه كانه باشر ذلك الولد بنفسه كالاب الذى باشر ولده فلنا آدم عليه الصلاة والسلام مشتمل على نسب جميع بنيه كما اشتمل على نسب جميع العالم باسره من حيث انه خلق مصورا على صورة الحضرة الالهية من كل وجه و بكل اعتبار فهو محيط بجميع الاكوان من منشأ العالم الى النفخ فى الصور وقد استوفى جميع نسبها من جميع الموجودات فردا فردا و بهذا السر الذى فيه كان خليفة الله على جميع المملكة الالهية وتصرفه فيه عموما واطلاقا لاجل النسب التى فيه فان فيه نسب جميع المرتبة الالهية وهى مرتبة الالوهية فهذا السر يصح له أن يقول فى كل ولد من ولده وان بعدت الآباء بينه و بينه يقول أنت ولدى مباشرة وليس هذا السر فى حواء عليها السلام فلهذا لم يكن لها الشرف الذى لآمنة رضى الله عنها وأما آدم عليه الصلاة والسلام فله الشرف بولادته عليه الصلاة والسلام أكبر مما ناله عبد الله أبوه وان كان عبد الله باشره لان هذا الشرف ناله من جهة الخلافة العظمى عن الله و رسوله صلى الله عليه وسلم والأبوة ثم قال رضى الله عنه

*(يَوْمَ نَالَتْ بِوَضْعِهِ ابْنَةُ وَهْبٍ * مِنْ فَخَارٍ مَا لَمْ تَنَلْهُ النِّساءُ)*

معناه أنه عطف هنا فى المولد نفسه فان ذلك المولد الشريف يوم وقع ذلك المولد نالت بوضعه ابنة وهب وهى أمه آمنة نالت بوضعه من فخار والفخار هو العلو والشرف والتعظيم والاجلال ما لم تنله النساء يريد أن لها من الشرف والعلو والتعظيم والاجلال عند الله وعند خلقه مالا مطمع فيه للنساء بسبب مباشرتها لوضعه وولادته قال رضى الله عنه

*(وَأَتَتْ قَوْمَها بِأَفْضَلَ مِمَّا * حَمَلَتْ قَبْلُ مَرْيَمُ الْعَذْراءُ)*

معناه أنه يوم وضعته آمنة بسبب وضعه أتت قومها وهم قريش بأفضل مما حملت قبل مريم العذراء وخبر مريم معلوم عند كافة الخلق بولادتها لعيسى عليه الصلاة والسلام فانه أفضل

من كل نبى ثم قال رضى الله عنه

*(شَمَّتَتْهُ الأَمْلاكُ إِذْ وَضَعَتْهُ * وَشفَتْنَا بِقَوْلِهَا الشِّفَاءُ)*

معنى شمته الاملاك النبى صلى الله عليه وسلم اذ وضعته آمنة والتشميت فى اللغة هو التفريج وبه سمى تشميت العاطس تشميتا بقول له القائل رحمك الله وفيه يقول المعصوم سيدنا هرون عليه السلام فلا تشمت بى الاعداء يعنى لا تفرحهم فى شمتة الاملاك يحتمل أنه عطس حين ولد صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله فقالت له الملائكة يرحمك الله ويحتمل تشميت الملائكة فى صلاتهم عليه يوم ولد بقولهم له صلى الله عليه وسلم فان الملائكة كانت مستشرفة لهذه الولادة العظيمة وحضروها حين وضع فانه صلى الله عليه وسلم فى الليلة التى ألقيت نطفته فى رحم آمنة وقع به تنبيه عظيم فى السموات بانه ألقى فى رحم أمه هذه الليلة حتى فى الجنة وعند أهلها وصار به الخبر فى جميع نواحى السموات فرحا واعتناء به صلى الله عليه وسلم وحين رأى اللعين ذلك رنّ رنة عظيمة من الغيظ والحزن والكرب الذى حل به أكثر مما حل به من الكرب فى الوقت الذى أمر بالسجود لآدم ومعلوم قضيته واذا كان اعتناء الملائكة وفرحهم به فى ليلة وضع نطفته فى رحم أمه فأحرى وأولى أن يعتنوا بحضوره صلى الله عليه وسلم حين خرج للوجود وكان فى قلوبهم فى غاية العظمة والجلال من أجل ما علموا من تعظيم الله واجلاله له صلى الله عليه وسلم قوله وشفتنا بقولها الشفاء الشفاء اسم امرأة من نساء قريش كانت حضرت ولادة آمنة رضى الله عنها قال شفتنا بقولها الشفاء يعنى أوضحت لنا كثيرا من العجائب التى شاهدتها عند ولادته صلى الله عليه وسلم أخبرت أنها رأت النجوم تدلت اليه عند ولادته وخرج معه نور عظيم رأوا به قصور بصرى من أرض الشام وهم بمكة وأخبرتهم أنه ولد ساجدا صلى الله عليه وسلم رامقا طرفه السماء الى غير ذلك مما أخبرت به الشفاء من العجائب التى رأت عند ولادته صلى الله عليه وسلم ثم قال رضى الله عنه

(رَافِعاً رَأْسَهُ وَفِى ذَلِكَ الرَّفْعِ إِلَى كُلِّ سُودَدٍ إِيمَاءُ)

قال معناه أن رفع رأسه بعد السجود فى ذلك الرفع الى كل سؤدد ايماء والسؤدد هو العلو والرفعة الذى كان عند الخلق رفيع المنزلة عالى المرتبة فهذا السؤدد يعنى سيدنا صلى الله عليه وسلم وكان فى رفع رأسه ايماء يعنى اشارة الى رفعته وجلاله عند الله تعالى وسؤدده على جميع العالم صلى الله عليه وسلم مطلقا ليس فيه من يناظره ثم قال رضى الله عنه

*(رَامِقاً طَرْفُهُ السَّمَاءَ وَمَرْمَى * عَيْنِ مَنْ شَأْنُهُ الْعُلُوُّ الْعَلاَءُ)*

معناه انه ولد صلى الله عليه وسلم رامقا طرفه السماء ونظره الى السماء هو نظره الى الله تعالى لانها قبلة الدعاء وفيه يشير الى صحة انقطاعه الى الله تعالى وعموم جميع اوقاته فى النظر الى الله تعالى وعدم مبالاته بغيره وهذا غاية التعظيم فى العبد اذا وصل الى هذه الحالة وهى انقطاعه الى الله تعالى من كل وجه حيث لم يبق طرف ولا أقل قليل من الالتفات الى الوجود فهذا اوجه رمقه السماء ثم قال ومرمى عين من شأنه العلو

(وضعته) ولدته أمه (وشفتنا) بفتح فاء مخففة من الشفاء سرتنا وفرحتنا (بقولها) المروى عنها قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقع على يدى فاستهل أى رفع صوته بالعطاس سمعت قائلا يقول له رحمك الله ورحم بك (الشفاء) بفاء مشددة اسم أم سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وعنا بهما آمين (رافعا) حال من هاء وضعته (رأسه) الشريف بنصب مفعول برافع ناظرا بعينيه الشريفتين الى السماء قائلا الحمد لله (وفى ذلك الرفع) الذى صدر منه أول بروزه لهذا العالم وحمده لله الذى أوجده وأبرزه (الى كل سودد)سيادة وشرف ورفعة (ايماء) بكسر همزة مصدر أومأ أشار اليه (رامقا) حال أيضا بقاف من رمقه بعينيه نظر اليه نظرا خفيا (طرفه) برفع فاعل برامق أو منصوب بنزع الخافض أى ببصره (السماء) أى الى جهة السماء (ومرمى) بفتح ميمين غرض الرامى اى وغاية قصد ونظر (عين) الباصرة (من شأنه) قصده مبتدا خبره (العلو) بضمتين كسمو وزنا ومعنى (العلاء) كسماء الشرف ورفعة المكانة والمنزلة خبر عن مرمى

(و) يوم (تدلت) دنت وقربت (زهر) بضم زاى جمع ازهر (النجوم) جمع (١٦) نجم الكواكب المشرقة المضيئة (اليه) اى كرامة ومعجزة له صلى الله عليه وعلى آله وسلم (فأضاءت) اى فبسبب ذلك التدلى أضاءت انارت (بضوئها) اى بنور النجوم الزاهرة (الارجاء) جمع رجى كفتى النواحى اى نواحى البيت او نواحى السماء (و) يوم (تراءت) ظهرت (قصور) جمع قصر الحصن المشيد (قيصر) بفتح قاف وصاد بينهما تحتية ساكنة لقب ملك الروم (بالروم) اقليم عظيم (يراها) اى بحيث يبصرها ويشاهدها (من) اى كل من (داره) منزله (البطحاء) مسيل واسع فيه دقاق الحصى يعنى مكة فضلا عمن داره فى رؤس الجبال (و بدت) ظهرت للمعاصرين له صلى الله عليه وعلى آله وسلم معاينة ولمن بعدهم بالبرهان والتواتر (فى) زمن (رضاعه) بكسر راء وفتحها مص اللبن من الثدى (معجزات) جمع معجزة وهى أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة (ليس فيها) اى فى ظهورها (عن العيون) جمع عين الباصرة (خفاء) كسماء استتار واكتتام بل هى كشمس الظهيرة لمن وفقه الله

العلاء معناه انه صلى الله عليه وسلم فى حال ولادته انه كان رامقا طرفه السماء مرمى العين الى أسفل وذلك منه من مرمى عينيه الى أسفل استحياء وهيبة لعظمة الله وجلاله وعزه وكبريائه فان هذا من الكامل من الصديقين فان الحياء عند الصديقين من الله اطراق الروح من هيبة الجلال والاطراق هو هبوط البصر الى أسفل من هيبة الجلال والعظمة والعز والكبرياء فاذا كان مع كونه يرمق السماء فهو مرمى العين الى أسفل تعظيما لهيبة الجلال لما انكشف له من عظمة الله وجلاله فهذا معنى مرمى العين وهذه الصفة له صفة من شأنه العلو والعلاء يريد أن منها صفة الخاصة العليا من خلق الله بما غلب عليهم من تعظيم الله واجلاله واستيلاء الله تعالى على جميع عوالمهم يأخذهم سبحانه وتعالى منهم اليه فهذه صفة العبد الأعلى قال هذه صفة من شأنه العلو عند الله تعالى هاهنا هو العلاء ومعناه أنه بلغ الرتبة العليا فى العلو حتى لا علو فوق مرتبته صلى الله عليه وسلم كما يأتى فى قوله فى ذكر مرتبته

رتب تسقط الامانى حسرا * دونها ما وراءهن وراء

فهذه المرتبة التى هى فى غاية العلو والشرف فهذا معنى قوله ومرمى عين من شأنه العلو العلاء يعنى العلو الاعلى ثم قال رضى الله عنه

*(وَتَدَلَّتْ زُهْرُ النُّجُومِ إِلَيْهِ * فَأَضَاءَتْ بِضَوْئِهَا الأَرْجَاءُ)*

فكل هذا من خبر الشفاء قال تدلت زهر النجوم اليه فرحا واستبشارا بخروجه للوجود صلى الله عليه وسلم يعنى وقع الاعتناء من النجوم كما وقع الاعتناء من الملائكة فتعظيمهم واجلالهم فى هذا المحل له صلى الله عليه وسلم تبع لتعظيم الله له واجلاله له صلى الله عليه وسلم ثم قال رضى الله عنه فأضاءت بنورها الارجاء الضوء هو شدة اتضاح النور فى المنورات يقول سبحانه وتعالى جعل الشمس ضياء والقمر نورا فلا شك أن الضياء أوضح من النور وأضاءت بضوئها أم بضوء النجوم الارجاء والارجاء هى النواحى يحتمل نواحى مكة فقط أضاءت بضوء النجوم ويحتمل أن النواحى هى نواحى جميع الارض أضاءت بضوء النجوم حين تدلت اليه والكل صحيح ثم قال رضى الله عنه

*(وَتَرَاءَتْ قُصُورُ قَيْصَرَ بِالرُّو * مِ يَرَاهَا مَنْ دَارُهُ الْبَطْحَاءُ)*

أخبر أن وقع النور عند ولادته صلى الله عليه وسلم أخبر من باشر ذلك انهم رأوا بذلك النور قصور الشام فى غاية ما يكون من البيان وهم بمكة و بينهم مسير شهر وهى احدى المعجزات فيه صلى الله عليه وسلم يراها من داره البطحاء وهى أرض مكة يعنى يرى قصور الشام من كان مستقرا بمكة وهى البطحاء ثم قال رضى الله عنه

*(وَبَدَتْ فِى رَضَاعِهِ مُعْجِزَاتٌ * لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْعُيُونِ خَفَاءُ)*

هو صلى الله عليه وسلم رضع ثدى حليمة رضى الله عنها و به ربى و يقع فيه اشكال فى كون حليمة فى وقت الشرك وليس ثم فى الوقت من يعرف حقيقة الايمان ولا يعرفه يعنى فى وطنهم الذى هم فيه ولم يكن فى الوقت الا علماء أهل الكتاب فانهم يعلمون حقيقة الايمان الا أنهم فى غاية البعد من العرب ومن كان منهم فى وسط العرب كعلماء المدينة وما حولها من علماء اليهود فانهم

عادتهم فى ذلك لا يذكرون هذا للعرب ولايعرفونهم به لعلمهم أنهم لايقبلون ذلك ولا يريدونه فليس ثم من يعرف حقيقة الايمان وحليمة فى وسط أرض الشرك لانها منشأها ومستقرها وكونه صلى الله عليه وسلم وفقته الاقدار اليها للرضاع ليتغذى جسده الكريم من لبنها فوقوع ذلك مع ماهى فيه من الشرك ان قلنا انها مشركة بعيد فى غاية البعد لان الله سبحانه وتعالى قال انما المشركون نجس وانهم بهذا أنهم عين ذات النجاسة فلا يطهرهم شئ وان اغتسلوا وكونه سبحانه وتعالى يغذى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الغذاء النجس بعيد من العصمة الالهية التى كانت له صلى الله عليه وسلم فلا يتأتى ذلك ولا يتصور والجواب ان الله سبحانه وتعالى وهبها الايمان بأمر اختصاصى اقتضته العناية الالهية كما أنه سبحانه وتعالى طهر آباءه وأمهاته من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى أبويه لم يقع قط فى صلب كافر أو رحم مشركة الى أن خرج من بين أبويه صلى الله عليه وسلم يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية وأراد بالطاهرة الطاهرة من الكفر فى آبائه صلى الله عليه وسلم وأراد بالزكاة فى الارحام هو الزكاة بالايمان فان الزكاة فى الكفر محال فاذا كانت هذه عناية الحق به سبحانه وتعالى أن طهر معادنه صلى الله عليه وسلم من أول الامر الى أن أخرجه الى الوجود صلى الله عليه وسلم طهر جميع معادنه أبا وأما اعتناء به وترفيعا لشأنه وتعظيما واجلالا له فأحرى أن لا يغذى جسده الكريم بلبن متنجس فان هذا آكد من سريان النجاسة فى النطفة فان اللبن يتكون عنه اللحم والدم والدم واللحم هو عين الجسد الكريم صلى الله عليه وسلم فلا شك أن الله يصطفى محلا يرضعه طاهرا مطهرا حتى لا يتكون جسده الكريم الا عن الطهارة كما كان أصل نطفته وقد نقل فيما ثبت من الاخبار أن أمه سمعت نداء من الغيب يقول لها طوبى لثدى يرضعه وطوبى هذه لمن كانت عاقبته الجنة وكونها فى أرض الشرك وفى وقته ولا معرف بحقيقة الايمان فلوقوع الايمان فى قلبها طرق ممكنة اما بالهام الهى والفيض الربانى يعرفها أن ماعبد من دون الله ليس بشئ وأن الله لا اله الا هو وهذا الفيض هو الذى وقع لآبائه وأمهاته وعصموا بذلك من أمر الجاهلية بالفيض الالهى فى قلوبهم فاما أن يكون وقع لها هذا بفيض الهى عصمها الله به من الكفر واما أن يكون بعث اليها بعض عباده من الاحياء اعتناء بها اما من علماء أهل الكتاب واما من أولياء عصرها وراح عندها مثلا على صورة ضيف ثم كان من قدر الله وقضائه ان وقعت المحادثة بينهما لان ذكر ذلك على البديهة للقرب لا يقبلونه لكونهم فى غاية البعد من الايمان فيعرفها أن ما يعبد من دون الله ليس بشئ وأن العبادة المحققة هى لله تعالى وحده وأنه لا اله الا هو والاله عندهم هو المعبود فيعرفها بهذا الامر مثلا فيأخذ الله بقلبها فتنقاد له لان الله هو الهادى الى الايمان ويجعل نور الايمان فى قلبها بسبب هذا القول فتبرأ حينئذ من عبادة غير الله تعالى وتقر له بالالوهية وحده تصفية للتوحيد الحق فهذا هو عين الايمان وأما ما بعده من الاعمال الصالحة فلا نقول به لان ذلك ليس وقته انما نقول بايمانها ليكون جسدها طاهرا ولبنها طاهرا حتى لا يتغذى جسده الكريم الا بلبن طاهر واما أن يبعث لها سبحانه وتعالى قائلا فى النوم على

(اذ) حين (ابته) اى امتنعت من ارضاعه واخـذه (ليتمه) بضم (١٨) تحتية وفتحها كقفل وفلس أى لموت أبيـه وفقره

(مرضعات) جمع مرضعة لانهن يأتين مكة يطلبن الرضعاء طلبا للاجرة لان ارضاع الام ولدها عار عندهم (قلن) اى حال كونهن قائلات بزعمهن واعتقادهن (ما) اى ليس لنا (فى اليتيم) من مات ابوه صغيرا (عنا) معشر المرضعات (غناء) بفتح غين كسماء أى نفع واحسان يغنى عنا شيئا (فأتته) جاءته وأخـذته حسبة لله لا لعوض تريده منه (من آل سعد) قبيلة من قبائل قريش (قتاة) مؤنث فتى أى شابة كريمة سخية اسمها حليمة السعـدية ما أحلها وما أسـعدها ببركته صلى الله عليه وعلى آله وسلم (قد أبتهـا) أى امتنعت منها وكرهتها (لفقـرها) أى لشدة فقرها وقلة لبنهـا وكان معها رضيع لا يسكت عن البكاء من الجوع (الرضعاء) بضم راء جمع رضيـع أى أهلهم لما ذكر (أرضعته) سيدتنا حليمة (لبانها) بكسر لام ككتاب لبن الرضاع (فسقتهـا) أى حليمة (وبنيها) وكافة من تعلق بها (ألبانهن) جمع لبن والضمير راجع للشاه تنزيلا لغير العاقل منزلة العـاقل (الشاه) جمع شاة أى شياهها وغنمها

صورة جميلة تجتذب عوالم الشخص اذا رآها فتحمله على قبول ما يقول لها فيعرفها بحقيقة الايمان مثلا وأنه لا اله الا الله وأن ما يعبد من دونه ليس بشئ فتقبلها وتصبح مؤمنة والكل ممكن من هذه الوجوه لا بعد فيه والسلام وهذا الذى قلناه يصح أن يقال انه وقع فيها أول الأمر قبل القائه اليها صلى الله عليه وسلم أو يكون وقع بها عندما حملته من عند أهله فبسبب مباشرتها له وقع من بركة مباشرته صلى الله عليه وسلم أن حل الايمان قلبها بفيض الهى فانه صلى الله عليه وسلم هو البركة العظيمة فى كل شئ كما رأت البركة فى حالها من حينه مع شدة فقرهـا وانهم كانوا فى سنة شديدة القحط وأغنام الناس كلها تروح عجافا فى غاية الجهد وأغنامها تروح كلها مملوءة اللبن فى غاية ما يكون من السمن حتى كان أهل حيها يخاصمون رعاءهم ويعاتبونهم يقولون لهـم ألا تسرحون حيث تسرح غنم بنت أبى ذؤيب فيقولون لهم نسرح حيث سرحوا ولم نر شيئا وفاض عليها من الخيرات واتساع الارزاق بحسب حمله من عند أهله ما عرف صراحة بأنه خارق للعادة اذ كانت فقيرة لا شئ لها حتى قال لها زوجها حين رأى ذلك أتيتنا بنسمة مباركة فاذا كان هذا فى اتساع أرزاقها بسبب مباشرته صلى الله عليه وسلم فأحرى أن يقع فى قلبها من نور الايمان ببركاته صلى الله عليه وسلم فى أول مباشرته والكل جائز ممكن لا بعد فيه والسلام ومعنى البيت معناه منها ما كان فى حليمة رضى الله عنها انها حين أتت مع من أتت من حيها من المرضعات جاءت على أتان شديد الجهد والهزال فكانت أبدا وهى آتية تمشى وراءهن لما فى أتانها من الاناءة من الهزال فلما حملته صلى الله عليه وسلم ورجعت به الى أهلها ركبت عليها وهو عندها صلى الله عليه وسلم فكانت تسير سيرا لا تقاومه الخيل فأجهد النساء التى جئن معها فى أن يلحقوا أثرها فى السير أو يساووها فلم يجدوا لذلك سبيلا فكن يقلن لها يا حليمة ما هذه أتانك التى جئت بها معنا قالوا ذلك لما رأوا من العجب فيها فهى احدى معجزاته صلى الله عليه وسلم وقد انبسط الرزق عليها وفاض من وجه لا يعرف له قدر مع شدة فقرها حتى رأوا الناس(١) من ذلك عجبا وما ظهر فى غنمها مع شدة ما كانت غنم الناس فيه من شدة الجهد والهزال لشدة القحط فكانت غنمها تروح بطانا سمانا وتوفر اللبن فيها توفرا عظيما والناس فى جهد شديد حتى عجب منهـا الحى ويقلن لرعائهن ألا تسرحون حيث تسرح غنم بنت أبى ذؤيب وأمثال هذا كثيرة * ثم قال رضى الله عنه

﴿ إذْ أبَتْهُ لِيُتْمِهِ مُرْضِعاتٌ * قُلْنَ مَا فى اليَتِيمِ عَنَّا غَناءُ ﴾

﴿ فأتَتْهُ مِنْ آلِ سَعْدٍ فَتاةٌ * قَدْ أبَتْهَـا لِفَقْرِهَا الرُّضعاءُ ﴾

﴿ أرْضَعَتْهُ لِبَانَهَا فَسَقَتْهَا * وَبنِيها ألْبَانَهُـنَّ الشَّاءُ ﴾

معنى الابيات انها أرضعته لبانها جمع بحسب توقع الاوقات ومن المعجزات انها كانت فى غاية ما يكون من الهزال لشدة الجهد والجوع فلما أخذته فاض ثديها لبنا حتى كان لا يرضع منها الا علا واحدا من الثدى والآخر لأخيه الذى ترضعه قالت كنت اذا أعطيته ثدى أخيه

(١) قوله راوا الناس على حد وأسروا النجوى اه

(أصبحت) أى كانت زمن الصباح (شولا) بضم معجمة وتشديد واو جمع شائل كراكع وركع التى لا لبن فيها بل تشول بذنبها طلبا اللقاح (عجافا) بكسر عين جمع عجفاء الهزيلة الشديدة الضعف (وأمست) أى صارت وقت المساء سمانا ذوات ضرع ولبن (ما) بقى (بها) أى فى الشاء (شائل)فاقدة اللبن (١٩) (ولا عجفاء) هزيلة ضعيفة والمراد انتقلت من حالة الى أخرى فى أسرع من لمح البصر ببركته صلى الله عليه وعلى آله وسلم (أخصب) أى كثر الخصب والخير و (العيش) بفتح عين الطعام والخبز وكل ما يعاش به (عندها) أى حليمة (بعد) مضى (محل) بفتح ميم كفلس شدة قحط وجدب (اذ غدا) أى حين صار (للنبي) سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (منها) أى من حليمة أى من لبنها (غذاء) بكسر غين و بذال معجمة ككساء ما يتغذى به فى أى وقت (يالها) كلمة تعجب اى ما اعظم هذه المنة وهذه النعمة الصادرة من حليمة اذ أرضعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم حسبة لله لا لعوض تأخذه من اهله (منة) بكسر ميم نعمة عظيمة و بنصب تمييز (لقد ضوعف) بضم ضاد وكسر عين مبنى للمفعول من المضاعفة تكرار الشئ بمثله أو اكثر (الاجر) والثواب الدائم المستمر (عليها) اى حليمة (من جنسها) اى المنة التى منت بها عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (والجزاء) عطف على الاجر من عطف المرادف أى حال كون الاجر والجزاء من جنس المنة التى منت بها عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم

يأبى عنه ولا يقر به فاذا أعطيته ثديه رضع صلى الله عليه وسلم وهى احدى معجزاته صلى الله عليه وسلم وذلك لكمال العدل فيه ولما فيه من حسن الخلق لانه لا يؤذى جاره لان الولد الذى يرضع معه جار له ثم قال و بنيها ألبانهن الشاء ألبانها بنى حليمة حتى عاشوا بذلك فى خصب عظيم * ثم قال رضى الله عنه

﴿ أَصْبَحَتْ شُوَّلاً عِجَافاً وَأَمْسَتْ * مَا بِهَا شَائِلٌ وَلاَ عَجْفَاءُ ﴾

معناه أنه أخبر عن الشاء وهى غنم حليمة رضى الله عنها قال أصبحت شولا عجافا والشائل هو ثقيل المشية من شدة الهزال والعجفاء هى التى لا شحم فيها ولا مخ أخبر أنه قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم لخيمتها أصبحت غنمها شولا عجافا وأمست حين وصل صلى الله عليه وسلم لخيمتها أمست وقد نزل بغنمها من القوة الالهية والنفحة الربانية ما أمست به غنمها ما بها شائل ولا عجفاء كلها سمان موفرة السمن غليظة اللبن هذه غاية المعجزة فان حيها فى غاية ما يكون من الجهد والجوع وهى فى وسطهم فى غاية ما يكون من الخصب والنعمة كما هى العادة فى سنة الخصب مع اتحاد المكان والوقت حتى عجبوا غاية العجب فهذه من أكبر المعجزات * ثم قال رضى الله عنه

﴿ أَخْصَبَ الْعَيْشُ عِنْدَهَا بَعْدَ مَحْلٍ * إِذْ غَدَا لِلنَّبِيِّ مِنْهَا غِذَاءُ ﴾

معناه أنه أخصب العيش عندها على غاية فقرها وشدة قحط السنة حتى منه أرباب الاموال فى جوع عظيم وهى وحدها فى وسطهم فى غاية ما يكون من الخصب والنعمة وذلك بسبب تغذيه بها صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

﴿ يَالَهَا مِنَّةً لَقَدْ ضُوعِفَ الأَجْـرُ عَلَيْهَا مِنْ جِنْسِهَا وَالْجَزَاءُ ﴾

* قوله يالها منة معناه ما أعظمها وما أكبرها والمنة ههنا هى التى من الله بها على حليمة رضى الله عنها اذ اصطفاها الله تعالى لارضاع رسوله صلى الله عليه وسلم دون جميع أهل عصرها فما أعظمها منة من الله على حليمة قال لقد ضوعف الاجر عليها والجزاء على تلك المنة يريد أن تلك المنة التى سيقت اليها هى فيها أكبر من الصحابة اذ الصحابة انما شاركوه فى عسره و يسره وفرحه وحزنه ولم يكن منهم غذاء لنشأة وجوده صلى الله عليه وسلم وهى لها منه الغذاء لنشأة وجوده صلى الله عليه وسلم فنسبة ما بينها وبينهم فى المرتبة كنسبة الام الوالدة للولد فى تربيتها له واغذائها له حتى صار رجلا مع من أحسن طول حياته لذلك الولد فلا نسبة بينه و بين الام فالام مرتبتها أكبر وأعظم * وقد أخبر سبحانه وتعالى انه لا يضيع أجر المحسنين واحسانها اليه صلى الله عليه

وسلم أكبر من احسان كل من أحسن اليه صلى الله عليه وسلم ومعنى ضوعف لها الاجر عند الله والجزاء ان الله تعالى أعطاها من فضله على تلك المنة مالا يعرف له حد وهو الجزاء والمنة التي من الله بها على خلقه هى الاعمال الصالحة التى أعطاهم اياها بحسب القسمة الالهية والجزاء عليها من أعظم المنن فالمنة منه سبحانه وتعالى فى العمل الصالح الذى استوجب الجزاء والجزاء الذى هو الثواب من منن الله تعالى فالكل منه منة سبحانه وتعالى لكن فى عالم الحكمة يسمى العبد عاملا والجزاء عليها ثوابا على طريق المعارضة وذلك فى بساط الحكمة لا فى بساط المشيئة والمشيئة أن الكل منه العمل والجزاء عليه منة من الله تعالى على عبيده قال فى منة العمل قال ﴿يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين﴾ وقال ﴿من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ وقال صلى الله عليه وسلم فى حق الجنة لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته فدل هذا الحديث أن الجنة منة من منن الله على عباده لا يوصل اليها بالعمل بل بفضله سبحانه وتعالى وهذا خطاب عالم المشيئة يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما فى يدى هذه قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم ختم على آخرهم لا يزاد فيهم شئ ولا ينقص منهم شئ ثم قال وهل تدرون ما فى يدى هذه قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم ختم على آخرهم لا يزاد فيهم شئ ولا ينقص منهم شئ قالوا ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكذا قوله صلى الله عليه وسلم ما من نفس منفوسة الا وقد عين مكانها من الجنة أو النار وهذا كله خطاب عالم المشيئة وأما فى عالم الحكمة فهو قوله سبحانه وتعالى ﴿وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ وقوله سبحانه وتعالى ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية﴾ يعنى من الاعمال الصالحات فالخطاب كله صحيح اذ الحكمة والمشيئة صفتان ثابتتان لله تعالى يجب الايمان بهما فيهما سبحانه وتعالى لا سبيل لنفى واحدة منهما * ثم قال رضى الله عنه

﴿ حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَنَابِلَ وَالعَصْـفُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعَفَاءُ ﴾

معناه أخبر ههنا من شدة عظيم الاجر على هذه المنة التى من الله بها على حليمة حيث كانت أما لأكبر رسله صلى الله عليه وسلم قال هى فى المثل كحبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة فهذا تمثيلها فى تضعيف الاجر عليها قوله والعصف الذى فى ذلك الحب اليه يستشرف الضعفاء لكثرته وتضاعفه كقوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعلمه للناس ويقضى به بالحق والحسد ههنا هو الاغتباط بالشئ والاستشراف بالشئ هو طلب تحصيل مثله وهذه هى الغبطة * ثم قال رضى الله عنه

﴿ وَإِذَا سَخَّرَ الإِلَهُ أُنَاساً * لِسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعَدَاءُ ﴾

أراد بهذا أن السعيد عند الله تعالى من سعد بعناية الله به باذن الله قيض الله له أناسا ودعاهم الى الحق أو أحسن اليه فانهم سعداء يشير بهذا الى أنه صلى الله عليه وسلم سخر الله له حليمة وزوجها حتى ربوه تربية حسنة فسعدوا بسعادته صلى الله عليه وسلم فكانوا بذلك سعداء وفى نسخة أخرى واذا قيض الاله سعيدا * لاناس فانهم سعداء * والسعيد ههنا هو الرجل الصالح الذى قام بأمر الله ونهيه اذا قيضه الله

(حبة) خبر لمحذوف أى هذه المنة التى منت بها حليمة عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم حبة اى مثل حبة (أنبتت) اخرجت لها (سنابل) جمع سنبلة بضم سين وموحدة مجمع الحبات لا تعد ولا تحصى (والعصف) بفتح عين كفلس ورق النبات اليابس ورفع مبتدا خبر (لديه) اى عند العصف (يستشرف) ينتظر ويتطلع ويتبحث عما بقى من الحبوب فيه (الضعفاء) الفقراء والمساكين (واذا سخر) ذلل ووفق (الاله) سبحانه (اناسا) بضم همزة كغراب لغة فى ناس جمع انس وهو جمع عزيز غريب (لسعيد) أى لخدمته ومحبته وفى نسخة واذا قيض الاله سعيدا * لاناس (فانهم) بذلك (سعداء) جمع سعيد ضد الشقى

لأناس فعاملوه بما يحب امابامتثال أمره اذا دعاهم لطاعة الله تعالى واما بكثرة احسانهم اليه فانهم سعداء بهذه الحيثية فان الله سبحانه وتعالى يقول يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم وقوله ويغفر لكم ليس للشخص نفسه فان نفس الشخص فى قوله ويكفر عنكم سيئاتكم وأما قوله ويغفر لكم يعنى يغفر لمن تحبون المغفرة له والمراد بهم من ذوى القرابة وذوى الاحسان اليه ومن قاربه بمجاورة ومعنى قوله يجعل لكم فرقانا والفرقان هو نور الهى يوضع فى القلب لمن صادق الله فى المعاملة وكملت براءته من متابعة هواه فلا يسنح له شئ لا يعلم حكمه الا برزله من نور قلبه ان هذا الامر حق أو باطل حتى قال بعض الكبار فيمن حصلت له هذه الحيثية أن تنظر فيما سنح لك من الامور هل تفعله أولا فانظر الى ذلك الامر ان نظرت اليه فى الباطن صحبه نور عظيم وضياء عظيم فى القلب دل على أن ذلك الامر واجب شرعا لا يسعك تركه وان رأيت صحبه نور قليل دل على أن ذلك الامر من قبل المندوب وان رأيت أنه صحبه ظلام عظيم متراكم فهو محرم شرعا وان رأيت أنه صحبه ظلام خفيف أو غبش دل على أن ذلك الامر مكروه شرعا وان لم تر فيه شيئا لا من النور ولا من الظلمة ورأيته عريا عن جميعها دل ذلك على أنه من قبل المباح وهذه الصفة لا يعرفها الا الأكابر من أهل الله تعالى وهذا من الفرقان الذى جعله الله تعالى فى القلب للعبد وقد يسمع خطابا فى قلبه بالفعل والترك أو بالزجر عنه أو بالحث عليه والكل هذا من قبيل الفرقان فهذا معنى قوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا * ثم قال رضى الله عنه

﴿ وَأَتَتْ جَدَّهُ وَقَدْ فَصَلَتْهُ * وَبِهَا مِنْ فِصَالِهِ الْبُرَحَاءُ ﴾

معناه أن حليمة رضى الله عنها أتت بالنبى صلى الله عليه وسلم الى جده عبد المطلب حين فصلته عن الرضاع وبها من فصاله البرحاء يعنى أنها جاءت فى خوف عظيم والبرحاء هى شدة الثقال مع حرارة شديدة فجاءت الى جده عبد المطلب وقد فصلته وبها من فصاله البرحاء يعنى بها كرب عظيم لشدة خوفها من امساكهم له عنها لانها أدركت من بركاته أمرا عظيما وخطرا جسيما صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

(إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللَّـهِ فَظَنَّتْ بِأَنَّهُمْ قُرَنَاءُ)

أخبرها هنا عن زمن شق صدره صلى الله عليه وسلم وذلك حين نزل اليه جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام فأخذاه وأضجعاه وشقا صدره وقلبه واخوه من الرضاعة ينظر فلما رأى ذلك هاله وظن أنه هلاك عظيم حل به فجاء شديد الفرار شديد السعى لأبويه فقالت له أمه أو أبوه ما شأنك قال لها ذلك أخى القرشى اتياه رجلان (1) فأضجعاه وشقا صدره وقلبه فأدركهما أيضا أمر عظيم حياء من أهله صلى الله عليه وسلم فجاآ اليه بسرعة فوجداه قد قام منتقعا لونه فلما نظرا إليه لم يريا به بأسا فأتوا به الى بيتهما فقال زوج حليمة يا حليمة انى أخاف أن يكون مس هذا الصبى شئ من بعض السحرة وأخاف أن يظهر ذلك عندنا فاسرعى برجعته الى أهله ليكون اذا ظهر فيه شئ ظهر ذلك عندهم فأسرعت به الرجوع بعد ما كانت حريصة على امساكه * ثم قال رضى الله عنه

﴿ وَرَأَى وَجْدَهَا بِهِ وَمِنَ الْوَجْـ * ـدِ لَهِيبٌ تَصْلَى بِهِ الأَحْشَاءُ ﴾

الوجد هنا هو شدة الحب للذى وقع به الوجد ومن الوجد لهيب تصلى به الاحشاء يعنى من

(وأتت) أى جاءت به (جده) عبد المطلب (وقد فصلته) بفتح صاد كفطمته (21) وزنا ومعنى عن الرضاع (وبها) أى وحل بحليمة (من) أجل (فصاله) بكسر فاء مصدر فاصله فارقه (البرحاء) بضم موحدة وفتح راء التألم والتوجع من فراقه فرده لها جده خوفا من وباء وقع بمكة ولما رأى من محبتها فيه ثم اتت به مرة اخرى بعد سنتين وشهرين لخوفها عليه مما بلغها من شق صدره وفى هذه لم يرده لها بدليل قوله (اذ) حين (أحاطت به) أحدقت وحفت به لشق صدره (ملائكة) جمع ملأك كمقعد الملك (الله) سبحانه (فظنت) حليمة (بأنهم) أى بأن ملائكة الله الذين أحاطوا به لشق صدره (قرناء) جمع قرين صاحب الشر والسوء والشيطان (ورأى) أبصر جده حين ردته ثانيا له (وجدها) أى حليمة (به) أى بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم الوجد كفلس شدة الحب ولوعته وحرارته (ومن الوجد) أى ومن أجل لوعته وحرارته (لهيب) كرغيف حرارة وتألم (تصلى) بفتح فوقية ولام من صلى كرضى (به) أى بالوجد (الاحشاء) جمع حشى كفتى ما احتوت

(1) قوله اتياه رجلان على حد وأسروا النجوى

عليه الضلوع (فارقته) تركته عند أهله فى هـذه المرة (كرها) بفتح كاف وضمها أى كارهة لفراقه (وكان) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (لديها ناويا) مثلثة مقيما عندها (لا يمل) بضم تحتية وفتح ميم مبنى للمفعـول والملل الضجر والسآمة (منه) أى من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (الثواء) بفتح مثلثة كسماء مصدر ثوى كرمى أقام بالمكان (شق) بضم أوله مبنى للمفعول (عن قلبه) وفى نسخة عن صدره أى فتحته ملائكة الله (وأخـرج) بضم همزة وكسر راء مبنى للمفعول أى أخرجوا (منه) أى من قلبه (مضغة) كغرفة لحة على قدر ما يمضغ (عند غسله) أى غسل (٢٢) الملائكة لقلبه (سوداء) وذلك حظ البشرية فيه (ختمته) أى القلب المكرم بعـد شقه مسحته وأعادته الى حاله (يمنى) بضم ياء مؤنث الأيمن (الامين) على الوحى وعلى ما ينزل من السماء سيدنا جبريل عليه السلام (و) الحال ان ذلك القلب المكرم (قد أودع) بضم همزة وكسر دال مهمـلة من الايداع وضع الشئ على وجـه الامانة مبنى للمفعول أى أودعت فيه ملائكة الله (ما) أى علوم الاولين والآخرين ومالا يعلمه الا الله (لم تذع) بضم فوقيـة وكسر ذال معجمة مبنى للفاعل من أذاع الخبر أفشاه (له) بلام الجر صلة والهاء عائدة لما أى ما لم تفشه وتنشره (أنباء) بفتح همزة جمع نبأ كسبب الاخبار أى لم تطق افشاءه ولم تحط به أخبار جميع الاولين والآخرين (صان) حفظ ومنع (أسراره) المودعة فيه بواسطة الملائكة (الختام) كـكتاب ما يختم ويطبع به على الكتاب (فلا) أى فبسبب ذلك الختام لا (الفض) بفتح فاء الكسر والقطع مع ابانة (ملم) بضم ميم وكسر لام اسم فاعل من ألم نزل ووقع (به) أى بالختام (ولا الافضاء) بكسر همزة مصدر أفضى الخبر أشاعه وأذاعه (ألف) كعلم اعتاد (النسك) بتثليث أوله وبضمتين التعبد والطاعة (والعبادة) بالذكر والتفكر عطف تفسير (والخلوة) بفتح خاء كتمرة الاعتزال والانفراد عن الناس حال كونه (طفلا) صغيرا (وهكذا النجباء) كـكرماء وظرفاء جمع نجيب وكريم وظريف وزنا ومعنى

شدة الحب لهيب نار فان الحب بمنزلة اللهيب من النار تصلى به الاحشاء يعنى تشوى به الاحشاء * ثم قال رضى الله عنه

﴿ فَارَقَتْهُ كُرْهاً وَكَانَ لَدَيْهَا * ثَاوِياً لاَ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ ﴾

معناه فارقته كرها لاجل ما وقع به من شق صدره صلى الله عليه وسلم خافت من ذلك لما تقدم فلذلك فارقته كرها لا اختيار لها فى فراقه وكان لديها ثاويا والحال أنه كان عندها فى غاية الثواء يعنى فى أحسن الاقامة وفى أكبر العز والتعظيم عندها فارقته كرها * ثم قال رضى الله عنه

﴿ شُقَّ عَنْ قَلْبِهِ وَأُخْرِجَ مِنْهُ * مُضْغَةٌ عِنْدَ غَسْلِهِ سَوْدَاءُ ﴾

معناه أنه صلى الله عليه وسلم نزل اليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فشقا صدره فاخرجا منه علقة سوداء وقالا له هذا حظ الشيطان منك وطهرا قلبه يريد مما كان فيه من رسوم البشرية التى هى مناقضة لمرضات الله تعالى لم يبقيا فيه الا ما كان جاريا على مرضات الله تعالى من الاخلاق الكريمة صلى الله عليه وسلم وقد روى أنه قال له أحدهما حين رآه ارتعب انك لو تدرى ما يراد بك لدريت أمرا عظيما أو لعلمت أمرا عظيما لانه كان فى ذلك الوقت لا يعلم شيئا * ثم قال رضى الله عنـه

*(خَتَمَتْهُ يُمْنَى الأَمِينِ وَقَدْ أُو * دِعَ مَالَمْ تُذِعْ لَهُ أَنْبَاءُ)*

معناه انه صلى الله عليه وسلم حين ضم صدره وقلبه ختم جبريل عليـه السلام بخاتم يمناه وقد أودع القلب الكريم ما لم تذع له أنباء من أسرار الله المخزونة المكنونة المكتومة لا يمكن تودع فى غيره أو تظهر صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

﴿ صَانَ أَسْرَارَهُ الخِتَامُ فَلاَ الفَضُّ مُلِمٌّ بِهِ وَلاَ الإِفْضَاءُ ﴾

معنى هذا البيت أنه صلى الله عليه وسلم نسب ختم جبريل لقلبه صلى الله عليه وسلم صان أسراره ما أودع فى قلبه صلى الله عليه وسلم بسبب ذلك الختم وذلك الصون الذى صينت به الاسرار فى قلبه صلى الله عليه وسلم لا الفض يبديه والفض هو شدة الغضب مع غلظة الخلق لا يحمله شدة الغضب على افشاء سره الذى اودع فى قلبه ولا الافضاء ولا افضاء الاعداء اليه بالمقابلة فلا يحمله على اذاعة اسراره التى أودعت فى قلبه صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

(أَلِفَ النُّسْكَ وَالعِبَادَةَ وَالخَلْـوَةَ طِفْلاً وَهكَذَا النُّجَبَاءُ)

معناه أن النبي صلى الله عليه وسلم ألف النسك والعبادة عطف تفسير والخلوة ألفها طفلا صلى الله عليه وسلم وهو صبي صغير فانه سبحانه وتعالى طهره من جميع توابع البشرية التى لا ترضى لمقامه العلى فان بحيرى عالما من علماء النصارى حين رأى وجهه بصفته قال له يافتى انى أسألك فاصدقنى فقال له اسألك باللات والعزى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألنى باللات والعزى والله ما أبغضت شيئا بغضهما أبغضهما لكونهما يعبدان من دون الله تعالى وقلبه صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت راسخ فى مقام الايمان بالله وراسخ فى مقام التوحيد فلذا قال له هذا الانه موفق فى صغره فكيف وهو صفوة الله من جميع خلقه فهو أحق بهذه المرتبة صلى الله عليه وسلم وقد روى أن أعمامه كانوا يريدون الذهاب به الى أصنامهم فى أعيادهم التى يجعلونها عند الاصنام فيأبى عند الذهاب اليها ويشتد امتناعه حتى خاصمه يوما جماته وقلن له انك لا تكثر لا عمامك جمعا فاذهب معهم الى الاصنام فأبى وامتنع ولم يوافقهم على شئ وهو صبي صغير صلى الله عليه وسلم فهذه حالة النجباء والنجباء هم المتبرزون فى معرفة الله وعبادته من حيث أن لا يكون لهم التفات الى شئ دون الله تعالى * ثم قال رضى الله عنه

*(وَإِذَا حَلَّتِ الْهِدَايَةُ قَلْباً * نَشِطَتْ فِى الْعِبَادَةِ الأَعْضَاءُ)*

الهداية التى تحل القلوب هنا هى العناية الالهية التى تجذب قلب العبد الى الله تعالى وتسلبه عن كل ما سوى الله تعالى مع فيض الانوار الالهية التى تصحب تلك العناية فيصير صاحبها لا يريد الا الله تعالى ولا يلتفت الا اليه ولا يعول الا على الله تعالى تعظيما واجلالا وعبادة والتفاتا ومساكنة وملاحظة وانسا ومحبة وتجريدا من غيره وتفريدا له فى قلبه فهذه هى الهداية التى تحل فى القلب فلاشك أن القلب اذا امتلأ بهذه الانوار نشطت للعبادة الاعضاء يعنى تبعته الجوارح كلها ونهضت بذلك الى عبادة الله تعالى واحترقت منه آثار الغفلة والسهو منه فصار عبدا الهيا فكانت أعضاؤه كلها الهية لا تسير الا فيما يرضى الله سبحانه وتعالى فهذه هى العبادة والنشاط اليها هو زوال الغفلة والسهو فان العبد مقيد عن عبادة الله تعالى بدوام سهوه وتوالى غفلته فاذا احتوى السهو والغفلة زالت القيود من رجله التى كانت تمسكه عن العبادة والنشاط فى اللغة هو التسرع بعد التبطئ وهو الانطلاق من القيد والعبد مادام فى غفلته فهو مقيد عن عبادة الله تعالى بغفلته وسهوه ثم قال رضى الله عنه

(بَعَثَ اللهُ عِنْدَ مَبْعَثِهِ الشُّهْــبَ حِرَاساً وَضَاقَ عَنْهَا الفَضَاءُ)

ثم انتقل هنا يتكلم على حراسة السماء وذلك من ارهاص نبوءته ومن ظهور معجزاته بعث الله الشهب على الشياطين التى تسترق السمع من السماء يأتون بأخبار الملائكة مما يسمعون من الغيوب فيبعث الله الشهب فى السماء حراسة من أن تصل الشياطين اليها وظهورها هذا فى قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم وحكاية خطر بن مالك فى ذلك مشهورة أورد الرواة أنه صلى الله عليه وسلم ذكروا بين يديه رجم السماء بالنجوم فأخبر بهذا فقام اليه رجل من أهل اليمن فقال له بابى وأمي يارسول الله نحن أول من عرف حراسة السماء وذلك انا اجتمعنا الى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة فقلنا له ياخطر ماترى ماحدث فى السماء من رمى النجوم فانا نرى فى ذلك فانا خفنا عاقبتها فقال لنا ائتونى بسحر أخبركم

(واذا حلت) نزلت وتمكنت (الهداية) ضد الضلالة (قلبا) هو روح الذات وملكها لحديث ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب (نشطت) كفرحت وزنا ومعنى (للعبادة) أى لطاعة الله وفى نسخة فى العبادة أى فى حال تلبسها بعبادة الله (الاعضاء) جمع عضو الذات كلها

(بعث) كمنع أرسل (الله) سبحانه (عند) قرب زمن (مبعثه) كمقعد أى ارساله الى العالمين كافة (الشهب) بضم شين وسكون هاء تخفيفا جمع شهاب ككتاب وكتب شعلة نار ترمى بها الشياطين المسترقون للكلام من الملائكة فى السماء (حراسا) بكسر حاء جمع حارس كقائم وقيام على غير قياس أو مصدر أى للحراسة والحماية للشريعة المحمدية (وضاق) ضد اتسع (عنها) أى عن تلك الشهب لكثرتها (الفضاء) كسماء الارض الواسعة ونواحى السماء

(تطرد) بفتح فوقية وضم راء من طرد كنصر أى تدفع الشهب بشدة وعنف (الجن) المسترقين للكلام من السماء (عن مقاعد) جمع مقعد أى عن أماكن قعودهم (للسمع) أى لاستماع كلام الملائكة بما سيقع فى الوجود (كما) مامصدرية (تطرد) تدفع بعنف وشدة (الذئاب) جمع ذئب بكسر ذال معجمة فردا وجمعا (٢٤) بنصب مفعول به اذا أرادت أن تعدو على الغنم (الرعاء) بكسر راء جمع راع (فمحت) أى فبسبب ذلك الطرد أزالت وأذهبت (آية) بنصب مفعول به معجبة (الكهانة) بفتح كاف مصدر كهن ككرم أخبر بالمغيبات قبل وقوعها (آيات) جمع آية برفع فاعل أى كرامات ومعجزات وغرائب (من الوحى) كالقرآن العظيم (ما) نافية (لهن) أى لآيات الوحى (انمحاء) بكسر همزة وميم مصدر انمحى زال واضمحل بل هى باقية بقاء الدهر (ورأته) أبصرته وعلمته قبل النبوة سيدتنا أمنا (خديجة) بتنوين للضرورة بنت خويلد وهى أفضل نسائه (والتقى) كهدى اتقاء الشرك واتقاء ماحرمه الله واتقاء ماسوى الله وأن الى ربك المنتهى فيه سجية (والزهد) ضد الرغبة (فيه) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (سجية) طبيعة (والحياء) كسماء تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف مايعاب عليه (وأتاها) أى بلغها عن عبدها ميسرة وغيره (ان الغمامة) كسحابة وزنا ومعنى (والسرح) مفرده سرحة كتمرة وقصبة شجر لاشوك له (اظلته) اى صارت كل واحدة لهظلا وفيئا (منهما) من السحابة والسرح متعلق بمحذوف حال (أفياء) بفتح همزة جمع فىء كفلس فالظل قبل الزوال والفىء بعده

بالخبر أالخير أو الشر لنفع أو ضر قال فأتيناه فى وقت السحر فوجدناه جالسا على سطح داره فلما حس بنا أشار الينا بيده أن اجلسوا فجلسنا ساعة ثم انقض عظيم من السماء فصرخ الكاهن بأعلى صوته اصابه اصابه أحرقه شهابه خرجاعذابه حل بناعقابه بلباله بلباله ياو يلتاماداله تقطعت حباله تمزقت أوصاله ثم قال لنا يامعشر بنى قحطان أخبركم بالحق والبيان أقسمت بالكعبة والاركان والبيت المتين السران لقدمنع السماء عناق الجان بثاقب بكف ذى سلطان من أجل مبعوث عظيم الشان بعث بالتنزيل والقرآن والهدى فاصل الفرقان تبطل به عبادة الاوثان وتظهر به عبادة الرحمن قال فقلنا له ياخطر انك لتذكر أمرا عظيما فما ترى لقومك قال

* أرى لقومى ماأرى لنفسى *

أن يتبعوا خير نبى الانس * برهانه مثل شعاع الشمس

يريد به ظهور معجزاته صلى الله عليه وسلم * يبعث بمكة دار الحمس * بمحكم التنزيل غير اللبس * صلى الله عليه وسلم قلنا له ياخطر من أى القبائل هو قال والحياة والعيش انه لمن قريش مافى حلمه طيش ولافى خلقه هيش يكون فى جيش وأى جيش وآل قحطان وآل قريش قلنا له من أى قريش قال والبيت ذى الدعائم انه لمن نسل هاشم من معشر أكارم يبعث بالملاحم وقتل كل ظالم ثم قال له الله أكبر جاء الحق وظهر وبعث أحمد خير البشر وانقطع عن الجن الخبر ثم قال الحق والبيان أخبرنى به رئيس الجان فقال صلى الله عليه وسلم للراوى سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة وانه ليبعث يوم القيامة أمة وحده وكثير من الكهان أخبروا بهذا * ثم قال رضى الله عنه

(تَطرُدُ الجِنَّ عَنْ مَقَاعِدَ للسَّمْــــعِ كَمَا تَطرُدُ الذِّئابَ الرِّعَاءُ)

معناه أن تلك الشهب التى أرسلها الله فى السماء كانت تطرد الشياطين والجن عن المقاعد التى اعتادوها من قبل كما تطرد الذئاب الرعاء * ثم قال رضى الله عنه

*(فَمَحَتْ آيَةَ الكَهَانَةِ آيَا * تٌ مِنَ الوَحْيِ مَالَهُنَّ انْمِحاءُ)*

أخبر فى هذا البيت أن آيات الوحى وهو القرآن العظيم محت آية الكهانة و بطلت بسببه حتى لا توجد بعد الوحى بشئ وآية القرآن لا انمحاء لها أى لا ماحى لها * ثم قال رضى الله عنه

(وَرَأَتْهُ خَدِيجَةٌ وَالتُّقَى وَالزُّهْــــدُ فِيهِ سَجِيَّةٌ وَالحَيَاءُ)

معناه أن خديجة لما رأته رغبت فى تزوجه وكان الذى رغبها فيه ابن عمها ورقة بن نوفل وكان مؤمنا بالله متبرئا من دين الجاهلية قد علم كثيرا من علوم أهل الكتاب فاخبرها به صلى الله عليه وسلم قال رأته وفيه الزهد والتقى والحياء فيه سجية مطبوعة فيه لا تنفك عنه والذى سجية فيه يعنى لا تزاوله أصلا والذى يستعمل هذه الاوصاف دون سجية توجد فيه تارة وتنعدم فيه أخرى * ثم قال رضى الله عنه

*(وَأَتَاهَا أَنَّ الغَمَامَةَ وَالسَّرْ * حَ أَظَلَّتْهُ مِنْهُمَا أَفْيَاءُ)*

(و) أتاها (أحاديث) جمع حديث على غير قياس أخبار من الاحبار والرهبان والكهان (أن وعد) الله تعالى (رسول الله) سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (٢٥) (بالبعث) أى بارساله الى كافة الخلق (حان) كباع وصل وقرب (منه) سبحانه (الوفاء) به أى بانجازه واظهاره (فدعته) أى فبسبب ذلك طلبته وخطبته بنفسها بلا واسطة (الى الزواج) كنكاح وزنا ومعنى (وما) مبتدأ تعجبية (أحسن) فعل ماض تعجبى (ما) مصدرية (يبلغ) بفتح تحتية وضم لام يصل ويدرك (المنى) جمع منية كمدية ومدى ما يتمناه الانسان من الخير (الاذكياء) جمع ذكى كغنى كثير الذكاء والفطنة أى ما أحسن بلوغ الاذكياء مناهم (وأتاه) أى جاءه بعد البعثة وهو (فى بيتها) أى خديجة (جبرءيل) بفتح جيم وراء وكسر همزة بعدها تحتية لغة فى جبريل عليه السلام (ولذى) صاحب (اللب) بضم لام العقل الكامل (فى الامور) أى فى تحقيق الامور المشتبهة عليه (ارتياء) اختبار وامتحان واستبصار (فأماطت) أى فبسبب ذلك أزالت وكشفت (عنها) أى عن رأسها (الخمار) كقناع وزنا ومعنى ما تتقنع به المرأة وتغطى به رأسها (لتدرى) لتعلم علم يقين (أهو) أى الذى يأتيه ويخرجه عن حاله المعتاد (الوحى) جبريل عليه السلام (أم هو) الجنون والشيطان و(الاغماء) بكسر همزة شئ يصيب الانسان ويخرجه عن احساسه

الأفياء جمع فىء وهو الظل أماهى أى أخبرها غلامها ميسرة وكانت أعطته مالا يتجر به الى الشام قراضا على عادة ما كانت العرب تعتاده من القراض و بعثت معه غلامها ميسرة خادمها فى طريقه فاخبرها ميسرة مارآه فى اليوم العظيم الحر تسير سحابة فوقه وتظله وهى المراد بالغمامة وأخبر من أن السرح كان يظله وهى الشجرة أخبرها أن كل ما جلس تحت شجرة يستظل مالت عليه بغصونها لاجل الظل * ثم قال رضى الله عنه

(وَأَحَادِيثُ أَنَّ وَعْدَ رَسُولِ اللَّـــــهِ بِالْبَعْثِ حَانَ مِنْهُ الْوَفَاءُ)

يعنى وأتاها أيضا الخبر وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرها الخبر و كان ورقة هو الذى أخبرها وألقى اليها الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو محمد بن عبد الله وأنه قد حان وقت قيامه بالنبوة والرسالة فلذلك رغبت فى تزوجه وذلك قبل البعثة بخمسة عشر سنة * ثم قال رضى الله عنه

(فَدَعَتْهُ إِلَى الزَّوَاجِ وَمَا أَحْـــسَنَ مَا يَبْلُغُ الْمُنَى الْأَذْكِيَاءُ)

قال لما أتتها الاخبار بنبوته و رسالته صلى الله عليه وسلم دعته الى الزواج ثم استدركت أن ذلك عيب وعار عند الناس أن المرأة تطلب الرجل فرفع هذا العار عنها بقوله وما أحسن ما يبلغ المنى الاذكياء والذكى هو عظيم العقل اذا أحس ببلوغ رتبة عالية صعبة المرام يطلب من الاسباب والحيل للوصول اليها بأى شئ أمكن وان كان فيه عار ما أحسن بلوغهم المنى بما يفعلون من الحيل والاسباب لا يستقبح * ثم قال رضى الله عنه

*(وَأَتَاهُ فِى بَيْتِهَا جَبْرَءِيلُ * وَلِذِى اللُّبِّ فِى الْأُمُورِ ارْتِيَاءُ)*

معنى هذا البيت أنه صلى الله عليه وسلم حين جاء من غار حراء حين نزل عليه الوحى فى أول الامر فجاء الى خديجة يرجف فؤاده من الرعب فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى كان صلى الله عليه وسلم فى هذا يتخوف على نفسه من الكهانة فقالت له خديجة كلا والله لا يخزيك الله أبدا انك لتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فاسكن خوفه هذا القول فقالت له صاحبك الذى رأيته بحراء أتراه قال لها نعم فكشفت حينئذ رأسها لتختبر الامر فقالت له أتراه الآن فقال لا ثم أعادت الغطاء على رأسها فقالت أتراه الآن قال نعم فعلمت أنه ملك وليس بشيطان فهذا ارتياؤها من كمال عقلها ألهمها الله هذا * قوله رضى الله عنه

*(فَأَمَاطَتْ عَنْهَا الْخِمَارَ لِتَدْرِى * أَهُوَ الْوَحْىُ أَمْ هُوَ الْإِغْمَاءُ)*

الوحى هو الملك الذى قام بالوحى أم هو الاغماء وهو الشيطان الذى قام بالكهانة * ثم قال رضى الله عنه

(فاختفى) استتر وغاب (عند) قرب (كشفها) أى خديجة (الرأس) أى عن شعر رأسها لانه عورة (جبريل) برفع فاعل اختفى عليه السلام (فما عاد) رجع جبريل الى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (أو أعيد) بضم همزة وكسر عين مبنى للمفعول (الغطاء) كـكساء أى خمار رأسها أى الى أن أعادت (٢٦) خديجة خمارها وغطت به رأسها فعند ذلك رجع جبريل الى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (فاستبانت) أى فبسبب ذلك تيقنت وتحققت (خديجة) بتنوين للضرورة (أنه) بفتح همزة صلى الله عليه وعلى آله وسلم (الكنز) النفيس والمحبوب من كل شئ (الذى حاولته) طلبته وأحبته وأنها حازته وظفرت به فيالها من سعادة أبدية (والكيمياء) بكسر كاف وميم الاكسير والامور النفيسة جدا (ثم قام النبى) صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد أن نبئ فى رأس أربعين سنة من عمره (يدعو) سرا وجهرا ليلا ونهارا (الى الله) أى الى توحيد الله والايمان به وبما جاء به (وفى) اهل (الكفر) والشرك (نجدة) بفتح نون كتمرة القوة والشدة والشجاعة والقتال (وإباء) بكسر همزة مصدر أبى امتنع من الايمان به وبما جاء به (أمما) جمع أمة بضم همزة فردا وجمعا (أشربت) بضم همزة وكسر راء مبنى للمفعول امتزجت واختلطت وأحيت (قلوبهم) وذواتهم (الكفر) بالله وبكل ما جاء به (فداء) مرض (الضلال) الذى استقر وتمكن (فيهم) أى فى قلوبهم (عياء) بفتح عين كسماء أى أعيا الاطبة وأعجزهم وغلبهم لانه داء عضال لا يرجى برؤه (ورأينا) أبصرنا وعلمنا (آياته) ومعجزاته الدالة على صدقه فى كل ما جاء به أعظمها القرآن (فاهتدينا) أى اتبعنا الهدى والرشد والصواب فلله الحمد فى الاولى والآخرة (واذا الحق جاء) أى واذا جاء وظهر الحق ضد الباطل (زال) ذهب واضمحل (المراء) بكسر ميم كالجدال والنزاع والعناد وزنا و...

(فاختفى عِندَ كَشفِهَا الرَّأسَ جِبرِيـلُ فَما عادَ أو أُعيدَ الغِطاءُ)

فلما ظهر لها هذا علمت انها النبوة * ثم قال رضى الله عنه

(فاستَبانَت خَدِيجَةُ أنَّهُ الكَنـزُ الَّذِى حاوَلَتهُ والكِيمياءُ)

(ثُمَّ قامَ النَّبِيُّ يَدعُو إلى اللَّـهِ وَفى الكُفرِ نَجدَةٌ وَإباءُ)

أخبر انه بعد مدة قليلة من نزول الوحى عليه صلى الله عليه وسلم وعند نزول الوحى لم يؤمر بشئ وبعده بأيام قليلة أمر بالدعوة الى الله تعالى يدعوهم الى الله تعالى وأنزل عليه فى الدعوة أولا قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين فدعا الى الله تعالى أقاربه فمنهم من آمن كخديجة وعلى وزيد بن حارثة ومنهم من كفر كأبى لهب وأشباهه ثم أنزل عليه بعد ذلك يا أيها المدثر قم فأنذر والانذار حقيقته هو اخبار المنذر بحلول البلاء والعذاب به فهذا هو الانذار وقد قال صلى الله عليه وسلم فى بعض أحاديث أنا النذير العريان ثم قال وفى الكفر نجدة واباء النجدة هى النصرة والكفار على توفرهم وكثرتهم ينصر بعضهم بعضا على النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم اباء على متابعة أمره صلى الله عليه وسلم فما استجابوا للاسلام الا بمقاسات الشدائد منه ومن أصحابه صلى الله عليه وسلم وبضرب السيف فى دمائهم وأعناقهم * ثم قال رضى الله عنه

(أُمَماً أُشرِبَت قُلُوبُهُمُ الكُفـرَ فَداءُ الضَّلالِ فِيهِم عَياءُ)

فقام النبى صلى الله عليه وسلم يدعو أمما الى الايمان وهم العرب ثم وصفهم بكونهم اشربوا الكفر فى قلوبهم لان الكفر تاصل فيهم أى تاصيل حتى لا تستطاع دعواهم الى الله تعالى ولولا وقوع السيف فيهم ما اسلموا الا قهرا قوله فداء الضلال الخ داء الضلال فيهم عياء يعنى اعياء كما قال نوح عليه الصلاة والسلام رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا * ثم قال رضى الله عنه

*(وَرَأينا آياتِهِ فاهتَدَينا * وَإذا الحَقُّ جاءَ زالَ المِراءُ)*

أخبر الشيخ عن نفسه مع أهل عصره من أهل الايمان قال أولئك الامم الذين كانوا فى عهده صلى الله عليه وسلم كفروا بدعوته مع ما أوضح لهم من المعجزات الباهرة التى لا يشك معها ذو عقل فى انه دين الحق صلى الله عليه وسلم فكفروا وتباعدوا ونحن بريد معشر أهل الايمان رأينا آياته فاهتدينا بريد فآمنا بالله ورسوله والآية التى رأيناها هى القرآن فانها أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم واذا جاء الحق زال المراء وهو الشك وللحق سبحانه وتعالى تجليان تجلى قبل ظهور الفتح وهو فتح مكة تجلى بظهور الكفر فى عبا فلم ينفع شئ وتجلى بعد الفتح يعنى فتح مكة بظهور الايمان والهدى فى خ...

فآمنوا كلهم واهتدوا اليه الى أن توفى صلى الله عليه وسلم فارتدت العرب الى دينها وذلك ان للنفوس إلفا عظيما بما ألفت وقد الفت الكفر قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم فلما أخرج السيف من غمده صلى الله عليه وسلم وأراهم ماوقع بأمثالهم من السبي والقتل ارتاعوا روعا عظيما واستجابوا للاسلام على خوف ووجل مع كون إلفهم للكفر باقيا فى نفوسهم وما أوقعهم موقع الاسلام الا الخوف والرعب فما زالوا كذلك حتى توفى صلى الله عليه وسلم فظنت نفوسهم ان الامر الذى جاء به صلى الله عليه وسلم انقطع بموته فرجعوا الى كفرهم وما ألفوه من الضلال فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه وأخرج لهم جيوش الاسلام يفعل فيهم مافعله صلى الله عليه وسلم قبل من القتل والسبي فاستجابوا للاسلام على ذل واهانة ثم داموا على ذلك خوفا حتى تأصل فيهم الاسلام وبقى فى أولادهم وثبت * ثم قال رضى الله عنه

*(رَبِّ إِنَّ الْهُدَى هُدَاكَ وَآيَا * تِكَ نُورٌ تَهْدِي بِهَا مَنْ تَشَاءُ)*

*قوله رب ان الهدى يعنى هو دعاء منه لله تعالى معناه يارب لان حرف النداء محذوف ثم خاطب الله تعالى متضرعا سائلا منه الهدى بلسان حاله قال ان الهدى هداك والهدى توفية ما أمر الله به واجتناب مانهى الله عنه فهذا هو الهدى الشرعى والهدى الحقيقى هو أخذ الله بناصية العبد يوفقه الله فى التحرى بالقيام بأمر الله تعالى وبالاستمساك فيه بحيث ان لا يلم بقلبه غيره أى غير الله تعالى فهذا هو الهدى الحقيقى قال رب ان الهدى هداك يعنى لا يسأل الى أحد الى الهدى ولا الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا أنت وحدك يعنى لا هادى غيرك من سائر خلقك يقول صلى الله عليه وسلم بعثت داعيا وليس لى من الهداية شئ وبعث ابليس غاويا وليس له من الغواية شئ فحينئذ ان الهداية من الله قليلها وكثيرها لا لشئ غيره فيها نسبة ولذا قال سبحانه وتعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فماله من مضل قوله وآياتك المراد بالآيات القرآنية أوالمعجزات وآياتك كلها نور من أنوارك هادية اليك لمن أحببته من خلقك وتضل بها من طردته بها من خلقك كما قال فى القرآن يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله فاخبرنا ان القرآن فى نفسه هدى لكن من قرأه وخالطه بالتقوى والاستقامة وحفظ الادب انصبت على قلبه انواره فاهتدى بذلك الى الله تعالى بجاذب الحق ومن خالط القرآن وقرأه مع اقامته على سوء الادب ومقارفة المعاصى أضله الله بالقرآن فلا يكون عليه فيه الا الضرر بقراءته فانه يقول فى الخبر صلى الله عليه وسلم القرآن يأتى يوم القيامة فهو شافع مشفع أوماحل مصدق ومعنى الماحل هو الذى يضرب بالشر والهلاك فان الذى فى الخبر ان الله يوقفه بين يديه أى القرآن بعد ان يستحضر جميع حملته ثم يسأله سبحانه وتعالى عنهم فبعضهم يقول فيه رب كان مصاحبا لى ويقف على الحدود ويوفى بالعهود ويسير فى مرضاتك فيشفعه الله فيه يريد يغفر له جميع ما ارتكب من الذنوب ويريد أن يشفعه الله فيمن أحب من خلقه وطائفة يقول فيهم القرآن رب كان يصحبنى باللهو واللعب ولم يقف عند حدى ولم يراع عهدى ولا يبالى بأمرى ونهيى فيقول اذهبوا به الى النار فهذا هو الماحل المصدق يعنى اذا شهد عليه بالسوء بين يدى الله تعالى فيصدقه فيدخله النار اذا لم يغفر له *قوله تهدى بها من تشاء معناه يهدى الله لنوره من يشاء ويصرف من يشاء عنه * قال الوليد بن

قال تعالى جاء الحق وزهق الباطل (رب) اى يارب (ان الهدى) اتباع الحق والايمان به (هداك) هدايتك وتوفيقك وارشادك قال تعالى فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء (وآياتك) الدالة على توحيدك وصدق رسلك بنصب عطفا على الهدى او برفع مبتدأ خبره (نور) بين واضح لمن هديته (تهدى) بفتح فوقية ترشد وتوفق (بها) اى بآياتك وفى نسخة به اى بنور (من تشاء) هدايته قال تعالى تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين

المغيرة يوما وقد تذاكروا القرآن بين يديه يعني كفار قريش وتعجبوا مما ظهر فيه من العجائب وكان بعضهم طعن فيه فقال الوليد ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر ومايقدر أن يأتي به بشر فهذا قوله وصرفه الله تعالى عنه وكفر ولم يهده الله بنوره وقال لابي جهل وهو يوما في مجلسه وتذكروا القرآن بين يديه فقال لجلسائه لقد غلبت فصاحتي الفصحاء وبلاغتي البلغاء وان الذي يأتي به محمد ما يقدر أن يأتي به بشر ولكن الصارف الالهي صرفه عنه وقال بعض كفار قريش حين استظهره صلى الله عليه وسلم في مراتب كثيرة على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو سورة منه قال هذا الكافر أيعجزنا محمد أن نأتي بمثل ما أتى به والله لأعارضه اليوم فلما خرج من داره عازما على هذا الامر سمع قارئا يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين فبهر قلبه من سماع هذا الخطاب ومن علو فصاحته وبلاغته فاقر وقال أشهد أن هذا لا يعارض بعد هذا صرفه الصارف الالهي يعني يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا أو القرآن في نفسه هو حق وهدى ولكن من خالطه بحق رقاه الله تعالى في مراتب التحقيق ومن خالطه بتخليطه ولا يتوب عنه لم يزده الا ضلالا وبعدا وكذلك آيات المعجزات هي نور يهدي بها من يشاء من خلقه فان أبا سفيان بن حرب وكان من رؤساء قريش قال سافرت مع أمية بن الصلت الثقفي الى الشام وصحبته في الطريق فبينما نحن في بعض المنازل اذ قال لي يا أبا سفيان ان شئت أن تقدم معي الى راهب من رهبان النصارى فان عنده علما عظيما قال قلت له لا أفعل ان حدثني بما فيه شر غاظني وان حدثني بما فيه خير لم أتق به قال فقام وحده وذهب اليه عشية النهار فما جاء الا آخر الليل ثم ذهبنا الى دمشق وايا ما كنا نريد فلما رجعنا منها ووطنا ذلك المحل ذهب اليه كعادته فلما جاء آخر الليل جاء في كآبة عظيمة وكانت عادته اذا جاء من عنده جاء منبسطا وحدثني ببعض ما سمع منه فلما جاء في تلك الليلة جاء في كآبة عظيمة والقى نفسه على الارض بعنف ولا كلمنا ولا كلمناه ثم أقمنا حتى أصبح الصباح ورحلنا وسار مدة ثم ناداني يا أباسفيان هل أنت محدث قلت نعم إيه عن عتبة بن ربيعة قال قلت ما شأنه قال كم سنه قلت هو ابن سبعين قد قاربها أو قد زاد عليها قليلا ثم قال هل تعلم في قريش أشرف منه قلت لا قال ومحوج قلت لا السن والشرف ازريا به قلت وما لهما ازريا به بل زاداه خيرا ثم قال هل رأيت مني ما فعلت البارحة حين جئت من عند الراهب قلت ماشأنك قال لي كنت سمعت من جميع الرهبان أنه بقي في الخلق رسول واحد هو خاتم النبيين والمرسلين وأخبروني أنه من العرب فكان في نفسي أني هو فلم يزل ذلك في نفسي حتى أتيت الراهب في هذه المرة فاستكشفته من أمره وتحقيقه قلت له أخبرني من هذا الرسول الذي ينتظر من أي بيت هو في العرب فقال لي الراهب من أهل بيت تحجه العرب وكانت ثقيف بنت بيتا في الطائف فكانوا يحجون اليه ثقيفا ومن والى ثقيفا من العرب قلت هذا بيت تحجه العرب قال فنظر الي مفكرا ثم قال لي لا انهم اخوتكم وجيرانكم من قريش أنت من ثقيف وهو من قريش قال فسقطت من يدي الدنيا والآخرة قال ثم قلت له اما اذا كان ما كان فاخبرني بصفته ووقته قال لي أما وقته فهذا اوقته الذي يظهر فيه قال

قلت له هل لذلك من علامة قال قال لى انه رجف بالشام منذ توفى عيسى ثمانون رجفة ثم قال بقيت رجفة واحدة هو خارج عن آثارها قال قلت له أخبرنى بصفته قال قال لى هو شاب قد دخل فى الكهولة ومحوج السن والشرف أزريابه لا ينازع شرفا أكثر جنده من الملائكة قال أبو سفيان رجعنا على حالتنا فبينما نحن فى الطريق قبل وصولنا الى مكة ورد علينا الخبر عن كذا ورأينا أنه رجف بالشام رجفة عظيمة قال فقدمت مكة ليلا وجاءنا الناس يسلمون على وجاء فى جملتهم محمد بن عبد الله وكان له معى مال للتجارة ولم يبق ممن جاء من قريش له معى مال الا سألنى عنه وعن بيعه وما حصل فيه ولم يسألنى هو عن شئ قال وكانت عندى هند بنت عتبة تلاعب صبية لها فلما قام الناس وخرجوا قلت رأيت عجبا قالت لى ما هو قلت لها ان أرباب الاموال لم يبق واحد منهم الا سألنى عن ماله وما وقع فيه الا محمد بن عبد الله ما سألنى عن شىء من ماله ولا تكلم فيه فقالت أو ما بلغك ما هو فيه قلت لها لا قالت الذى هو فيه يزعم أنه رسول الله الينا قال فلما قالت لى ذلك أصابتنى حيرة كالبهتة قال قالت لى هند ما شأنك قال قلت انه هو أعقل من أن يقول هذا قال فقالت لى انه ليؤتى عليه وقد أظهر ذلك على رأس العام والخاص وأصابنى من ذلك شئ كالتحقيق ثم خرجت ثانيا الى الشام قال مررت بامية بن الصلت قال فقلت له الخبر الذى أخبرتنى به قد وقع بمكة قال فقال لى متعجبا أوقع ذلك قلت له نعم قال لى من هو قلت هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم قال لى أمية بن أبى الصلت والله ان صفته لهى قال قلت له أين أنت من ذلك قال لئن قام لانصرنه نصرا مؤزرا قال فلما كثر الخبر وانتشر وظهر وطرقته مرة أخرى قلت له ما أنت فيه من خبر محمد بن عبد الله قال ما كنت لأومن برسول ليس من ثقيف قال أبو سفيان ثم دخلنى ما دخل الناس من الكفر حتى أسلم عام الفتح قهرا والسيف على رقبته وكذا انشقاق القمر اقترحه عليه المشركون كانوا قالوا له اذا انشق القمر ورأيناه آمنا بك فكان الليلة التى تليه رأوه انشق نصفين نصفا دون الجبل ونصفا وراءه ورأوه باجمهم ثم قالوا لا نصدق حتى نسأل من يأتى من الناس هل رأوا مثل ما رأينا أم لا فلما كان الصباح وقدمت الناس من طرق كثيرة سألوهم عنه فقال كل من سأله قالوا رأيناه انشق نصفين فقالوا هذا سحر مستمر فلم يبق حينئذ الا الهداية بيد الله يقول سبحانه وتعالى وكانوا اقترحوا فى مرة أخرى وأقسموا لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قال سبحانه وتعالى انما الآيات عند الله وكان فى المحل سأل النبى صلى الله عليه وسلم من الله أن يأتيهم بآية ليؤمنوا قال سبحانه وتعالى وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ثم أخبر سبحانه وتعالى عن استبداده بالهدى وانه لا حول ولا قوة فى الهدى لغيره قال جل من قائل ونقلب أفئدتهم وأبصارهم يعنى انهم اذا رأوا الآية لا يؤمنوا بها قال ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ثم أخبر سبحانه وتعالى بقوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله أخبر سبحانه وتعالى أن قلوبهم ليست فى أيديهم حتى يؤمنوا أو يشركوا بل القلوب فى يده سبحانه وتعالى يقلبها كيف شاء فان عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان كاتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتب له الوحى مدة كثيرة فحين أنزل الله سبحانه وتعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين الى أن قال ثم أنشأناه خلقا آخر انبهر عقله وأصابته بهتة مما رأى من عجائب تركيب الانسان مما لم يسمعه قط قال فتبارك الله

أحسن الخالقين فقال صلى الله عليه وسلم اكتب كذلك أنزلت فكفر وكذب وارتد وهرب الى قريش فكان كافرا ثم أسلم عام الفتح وثبت على اسلامه رضى الله عنه وكذلك سائر المعجزات كلها هدى ونور والهداية فيها بيد الله يهدى بها من يشاء و يضل بها من يشاء لا اختيار لأحد فيها

* ثم قال رضى الله عنه

(كَمْ رَأَيْنَا مَالَيسَ يَعْقِلُ قَدْ أُلْــــهِمَ مَا لَيْسَ يُلْهَمُ الْعُقَلاءُ)

تكلم أولا على أن آية الله نور وهى الآية القرآنية والمعجزات البرهانية هى فى نفسها نور يهدى بها من يشاء ويضل بها من يشاء ثم عطف عليها كالمعبر لها أو مفرعا عليها قال كم رأينا ماليس يعقل قد ألهم ماليس يلهم العقلاء ثم عطف عليها بقضية الفيل لما قال آية الله نور يضل به من يشاء من خلقه حتى فى الحيوانات التى ترى لا عقل لها قال كم رأينا ماليس يعقل قد الهم ماليس يلهم العقلاء ثم عطف عليها بقضية الفيل لما قال آية الله نور يهدى بها من يشاء من خلقه حتى فى الحيوانات التى ترى لا عقل لها قال كم رأينا ماليس يعقل قد الهم ماليس يلهم العقلاء وشرح هذا البيت هو قصة الفيل وهو فيل أتى عليه أبرهة الاشرم ملك الحبشة باليمن حين جاء لهدم الكعبة فلما كان فى الطريق مر على ديار خثعم وبجيلة ورئيسهم اذ ذاك نفيل بن حبيب الخثعمى وكان اذ ذاك سمع بقصته وما يريده فجمع من نسله ما أطاعه وقاتله مدافعا عن حرمة بيت الله تعالى فهزمهم ابرهة بحيوانه وقتل من قتل منهم وأخذ نفيلا أسيرا فى يده وتركه فى أسره حتى قدم به مكة فلما قدم مكة ونزل بموضعه المعلوم بيانه فلما أصبح عازما على دخول مكة وكان قريش اذ ذاك هربوا الى الجبال خوفا على نسائهم من معرة الجيش وتركوها فارغة فلما أصبح وأراد أن يدخل مكة لهدم البيت أمر حرسه أن يجهزوا له الفيل ليركب عليه ويدخل به مكة فبينما هم يجهزونه اذ جاءه نفيل بن حبيب الخثعمى وسار الفيل فى أذنه من غير أن يسمعه أحد وكان الفيل اذ ذاك اسمه محمود فقال له نفيل فى أذنه ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله وحرمه وراموا أن يقيموه الى مكة فأبى أن يقوم من مبركه فصرفوه نحو العراق فقام مهرولا ثم صرفوه نحو الشام فقام مهرولا ثم صرفوه نحو اليمن فقام مهرولا فصرفوه نحو مكة فبرك وعالجوه على دخول مكة بكل علاج فأبى وامتنع لما أعلمه الله فى قلبه وأنه فى حرم الله وأن البيت بيته فبينما هم كذلك يعالجونه اذ وردت عليهم الطير من جهة البحر أبابيل يعنى جماعات بعد جماعات فكانت جماعة الطير اذا توسطت فوق قدر وسهم أرسلت ما فى مخالبها من الحجر وهى حجر من سجيل أعاذنا الله منها حيث ما وقعت على الآدمى خرقت جسده حتى خرجت فكل من وقعت على رأسه خرقته حتى تخرج من أسفله ومن وقعت على منكبه خرقته حتى تخرج من أسفله فيموت من حينه وتلك الاحجار هى نار فكل من أصابته من أعلاه مات من حينه وفيه من تصيبه الحجر محنية فلا يموت من حينه ومات كثير منهم بالمعسكر ثم خرجوا هاربين حيارا أو من الهلاك فكانوا يتساقطون فى الطريق موتى فما بلغ منهم الى اليمن الا القليل وأصيب اللعين أبرهة بحجر أصابته معارضة على صدره وطارت فوقعت الا كلة فى صدره مما مسه الحجر فطار صدره عن قلبه وصار قلبه عريا فما بلغ صنعاء الامثل فرخ الطائر وتوفى بصنعاء حين بلغها عليه لعنة الله * قلنا الشاهد هنا فى هذا ما فى قضية الفيل انه فى الظاهر لا يعقل

(كم) اى مرات كثيرة (رأينا) ابصرنا وعلمنا (ما) اى شيئا (ليس) من شأنه (يعقل) يفهم شيئا من الجمادات والحيوانات (قد ألهم) بضم همزة وكسر هاء مبنى للمفعول أى الهمه الله وألقى فى قلبه وفى ذاته (ما) فهما ورشدا وسدادا (ليس يلهم) بضم تحتية وسكون لام وفتح هاء مبنى للمفعول (العقلاء) جمع عاقل أى لم يلهمه الله الذين لهم العقل والذكاء والفطنة

ولا يعلم شيئا وهم العقلاء فى الظاهر فانفهم عقلهم واجترؤا على الله تعالى فى حرمه وحل بهم ما حل بهم من الهلاك وامتنع الفيل خوفا من الله تعالى مع كونه فى الظاهر لا يعقل ومع ذلك ألهمه الله تعالى الخوف منه حتى امتنع من الجرأة على الله تعالى وحرمه فهذا معنى البيت * ثم قال رضى الله عنه

﴿ إذْ أَبَى الفِيلُ مَا أَتَى صَاحِبُ الفِيلِ وَلَمْ يَنفَعِ الحِجَا وَالذَّكَاءُ ﴾

ألهمه الله تعالى الخوف منه فلم يجترئ على آله ولا على حرمه * ثم قال رضى الله عنه .

﴿ وَالجَمَادَاتُ أَفْصَحَتْ بِالَّذِى أُخْرِسَ عَنْهُ لِأَحْمَدَ الفُصَحَاءُ ﴾

معنى البيت انه صلى الله عليه وسلم نطقت له الجمادات كثيرا من ذلك تسبيح الحصا فى كفه صلى الله عليه وسلم حتى سمعها الحاضرون وهى جمادات * ومن ذلك حنين الجذع اليه صلى الله عليه وسلم جهارا حتى سمع جميع الحاضرين وقضيته معلومة ومن ذلك الحجر الذى كان بمكة وهو معروف قال عليه السلام كلما مررت به يقول لى السلام عليك يارسول الله * ومن ذلك نطق الذراع له صلى الله عليه وسلم وهو جماد وكانت اليهودية وضعت له السم فيه وسمته له فأخذه صلى الله عليه وسلم فلما أخذه عضه عضة ولا كها بين اسنانه ناداه حينئذ الذراع وقال انى مسموم فرماه صلى الله عليه وسلم ودعى اليهودية وقال لها ما حملك على ما صنعت قالت له قلت ان كان نبيا يستخبر بذلك ويمتنع منه وان كان ملكا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم وتركها وتكلمت له الجمادات كهذه القضايا التى ذكرناها وغيرها * ثم قال رضى الله عنه

*(وَيْحَ قَوْمٍ جَفَوْا نَبِيًّا بِأَرْضٍ * أَلِفَتْهُ ضِبَابُهَا وَالظِّبَاءُ)*

ويح قوم معناه يعنى ويل لهم جفوا نبيا بارض يعنى أرض مكة بعد ما عرفوه وعرفوا صدقه وأمانته فكفروا به بغيا وحسدا صلى الله عليه وسلم قال ويحهم كفروا به وهو الجفاء الذى أراده بارض وهى أرض مكة وما حولها كفروا به وقد ألفته ضبابها والظباء والضباب جمع ضب وهو معروف بأرض العرب كانت تألفه وتقر له بالرسالة صلى الله عليه وسلم فقد روى أنه كان يوما جالسا فى حلقة من أصحابه فجاء أعرابى ومعه ضب فلما رآهم مجتمعين على النبى صلى الله عليه وسلم قال ما هذا قالوا له رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الله تعالى ويأمرهم بعبادته فقال الأعرابى والله لا آمنت به أو يؤمن به هذا الضب فناداه صلى الله عليه وسلم وهو فى يد الاعرابى فقال يا ضب فقال له الضب لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال له صلى الله عليه وسلم من تعبد قال الضب الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى الهواء روحه وفى الجنة سبيله قال له من أنا قال له أنت رسول الله قد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الأعرابى قال ألفته ضبابها والظباء والظباء جمع ظبى وهى الغزلان فان تلك الارض التى كان بها وهى مكة وما حولها ألفته ضبابها والظباء فويح للذين جفوه وكفروا بعدما عرفته حيواناتها وألفته * ثم قال رضى الله عنه

(والذكاء) بفتح معجمة الفطنة الكاملة من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (والجمادات) جمع جماد وهو مالا روح له (أفصحت) نطقت بكلام فصيح (بالذى) أى بالشهادتين والايمان به وبما جاء به (أخرس) بضم همزة وكسر راء مبنى للمفعول والخرس عدم الكلام (عنه) أى عن النطق به أى لم يقدروا عليه (لأحمد) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (الفصحاء) جمع فصيح فان قريشا أفصح العرب (ويح) كلمة ترحم تقال لمن وقع فى مهلكة وبلية لا يستحقها (قوم) قريش ولقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ويح ولم يقل ويل ونحوه (جفوا) كذا أبعدوا وأبغضوا بغضا شديدا وآذوا أذى فظيعا (نبيا) عظيما حليما كريما رؤفا رحيما صلى الله عليه وعلى آله وسلم (بأرض) مكة (ألفته) بكسر لام اعتادته وأحبته محبة عظيمة (ضبابها) بكسر ضاد جمع ضب حيوان معروف وقد كانت بلادنا مضبة أى كثيرة الضباب (و) ألفته (الظباء) بكسر ظاء مشالة جمع ظبى الغزال

www.cheikh-skiredj.com

*(وَسَلَوْهُ وَحَنَّ جِذْعٌ إِلَيْهِ * وَقَلَوْهُ وَوَدَّهُ الغُرَبَاءُ)*

قوله سلوه السلوهنا هو الغنى عن الشئ اذا تركه ونسيه يقال سلاعنه قال أهل مكة سلوه يعنى استغنوا عنه وتركوه وحن جذع اليه لشدة حبه له وتعظيمه له وقضية الجذع مشهورة وهو الجذع من النخل كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم فى الجمعة فلما اتخذ له المنبر وعزل الجذع هنالك ناحية فلما قام على المنبر صلى الله عليه وسلم سمعوا من الجذع حنينا عظيما وبكاء صريحا فلما سمعه صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يأتوا به فخيره صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نخلة قائمة يؤكل منها وبين أن يجعله نخلة فى الجنة يأكل منه المؤمنون فاختار الجنة فأمر بدفنه هنالك حتى ينقل الى الجنة وسلوه وحن جذع اليه من شدة حبه له وتعظيمه له وافتقاره اليه وفى ضمن البيت كأنه يقول ان فى أهل مكة حمقا عظيما بعد ما شاهدوا معجزاته وتحققوا صدقه وأمانته وتحققوا بالقرآن أنه من عند الله لا يقدر البشر أن يأتى به وعند تحقق نبوته انهم فى غاية الحاجة اليه لأمور الدنيا والآخرة للدنيا ما نصب لهم من المملكة فى الارض وقد كان يخبرهم قبل انها تقع لهم المملكة فى الارض على يديه ويستلبوا ملك كسرى وقيصر صلى الله عليه وسلم وفى الآخرة ما وعدهم به من الجنة ونعيمها والبراءة من النار والخلود فيها ان آمنوا به مع كمال النجاة من عذاب النار يوم القيامة فهم فى هذه الأمور الدنيوية والأخروية فى غاية الفقر والحاجة ثم مع ذلك كله كفروا به واستغنوا عنه وأظهروا عدم حاجتهم اليه فهذا غاية الحمق منهم والجذع مع كونه غير مفتقر الى كثير من هذه الأمور اذ لا تمتع له لا بالدنيا ولا بالآخرة ثم لما عاشره صلى الله عليه وسلم فرح فرحا شديدا وعرف أن له عند الله شانا اذ اصطفاه لرسوله صلى الله عليه وسلم فلما فارقه حن اليه أشد الحنين مع كونه أقل منهم اليه حاجة وأقل منهم فقرا اليه فهذا غاية الحمق منهم وهذا غاية العجب وهو مع كونه جمادا لا تمتع له لا بالدنيا ولا بالآخرة حن لمفارقته صلى الله عليه وسلم ووجد فى نفسه أنه حل به الهلاك حين فارقه وهم قد سلوا عنه مع شدة احتياجهم اليه فى الدنيا والآخرة *قوله وقلوه وده الغرباء وقلوه أهل مكة وآواه الغرباء هنا يحتمل أنهم المهاجرون الذين هاجروا من قبائلهم من العرب وهم الذين قال فيهم الحق سبحانه للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله الآية فهؤلاء هم الغرباء الذين هاجروا اليه من قبائلهم فكانوا بذلك غرباء ويحتمل أن الغرباء هنا هم أهل المدينة الأوس والخزرج فانهم غرباء عن وطنهم ووطنهم اليمن ونزلوا أرض الحجاز وليسوا من أهلها لأن أرض الحجاز كانت للعرب المتعربة وهم ولد اسماعيل عليه الصلاة والسلام وأهل المدينة من العرب العاربة وهم أهل اليمن فلذا سموا غرباء لأنهم ليسوا من الحجاز لأنهم من العرب العاربة وليسوا من العرب المتعربة فان المتعربة أصلهم عجم وتعربوا لان اسماعيل أبوه ابراهيم عجمى فهو عجمى أيضا ولكنه لما نشأ بأرض العرب حين رماه أبوه الى مكة وأهلها اذ ذاك جرهم وقطورا من عرب اليمن نشأ بينهم صبيا صغيرا وتكلم بلسانهم وأرسل اليهم وتزوج منهم فسموا أولاده العرب المتعربة يعنى أصلهم عجم فتعربوا وأخذوا بلسان العرب والعرب العاربة هم أهل اليمن وهم من ولد قحطان القحطانيون ويحتمل أن الغرباء هنا هم أهل المدينة

(وسلوه) بفتح لام وسكون واو كدعا وبضم لام كنسوا وزنا ومعنى أى نسوه وتركوه وأبعدوه وأخرجوه عن تلك الارض (وحن) أى بكى وصاح من تألم فراقه (جذع) بكسر جيم وبذال معجمة كضرس ساق النخلة كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطب عليه فلما صنع له المنبر وقف عليه فبكى لفراقه واشتاق (اليه) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (وقلوه) بفتح لام وسكون واو كرمى كرهوه أشد الكراهة (وده) أحبه وأكرمه ونصره (الغرباء) الذين ليسوا من قبيلتهم ساداتنا وموالينا الانصار الاوس والخزرج رضى الله عنهم وعنا بهم آمين

لأن المدينة فى وسط الحجاز وأهلها ليس وطنهم الحجاز انما وطنهم اليمن فمن هنا سموا غرباء قال وقلوه يعنى أهل مكة وآواه الغرباء اما أهل المدينة وهم الانصار واما المهاجرون وهم الذين هاجروا اليه من قبائلهم فهذا معنى البيت * ثم قال رضى الله عنه

*(أَخْرَجُوهُ مِنْها وَآوَاهُ غَارٌ * وَحَمَتْهُ حَمَامَةٌ وَرْقَاءُ)*

ذكر فى هذا البيت هجرته صلى الله عليه وسلم ما زال صلى الله عليه وسلم صابرا على اذاية قومه وشدة تكذيبهم والتوائهم عليه صلى الله عليه وسلم بأمر لا يطيقه غيره وهو فى ذلك كله لم يهاجر ولم يقاتل وهو ينتظر أن يأذن له ربه فى الهجرة عنهم الى أن أجمعوا على قتله بأمر لم يخالف أحد منهم الا ما كان من بنى هاشم وبنى المطلب ولم يقدروا على منعه ففى الليلة التى عزموا فيها على قتله أتوا على باب داره وباتوا عليها يحرسونها وكانت عادته أن يخرج فى وسط الليل الى الكعبة يصلى عندها وفى تلك الليلة كانوا ينتظرونه اذا خرج على عادته قتلوه وكان صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة قال لعلى نم على فراشى ولا يخلص اليك شىء تكرهه ثم خرج فى أول الليل قبل مجىء وقته فخرج عليهم وهم جلوس على الباب وكان حين خروجه أبو جهل لعنه الله فى الجالسين قال لهم ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن (١) موضع بالشام فيها جنات كثيرة وان خالفتموه كان له فيكم ذبح وقتل ثم بعثتم من بعد موتكم الى نار حامية ثم خرج عليهم صلى الله عليه وسلم فى هذا الحال بعد ما كان تلى أول سورة يس الى قوله فهم لا يبصرون نخرج وأبو جهل يقول لأصحابه هذا القول قال صلى الله عليه وسلم نعم أنا القائل ذلك وأخذ الله بابصارهم فما ترك واحدا منهم الا وأخذ كفا من تراب ووضعه على رأسه وهم لا يشعرون وذهب حيث شاء فبعد مضى هدأة من الليل خرج بعض كبار قريش ممن كان يراهم جلوسا وكان رآه صلى الله عليه وسلم حين خرج من داره ووضع على رأسهم التراب وهو على سطح داره يراه فجاءهم ذلك القرشى وقال لهم ما يقعدكم هنا قالوا ننتظر محمدا حتى يخرج فقال لهم أو ما خرج عليكم قالوا لا قال لهم بل خرج عليكم وما ترك منكم واحدا الا وضع كفا من تراب على رأسه ثم قال لهم قبحكم الله فوضعوا أيديهم على رؤسهم فوجدوا التراب على رؤسهم فلم يصدقوه فى ذلك فبقوا فى مكانهم حتى طلع النهار فتح على الباب وخرج عليهم فلم يلتفتوا اليه لأنه ليس حاجتهم فعلموا أنه صلى الله عليه وسلم ليس هو بالدار فعند هذه الوقعة أذن له ربه بالهجرة عنهم فلما اذن له ربه جاء فى القيلولة ودخل على أبى بكر داره وكان كثير من اصحابه هاجروا قبله الى المدينة فكان ابو بكر يريد ان يهاجر وقع له مرات فيقول صلى الله عليه وسلم لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فكان ابو بكر يرجو ان يكون هو صاحبه صلى الله عليه وسلم فاعد رواحله فى داره يعلفها وصنع الزاد لذلك واعده فلما جاء اليه وقت الهاجرة وأخبره ان الله اذن له فى الهجرة عن مكة نخرج هو وأبو بكر مستخفيين اذ كانوا من خروجه فى أمر عظيم وخوف شديد علموا انه يهلكهم فتخوفوا لذلك اذ كان ابو طالب هو الذى اخبرهم عن قوته على متابعته وقال لهم ان اتبعتموه كان خير لكم ثم قال لهم ابو طالب كأنى بصعاليك العرب قد اجابوا دعوته واتبعوه على أمره نخاض بهم

(أخرجوه) أى تسبب كفار مكة فى خروجه (منها) أى من مكة بكثرة إيذائهم له ولأصحابه حتى عزموا على قتله مع أنها أحب بلاد الله اليه ومسقط رأسه ومحل ولادته ومحل آبائه (وآواه) أى حواه وضمه وفرح به (غار) ثقب فى جبل والمراد به غار ثور فى أسفل مكة واختفى فيه ثلاثة أيام (وحمته) وقته وحفظته بريشها (حمامة) يالها من حمامة قيل من نسلها حمام الحرم (ورقاء) التى يخالط بياضها سواد

(١) قوله الاردن بضم الهمزة وسكون الراء كقنفذ

غمرات الموت فوطئكم بهم فاذلكم واستعبدكم فعند ذلك صارت رؤساء قريش أذنابا فكان تخوفهم
من هذا الخبر تخويفا شديدا وعرفوا افشاء امره فى العرب لكن قبل ذلك هون عليهم انه لم يكن له مقر
فى الأرض يجتمع فيه بمن يطيعه فلما بايعوه أهل المدينة واجتمعوا على أمره ورأوا الصحابة يهاجرون
اليهم جهارا اشتد خوفهم وقلقهم فكان من شدة خوفهم وقلقهم يتفقدونه مدة بعد مدة حتى يقول
لهم قائل رأيته بمكان كذا وكذا فيسكنون فكانوا لا يغفلون عن خروجه فلما خرج وقت
القيلولة مع أبى بكر رضى الله عنه قال أبو بكر لغلامه إنا بغار ثور فأتنا بالطعام ليلا ثم أمر راعى غنمه
قال له آخر الرواح حتى تروح الأغنام كلها ثم رح علينا على الغار حتى يحلب ما أراد فخرج
وقت القيلولة والناس رقود بالهاجرة وهو صلى الله عليه وسلم عالم بأمرهم وماهم عليه فخرجا الى غار
ثور واختفيا فيه ففتشوا عنه فى تلك الساعة وضربوا مكة أعلاها وأسفلها فلم يقفوا له على خبر
ففتشوا عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فلم يجدوا له خبرا قالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله
عنها وكانت فى دار أبيها قالت جاء جمع قريش الاعظم وجاؤا الى دارنا فقال لى ابوجهل لعنه الله
أين أبوك قالت له لا أدرى قالت فصفعنى بصفعة غيظا حتى طاح منها قرطى وذهبوا ينظرونه فلم
يجدوا له خبرا فايقنوا انه قد خرج وقام الضجيج والفزع فى مكة وافترقوا على الطرق والمآخذ يطلبونه
صلى الله عليه وسلم لكن فى تلك العشية ماوصلوا الى الغار وفى تلك الليلة نسجت العنكبوت على
باب الغار وجاءت الحمامة وباضت على فم الغار دون نسج العنكبوت فلما طلع الفجر لم يبق
أحد بمكة الا وتفرقوا فى الطرق والمآخذ يطلبونه ثم بعثوا بعوثا الى سائر العرب من رده علينا اعطيناه
مائة من الابل وصارت بعوثهم فى العرب وهو اذ ذاك بالغار ففى صبيحة ذلك اليوم أتوا الى الغار
ينظرونه وكان سبقهم أمية بن خلف لعنه الله وجاؤا اليه وهو واقف عنده فقالوا له ادخل الغار فقال له
أمية بن خلف ان عليه لعنكبوتا هى اقدم من ميلاد محمد لو دخله لقطع نسجها فلما نظر واطار
الحمامة عن بيضها فلما نظروا قالوا لو كان به أحد ما باضت الحمامة ههنا فتركوا الغار وذهبوا فمن
يومئذ نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل العنكبوت فبقوا فى الغار ثلاثة أيام فلما
طلب أهل مكة وما حولها ولم يبق الى الطلب سبيل كان أبو بكر رضى الله عنه عهد الى
أسماء أن تأتيه فى اليوم الرابع بما أعد من الزاد واما الرواحل فهى تسرح فى إبله ففى اليوم
الرابع جاءت ابنته بالزاد وجاء راعيه بالرواحل وبعث الى رجل من بنى الليث يقال له عبد الله
أريقط جعله دليلهما على الطريق الى المدينة وأقام أبو بكر غلامه عامر بن فهيره يخدمهما
الطريق فخرجا فى اليوم الرابع من الغار وطلاب العرب يطلبونه فى كل مكان وكان من جملة الطلاب
سراقة بن مالك المدلجى من بنى بكر ذهب فى خيل يطلبه وكان من أشراف العرب متبوعا فلحق
بهما بعد يومين أو ثلاثة فلما رآه أبو بكر قال يارسول الله هذا الطالب قد لحقنا فلما قرب
سراقة بن مالك ساخت أرجل فرسه فى الارض فنادى يا محمد انى قد علمت ان هذا من صنعك
فخلصنى مما أنا فيه وأنا أرد عنك الطلب فنظر اليه صلى الله عليه وسلم فارتفعت فرسه من
الارض وانبعث من مكان أرجلها دخان من الارض وعاهده أن لا يخبر به أحدا فرجع ورد كل
من الطلب يقول لهم انى كفيتكم هذا الوجه ثم ذهبا حتى وصلا الى المدينة • ثم
رضى الله عنه وأرضاه

(وكفته) أغنته وأجزأته (بنسجها) على فم الغار (عنكبوت) بفتح عين وكاف دويبة معروفة يالها من عنكبوت (ما) أى شر قومه وروَّيتهم له (كفته) أجزأته (الحمامة) المذكورة (الحصداء) أى الكثيرة الريش أخذا من قولهم شجرة حصداء كثيرة الورق (واختفى) استتر فى الغار بحماية الله ووقايته (منهم) أى من أهل مكة (على) أى مع (قرب) وظهور (مرآة) بفتح ميم محل رؤيته لصغر الغار وعدم عمقه (ومن شدة) بكسر شين غلبة وكثرة (الظهور) كوضوح وزنا ومعنى كشمس الظهيرة (الخفاء) كسماء أى ان استتاره عن أعينهم مع شدة ظهوره من العجب العجاب * ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء * (ونحا) كدعا قصد (المصطفى) سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (المدينة) المنورة بأنواره صلى الله عليه وعلى آله وسلم (واشتاقت) أى حنت وأنت وناحت (اليه) على فقدانه ونحو وجه (من مكة) التى هى أحب بلاد الله اليه ومسقط رأسه ومحل نشأته (الأنحاء) بفتح همزة جمع نحو كفلس جهة أى نواحيها ودورها وحيطانها لأنها تستأنس بأنفاسه وأنواره صلى الله عليه وعلى آله وسلم * كم رأينا ماليس يعقل قد ألـــهم ماليس يلهم العقلاء *
(وتغنت) أعلنت بصوت عال (بمدحه) أى بانشاد أوصافه الجميلة ونعوته الجليلة (الجن) أى المؤمنون فرحا به (حتى أطرب) شوق وهيج (الانس) السامعين له (منه) أى (٣٥) من الجن (ذاك الغناء) بكسر غين (واقتفى) اتبع واقتص (إثره) بكسر همزة وسكون مثلثة كضرس وكسبب أى تبع أثر مشيه (سراقة) بضم سين كخذافة ابن مالك المدلجى (فاستهوته) فالسين والتاء زائدتان أى هوت وسقطت به (فى الارض) أى غاصت به فى الارض حتى بلغت الركبتين (صافن) فرس يقوم على ثلاثة قوائم ويرفع الرابعة عن الارض ويقف على طرف حافرها قال تعالى الصافنات الجياد (جرداء) قصيرة الشعر ورقيقته جدا وهذا من أوصاف ممدوحة

*(وَكَفَتْهُ بِنَسْجِهَا عَنْكَبُوتٌ * مَا كَفَتْهُ الْحَمَامَةُ الْحَصْدَاءُ)*
*(وَاخْتَفَى مِنْهُمُ عَلَى قُرْبِ مَرْآ * هُ وَمِنْ شِدَّةِ الظُّهُورِ الْخَفَاءُ)*
*(وَنَحَا الْمُصْطَفَى الْمَدِينَةَ وَاشْتَا * قَتْ إِلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ الْأَنْحَاءُ)*
*(وَتَغَنَّتْ بِمَدْحِهِ الْجِنُّ حَتَّى * أَطْرَبَ الْإِنْسَ مِنْهُ ذَاكَ الْغِنَاءُ)*

وقضية الجن أنهم سمعوا امنشدا بمكة يسمعون صوته ولا يرون شخصه فقال لهم وهم يتبعونه

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى ام معبد
هما نزلاها بالهدى فاهتدت بهم * فقد فاز من أمسى رفيق محمد
ليهن أبا بكر سعادة جده * ولكنه من يسعد الله يسعد

فعلموا انه قدم المدينة وتمنع منهم وايسوا * ثم قال رضى الله عنه

(وَاقْتَفَى إِثْرَهُ سُرَاقَةُ فَاسْتَهْـــوَتْهُ فِي الْأَرْضِ صَافِنٌ جَرْدَاءُ)
(ثُمَّ نَادَاهُ بَعْدَ مَا سِيمَتِ الْخَسْـــفَ وَقَدْ يُنْجِدُ الْغَرِيقَ النِّدَاءُ)
*(فَطَوَى الْأَرْضَ سَائِرًا وَالسَّمَوَا * تِ الْعُلَا فَوْقَهَا لَهُ إِسْرَاءُ)*
*(فَصِفِ اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَ لِلْمُخْتَا * رِ فِيهَا عَلَى الْبُرَاقِ اسْتِوَاءُ)*

فى الخيل (ثم) لما دنا وقرب منه (ناداه) أى نادى سراقة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم الامان يا محمد فأمنه (بعدما) مصدرية (سيمت) بكسر سين تخيفت مبنى للمفعول ساومت صافن (الخسف) بفتح خاء وتضم الهوان والذل أى أن يخسف بكلها فى الارض يقال سامه خسفا أولاه ذلا وهوانا (وقد ينجد) بضم تحتية وكسر جيم ينقذ ويخلص (الغريق) كأمير فى بحر وفى كل شدة بنصب مفعول (النداء) بكسر نون وتضم الدعاء والرغبة بانكسار وتذلل (فطوى) كثنى وزنا ومعنى (الارض) أى طويت له الارض فى هجرته حال كونه (سائرا) عليها (و) طوى (السموات) منصوب بكسرة نيابة عن فتحة أو برفع مبتدأ خبره جملة له اسراء (العلى) بضم عين جمع عليا كفضلى (فوقها) أى فوق الارض (له) خبر عن (اسراء) بكسر همزة اليها بعد خمس سنين من مبعثه (فصف) أيها المادح بكل فخار وشرف (الليلة) أى ليلة الاثنين أو الجمعة من رمضان أو رجب (التى كان) دام وثبت (للمختار) سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (فيها) أى فى الليلة (على البراق) بضم موحدة كغراب أخذا من البرق لسرعة سيره كان يضع رجله عند منتهى بصره دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل (استواء) استعلاء واستقرار

انتقل يتكلم على اسراء النبي صلى الله عليه وسلم فوق السموات يقول صلى الله عليه وسلم بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان جاءنى جبريل عليه السلام بالبراق وهى دابة دون البغل وفوق الحمار ثم أتى بطست من ذهب ملىء حكمة وايمانا فاخرج قلبه وأفرغ فيه ذلك الطست ثم ركب البراق حتى أتى بيت المقدس وجبريل معه ثم دخل المسجد الاقصى وربط الدابة فى بابه ثم دخل المسجد فوجد فيه جميع النبيين والمرسلين قد اجتمعوا له فى المسجد فصلى بهم صلى الله عليه وسلم اماما ليكون اماما لجميعهم كلهم يتبعونه ثم ركب البراق وصعد الى السماء فأتيا بابها وعليه بواب يقال له اسماعيل من الملائكة واستفتح جبريل فقيل من فقال جبريل قال ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم فقيل أوقد بعث اليه قال جبريل نعم فقيل مرحبا به ولنعم المجىء جاء صلى الله عليه وسلم ثم دخل السماء الاولى فوجد فيها آدم عليه السلام قال وحوله نسم بنيه أهل النار على يساره وأهل الجنة على يمينه اذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فجازها الى السماء الثانية واستفتح كاول مرة فدخل السماء الثانية قال فوجد فيها ابنى الخالتين يحيي وعيسى عليهما الصلاة والسلام ثم صعدا الى السماء الثالثة فاذا فيها يوسف عليه الصلاة والسلام فرأى وجهه كالقمر ليلة كماله ثم صعد الى السماء الرابعة واستفتح كاول منها ففتح له فدخل فوجد فيها ادريس عليه السلام وصعد الى السماء الخامسة واستفتح كاول منها ففتح له فدخل فوجد فيها هرون عليه السلام ثم صعد الى السماء السادسة واستفتح كاول منها ففتح له فدخل فوجد فيها موسى عليه السلام ثم الى السماء السابعة واستفتح كاول منها ففتح له فوجد فيها ابراهيم عليه السلام فوجده مستندا على ظهره الى البيت المعمور ثم وصل سدرة المنتهى فرأى فيها منبرا فارغا فقصده جبريل عليه الصلاة والسلام وجلس فيه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك قال هذا مقامى لا أتخطاه فتقدم أنت قال صلى الله عليه وسلم وجدت وحشة لما فارقنى جبريل وتدلى له الرفرف للطلوع فلما استوحش صلى الله عليه وسلم قيض له نشأ على صورة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم أوسبقنى أبو بكر الى هذا المقام فقيل له لا ولكن على صورته يؤنسك بذلك وأخبر صلى الله عليه وسلم عن سدرة المنتهى أنه لا يقدر أحد أن يصفها مما غشيها من أمر الله تعالى ثم صعد فى الرفرف صلى الله عليه وسلم الى أن وصل الى حضرة ربه حيث لا غير ولا غيرية اضرب ذلك كله مما لقى فى الرفرف علما منه أن هنالك أسرارا يجب كتمانها وقد كتم صلى الله عليه وسلم حتى الرؤية لما سألته عائشة عنها هل رأيت ربك قال لا قالت أوليس يقول الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى قال ان ذلك جبريل فكانت تكذب كل من يخبر أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه فكانت تقول من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب والصحابة كلهم مطبقون على عدم الرؤية الا من ساره بذلك صلى الله عليه وسلم سرا مثل ابن عباس فانه مرة قال لعائشة ما رآه ومرة حين أكثروا عليه قال رآه رآه ومن أخبره بها صلى الله عليه وسلم سرا قال لهم لم ار عند رؤية ربى أحدا من خلقه فظننت أن من فى السموات والارض كلهم قد ماتوا ثم ألقى اليه سبحانه وتعالى ما ألقى من الاسرار المكتومة التى لا يطلع عليها غيره ثم افترض عليه خمسين صلاة فما زال راجع ربه يسأل منه التخفيف حتى صارت خمسا وموسى هو الذى أمره بالرجوع الى ربه لما مر عليه بعد رجوعه اليه وسأله ما الخبر فقال له افترض على خمسين صلاة فقال له موسى عليه السلام عالجت بنى

بجسده الشريف يقظان (وترقى) صعد المختار (به) أى مستقرا على البراق (الى) أن بلغ فى القرب ودنو المكانة وعلو المرتبة كحالة (قاب) بجر ما بين محل قبضه عند الرمى وهو وسطه و بين آخره وهو محل ربط الوتر (قوسين) وفى كلامه قلب أى الى قابى قوس (وتلك) المرتبة العديمة النظير (السيادة) الكاملة (٣٧) الجامعة (القعساء) المنيعة التى لا يتوصل اليها أحد الثابتة الدائمة على ممر الدهور و يوجد فى بعض النسخ هنا بيتان وهما (وتلق) بفتحات أخذ بلا واسطة (من ربه) سبحانه وتعالى (كلمات) أى قرآنا عظيما وعلوما وأسرارا (كل شمس) حسية (من دونهن) أى من أجل نور تلك الكلمات واضاءتها (هباء) كسماء أى لا اثبات لها بالنسبة اليها (زاخرات) برفع خبر لمحذوف أو بنصب نعت من زخر البحر كمنع امتد وطال جدا (البحار) من اضافة الصفة للموصوف أى هى كالبحار الزاخرات (يغرف) بفتح تحتية وكسر راء من غرف الماء أخذه بشئ (فى قطرتها) أى قطرة واحدة من تلك البحار الزخرات (العالمون) جمع عالم بفتح لام فردا وجمعا ما سوى الله تعالى أو بكسرها فردا وجمعا أيضا (والحكماء) الانبياء والرسل والعلماء فهو من عطف الخاص على العام (رتب) جمع رتبة كغرفة وغرف المنزلة والمكانة خبر لمحذوف أى هى رتب عظيمة (تسقط) بفتح فوقية وضم قاف تقع (الامانى) بتشديد تحتية جمع أمنية ما يتمناه الانسان (حسرى) بفتح حاء جمع حسير كقتيل وقتلى أى عيا وعجزا وضعفا (دونها) أسفل منها لعزة ادراكها (ما) نافية (وراءهن) أى تلك المراتب العديمة المثال العزيزة المنال (وراء) كسماء بمعنى قدام أى ما قدامهن قدام أى مرتبة أخرى تنال المخلوق

اسرائيل أشد المعالجة بريد على خمسين صلاة فلم يطيقوا ذلك وأمتك أضعف فارجع الى ربك فاسأله التخفيف عن أمتك فرجع وسأل التخفيف فحط منه عشرا ثم رجع الى موسى فسأله قال حط عنى عشرا فقال له أمتك لا تطيق ذلك فارجع فاسأل التخفيف عن أمتك فرجع فسأل التخفيف فحط عنه عشرا أخرى فصارت ثلاثين فجاء هابطا فلما وصل الى موسى سأله فقال له حط عنى عشرا أخرى و بقيت ثلاثين فقال له أمتك لا تطيق ذلك فارجع فاسأله التخفيف عن أمتك فلم يزل صلى الله عليه وسلم يرجع بين ربه وموسى حتى صيرها خمسا فلما افترض عليه خمسا ومر على موسى وسأله فاخبره بالخمس فقال له أمتك لا تطيق ذلك فارجع فاسأله التخفيف عن أمتك فقال له صلى الله عليه وسلم استحييت من ربى فسمعوا النداء عليهم من الله تعالى أمضيت فريضتى وخففت على عبادى هى خمس وهى خمسون الحسنة بعشر أمثالها وسكت صلى الله عليه وسلم وأضرب على ما فى الامور التى يجب كتمها صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم يقول سبحانه وتعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى * ثم قال رضى الله عنه

﴿ وَتَرَقَّى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ وَتِلْكَ السِّيَادَةُ الْقَعْسَاءُ ﴾

معناه أن السيادة هى المرتبة العالية عن الخلق وسيادته صلى الله عليه وسلم فى هذا المحل هى السيادة القعساء التى يتقاعس أى يتأخر عنها كل سيد أى كل من له سيادة فى الوجود يتأخر عن هذه المرتبة لا مطمع لاحد فى نيلها لا ملك مقرب ولا نبى مرسل فهى القعساء ومعنى قاب قوسين يعنى دنا من جبريل حتى كان من قاب قوسين أو أدنى يعنى دانها القوس كان أقرب ما بينهما والمراد بذلك جبريل فقط وليس هو الله تعالى كما يزعم العلماء لان الله تعالى تستحيل عليه المسافة لا مسافة بينه و بين عباده فهو أقرب الى كل شئ من كل شئ يقول سبحانه وتعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون أى شئ اتخذته قياسا فى القرب فالقرب أقرب اليه منه حتى اذا وضعت يديك على عينيك فالرب أقرب اليهما من يديك فلا اتصال ولا انفصال فكيف يعبر عنه بمسافة قاب قوسين أو أدنى وانما ذلك جبريل * ثم قال رضى الله عنه

﴿ رُتَبٌ تَسْقُطُ الْأَمَانِيُّ حَسْرَى * دُونَهَا مَا وَرَاءَهُنَّ وَرَاءُ ﴾

قال وتلك السيادة القعساء لا يقدر أحد أن يتقدم اليها أى الى تلك المرتبة لعلوها وشرفها فقال رتب تسقط الامانى حسرى البيت معناه أخبر أن تلك الرتب وهى مجامع رتبته صلى الله عليه وسلم بالاصالة تسقط الامانى دونها حسرى والامانى جمع أمنية وهى ما يتمناه القاصد والطالب وهو الذى يتعلق به باطنه فاتحرك الانسان الاعلى قصد باطنه قال أخبر أن تلك الرتب تسقط الامانى دونها لا يقدر أحد من الطالبين أن يروم تلك الرتب لعلوها وصعوبة مسلكها لا مطمع فيها لملك مقرب ولا نبى مرسل فغيرهم من باب أولى وأحرى فلذلك قال حسرى جمع حسير والحسير هو الذى يروم أمرا فيجد موانع دونه كالاسوار والابواب المغلوقة فلا يجد مسلكا قال آمال جميع الطالبين والقاصدين تسقط دون تلك

الرتبة وتسقط حسرى وتلك الرتبة هى تجلى الذات المقدسة حيث ماهى هى وقد فاز بها صلى الله عليه وسلم وحده بلامشاركة فان الذات العلية العظمية الجليلة المقدسة هى غاية الغايات لجميع الطالبين والقاصدين وقد حرمها سبحانه وتعالى على جميع خلقه أن يرومها أحد غير نبينا صلى الله عليه وسلم جعله صاحبها والفائز بها فلهذا قال ماوراءهن وراء لانها جعل دونها حجبا لا يمكن خرقها فلو تمزقت تلك الحجب حتى أبصرها من أبصرها من الوجود لصار محض العدم فى أسرع من طرفة العين كما قال فى الحديث حجابه النور لو كشف لاحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه وكما فى الآية حيث قال سيدنا موسى عليه السلام رب أرنى انظر اليك قال لن ترانى ثم استدركه ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا الآية * وفى بعض الاخبار ان الجبل تقطع سبعين قطعة من هيبة الله تعالى ثم خلق الله من كل قطعة شخصا يقول رب أرنى أنظر اليك وموسى ينظر فقال أتظن أنك مشتاق الى وحدك فان الشوق الى الحضرة جاذب الى الذات لجميع الوجود * يعنى جذبا ذاتيا لا يمكن انفكاكه ولكن الله منعهم * فقد روى عن أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه انه كان يطلب الخلوة عند الكعبة وحده فى وقت لا يكون فيه غيره كى يقع له ذلك التجلى يعنى تجلى الذات قال رصدته مدة فلم أجد اليه سبيلا قال بقيت حتى كانت ليلة مفرطة البرد غزيرة الامطار متواصلة قال فقلت لا أظفر بالخلوة فى الكعبة الا هذه الساعة فأتيتها مسرعا قال فلما وصلت الكعبة والامر على حاله قال وحين وصولى اليها قابلنى فيها سبعون من العارفين من جميع البلدان فقلت لهم ما شأنكم فقال كل واحد طمعنا فيما طمعت فيه فكان عندهم فى ذلك الحال يعنى قد وجد الخلوة فيها حتى كان وحده فكل ما أصابه يجده وكان بمنزلة التجلى الذاتى عندهم * ثم قال رضى الله عنه

﴿ ثُمَّ وَافَى يُحَدِّثُ النَّاسَ شُكْرًا * إِذْ أَتَتْهُ مِنْ رَبِّهِ النَّعْمَاءُ ﴾

ثم بعد ايابه صلى الله عليه وسلم حين أصبح من ليلته أصبح يحدث الناس شكرا بما أعطاه ربه وما من به عليه والنعماء هى النعمة وهى العطية المصونة التى أتت بما لا غاية له من وجوه التحف والعطايا فهى هذه النعماء أصبح يحدث الناس شكرا بما أعطاه ربه فى تلك الليلة * ثم قال رضى الله عنه

﴿ وَتَحَدَّى فَارْتَابَ كُلُّ مُرِيبٍ * أَوَيَبْقَى مَعَ السُّيُولِ الْغُثَاءُ ﴾

قال وتحدى معناه أظهرها فى الناس جهارا والتحدى بالشئ هو التظاهر به تحدى صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة فلما تحدى بذلك ارتاب كل مريب حتى ارتد كثير من المسلمين اذ كل من كان فى قلبه قليل من الايمان ارتاب وارتد أعاذنا الله من بلائه قال أو يبقى مع السيول الغثاء أخبر أن الرؤية التى رآها فى تلك الليلة بمنزلة السيل القوى ومعلوم أن السيل القوى لا يثبت معه الغثاء شبه الأمان الحاصل لاهل الايمان الضعيف شبهه بالغثاء والغثاء هو ما لا قرار له مهما أفنى عليه السيل ذهب وشبه الرؤية الحاصلة فى تلك الليلة بالسيل القوى وردت على ايمانهم الضعيف فذهبت به يعنى بايمانهم وكفروا يقول فيها سبحانه وتعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس تثبت على الايمان من كان قوى الايمان

(ثم وافى) وصل مكة قبل الصبح ومقدار غيبته فى اسرائه ذهابا وايابا ثلاث ساعات (يحدث) بضم تحتية وكسر دال مشددة يخبر (الناس) أهل مكة وغيرهم بما رآى من العجائب فى اسرائه (شكرا) لله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث (اذ) تعليلية (أتته) جاءته (من ربه) الكريم (النعماء) بفتح نون وبمد النعمة العظمية (وتحدى) بفتح فوقية ودال مهملة مشددة أى طلب منهم أن يعارضوا ما جاء به شاهدا على نبوته (فارتاب) شك وعجز وعيي وخرس عن المعارضة (كل مريب) بضم ميم من أراب بمعنى ارتاب أى شاك ومنكر وجاحد (أو يبقى) الهمزة للاستفهام الانكارى والواو عاطفة على مقدر أى أيتضح ذلك الامر ويبقى مابه ريب وشك لا وكيف يبقى بفتح تحتية وقاف من بقى كرضى (مع السيول) جمع سيل حال من قوله (الغثاء) بضم غين وبمثلثة ما يحمله السيل مما يسقط من ورق النبات

(وهو) بسكون هاء أى محمد صلى الله عليه وسلم الناس والحال انه (يدعو) هم (الى) توحيد (الاله) والايمان به وبما جاء به (وان شق) بفتح شين كمد ثقل (عليه كفر) جحد وانكار (به) أى بالاله سبحانه أو بالنبى (وازدراء) احتقار واستخفاف به (ويدل) بفتح تحتية يرشد ويهدى (الورى) بفتحتين الخلق كله (على) معرفة (الله) سبحانه (بالتوحيد) أى بمعرفة ما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حقه (وهو) بسكون هاء أى التوحيد (المحجة) بفتح ميم الطريق المستقيم (البيضاء) النيرة الواضحة لا يخاف من سلكها (فبما) ما زائدة أى فبسبب (رحمة) وعطفة وعناية سبقت لهم (من الله) الكريم الحليم (لانت) ضد يبست وقبلت قلوبهم الايمان وأذعنت للاسلام وزال ما فيها من الغى والكفر والشك (صخرة) حجر عظيم (من إبائهم) بكسر همزة امتناعهم بيان لصخرة (صماء) بفتح صاد وتشديد ميم صلبة لا يؤثر فيها المعول (فاستجابت) أى أجابت ولبت (له) أى لدعوته (بنصر) أى بسبب ما أعطاه الله من النصر والتأييد والغلبة عليهم (و) بسبب ما أعطاه الله من (فتح) بلادهم طوعا وكرها (بعد ذلك) الضعف والضيق والايذاء (الخضراء) بفتح خاء السماء سميت بذلك لانها ترى كذلك أى أهل السماء (و) أهل (الغبراء) الارض ممن سبقت له العناية والهداية

وزوال الايمان وكفر من كان ضعيف الايمان فقد روى أنهم حين سمعوا الحديث بها صباحا وقع بمكة اضطراب شديد وتسابق بعض المشركين الى دار أبى بكر وأخبروه بما قال مكذبين له وطلبوا منه أن يستردوا أبا بكر حتى استردوا كثيرا من المؤمنين وأكثروا عليه من اللغط بقولهم له هذا الذى تزعم أنه كذا وكذا فقال لهم رضى الله عنه ان قال ذلك فقد صدق وقطع ظنهم أو يبقى مع السيول الغثاء * ثم قال رضى الله عنه

(وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الإِلهِ وَإِنْ شَــقَّ عَلَيْهِ كُفْرٌ بِهِ وَازْدِرَاءُ)

يعنى حين أخبرهم ووقع منهم هـذا الامر ما كف عن دعوتهم الى الله تعالى ولا رده عنهم كفرهم وازدراؤهم به صلى الله عليه وسلم والكفر والازدراء شاق فى النفس على صاحبه ولكن يدعو الى الله تعالى لا الى نفسه فما أوقعوه من الكفر والازدراء به صلى الله عليه وسلم لم يرده عن دعوتهم الى الله تعالى بل قاسى الشدائد والمحن فى دعوة الخلق الى الله تعالى * ثم قال رضى الله عنه

*(وَيَدُلُّ الْوَرَى عَلَى اللهِ بِالتَّوْ * حِيدِ وَهْوَ الْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ)*

* قوله ويدل الورى على الله يدلهم عليه أن لا يعبدوا الا هو ولا يتكلوا الا عليه ولا يعولوا الا عليه فهذه الدلالة على الله بنبذ كل ما سواه * قوله بالتوحيد يعنى أشهد أن لا اله الا الله والاله ههنا هو المعبود بالحق فهذا هو التوحيد يعنى كلمة الشهادة وأن يعبدوه على الوجه بأنه لا اله الا هو وحده كما قال سبحانه وتعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله فدل الخلق على الله بطريق التوحيد أن يعبدوه وحده ويتبرؤا من كل ما عبد من دونه فهذا هو التوحيد وهو المحجة البيضاء التى هى طريق أهل السعادة فان من لم يتعلق بهذا التوحيد الذى جاء به صلى الله عليه وسلم وجاءت به جميع الرسل لا حظ له فى السعادة وقد ورد فى الخبر أن الله تعالى يقيم الكافر بين يديه بعد أن يعلم أنه ممن يخلد فى النار يقعد بين يديه قبل أن يدخل النار فيقول له سبحانه وتعالى أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت تفتدى به من النار فيقول الكافر نعم فيقول الله له سبحانه وتعالى قد طلبت منك أهون من هـذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى شيئا فأبيت الا أن تشرك بى شيئا ثم يأمر به الى النار وقد قال صلى الله عليه وسلم كلكم يدخل الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى يا رسول الله قال من أبى أن يقول لا اله الا الله * ثم قال رضى الله عنه

*(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لاَنَتْ * صَخْرَةٌ مِنْ إِبَائِهِمْ صَمَّاءُ)*

قال تصامهم أولا كان على الكفر والطغيان حين دعاهم الى الله أولا فلم يستجيبوا ثم أنزل الله سبحانه بهم رحمته فى قلوبهم فاستجابوا لأمر الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ولانت قلوبهم بتلك الرحمة بعد قساوة قلوبهم نزل ذلك بمنزلة الصخور الصم ثم أنزل سبحانه وتعالى رحمته فى قلوبهم فلانت قلوبهم بعد قساوتها فاستجابوا لله وللرسول * ثم قال رضى الله عنه

﴿ وَاسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرٍ وَفَتْحٍ * بَعْدَ ذَاكَ الْخَضْرَاءُ وَالْغَبْرَاءُ ﴾

قال بعد أن كانوا بمنزلة الصخور الصم بالاباية عن أمر الله تعالى والادبار عنه وفى الاقامة على الكفر ثم بعد ذلك استجابوا لله والرسول بنصر وفتح والنصر والفتح ههنا سيان بذلك النصر

والفتح فاستجابوا لأمره والفتح فتح مكة وظهور النصر ما أوقعه بعدها بهوازن وكانوا من أعظم قبائل العرب قوة و بأسا فلما قاتلهم ونصره الله عليهم وسبى نساءهم وأموالهم وأولادهم فاستلب جميعهم فعملت الوقعة فى قلوب العرب رعبا عظيما اذ كانوا قبل ذلك يتربصون ما يكون بينه و بين قريش ان غلبوه قاموا على كفرهم به وان غلبهم وأذلهم تابعوه على أمره خوفا منه صلى الله عليه وسلم فلما دخل مكة قهرا وفتحها عنوة واستذل قريشا واستعبدها حتى صاروا تحت حكمه يقتل من شاء و يترك من شاء ثم زاد وقعته هوازن بعدها واستذلهم واستعبدهم وباع نساءهم وأولادهم جهارا هابته العرب و وقع الرعب فى قلوبهم فجعلت تأتيه ارسالا لتسلم وتتبعه على أمره فذلك قوله سبحانه وتعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا * قوله الخضراء والغبراء والخضراء هى الارض المخصبة والغبراء التى ليس فيها الا التراب والمراد بهما كافة العرب واستجابت لطاعته أخيارهم وأشرارهم أخيارهم من كان فيه رأى صالح وحياء وأدب وميل الى مكارم الاخلاق فهم بمنزلة الارض المخصبة واستجابت لطاعته أشرارهم ممن كان لا يقدر على فعل شر الافعله لا يلوى على الخير أبدا فاستجاب لطاعته قهرا وخوفا وفى هذا الاخيار والاشرار أنزل سبحانه وتعالى الآية بقوله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ثم قال بعدها ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر و يتخذ ما ينفق قربات عند الله الآية قال فاستجابت له بنصر وفتح الخضراء والغبراء * ثم قال رضى الله عنه

*(وَأَطَاعَتْ لِأَمْرِهِ الْعَرَبُ الْعَرْ * بَاءُ وَالْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ)*

قال بسبب ذلك الفتح والنصر أطاعت لامره العرب العرباء يعنى التى لا عجمة فيهم والجاهلية الجهلاء أطاعوه لامره خوفا وقهرا * ثم قال رضى الله عنه

*(وَتَوَالَتْ لِلْمُصْطَفَى الْآيَةُ الْكُبْـ * ـرَى عَلَيْهِمْ وَالْغَارَةُ الشَّعْوَاءُ)*

ثم قال بعد النصر والفتح توالت له صلى الله عليه وسلم الآية الكبرى وهو النصر الذى وعده الله به قال سبحانه وتعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله و ينصرك الله نصرا عزيزا يعنى لا يلحقه ذل صلى الله عليه وسلم فذلك النصر هو الآية الكبرى التى توالت له على المشركين متتابعا * قال سبحانه وتعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون * وقال سبحانه وتعالى كتب الله لاغلبن أنا ورسلى فهذه الآية الكبرى التى توالت على المشركين وهو النصر المتتابع فاطاعوا أمره خوفا وقهرا صلى الله عليه وسلم قوله والغارة الشعواء والشعواء هى كثرة الصياح والنياح بما حل فى أهلها من البلاء من أخذ أموالهم وسبى ذراريهم فمن كثرة ما يقع فيها من الصياح والنياح تسمى غارة شعواء * ثم قال رضى الله عنه

*(وَإِذَا مَا تَلَا كِتَابًا مِنَ اللَّـ * ـهِ تَلَتْهُ كَتِيبَةٌ خَضْرَاءُ)*

أخبر عن حاله صلى الله عليه وسلم بنزول القرآن قال اذا ما تلى أى قرأه عليهم وذلك عند نزول الوحى تتلوه تاخذهم عليه كتيبة خضراء والكتيبة هى الجماعة الكثيرة والخضراء مخضرة الجنان بمتابعتهم لامر الله تعالى واستجابتهم اليه صار جنانهم مخضرا بمنزلة البسيطة الخضراء التى فيها نبات

(وأطاعت) انقادت وأذعنت (لامره) أى لامتثال أمره واجتناب نهيه (العرب) بفتحتين من يتكلم بالعربية (العرباء) بفتح عين كحمراء الخالصون الاصليون فى العربية (و) أطاعت لامره (الجاهلية) من كان فى زمن الفترة (الجهلاء) بفتح جيم وسكون هاء كحمراء أى المتوغلون المفرطون فى الجهل والكفر (وتوالت) ترادفت وتتابعت (للمصطفى) سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (الآية) المعجزة والمراد الآيات والمعجزات والكرامات (الكبرى) العظمى كالقرآن وما اشتمل عليه وغيره (عليهم) أى على كل من كفر به (والغارة) أى وتوالت عليهم الغارة اسم مصدر لأغار عليهم أخذهم بغتة وهجم عليهم فجأة (الشعواء) بفتح شين المتفرقة الجوانب المحيطة بهم وببلادهم (واذا ما) زائدة (تلا) قرأ (كتابا) قرآنا عظيما منزلا عليه (من الله) سبحانه (تلته) تبعته وازدحمت على القرب منه لاستماع قراءته (كتيبة) بفتح كاف وكسر فوقية كسفينة الجيش والخيل اذا أغارت من المائة الى الالف (خضراء) كحمراء من كثرة سواد الاسلحة

(وكفاه) الله تعالى فضلا منه وكرما (المستهزئين) المفرطين والمسرفين فى ايذائه والاستهزاء به أى تولى الله هلاكهم قال تعالى انا كفيناك المستهزئين (وكم) مرات كثيرة (ساء) أحزن (نبيا) من الانبياء قبله على نبينا وعليهم الصلاة والسلام قال تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك (من قومه) متعلق بقوله (استهزاء) واستخفاف به وايذاء له (ورماهم) أى دعا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم على المستهزئين به (بدعوة) مصيبة لمقتلهم مهلكة لجميعهم (من) أى فى (فناء) بكسر فاء ككساء مكان متسع فى فم الدار (البيت) الكعبة الحرام (فيها) أى فى تلك الدعوة التى هى كسيف صارم بتار (للظالمين) الباغين المفرطين فى ايذائه (فناء) بفتح فاء هلاك واستئصال أعزتهم وقطع دابرهم (خمسة) (٤١) بنصب بدل من المستهزئين وبجر من الظالمين وبرفع خبر لمحذوف أى هم خمسة وخصهم عن غيرهم لكثرة ايذائهم واستهزائهم به (كلهم) مبتدأ خبره جملة (أصيبوا) بضم همزة وكسر صاد مبنى للمفعول أى أصيب كل واحد منهم وعوقب وجوزى عن فعله القبيح (بداء) عضال مهلك له (والردى) بفتحتين الهلاك (من) جملة (جنوده) بضم جيم جمع جند المعين الناصر (الأدواء) بفتح همزة جمع داء ضرر ومرض مزمن عظيم (فدها) كدعا أصاب وأردى وأهلك (الاسود) البصر والبصيرة (ابن) بنصب نعت (مطلب) بضم ميم وكسر لام (أى) بفتح همزة وتشديد تحتية صفة لمحذوف أى عمى فظيع أى (عمى) اذ عميت بصيرته كما عمى بصره (ميت) بتشديد تحتية مبتدأ (به) أى بسبب ذلك العمى (الأحياء) فاعل أغنى عن الخبر أو هو مبتدأ وميت خبر مقدم أى أن الاحياء تموت بذلك العمى لخبثه وشناعته وشدته (ودها) أصاب وأهلك (الاسود) البصيرة (ابن) بنصب نعت (عبديغوث) بفتح تحتية وبمثلثة وبتنوين للضرورة واسم صنم كان لقوم سيدنا نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام (أن) بفتح همزة (سقاه) كرمى (كأس) اناء فيه شراب بنصب مفعول ثان (الردى) بفتحتين الهلاك والموت (استسقاء) داء خبيث فظيع هو امتلاء الاعضاء بالماء الفاسد المبطل للحرارة الغريزية المؤدى الى الموت فى قريب

كثير وثمار كثير يقع الزهو للرائى بنفس رؤيته والمراد بالكتيبة الخضراء هم الصحابة رضوان الله عليهم الذين وفوا بحق الله تعالى وانقطعوا اليه يعنى ذلك الكتاب الذى تلاه عليهم عند نزوله تتلوه كتيبة خضراء بالتلقى منه صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

﴿ وَكَفَاهُ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَكَمْ سَا * ءَ نَبِيًّا مِنْ قَوْمِهِ اسْتِهْزَاءُ ﴾

وكفاه المستهزئين الذين كانوا يستهزؤون به صلى الله عليه وسلم وهم خمسة وهم الوليد بن المغيرة المخزومى والاسود بن عبد يغوث الزهرى والاسود بن المطلب من بنى أسد بن عبد العزى والعاصى بن وائل السهمى لعنه الله والحرث بن الطلاطلة الخزاعى قال كفاه الله أمرهم بقوله سبحانه وتعالى انا كفيناك المستهزئين ثم عطف عليه قال وكم ساء نبيا من قومه استهزاء يعنى كل الرسل سلط الله عليهم من يستهزئ بهم * ثم قال رضى الله عنه

*(وَرَمَاهُمْ بِدَعْوَةٍ مِنْ فِنَاءِ الْـ * ـبَيْتِ فِيهَا لِلظَّالِمِينَ فَنَاءُ)*

يعنى ان هؤلاء المستهزئين رماهم صلى الله عليه وسلم بدعوة من فناء البيت وفناء البيت هو ما جاوره من الارض قال فرماهم بدعوة من فناء البيت فى تلك الدعوة فيها للظالمين فناء * ثم قال رضى الله عنه

*(خَمْسَةٌ كُلُّهُمْ أُصِيبُوا بِدَاءٍ * وَالرَّدَى مِنْ جُنُودِهِ الْأَدْوَاءُ)*

والردى هو الهلاك الابدى ومن جنود الردى الادواء جمع داء والمراد بالداء هنا هو الداء المعضل الذى لا دواء له * ثم قال رضى الله عنه

*(فَدَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ مُطَّلِبٍ أَيُّ * عَمًى مَيِّتٌ بِهِ الْأَحْيَاءُ)*

دعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم ان يعمى بصره وان يثكله ولده * ثم قال رضى الله عنه

*(وَدَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثٍ * أَنْ سَقَاهُ كَأْسَ الرَّدَى اسْتِسْقَاءُ)*

وردأنه كان عند البيت صلى الله عليه وسلم وجبريل معه فمر به الاسود بن عبد يغوث فقال له هذا من المستهزئين فأشار جبريل عليه السلام الى بطنه فاصابه الاستسقاء فعالجه وقاسى به الشدائد أعاذنا الله من بلائه * ثم قال رضى الله عنه

(وأصاب) وأهلك (الوليد) كرغيف ابن المغيرة (خدشة) بفتح خاء كثمرة جرح برفع فاعل (سهم) أصابته من شوكة بذيل
فتكبر أن يهوى لنزعها فضربها بسهمه فأصاب برجله فتأكلت فأسرعت فى حتفه (قصرت) بفتح قاف وصاد كقعد عجزت
وضعفت أو بضم صاد ككرم ضد طال (عنها) أى عن تلك الخدشة (الحية) العظيمة (الرقطاء) بفتح راء وطاء مهملتين
التى فيها نقط بيض وسود وهى أخبث الحيات وأعظمها سما (وقضت) حكمت عليه بالموت (شوكة) بفتح شين كثمرة واحدة
الشوك كمرد دخلت فى اخمص رجله (على مهجة) بضم ميم كغرفة روح ونفس (العاصى) ابن العاصى حسا ومعنى ابن
وائل أى قتلته قتلا عجيبا (فلله النقعة) كلمة تعجب نقعة كثمرة (٤٢) النحر والذبح (الشوكاء) بفتح شين الحديدة الخشنة أى
ماأعظم وأسرع هذه القتلة الناشئة من هذه الشوكة القليلة التأثير عادة فلله درها ماأحسنها (و) قضت وحكمت (على) مهجة (الحرث) بن قيس كان مولى لبعضهم (القيوح) بضم قاف جمع قيح بفتحها مدة بيضاء ما فيها دم والحال أنه (قد سال) من السيلان كالجريان وزنا ومعنى (بها) أى بتلك القيوح (رأسه) أى الحرث (وساء) قبح وشنع ذلك الرأس الذى هو (الوعاء) بكسر واو وتضم أى ظرف لتلك القيوح القاتلة له فى الحين (خمسة) برفع خبر لمحذوف أى هم خمسة (طهرت) بضم طاء وكسر ها مشددة من التطهير مبنى للمفعول أى طهر الله سبحانه (بقطعهم) بسبب هلاكهم وقطع دابرهم وأثرهم (الارض) أرض مكة ونواحيها (فكف) بفتح كاف الراحة (الاذى) بفتحتين الضرر واذاية من آمن بالله
أى بسبب قطع دابرهم وأثرهم (شلاء) بفتح شين يابسة فاقدة الحركة (فديت) بضم فاء وكسر دال مبنى للمفعول (خمسة) (٣ م)
برفع نائب فاعل (الصحيفة) الاتى بيان أسمائهم (بالخمسة) المستهزئين السابق ذكرهم اللهم اجعل الخمسة المستهزئين الظالمين فداء
من النار ومن عذاب النار لكل واحد من الخمسة المتفقين على نقض ما فى الصحيفة المعلقة بالكعبة (إن) بكسر همزة شرطية
(كان) يكن (للكرام) اذا ماتوا كفارا (فداء) بكسر فاء فكلهم فى تلك الحالة كفار ثم أسلم بعد ذلك منهم هشام وزهير
والثلاثة ماتوا كفارا

﴿ وَأَصَابَ الْوَلِيدَ خَدْشَةُ سَهْمٍ * قَصُرَتْ عَنْهَا الْحَيَّةُ الرَّقْطَاءُ ﴾

واما الوليد بن المغيرة خدشه سهم يعنى رشقه سهم برجله فقامت له الاكلة ودامت دواما لا يقوم السموم
مقامها لعنه الله وغضب عليه * ثم قال رضى الله عنه

﴿ وَقَضَتْ شَوْكَةٌ عَلَى مُهْجَةِ الْعَا * صِى فَلِلَّهِ النَّقْعَةُ الشَّوْكَاءُ ﴾

لله در هذه الشوكة التى جاهدت فيه جهادا كثيرا فى سبيل الله * ثم قال رضى الله عنه

﴿ وَعَلَى الْحَرْثِ الْقُيُوحُ وَقَدْ سَا * لَ بِهَا رَأْسُهُ وَسَاءَ الْوِعَاءُ ﴾

﴿ خَمْسَةٌ طُهِّرَتْ بِقَطْعِهِمُ الْأَرْ * ضُ فَكَفُّ الْأَذَى بِهِمْ شَلَّاءُ ﴾

فكف الاذى يعنى يد الاذى باذايتها لهذه الخمسة كانت يد الاذى بهم شلاء والشلاء هى الساقطة
ثم قال رضى الله عنه

﴿ فُدِيَتْ خَمْسَةُ الصَّحِيفَةِ بِالْخَمْـــسَةِ إِنْ كَانَ لِلْكِرَامِ فِدَاءُ ﴾

خمسة الصحيفة هم سعوا فى فعلهم وكان من حديث الصحيفة أن قريشا لما عجزت عن قتله صلى الله
عليه وسلم لما حماه الله بعمه أبى طالب ولم ينالوا منه شيئا تداعوا يوما وقالوا أما اذا منعت بنو هاشم
منا أخاهم تعالوا نكتب كتابا نتحالف فيه عند الكعبة لا نبتاع منهم شيئا ولا نبيع منهم شيئا ولا يسافرون
معنا ولا نسافر معهم ولا ينكحون منا ولا ننكح منهم ثم تحالفوا على هذا عند الكعبة وكتبوا على
هذا كتابا سموه الصحيفة وجعلوه فى جوف الكعبة فلما كتبوا هذا خرجت عنهم بنو المطلب
وانضافوا الى بنى هاشم وخرج من بنى هاشم الى قريش فى هذه العداوة أبو لهب فمكثوا على هذا
الحال سنتين وجهد الحال بنى هاشم وكان الذى تحرك فى نقض الصحيفة هشام من بنى عامر بن لؤى
وكان محبا فى بنى هاشم وهو ابن أخى فضلة بن هاشم لابيه فجاء الى زهير بن أبى أمية بن المغيرة وهم أخواله
يعنى بنى هاشم فقال له هشام ويحك يا زهير أرضيت لهلاك أخوالك وساعفت قريشا على هذا
فأحلف بالله أن لو كانوا أخوال الحكم بن هشام ثم دعوته الى مثل ما دعاك ما أجابك فى ذلك ولا
ساعدك عليه وأنت ساعدته فى أخوالك قال له يا هشام وما أصنع أنا وحدى فى قريش تظاهرت

قريش لها على هذا فا أصنع وحدى قال له أرأيت ان وجدت رجلا من أشراف قريش قت فى نقضها فجاء هشام الى المطعم بن عدى وكان من رؤوس بنى عبدمناف فكلمه فى هذا وقال له ارضيت ان يهلك بطنان من بنى عبدمناف وأنت شاهد على هذا وساعفت عليه وليس ساعدت قريشا على هذا بعد هذا لتجدنهم اليهامنكم سراعا قال له ويحك أنا وحدى قال له أرأيت ان وجدت معك رجلا من أشراف قريش اتقدم فى نقض الصحيفة قال له ان وجدت معى رجلا من أشراف قريش قت فى نقضها قال له قد وجدته قال من هو قال له زهير بن أمية قال مطعم نعم أبغنا ثالثا قال له سأجده فذهب الى أبى البحترى ابن هشام وكان من أعظم أشراف قريش لكنه كان محبا فى بنى هاشم فذهب اليه هشام وكلمه فى ذلك قال له لو معى معينا ما تركتهم يفعلون ذلك فقال له أرأيت لو وجدت معك رجلا يقوم فى نقضها أتقوم فى نقضها قال له نعم قال له قد وجدته قال له من هو قال له اثنان المطعم بن عدى وزهير بن أبى أمية قال له أبو البحترى أبغنا رابعا قال له سوف أجده فذهب الى زمعة بن الاسود وكان من أعظم أشراف قريش فكلمه فى هذا فقال له لا أطيق الأمر وحدى قال له ان وجدت معينا معك اتقدم قال له نعم قال له وجدت لك ثلاثة أبو البحترى بن هشام وزهير بن هشام وزهير بن أبى أمية والمطعم بن عدى قال له نعم هذا ثم قال أقدم اليهم واجعل الوعد بيننا وبينهم فى الحجون ليلا فواعد بينهم وتوافوا بالحجون وتواثقوا على هذا وقال أصبحوا فى أول الصبيحة عند الكعبة فقال لهم زهير أنا ابدأكم بالكلام وتابعونى أنتم فلما كان الصباح وكل جمع قريش عند الكعبة فقام زهير فقال يامعشر قريش انانا كل الطعام وننكح النساء وبنوهاشم هلكى لا يبايعون ولا يبتاع منهم والله لا قنا من هذا المجلس حتى نشق هذه الصحيفة الضالة فقام اليه أبو الحكم بن هشام ابن عمه فقال له كذبت فقام اليه المطعم بن عدى فقال له أنت والله اكذب مارضينا كتابتها حين كتبت والله لا قنا من مقامنا هذا حتى تشق هذه الصحيفة الضالة فقام أبو البحترى ابن هشام فقال صدقت والله وكذب من زعم غير ذلك والله لا قنا حتى تشق هذه الصحيفة الضالة فقام زمعة بن الاسود وقال صدقتم والله وكذب من زعم غير هذا والله لا قنا حتى تشق هذه الصحيفة الضالة وقام هشام فقال مثل ذلك فلم تجد قريش بدا من مساعفتهم فقال أبو الحكم بن هشام أمر أبرم بليل تشاورتم به بغير هذا المكان ثم دعوا عثمان بن طلحة وكان فى يديه مفتاح الكعبة فامروه أن يأتى بالمفتاح ويفتح الكعبة ففتح الكعبة واخرجها لهم ومزقوها وقريش ينظرون فانحط عن بنى هاشم ما كان عليهم من الضيق فهؤلاء الخمسة فداهم الله بالخمسة المستهزئين والمستهزؤن الخمسة كانوا فداء من الشر كاصحاب الصحيفة الخمسة ان كان للكرام فداء فاصحاب الصحيفة كرماء فداهم الله بالخمسة المستهزئين من الشر * ثم قال رضى الله عنه

*(فِتْيَةٌ بَيَّتُوا عَلَى فِعْلِ خَيْرٍ * حَمِدَ الصُّبْحَ أَمْرَهُمْ وَالْمَسَاءْ)*

ذكر فى هذا البيت ماوقع فى القضية بالحجون حين اتعدوا بالحجون فوصلوا اليه واتفقوا على هذا الامر قال بيتوا على فعل خير حين تواثقوا عليه ان يفعلوه فهذا الخير هو الذى فعلوه فحمد الصبح أمرهم والمساء يعنى خرج الامر محمودا فى الصباح والمساء * ثم قال رضى الله عنه

*(كُلُّ أَمْرٍ أَتَاهُ بَعْدَ هِشَامٍ * زَمْعَةُ أَنَّهُ الْفَتَى الْأَتَّاءْ)*

(فتية) بكسر فاء جمع فتى بفتحتين شاب سخى كريم برفع خبر لمحذوف (بيتوا) دبروا وتشاوروا وتعاهدوا بليل (على فعل خير) هو نقض ما فى الصحيفة المعلقة فى الكعبة من اذاية بنى هاشم وبنى المطلب (حمد) بكسر ميم (الصبح) أى النهار (أمره) أى شأنه وعاقبته وفى نسخة أمرهم بضمير الجمع (والمساء يالأمر) عظيم منادى مستغاث به مجرور بلام مفتوحة ناداه تنزيلا له منزلة العاقل (أتاه) جاءه (بعد) اتيان (هشام) بن الحرث لانه أول من قام بهذا الامر والسبب فيه (زمعة) بفتح زاى وسكون ميم ابن الاسود (انه) بكسر همزة وبفتحها لانها فى قوة التعليل (الفتى) بفتحتين الشاب السخى الكريم (الأتاء) بفتح همزة وتشديد تاء كثير الاتيان لفعل مايريد

(و) أى (زهير) ابن أبى أمية وأمه عاتكة بنت عبد المطلب (والمطعم) بضم ميم وكسر عين (ابن عدى وأبو البحترى) بضم ...
وفوقية (من حيث) أى من المكان الذى (شاؤا) فى الليل فتشاوروا وتعاهدوا ودبروا فيه أمرهم (نقضوا) أبطلوا ...
(مبرم) بضم ميم وفتح راء أى ما أبرمته وأحكمته وأتقنته قريش (٤٤) فى (الصحيفة) من مقاطعة بنى هاشم والمطلب ...

الاناء هو الفعال * ثم قال رضى الله عنه

*(وَزُهَيْرٌ وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ * وَأَبُو الْبُخْتَرِيِّ مِنْ حَيْثُ شَاؤُا)

*(نَقَضُوا مُبْرَمَ الصَّحِيفَةِ إِذْ شُدَّ * دَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِدَا الْأَنْدَاءُ)

والانداء جمع نادو هو الجمع يعنى ان جميع قريش انعقدوا على أن لا يبتاعوا منهم ولا يباع ...
توافقوا على هذا * ثم قال رضى الله عنه

*(أَذْكَرَتْنَا بِأَكْلِهَا أَكْلَ مِنْسَا * تِ سُلَيْمَانَ الْأَرْضَةُ الْخَرْسَاءُ)

قال أذكرتنا بأكلها * روى فى الخبر انه صلى الله عليه وسلم قال لعمه أبى طالب ان الله أخبرنى ان ...
الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها شيئا من البهتان الا أكلته ولم تترك فيها الا باسمك ...
كان أخبره بهذا فخرج أبو طالب الى قريش فقال ان ابن أخى قال لى كيت وكيت ...
صحيفتكم فان وجدتموها أكلت كما قال لى فانتهوا عن قطيعتنا وان كذب أسلمته ...
هذه القضية قام الخمسة فى نقض الصحيفة فلما اخرجوها وجدوها أكلتها الارضة إلا ...
باسمك الكريم فوجدوها كذلك فخرقت الصحيفة ونقضوا ما فيها ثم قال أذكرتنا باكلها ...
منسات سليمان وكان من قضيتها انه سمع الناس يقولون ان الجن تعلم الغيب وابى ذلك عليه ...
والسلام فدعا الله تعالى يوما ان يرى الانس آية يعلمون بها ان الجن لا يعلمون شيئا من الغيب ...
فكان عليه الصلاة والسلام يعمل مرات كما يعمل أصحاب الخلوات فكان عليه الصلاة والسلام ...
ينصب عصاه فى الارض ويضعها على جبهته متكئا عليها براسه مشتغلا فى ذلك بالله عن غيره ...
فيمكث فى ذلك اياما تلك عادته فقبضه الله فى تلك الحالة وتوفى ولم يعلموا بموته والجن يخدمونه ...
على كل حال خوفا وقهرا فما تفطنوا لموته حتى أكلت الارضة عصاه فلما أكلتها سقطت العصا ...
فسقط عليه الصلاة والسلام فتبينت الجن حينئذ ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب ...
المهين فعند ذلك ابانت الآية للانس ان الجن لا تعلم الغيب * ثم قال رضى الله عنه

*(وَبِهَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ وَكَمْ أَخْـرَجَ خَبْأً لَهُ الْغُيُوبُ خِبَاءُ)

أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بصحيفة قريش ان الارضة أكلتها وهى احدى معجزاته ...
الله عليه وسلم واخباره بالغيب وكم أخرج صلى الله عليه وسلم من المخبئات فى الغيب ...
تلك المخبئات لها الغيب كالخباء الساتر لنا فاخرجها صلى الله عليه وسلم كشفا بالغيب وتلك من
معجزاته صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

الطعام عنهم حتى يسلموا لهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليقتلوه (اذ شدت) بفتح شين شددت وصممت (عليه) أى على مبرم الصحيفة وابقاء ما فيها (من العدا) كفار مكة وغيرهم (الأنداء) بفتح همزة جمع نادجمع للناس للتحدث والسمر والمراد القبائل والعشائر (أذكرتنا) أى ذكرتنا الارضة بعد نسياننا (بأكلها) أى بسبب أكلها الجميع ما كتبته قريش فى الصحيفة غير باسمك اللهم (أكل) بنصب مفعول ثان أى أكلها (منساة) بكسر ميم العصا (سليمان) ابن داود على نبينا وعليهما الصلاة والسلام (الارضة) بفتح همزة وراء كقصبة وتسكن كاهنا دويبة تأكل الخشب أكلا ذريعا (الخرساء) من لا يقدر على الكلام لعقدة فى لسانه (وبها) أى وبأكل الارضة لما كتبته قريش فى الصحيفة غير باسمك اللهم

(أخبر النبى) سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عمه أبا طالب وأخبر هو قريشا بذلك فانها لا تعمى ...
الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور (وكم) مرات كثيرة (أخرج) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (خبئا) بفتح ...
خاء أى مختبئا ومغيبا عن الخلق باخباره قبل وقوعه (له) أى لذلك المخبأ (الغيوب) جمع غيب (خباء) بكسر خاء ككساء ...
ما يتخذ من الابنية تكون من وبر أو شعر أو جلد

*(لَا تَخِلْ جَانِبَ النَّبِيِّ مُضَاماً * حِينَ مَسَّتْهُ مِنْهُمُ الأَسْوَاءُ)*

يعنى ما تراه من جريان المصايب عليه من المشركين وتظاهرهم عليه بالغلبة والقهر وما وصلوا اليه من الاذى فى جانبه مما لا يحصى ولا يكيف اذا سمعت ذلك فلا تخل جانب النبى صلى الله عليه وسلم مضاما عند ربه لكونه تركه أو أهانه أو أذله لا تخل ذلك فى جانبه بل تلك سنة الله الجارية فى اكابر اصفيائه من خلقه ان يبتليهم و يشد عليهم المصائب ومن جملة المصائب اشتداد الاذاية عليهم من الخلق وذلك لاجل ان مرتبة القلوب عند الله تعالى صعبة المدرك شديدة المنال من قدرله سبحانه وتعالى بلحوقها اذاقه الوبال الشديد ومن هذه الحيثية كان حاله صلى الله عليه وسلم مع المشركين شدد عليه حتى ناله ما ناله منهم ومع هذا لا تخل جانب النبى مضاما عند ربه فهو صلى الله عليه وسلم فى غاية العز والرفعة عند ربه وقد ورد فى الحديث قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء الحديث ثم قال رضى الله عنه

*(كُلُّ أَمْرٍ نَابَ النَّبِيِّينَ فَالشِّدْ * دَةُ فِيهِ مَحْمُودَةٌ وَالرَّخَاءُ)*

قال كل أمر ناب النبيين سماه ناب لكون الامور ترد على الشخص نوبة بعد نوبة فان مجمع الامور خيرا وشرا لا طاقة لاحد بها ولو جميع الخير اتابه لا طاقة لاحد بها الا أن يصل اليه الامر نوبة بعد نوبة فان الجنة مكان هى مجمع الخيرات والسرور فلو أن شخصا قدرناه يتنعم بجميع نعيمها فى آن واحد يعنى نعيمها بالحور ومختلفات الشهوات وشم الروائح العطرية والتنزه فى المنازه العينية وسمع النغمات الطيبة لو قدرناه ان يجتمع له فى آن واحد لم يقدر لانه لا طاقة له الا ان تأتيه الامور شيئا بعد شئ فان الامور لا تأتى الا نوبة بعد نوبة والشئ الذى ناله فى نوبته بالضرورة أن غيره غائب هنالك حتى يرد فى نوبته بغيبة غيره عنه فاذا عرفنا المناب فى الامور وان كل أمر له نوبة يرد على الشخص وحده قال كل أمر ناب النبيين معنى أن كل امر ورد عليهم فى نوبته فذلك الامر لا يخلو اما أن يكون شدة أو رخاء قال كل موادر النبيين خله محمود وذلك انهم فى كل لحظة من الزمان هم فى حضرة الله سبحانه وتعالى لا يخرجون عنها حتى لحظة واحدة وبذلك كانت أوقاتهم كلها محمودة فهم فى ذلك الحال ينظرون مايرد من جهة الحق سبحانه وتعالى ولا يغيبون عن هذا حتى لحظة واحدة فان ورد عليهم مايلائم الاغراض من كل محبوب شكروا عليه فذلك حقه وان ورد عليهم ما ينغص أو يؤلم تلقوه بالصبر والرضا والتسليم ولا ينافروه ولا يجزعوا منه فانهم على كل حال فى تحصيل رضا الله تعالى ومحبته لهم انما ينفر من العذاب والمصائب وتسليط الخلق من كان فى غيبته عن حضرة القدس فانه مرمى خلف حجاب الكون فصاحب هذا لا يقدر أن يذوق من البلاء حتى مقدار لمحة لضعفه فان الانسان خلق ضعيفا وأما من كان فى حضرة القدس راسخ القدم صاحى العقل لم تخلله الجذبات الالهية يعنى لم تختل نظام عقله بل هو غريق الجذبات الالهية وهو غاية الصحو والكمال فان هذا يمده الله بالقوة الالهية فيحمل من البلاء ما لا تحمله السموات والارض على غاية عظمها يقول العارفون من كشف له عن ذرة من التوحيد حمل السموات والارض على شعرة من أجفان عينيه بالقدرة التى أعطيها فاذا عرفت هذا عرفت أن

(لا تخل) بفتح فوقية وخاء لا تظن (جانب) أى كل (النبى) سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (مضاما) بضم ميم مضيعا ومهانا (حين) وفى نسخة حيث (مسته) أنالته وأصابته (منهم) أى من الكفار (الاسواء) بفتح همزة جمع سوء مكروه وضر كضر بهو شجه وخنقه وغير ذلك (كل أمر) مكروه وضر (ناب) أصاب ومس (النبيين) والمرسلين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام (فالشدة) الحاصلة لهم (فيه) والمشقة الواقعة لهم منه (محمودة) ومحبوبة لهم لانها رفع درجاتهم وتكثير حسناتهم لحديث أشدكم بلاء الامثل فالامثل (والرخاء) بفتح راء السعة وكثرة الخير

الانبياء فى وقت ورود البلايا عليهم ليست حالتهم كحالة أصحاب الحجاب وانظر الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين كان مرميا فى المنجنيق ملقى به الى النار اعترضه جبريل فى الهواء وكان الله سبحانه ناداه ياجبريل ان سبقك الخليل الى النار لأمحون اسمك من ديوان الملائكة فأتاه فى أسرع من طرفة عين واعترضه فى الهواء قال له ألك حاجة ياابراهيم قال له أما اليك فلا قال له سله قال له ابراهيم حسبي من سؤالى علمه بحالى رأى عليه الصلاة والسلام وهو فى غاية الشدة والضيق رأى أن اشتغاله بالسؤال اشتغال عن الله تعالى فلم يعبأ بذلك ولا التفت اليه فثبت على الحالة التى أقامه الله فيها فى ذلك الوقت فكان فى عاقبته ماذكر الله عنه فى قوله تعالى قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وكذلك حال الانبياء فى البلاء قيل للشيخ أحمد الرفاعى رضى الله عنه ما علامة المتمكن يعنى متمكنا من حضرة القدس التى لا تزعجه مواردها قال هو الذى لو نصب على أعلى شاهق ثم هبت عليه الرياح الثمانية بأشد مايكون فلا تحرك منه شعرة لتمنى زوالها أراد بالرياح الثمانية البلايا التى انصبت على جميع الوجود فى جميع الاعصار وردت عليه بجميع مرارتها وعذابها لم تحرك منه شعرة لتمنى زوالها والامر الذى نابهم عليهم الصلاة والسلام فان كان من أمور الشدة فمحمود يعنى محمودة عاقبته وان كان من أمور الرخاء فمحمودة عاقبته وكون عاقبته محمودة لكونهم قاموا بأمر الحق فى جميع ذلك فاورد عليهم من الشدائد والمحن قابلوه بالصبر والرضا والتسليم وتلقوا حكم الله بالقبول فذلك حق الله منهم وماورد من جهة الرخاء والنعم عليهم قابلوه بالشكر التام وقابلوه بما ينوبه من القيام بأمر الله تعالى فلتوفيتهم بالحقوق الالهية فى الامرين كانت جميع أمورهم محمودة وهذا بخلاف أصحاب الحجاب فان أصحاب الحجاب أبدا الباب مغلوق بينهم وبين الله تعالى ان وردت عليهم البلواء والضراء اشتغلوا بالتخبط فى رمضائها وتجرع مرارتها لا يلتفتون الى الله تعالى ولا يعلمونه لما هم فيه من شدة الامر ففاتهم الصبر فى ذلك وفاتهم القيام بأمر الله وضاع وقتهم هباء منثورا وان كانوا فى حالة النعماء والفرح والسرور اشتغلوا عن الله تعالى فى التقلب فى لذات نفوسهم وتكامل شهواتها فغفلوا عن الله ولا يعلمونه وفاتهم الشكر حينئذ وضاعت منهم حقوق الحق فى النعماء اشتغالا بشهوات نفوسهم فضاعت أوقاتهم وصارت هباء منثورا فهذا حال الانبياء فكل أمورهم محمودة فى الشدة والرخاء * ثم قال رضى الله عنه

*(لَوْ يَمَسُّ النُّضَارَ هُونٌ مِنَ النَّا * رِ لَمَا اخْتِيرَ لِلنُّضَارِ الصَّلَاءُ)*

ذكر هذا المثل فى هذا البيت مفرعا على قوله كل أمر ناب النبيين الخ قال لو يمس النضار هون من النار البيت معناه لا تنظر الى مايجرى على الانبياء من البلايا والمحن وتظن أن هول ذلك يزعجهم عن الثبوت لامر الله تعالى بحقه بل هم فى ذلك الامر الذى تراه فى غاية المرارة والشدة ثابتون لامر الله كالجبال الرواسى تمر بهم تلك البلايا فلا تحرك منهم شعرة ألم الجزع من أمر الله فضرب لهم مثلا فقال النضار جمع نضير والنضير هو المتغذى بغاية النعم وتوفر الشهوة من كل شئ مع عدم المزعج من جميع المنغصات فان الانسان اذا كان على هذه الحالة ظهر الجمال والرونق على وجهه حتى يعرف أنه كامل اللذة والسرور بما لاح على وجهه يقول سبحانه وتعالى فى وصف أهل الجنة تعرف فى وجوههم نضرة النعيم قال فهذا النضار اذا عرفتهم وعرفت حالهم اذا وقفوا بازاء النار وجرها يمسهم

(لو يمس) بفتح تحتية وميم يصيب (النضار) بضم نون كغراب الذهب وفى نسخة بتشديد كرمان جمع نضير كنعيم من النعومة وزنا ومعنى بنصب مفعول به (هون) بضم هاء كفول هوان ونقصان (من النار) من ادخاله فيها لتصفيته وتخليصه من الغش (لما) نافية (اختير) بكسر فوقية مبنى للمفعول (للنضار) بتخفيف ضاد وتشديده لا يقبله الوزن الذهب (الصلاء) بكسر صاد ككساء النار أى تذويبه بها بقصد تصفيته من الغش لعزته على النفس

لم يغير شيئا من نواصيهم التي تكامل فيها النعيم يريدوان النار وان قاربتهم حرها لم تؤثر فيهم شيئا من بواطنهم فهذا معنى البيت ، ثم قال رضي الله عنه

﴿ كَمْ يَدٍ عَنْ نَبِيِّهِ كَفَّهَا اللهُ ، وَفِي الْخَلْقِ كَثْرَةٌ وَاجْتِرَاءُ ﴾

أخبر في هذا البيت ان الله سبحانه وتعالى تولى عصمة نبيه صلى الله عليه وسلم بنفسه بعد ماسلط عليه الخلق وشدة شرهم عليه تولى عصمته بنفسه كما في ليلة قعد له كفار قريش على الباب ليقتلوه فعصمه الله منهم وفي قصتها أنزل سبحانه وتعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله الآية فعصمه الله منهم بعدما تواتروا على قتله وفي قضية بني النضير حين ترتبت عليه دية العامريين صلى الله عليه وسلم خرج الى بني النضير يستعين بهم على ذلك خرج في جمع من أصحابه الى بني النضير وسألهم أن يعينوه صلى الله عليه وسلم بشئ من المال فانعموا له بذلك ثم قالوا له اجلس حتى نجمع لك ماتقدر عليه من المال وأجلسوه هو وأصحابه في مكان تحت جدار عال فجلس ينتظرهم ثم مكروا بينهم به وأمروا بعضا منهم أن يحملوا رحى عظيمة على رأس الجدار ويطرحونها عليه فلما فعلوا ذلك وذهب الذين يأخذون الرحى ويصعدون بها الى رأس الجدار نزل جبريل عليه الصلاة والسلام في خفية واخبره صلى الله عليه وسلم بما فعلوا وأمره بالقيام من ذلك المكان فقام صلى الله عليه وسلم وترك أصحابه جلوسا هنالك وذهب يظنون انما قام لقضاء حاجة فذهب الى المدينة على وجهه ولم يرجع فلما وصل المدينة بعث الى أصحابه فجاؤا وكانوا اذ ذاك معه في العهد والهدنة وكان حين دخل المدينة صلى الله عليه وسلم عاهد جميع يهود من أهل القرى التي حول المدينة عاهدهم أن لا يؤذوه ولا يؤذيهم فلما فعلوا هذه تحرك للغزو عليهم صلى الله عليه وسلم فكان في قصتهم ماذكره الله تعالى في سورة الحشر فكان أمرهم حين نزل عليهم أن ذلوا وهانوا واستكانوا فخيرهم صلى الله عليه وسلم بين اثنين اما أن يترك لهم أموالهم وأملاكهم ويأخذ نساءهم وأولادهم ملكا بيمينهم واما أن يعطيهم نساءهم وأولادهم ويأخذ أموالهم وأملاكهم فاختاروا نساءهم واولادهم ويخرجون فاخرجهم صلى الله عليه وسلم الى الشام فانزل الله في عصمة الله قوله تعالى ، يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم الآية وروى من طريق أخرى أن هذه الآية نزلت في قضية العامري عدو الله عامر بن الطفيل لعنه الله وكان من كثرة قبائله في عز وسعد فقال لبعض خاصته انى ذاهب اليه لاقتله ثم قال له اذا وصلنا اليه انا أجلس بين يديه أكلمه وأنت اجلس من ورائه فانا أشغله عنك بالحديث فاذا رأيتنا اشتغلنا بالحديث قم اليه من حيث امكن لك فاضرب عنقه فجاآ لهذا المطلب حتى قدما عليه صلى الله عليه وسلم فكان يحدثه وحده والرجل خلف النبي صلى الله عليه وسلم فانتظره أن يفعل ماقال له فلم يفعل فلما قاما من عنده قال له مالك فيما أوصيتك عليه قال له كلما قمت لضرب عنقه غاب عني فلم أره ولم أر الا أنت فلو ضربت لضربت عنقك ثم قال له لاحيلة الى اليه ولا قدرة لنا على الوصول اليه فجاء اللعين متغيظا حين أراد الخروج من المدينة جاء اليه صلى الله عليه وسلم وقال له والله لاملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مردا فقال له صلى الله عليه وسلم اللهم اكفناه بما شئت فخرج الملعون الى أهله فضربه الطاعون في الطريق فجبل منيته فرض عند بني سلول فلما رأى مانزل به وأحس بالموت وكان عنده من كان من بني عامر قال لهم متشكيا يابني عامر أغدة كغدة الابل وموت في بيت امرأة

(كم يد) عاتية طاغية (عن نبيه) سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (كفها) ومنعها (الله) سبحانه فضلا وكرما منه لقوله والله يعصمك من الناس (وفي الخلق) أي وفي أهل الكفر (كثرة واجتراء) وشجاعة

(اذ) حين (دعا) نادى حال كونه (وحده) الى توحيد الله وعبادته والايمان به وبما جاء به (العباد) حمرا وسودا ج

وانسا (وأمست) حصلت ووقعت (منه) أى من أجل دعائه لهم الى ما ذكر (فى كل مقلة) بضم ميم كغرفة شحمة العين بياضا وسوادا (أقذاء) بفتح همزة وذال معجمة جمع قذى بفتحتين ما يقع فى العين ويؤذيها (هم) أراد وقصد (قوم) كفار (بقتله) بالسيف معروف (فأبى) امتنع (السيف) ان يصله بمكروه (وفاء) أى لأجل وفائه بما أخذ عليه من العهد بالايمان به وتعظيمه فى عالم الذر (وفاءت) رجعت وولت (الصفواء) الحجارة الصلبة وراءها ويبست فى يد من أراد قتله بها وفاء منها بما أخذ عليها من العهد أيضا وفى نسخة الصفراء براء كم رأينا ما ليس يعقل قد ألـ[هم] ما ليس يلهم العقلاء (و) فاء ورجع خاملها (أبو جهل) عمرو بن هشام اللعين (اذ) حين (رآى) أبصر وعاين (عنق) الجمل الضخم (الفحل) الذى لم ير مثله قط ظهر (اليه) وهم ان يأكله (كأنه) أى كأن ذلك الفحل (العنقاء) الداهية العظمى أو طائر عظيم كان يخطف الصبيان (واقتضاه) أى طلب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبا جهل ان يؤدى (دين) بفتح دال حق كهلة (الاراشى) بكسر همزة أتى مكة بابله فباعها لأبى جهل فمنعه من حقه (وقد ساء) قبح وخبث (بيعه والشراء) أى وشراؤه فكان سيء وخبيث المعاملة لخبث...

سلولية فتوفى هنالك وانقطع ذكره فأنزل الله تعالى فى شأنه هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم الآية وكما فى قضية سراقة بن مالك المدلجى وكان خرج اليه ليرده الى قريش يقتلونه فكان من قضيته ما سبق فى قضية الهجرة وكما فى قضية الهجرة أيضا وهو فى الغار صلى الله عليه وسلم سهل التناول عليهم اذ كانوا بباب الغار فردهم الله عنه بما راوه من نسج العنكبوت وبيض الحمام حتى قال له أبو بكر لو نظر احدهم عند رجله لرآنا فقال له صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال له لا تحزن ان الله معنا فقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية أن الله أيده بجنود لم تروها فكانت الملائكة تحرسه فلو أراد واحد منهم أن يمد يده اليه لأخذته الملائكة * قوله وفى الخلق كثرة واجتراء كثرة أعدائه واجتراؤهم عليه والاجتراء هو شدة الاقدام على الشيء وعدم التوقف فيه فوقاه الله تعالى وعصمه من شر الاعداء وأيده على كثرتهم ونصر بعضهم بعضا عليه وعلى شدة جرأتهم عليه ومع ذلك عصمه الله منهم * وفى الحديث يقول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لقد أخفت فى الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ومعنى لقد أخفت فى الله معناه خوفنى الله بخلقه فى وقت لم يخف فيه أحد من الخلق والناس كلهم آمنون بعضهم بعضا الا أنا وحدى خائف ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد معناه آذانى الناس لاجل نسبتى الى الله وما يؤذى أحد لانه اخبر صلى الله عليه وسلم عن شدة بلائه ومقاساته الشدائد والمحن * ثم قال رضى الله عنه

*(إِذْ دَعَا وَحْدَهُ الْعِبَادَ وَأَمْسَتْ * مِنْهُ فِى كُلِّ مُقْلَةٍ أَقْذَاءُ)*

قال كم كف الله سبحانه وتعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم من أيدى الاعداء مع شدة قوتهم عليه ثم قال اذ دعا العباد الى الله تعالى الى الايمان به وتوحيده وافراده بالعبادة فلاقته الاعداء بالاذاية والسوء فكف الله أيديهم عنه قال وامست منه فى كل مقلة اقذاء يعنى امست منه أو من دعوته الى الله تعالى امست فى كل مقلة من مقل الكفار اقذاء والقذى هو الضرر الذى يعترى العين فيمنعها من البصر كالسحاب الذى يضرب دون الشمس فيمنعها من وصول النور الى الارض والمقلة هى جوهرة العين الباصرة * ثم قال رضى الله عنه

(هَمَّ قَوْمٌ بِقَتْلِهِ فَأَبَى السَّيْـــفُ وَفَاءً وَفَاءَتِ الصَّفْرَاءُ)

قال هم قوم بقتله فى قضية بنى النضير وقضية عامر بن الطفيل وقضية قريش حين اجتمعوا على قتله قال هم قوم بقتله وراموا أن يقتلوه فابى السيف وفاء * يعنى وفى السيف بامر الله تعالى من حيث السيف ان الله يغضب لذلك غضبا شديدا وفى السيف بامر الله تعالى أن يصل اليه وفاءت الصفراء يعنى فاءت رجعت والصفراء هى قطعة من الحديد الصافى وهى السيف رجعت عما اراده فاعلها من الاذى والقتل * ثم قال رضى الله عنه

(وَأَبُو جَهْلٍ إِذْ رَأَى عُنُقَ الْفَحْـــلِ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ الْعَنْقَاءُ)

*(وَاقْتَضَاهُ النَّبِيُّ دَيْنَ الإِرَاشِيِّ * وَقَدْ سَاءَ بَيْعُهُ وَالشِّرَاءُ)*

وقضية أبي جهل لعنه الله هذا هو انه كان اشترى ابلا من رجل إراشى وماطله فى حقه ولم يعطه شيئا فكان يستنصر عليه أنداء قريش فلم يجد من ينصره فيه فلما كان ذات يوم وهو فى ذلك الحال يستغيث بهم فقال له بعض كفار قريش يستهزئ به ويسخر لا ينصفك منه الا ذاك الرجل وأشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جالسا وحده فجاء الرجل اليه صلى الله عليه وسلم وشكى له مافعل أبو جهل وأخبره انه لم يجد ناصرا ولا مغيثا وقال له انهم أشاروا الى أنك أنت الذى تنصفنى منه فأنصفنى منه وأغثنى فلما قال ذلك رحمه صلى الله عليه وسلم وقام مسرعا وقال له تعال وذهب معه الى دار أبى جهل فدق الباب عليه صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل من قال له محمد فخرج اليه منتقعا لونه وقال ماذا فقال له صلى الله عليه وسلم اعط هذا الرجل حقه قال نعم لا ينصرف حتى أعطيه حقه وكان نادى قريش ينظرون اليه حين طلع وكان المستهزئ هو الذى أخبرهم بذلك فلما رأوه قام معه تعجبوا منه وقالوا الرجل منهم اذهب معهما فانظر ماذا يقع بينهما فكان حاضرا فدخل أبو جهل وخرج سريعا وأعطى الرجل جميع ماله ثم انصرف وانصرف صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم الرجل وسألوه قال لهم رأيته حين دق عليه الباب خرج منتقعا لونه ثم قال له اعط هذا الرجل حقه قال لهم رأيته دخل وخرج بسرعة وأعطاه جميع ماله فتعجبوا فلما جاء أبو جهل لعنه الله الى نادى قريش سألوه وقالوا ويلك ماذا فعلت اليوم أزعجت من محمد قال انه لما دق على الباب ظهر فحل من الابل فى الدار وأخبرهم عن شدة عظيمة نالت الفحل وشدة شده قال لهم لو لم أخرج لأكلنى ولو امتنعت من أداء المال لأكلنى فاذله الله بذلك فلما أخبر بها صلى الله عليه وسلم قال ذلك جبريل عليه الصلاة والسلام كأنه العنقاء والعنقاء دابة بأرض الصين والهند تطير لها عنق طويل كعنق الجمل تأكل الآدمى وغيره من الدواب امتد اليه عنق الفحل يريد كما يمتد عنق العنقاء الى الرجل التى أرادت أكله فخرج اليه مضيوعا منه عقله من شدة الخوف فاقتضاه النبي دين الاراشى البيت * ثم قال رضى الله عنه

﴿ وَرَأَى الْمُصْطَفَى أَتَاهُ بِمَا لَمْ * يَنْجُ مِنْهُ دُونَ الْوَفَاءِ النَّجَاءُ ﴾

يعنى فعل اللعين ذلك الذى فعل من تضيعة عقله وذهاب عناده لكونه رأى المصطفى أتاه بالامر العظيم وهو الفحل حيث لا ينجيه منه الا الوفاء لذلك الدين الذى لذلك الاراشى * قوله النجاء النجاء جمع ناج والناجى اذا رأى ذلك لا يسمى ناجيا الا اذا وفى بالمال والنجاء بالفتح مبالغة فى النجاة يعنى هو كثير النجاة باعماله كلما رأى تهلكة توجهت اليه أخرج اليها عملا ينجو به منها وصاحب هذا الفعل اذا رأى مثل مارأى أبو جهل على أنه لا ينجيه من هذه الورطة الا أداء المال فأنجا نفسه بذلك * ثم قال رضى الله عنه

﴿ هُوَ مَا قَدْ رَآهُ مِنْ قَبْلُ لَكِنْ * مَا عَلَى مِثْلِهِ يُعَدُّ الْخَطَاءُ ﴾

كأنه قدر هذا البيت اعتراض معارض يقول المعارض فى هذا أبو جهل كان كافرا بالله مكذبا لرسوله صلى الله عليه وسلم فكيف يشاهد هذه المعجزة وكيف يظهر له جبريل فى هذا الطور مع ما هو فيه من الكفر والانسان الكافر لا يرى مثل هذا أجاب عن هذا الاعتراض المقرر فسأل هو ما قد رآه قبل ولا وقع أصلا لاحد حين أخبر عن ذلك لا يعد الخطاء على مثله لانه فى غاية العناد للنبي صلى الله عليه وسلم والمكابرة له مع شدة حسده وعداوته فحق من كان فى هذا الوصف أن لا

(ورآى) أبصر وشاهد اللعين (المصطفى) سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (أتاه) أى جاءه (بما) أى بفحل عظيم ما رآى مثله قط (لم ينج) بفتح تحتية وضم جيم من نجا كدعا أو بضمها وكسر جيم من أنجاه خلصه وأنقذه (منه) أى من ذلك الفحل (دون الوفا) بقصر أى دون أداء وقضاء ذلك الدين (النجاء) بفتح نون وتشديد جيم كشداد وفى نسخة دون الوفاء النجاء بعد الوفاء وتخفيف جيم النجاء النجاة وفى نسخة بكسر نون وضمها مع تخفيف جيم فيهما جمع ناج كرعاء بكسر راء وضمها جمع راع (هو) أى الفحل الذى رآه فى هذه الواقعة (ما) أى الفحل الذى (قد رآه) فى الواقعة المذكورة (من قبل) أى من قوله وفاءت الصفواء الخ (لكن) لا استغراب واستعجاب فى ذلك لان هذا اللعين (ما) نافية (على مثله) وشبهه فى العتو والضلال (يعد) بضم تحتية وفتح عين مبنى للمفعول (الخطاء) كسماء ضد الصواب والسداد لكثرة خطئه وعدم انحصاره

هنا انتهى الربع الاول

(وأعدت) هيأت ويسرت (حمالة الحطب) امرأة أبى لهب تبالها ولزوجها (الفهر) بكسر فاء كضرس حجر يملأ الكف (وجاءت) ترميه بذلك الحجر مسرعة عجلة (كأنها) فى سرعة مشيها الحمامة (الورقاء) التى يخالط سوادها بياض (يوم) ظرف لأعدت (جاءت) حال كونها (غضبى) غاضبة وغائظة لما سمعت بسورة تبت يدا أبى لهب الخ (تقول)

يخبر بهذه لان فى هذه المعجزة الكبرى للنبى صلى الله عليه وسلم وفيها صدق دعواه صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى وفيها شرف رتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادلال رتبته هو وانحطاطها لاشك أن الحاسد لا يريد هذا ولا يرضى به لعدوه وان وقع كتمه فاخبر به على هذه الامور واخباره يدل على أنه واقع حقا اذ لا يتأتى له الكذب فى مثل هذا * ثم قال رضى الله عنه

(وَأَعَدَّتْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ الْفِهْـــرَ وَجَاءَتْ كَأَنَّهَا الْوَرْقَاءُ)

اخبر فى هذا البيت عن الملعونة أم جميل بنت حرب وكانت زوجة عمه أبى لهب فلما سمعت ما نزل فيها وفى زوجها سورة تبت يدا أبى لهب الآية جمعت فهرا من حجر وجاءت قاصدة لتضرب به فم النبى صلى الله عليه وسلم فقصدته فى المحل الذى يجلس فيه مع أبى بكر فقصدتهما فاخذ الله ببصرها عنه صلى الله عليه وسلم فلم تر الا أبا بكر فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فلم يجبها أبو بكر فقالت له والله لو وجدته لضربت فاه بهذا الفهر عليها لعنة الله وانصرفت ثم جاءت كأنها ورقاء يعنى كأنها طائر مطرود من شدة الحقد * ثم قال رضى الله عنه

(يَوْمَ جَاءَتْ غَضْبَى تَقُولُ أَفِى مِثْـلِى مِنْ أَحْمَدٍ يُقَالُ الْهِجَاءُ)

(وَتَوَلَّتْ وَمَا رَأَتْهُ وَمِنْ أَيْـنَ تَرَى الشَّمْسَ مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ)

لما سمعت ما نزل فيها وفى زوجها جاءت غضبى تقول فى مثلى يقال الهجاء وتولت وما رأته لانها ظاهر * ثم قال رضى الله عنه

(ثُمَّ سَمَّتْ لَهُ الْيَهُودِيَّةُ الشَّاةَ وَكَمْ سَامَ الشِّقْوَةَ الْأَشْقِيَاءُ)

اخبرهنا فى هذا البيت بما فعلته اليهودية فدل وكانت قد أهدت له شاة مصلية وسألت أى الاعضاء أحب اليه فى الأكل من الشاة قيل لها الذراع فسممت له الذراع صلى الله عليه وسلم فنهش نهشة فلاكها بفمه ثم كلمه الذراع وأخبره أنه مسموم فوضعه ثم بعث الى اليهودية فجىء بها اليه فقال لها ما حملك على ما صنعت وأخبرها بما فعلت من السم فقالت له قلت ان كان نبيا فسيخبر بذلك وان كان ملكا فاسترحنا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم وتركها وسرحها فهذه احدى معجزاته كلمه الذراع قال وكم سام الشقوة الاشقياء والشقوة هنا التى غلبت على اليهودية حتى فعلت ما فعلت به صلى الله عليه وسلم يعنى كم قصد الشقوة الاشقياء بفعلهم بالاخيار فاليهودية حلت بهذه الشقوة حيث سلطها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم حتى فعلت من السم ما فعلت قاصدة قتله صلى الله عليه وسلم فهذه الشقوة التى حلت بها * ثم قال رضى الله عنه

*(فَأَذَاعَ الذِّرَاعُ مَا فِيهِ مِنْ شَرٍّ * بِنُطْقٍ إِخْفَاؤُهُ إِبْدَاءُ)*

حال كونها قائلة (أ) يقال الهجاء (فى مثلى) بفتح ياء متكلم وأنا بنت سيد بنى مخزوم (من أحمد) بتنوين للضرورة (يقال) مبنى للمفعول (الهجاء) بكسر هاء كـكساء السب والشتم والذم لزعمها ان القرآن من تقولاته (وتولت) بتشديد لام رجعت حسرى (و) الحال أنها (ما رأته) صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع أنه جالس مع أبى بكر وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم كالشمس فى الظهور عند أصحاب العقول السليمة وهذه كما أعمى الله بصيرتها أعمى بصرها عنه (ومن أين ترى) تبصر (الشمس) فى الظهيرة (مقلة) كغرفة شحمة العين بياضا وسوادا (عمياء) فاقدة النور (ثم سمت) أى جعلت السم القاتل لحينه (له) أى للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (اليهودية) زينب بنت الحرث (الشاة) وأكثرت السم فى الذراع والكتف لما قيل لما انه يحبهما كثيرا (وكم سام) كقال من السوم جعل الثمن للسلعة عند الشراء (الشقوة) بكسر شين وتفتح الشقاوة ضد السعادة (الاشقياء) جمع شقى ضد سعيد (فأذاع) بذال معجمة أفشى وأظهر (الذراع) بذال معجمة ككتاب عضو المفصل مؤنث ويذكر كما هنا (ما) جعلت (فيه) اليهودية (من سم) قاتل لوقته وفى نسخة من شر (بنطق) بكلام فصيح (اخفاؤه) بكسر همزة استتاره واكتتامه على الحاضرين (ابداء) بكسر همزة اظهارا واعلانا للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لانه قال أخبرنى

هذه الذراع بانها مسمومة (ويخلق) بضم خاء كقفل أي و بسبب خلق عظيم (من النبي) الكريم الحليم الرؤف الرحيم (كريم) بجر نعت خلق (لم تقاصص) بضم فوقية وفتح صاد مبني للمفعول أي لم تقتل وفي نسخة لم تعاقب (بجرحها) بفتح جيم كفلس مصدر والاسم الجرح بالضم كقفل أي لبواطنهم (٥١) بذلك السم فانه يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر (العجماء) البهيمة التي لا تميز بين مضرة ومصلحة أولئك كالانعام بل هم أضل أي وبخلق كريم من النبي (من) بفتح ميم كرد أنعم وأكرم (فضلا) وكرما وجودا منه (على هوازن) برد نسائهم وصبيانهم ونفي الرق عنهم لانهم قبيلة حليمة السعدية وهم أهل حنين (اذ) تعليلية (كان) ثبت (له) أي للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (قبل ذلك) المن وهو رضاعه (فيهم) أي من بينهم (رباء) كسماء تربية ونشأة وهم أخواله وأقاربه من الرضاع (وأتى) جاء (السبي) أي ما سباه المسلمون وهم عشرة آلاف من حنين الى الجعرانة (فيه) أي في ذلك السبي (أخت) له صلى الله عليه وعلى آله وسلم من (رضاع) بكسر راء وفتحها اسمها الشيماء بفتح شين معجمة (وضع) صغر وحقر (الكفر قدرها) شأنها (والسباء) بكسر سين ككساء (حباها) أكرمها وأعطاها وأنالها (برا) بكسر باء احسانا عظيما وعطاء كثيرا وصلة جزيلة (توهمت) ظنت (الناس) الذين رأوا ذلك (به) أي بسبب ذلك البر والخير والاكرام الذي أكرمها به (أنما) بفتح همزة أن (السباء) بكسر سين جمع سبي النساء المسبيات معها (هداء) بكسر هاء ككساء مصدر هديت المرأة الى بعلها أي مهديات العروس لزوجها لكثرة احسانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لكل من سبي معها أي وقع في قلوب من رأى ذلك ان مثل هذا الاحسان انما يفعل لمن أهدى العروس لزوجها لا لمن سبي وأسر

قلنا حين سمته صلى الله عليه وسلم وكتمت ذلك وتركته عندها سرا لا تبديه فاذاع الذراع ما فيه من الشر وهو تخفية السم فاذاع الذراع أيضا فنطق وقال له جهارا يا رسول الله اني مسموم اخفاه ذلك النطق عمن كان معه صلى الله عليه وسلم وهو أخفاه عنهم وهو ابداء له صلى الله عليه وسلم اي اظهار * ثم قال رضي الله عنه

*(وَبِخُلُقٍ مِنَ النَّبِيِّ كَرِيمٍ * لَمْ تُقَاصَصْ بِجَرْحِهَا الْعَجْمَاءُ)*

أراد بها فدك اليهودية التي سمت الذراع صفح عنها وعفا عنها بخلقه الكريم اذ كان متخلقا بأخلاق الحق سبحانه وتعالى من سعة الرحمة الالهية بكل مخلوق ومن سعة العفو والكرم عن كل مذنب ومسيء ومن سعة الحلم عن كل شئ فيه خلق سيء فهذه الأخلاق التي تخلق بها صلى الله عليه وسلم وهي أخلاق الحق سبحانه وتعالى مع كونه مشتملا على ما في الحضرة الالهية من الاخلاق الكريمة فبتلك الاخلاق عفا عن العجماء التي سمته وأبى أن يعاقبها صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضي الله عنه

*(مَنَّ فَضْلاً عَلَى هَوَازِنَ إِذْ كَا * نَ لَهُ قَبْلَ ذَاكَ فِيهِمْ رِبَاءُ)*

أخبر في هذا البيت أن من جملة خلقه الكريم أنه بعد ما سبى هوازن واستاق جميع أموالهم من فضلا عليهم حين تضرعوا له قال لهم اختاروا إما أن نرد لكم أولادكم ونساءكم ولا أعطيكم شيئا من المال أو نرد اليكم أموالكم وأبيع نساءكم وأولادكم قالوا له ردّ علينا نساءنا وأولادنا وخذ الأموال فمن عليهم ورد لهم النساء والاولاد إذ رأى الحق لازما عليه فيهم لانهم ربوه وكبر فيهم فلهم أرحام تلزم مراعاتها فلذلك رحمهم وعفا عنهم صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضي الله عنه

*(وَأَتَى السَّبْيَ فِيهِ أُخْتٌ رَضَاعٍ * وَضَعَ الْكُفْرُ قَدْرَهَا وَالسِّبَاءُ)*

أخبر في هذا البيت عن أخته التي وجدها الصحابة في السبي وكانوا يسوقون السبي سوقا عنيفا فلما رأت الشدة عليها قالت لهم أنا أخت نبيكم من الرضاعة فأتوا بها اليه صلى الله عليه وسلم وأخبروه بما قالت وهي واقفة فقالت له أنا أختك من الرضاعة فسألها ما آية ذلك فقالت له في اليوم الفلاني كنت حاملة لك على ظهري فعضضتني من بين اكتافي فصدقها صلى الله عليه وسلم وتركها عنده قال جاءت له أخته يعني في ذل واهانة وضع الكفر قدرها والسباء * ثم قال رضي الله عنه

*(حَبَاهَا بِرًّا تَوَهَّمَتِ النَّا * سُ بِهِ أَنَّمَا السِّبَاءُ هِدَاءُ)*

أخبر في هذا البيت بما فعل بأخته من الرضاعة حباها برا يعني أعطاها عطاء كريما حتى توهم الناس أنه أعطاها ذلك لاجل سبيها لانها مملوكة له وهو انما أعطاها ذلك صلة للرحم اذ كان لها حق عليه من الرحم التي بينهما من الرضاعة اذ المرضعة يتوجه حقها على الولد الذي أرضعته كأنها ولدته فاذا

كان هكذا فالاخت حينئذ من الرضاع من ذوى رحمه لاجل ذلك أعطاها ما أعطاها صلى الله عليه وسلم صلة للرحم * ثم قال رضى الله عنه

﴿بَسَطَ الْمُصْطَفَى لَهَا مِنْ رِدَاءٍ * أَىُّ فَضْلٍ حَوَاهُ ذَاكَ الرِّدَاءُ﴾

يعنى أنه حين أتوا بها اليه وصدقها بما أخبرت بسط لها رداءه عملاً بوصية الله فى صلة الرحم بما ورد عنه سبحانه وتعالى فى الخبر بقوله فى الحديث القدسى هى الرحم وأنا الرحمان شققت لها اسما من اسمى من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وكما ورد فى الخبر انها تعلقت بالحضرة الالهية بقولها يارب هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال لها سبحانه وتعالى أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى يارب قال فهو لك فهذه الوصية هى التى حفظها صلى الله عليه وسلم فهو أحق الناس بصلة الرحم اذ كانت شيمته الوفاء بامر الله ولقد حث صلى الله عليه وسلم فى رحم أهل مصر على غاية بعدها قال لهم اذا فتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم رحما فى العرب فحفظوا الوصية فلما فتحوا مصر كانوا القبط والروم كانوا يشددون على الروم ويسامحون القبط ويرفقون بهم فسألوهم هل عرفتم لماذا فقالوا لهم ان نبينا صلى الله عليه وسلم أوصانا بكم فسألوهم هل عرفتم لماذا فقالوا لا فاخبروهم القبط أن هاجر أم اسماعيل منهم ثم قالوا لهم القبط انها قرابة بعيدة لا يصل مثلها الى نبى قلنا كان صلى الله عليه وسلم يراعى صلة الرحم من كونها استعاذت بالله من القطيعة فلهذا بسط لها رداءه صلى الله عليه وسلم تعظيما للرحم وحفظا لوصية الله وأمره فى ذلك فقال بسط لها رداءه وأجلسها عليه وأى فضل حواه ذلك الرداء فان الوجود كله لا يزنه قدرا * ثم قال رضى الله عنه

﴿فَغَدَتْ فِيهِ وَهْيَ سَيِّدَةُ النِّسْوَةِ وَالسَّيِّدَاتُ فِيهِ إِمَاءُ﴾

قال فغدت فيه أى فى الرداء وهى سيدة النسوة يحق لها أن تسود قال والسيدات من النساء يعنى ذوات القدر والشرف اذا أضيف قدرهن لقدر ذلك الرداء ما يعددن فيه الا اماء لا قدر لهن بالنسبة اليه أى الى ردائه صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

﴿فَتَنَزَّهْ فِى ذَاتِهِ وَمَعَانِيهِ اسْتِمَاعًا إِنْ عَزَّ مِنْهَا اجْتِلَاءُ﴾

قال فتنزه فى ذاته الشريفة وما هى محتوية عليه من المعانى العظيمة اذ كانت متصفة باخلاق الربوبية كما قال الشيخ الاكبر فى صلاته فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وخلعت عليه خلعة الصفات والاسماء وتوجته بتاج الخلافة العظمى وحاصل الامر فيه ان نشأته الشريفة كانت على صورة الحضرة الالهية بما اشتملت عليه من جميع الصفات والاسماء حتى كان العين العين ومن هذه الحيثية فاق جميع غيره فلا مطمع لغيره فى لحوق رتبته قال تنزه فى ذاته ومعانيه استماعا حيث عز عليك ظهورها للعيان والمعانى عز ظهورها للمشاهدة والعيان كما كان فى عصر الصحابة قال اذا عز علينا ذلك الاجتلاء وهو الظهور الذى كان فى عصر الصحابة فتنزه فى ذاته ومعانيه استماعا بما يقص عليك من أخباره صلى الله عليه وسلم اذ قال يوما وهو جالس مع أصحابه صلى الله عليه وسلم قال وددت انى رأيت اخواننا قالوا ألسنا اخوانك يارسول الله قال لا أنتم أصحابى واخواننا الذين لم يأتوا بعد الآن * ثم قال رضى الله عنه

(بسط) كنصر (المصطفى) سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله (٥٢) صلى الله عليه وعلى آله وسلم أى نشر وفرش (لها) أى لأخته الشيماء (من) زائدة (رداء) أى ردائه الشريف اكراما لها وأجلسها فيه (أى) بفتح همزة وتشديد تحتية مبتدأ (فضل) وشرف وفخر خبره جملة (حواه) جمعه وضمه (ذاك الرداء) أى بسبب مسه لجسده الشريف (فعدت) بقاف وعين مهملة من القعود الجلوس وفى نسخة فغدت بفاء عاطفة وغين معجمة صارت فيه أى فى ذلك الرداء أو فى الفضل (وهى) بسكون هاء أى الشيماء السعدية (سيدة) وأفضل وأشرف (النسوة) اللاتى سبين معها (والسيدات) منهن قبل الاسر (فيه) بسبب ما حصل لها من الفضل والاكرام والاجلال والاحترام حيث قعدت فى ذلك الرداء الذى نالت به كل فضل وشرف وتميزت به عن غيرها (اماء) بكسر همزة جمع أمة أى كأنها حيث قعدت فيه سيدة وهن اماء لها (فتنزه) فرح وروح نفسك (فى) صفات (ذاته) البهية ونعوت طلعته السنية (ومعانيه) محاسنه الجميلة ومكارمه الجليلة (استماعا) أى باستماعك واصغائك الى محاسن طلعته البديعة الحسن والجمال والى مكارم ذاته الجليلة العجيبة (ان عز) بفتح عين قل وفقد عنك (منها) أى من ذاته الكريمة المليحة (اجتلاء) أى رؤيتها

ومشاهدتها بعينك (واملاء) بفتح لام من ملا كمنع ضد فرغ (السمع) أى سمعك ولا تكتف بالقليل منه (من محاسن) من محاسنه العديمة المثال ومكارمه العزيزة المنال (عليها) بضم تحتية وكسر لام من أمليته الكتاب أفتيته له أى على تلك المحاسن (عليك الانشاد) بكسر همزة مصدر أنشد رفع صوته بالشعر (٥٣) أى المنشد لامداحه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (والانشاء) بكسر همزة أى المنشئ لقصائد مدحه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (كل وصف) جميل ونعت جليل ثابت (له) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (ابتدأت) بفتح تاء أو ابتدأت أنا بضمها (به) أى بذلك الوصف أى ذكرته أولا (استوعب) جمع وأحاط (أخبار) بنصب مفعول به وبفتح همزة جمع خبر أى جميع أنواع (الفضل) والشرف والكمال (منه) من ذلك الوصف متعلق بقوله (ابتداء) أى كلما ابتدأت بوصف له وتأملت ما احتوى عليه من الفضائل والفواضل وجدته جمع جميع أنواع الكمالات وبلغ أقصى النهايات (سيد) خبر لمحذوف أى هو سيد العالمين أجمعين وفى بردة المديح

* محمد سيد الكونين والثقليـ
ن والفريقين من عرب ومن عجم

(ضحكه) صفة ضحكه غالبا (التبسم) أقل الضحك وأحسنه وانبساط الوجه حتى تظهر الاسنان مع صوت خفى وان كان بصوت عال فقهقهة (والمشى) مبتدأ خبره (الهوينا) بضم هاء وفتح واو ونون وبالف تانيث تصغير هون بفتح كفلس سكينة ووقار أى ومشيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم المشية الهوينا أى سكينة وتواضع (ونومه) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (الاغفاء) بكسر همزة وسكون

﴿ وَامْلَإِ السَّمْعَ مِنْ مَحَاسِنَ يُمْلِيهَا عَلَيْكَ الإِنْشَادُ وَالإِنْشَاءُ ﴾

قال فتنزه فى ذاته ومعانيه بالسمع كانك تشاهدها قال واملإ السمع من أخباره بما كان عليه صلى الله عليه وسلم فى ذاته الشريفة من الاخلاق الالهية والاحوال العلية وما اشتمل من اشتات صفات الكرم وما فاض على الوجود من قلبه صلى الله عليه وسلم من وابل الفيوض التى لا تدرك لها غاية قوله محاسن هى محاسن ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم ومحاسن فيوضه على الوجود قال يمليها عليك الانشاد وهو الشعر والانشاء * يعنى انشاء تقريرات الشعر بيتا بعد بيت والانشاء الاظهار * ثم قال رضى الله عنه

﴿ كُلُّ وَصْفٍ لَهُ ابْتَدَأْتَ بِهِ اسْتَوْ ‌ * ‌ عَبَ أَخْبَارَ الْفَضْلِ مِنْهُ ابْتِدَاءُ ﴾

كل وصف اخذت ابتداء تصفه به صلى الله عليه وسلم فذلك الوصف استوعب أخبار الفضل كلها الذى فضل بها غيره وشرف بها قدره وعلت بها رتبته صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

﴿ سَيِّدٌ ضِحْكُهُ التَّبَسُّمُ وَالْمَشْـيُ الْهُوَيْنَا وَنَوْمُهُ الإِغْفَاءُ ﴾

* سيد السيد فى اللغة هو شريف المكانة رفيع القدر فهذا هو السيد فى لغات العرب لكن فى جميع لغات العرب بالاضافة والتقييد فى الطائفة التى يسود عليها ولا يتعدى حكم سيادته الى غيرها ممن بعد من القبائل وهذا السيد صلى الله عليه وسلم سيد على الاطلاق على كل ما اشتملت عليه حضرة الالوهية واعطته حقه من الخلق بلا شذوذ والسيد فى الاصل هو الذى يفيض خيره على الطائفة التى يسود عليها على حسب وسعه ويقيهم مما قدر عليه من الشرور فبهذا يكون سيدا عليهم فاذا عرفت هذه النسبة فى السيد فرتبته صلى الله عليه وسلم فى افاضة الخير على جميع الوجود من الازل الى الابد عموما واطلاقا فردا فردا اذ كان صلى الله عليه وسلم عين الرحمة الربانية ومن سواه من الوجود كله مرحوم به ومنه فاضت الرحمة على جميع الوجود والرحمة ههنا مشتملة على كل ما يفتقر اليه الموجود من المنافع التى بها قوام ذاته ودوام وجودها وما يحتاج اليه من دفع المضار التى تفسد نظام وجوده فهذه هى الرحمة التى وسعت كل شئ وهو صلى الله عليه وسلم المفيض لجميعها على جميع الوجود بلا مطمع لهم فى نيل شئ من الله فى تحصيل نفع أو دفع ضر حتى قيام وجودهم الا بواسطته صلى الله عليه وسلم والمدد منه فبهذه النسبة كان سيدا صلى الله عليه وسلم على جميع الوجود ويشهد له * قوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر ظاهر الحديث ان سيادته كانت خاصة ببنى آدم فقط لكن تعرف السيادة على غيرهم من حديث آخر وهو * قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ من خلقه اختار منهم بنى آدم فدل الحديث على ان بنى آدم هم سادة الوجود كله بشاهد الحديث ودل الحديث الآخر على انه سيد بنى آدم فهو سيد جميع الوجود فهذا هو السيد * ضحكه التبسم * يعنى اذا ضحك صلى الله عليه وسلم لا يضحك الا تبسما وكذا كل النبيين والمرسلين لا يضحكون الا تبسما وذلك لاجل انهم غرقى فى حضرة القدس أبدا جالسون بين يدى الحق سبحانه وتعالى عاكفون على شهوده غلبت على قلوبهم هيبته وجلاله

سبحانه وتعالى صدم قلوبهم ماتجلى لهم من عظمته وكبريائه فلا يقدرون معها على أن يقهقهوا بالضحك لاجل ماتبدالهم من الجلال فهم فى الحياء منه دائما * قال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه غفلت يوما ومددت رجلى فسمعت مناديا ينادى على تأدب يا إبراهيم أكذا تجالس الملوك قلنا فمثل هذا هو الذى غلبهم على القهقهة فى الضحك فلا يضحكون الا تبسما والمشى الهوينا وحاله فى المشى يمشى مشى الهوينا والمراد بها يمشى مشى المتصاغر لجلال الله تعالى وضدها مشية المتكبر المختال وهو الذى يتخيل تعظيم نفسه فهو يمشى متثاقلا والمتصاغر هو الذى يمشى بسرعة لانه ملك قلبه التصاغر لجلال الله تعالى كما قال فى الحديث لما جلس الرجل بين يديه وارتعد من هيبته فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك الشأن لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد وكان صلى الله عليه وسلم اذا جلس يجلس محتبيا * ويقول صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد * ومعنى الهوينا هو المتهاون بنفسه يرى نفسه هينة لا كبر لها والمراد به المشى مسرعا وبه نعته واصفه صلى الله عليه وسلم يقول كان ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صبب فهذا هو المشى الهوينا * ونومه الاغفاء معناه ان نومه صلى الله عليه وسلم الاغفاء وهو عدم الاستغراق فى النوم وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم تنام عينى ولا ينام قلبى * انه غريق الحضرة الالهية فسره أبدا يطالع مايبرز من الحضرة الالهية من التجليات بتجلياته سبحانه وتعالى فصفاته واسماؤه لا تنقضى على عمر الابد وتجليه بصفاته واسمائه فى كل مقدار طرفة عين من الزمان بما لاغاية له من صفاته واسمائه تجليه لا ينقطع ولا يتراخى أبدا ولا يتكرر تجليه بصفة أو باسم فى زمانين فى كل مقدار طرفة عين من الزمان يتجلى بما لاغاية له من صفاته واسمائه ومن حيث انه لم يتجل بذلك قط فيما تقدم من الزمان وهكذا ابد الابد وهو صلى الله عليه وسلم قائم فى الحضرة على هذا المنوال يعطى لكل تجل حقه من العبودية ومايلزمه من الادب فى حقوق الربوبية لا يفتر من هذا ابد الابد ولا التفات له الى غير هذا فاستوى فى هذا الميدان نومه ويقظته فبشريته صلى الله عليه وسلم يطرأ عليها النوم كسائر البشر وسره صلى الله عليه وسلم الذى هو محل القيام بامر الله لا يلحقه نوم ولا يطرأ عليه فتور ولا كسل أبدا لا يفتر عن النظر لامر الله فى كل تجل والتجليات لا فراغ تعاد لها * ثم قال رضى الله عنه

﴿ مَاسِوَى خُلْقِهِ النَّسِيمُ وَلاَ غَيْرُ مُحَيَّاهُ الرَّوْضَةُ الغَنَّاءُ ﴾

قوله ماسوى خلقه صلى الله عليه وسلم النسيم والنسيم ههنا هو وصف خلقه صلى الله عليه وسلم والمراد بالنسيم ههنا نسيم النفس الرحمانى وهو فيض الرحمة الالهية من حضرة الالوهية فسماه نسيما لانه يتنسم من النفس الرحمانى والنفس الرحمانى هو الذى يرد من الحضرة الالهية وهى حضرة الالوهية فانها مصونة تلك الحضرة فاسوار الصفات والاسماء لاقدرة للوجود أن يطيق فيض جميع مافى الحضرة من الرحمة فانها مصونة بتلك الاسوار وانما يتنسم من خلال أبوابها نسمات تسمى النفس الرحمانى يصل النفع به الى جميع الوجود فذلك التنسيم وذلك المتنسم الذى هو النفس الرحمانى الذى يسرى بنفع جميع الوجود هو خلقه صلى الله عليه وسلم الذى يمد به جميع الوجود فانه أشدهم رحمة وعليهم تعطفا وعفوا عنهم فهذا خلقه صلى الله عليه وسلم مايسرى فى الوجود كله من الرحمة الالهية هو خلقه صلى الله

غين معجمة وفتح فاء مصدر أغفى نعس نعاسا خفيفا (ماسوى) أى ليس غير (خلقه) بضم خاء كقفل السجية والطبيعة (النسيم) ريح لين طيب أى ليس النسيم الا خلقه العظيم الكريم وانما شبه خلقه بالنسيم لأنه يقوت الروح ويروح القلب ويزيل الهم والكدر عن النفس (ولا غير) مبتدأ (محياه) بضم ميم كسمى وجهه الحسن النير (الروضة) بستان ذات أشجار وازهار وأنوار (الغناء) بفتح غين معجمة وتشديد نون الكثيرة النبات والازهار أى ليست الروضة الغناء الا وجهه صلى عليه وعلى آله وسلم لأنه أحسن الخلق وجها وطلعة

عليه وسلم فهذا معنى قوله ماسوى خلقه النسيم قوله ولا غير محياه الروضة الغناء المحيا هو وجهه صلى الله عليه وسلم ما الوجود كله الا محياه صلى الله عليه وسلم والمراد به أن جميع الموجودات على اختلاف بساطتها وتراكيبها بجملة ذلك من حقيقته المحمدية اذ كان للوجود كله صلى الله عليه وسلم بمنزلة الاب الجامع فالوجود كله تنسل من حقيقته المحمدية وامتد بعضه من بعض كما ترى في مثل آدم فانه ترى في آدمى خروج عن ذات آدم يعنى كونه وجد من غيرها كذلك الوجود كله ما يرى فيه شئ خلق من غير حقيقته المحمدية فهو أب لجميع الوجود فبهذا الاعتبار تعلم انه ما ثم الا محياه وهو وجهه صلى الله عليه وسلم قوله الروضة الغناء شبه وجهه صلى الله عليه وسلم بالروضة الغناء والروضة هي المشتملة على نبات كثير من أنوار عطرية وثمار حلوية وملاذ ونزهات ومياه جارية فلا شك أن هذه الحالة توقع في نفس من نالها طربا عظيما ونزها جسيما فتولد الآلات التي صحبتها الاصوات الحسنة الغناء فانها في غاية الطرب والنزاهة فكذلك الروضة التي ذكرنا المشتملة على الثمار والازهار فانها لمن نالها توقع في نفسه أمرا عظيما من الطرب والنزهة كالطرب الذى يكون عند سماع النغمات الطيبة ووجهه صلى الله عليه وسلم لرائيه في الطرب والنزاهة بمنزلة من دخل الروضة الممتلئة من الثمار والازهار فذلك وجهه صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

﴿ رَحْمَةٌ كُلُّهُ وَحَزْمٌ وَعَزْمٌ * وَوَقَارٌ وَعِصْمَةٌ وَحَيَاءُ ﴾

قوله رحمة كله يريد أنه رحمة لجميع العوالم كما قال سبحانه وتعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فهو عين الرحمة الربانية والوجود كله مرحوم به فرحمته سبحانه وتعالى وسعت كل شئ فاخرج عنها مكون فالوجود كله مرحوم برحمة الله الالهية وما الرحمة الفائضة على الوجود الا منه صلى الله عليه وسلم فهو الواسطة العظمى في جميعها وليس في مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يفيض رحمة على بعض الوجود خارجة عن وساطة حبيبه صلى الله عليه وسلم فهو رحمة كله لان الله رحم به العوالم حتى قالوا ان الكفرة من أمته صلى الله عليه وسلم الذين أرسل اليهم من اليهود والنصارى ومن سواهم ممن أدركته رسالته صلى الله عليه وسلم وكفروا به ان عذابهم في النار ليس كعذاب غيرهم من كفار الامم بل هم أخف منهم بكثير لكونهم مستهم رحمته صلى الله عليه وسلم برسالته اليهم فالرحمة التى نالتهم منه صلى الله عليه وسلم ان خفف الله عنهم العذاب في الآخرة ليسوا كغيرهم من الامم * قوله وحزم حقيقة الحزم هو شدة اصابة العقل في نظره لوجود الصواب والرشاد نظرا في عواقب الامور فهذا هو الحزم وكله حزم صلى الله عليه وسلم لشدة معرفته لعواقب الامور وشدة معرفته بطرق الصواب والرشاد وعدم مفارقته لها صلى الله عليه وسلم فان مفارقته طريق الرشد بعد معرفتها من السفه في المرء فهذا هو السعيد وهو صلى الله عليه وسلم في غاية الصواب والرشد * قوله عزم حقيقة العزم هو شدة المبادرة الى الوفاء بحقوق الله تعالى بقدر العلم بها فان تراخى عنها ولو لحظة فما هو بعازم وهو صلى الله عليه وسلم عزم كله * ووقار حقيقة الوقار هو التعظيم والوقار له من جهتين من جهة توقيره لامر الله تعالى وعدم اتيانه ما كل الحرمة صلى الله عليه وسلم والجهة الاخرى في وقاره فيما بينه وبين الناس فمن رآه بديهة عظمه ووقره صلى الله عليه وسلم وان كافرا به فهو وقار كله صلى الله عليه وسلم * قوله وعصمة حقيقة

(رحمة) خبر عن (كله) أى كله رحمة ونعمة للمؤمنين وللعالمين أجمعين (وحزم) كله أى كل ما يصدر منه انما يصدر بضبط وقوة وشدة وثبات (وعزم) كله أى كل ما يفعله انما يفعله بعزم وحزم وقطع لانه بوحى أو باجتهاد منه (ووقار) كله أى كله وقار وسكينة مع مهابة وجلالة (وعصمة) كله أى كله عصمة وحفظ وحماية فكل ما صدر منه قولا وفعلا فهو شرع مطهر (وحياء) كله أى كله حياء كسماء تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يمنع من ارتكاب القبيح حياء من الله

العصمة هو التنائي عن مخالفة أمر الله تعالى لا يطرأ منه ذلك ولا يتأتى منه وهو يعلم ذلك
جميع النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في هذا الميدان لا يتأتى منهم ذلك وأما في
آدم عليه السلام فانما أريد بها الكرامة لآدم لما رأى حرص اللعين على أن يوقعه في الخ
كما أوقع ليطرد كما طرد ويلعن كما لعن فقال له لسان الحال من حضرة الغيب الذي زيد
ليس بواقع ولو وقع منه ما وقع انا اصطفيناه لذاته وأحببناه لذاته وصرفناه لذاته فلا يؤثر
وقع منه في رتبته عندي من الخطيئة كما قيل في المثل السائر في لسان العامة ﴿ المحبوب ليس
عيوب ﴿ قوله وحياء حقيقة الحياء على مرتبتين المرتبة الاولى هو حياؤه من الله تعالى أن يب
ما يوجب له عند الله شيئا أو لوما أو عتابا يستحي من هذا صلى الله عليه وسلم فهذه الر
الاولى في الحياء من الله تعالى والرتبة العليا التي فوقها هو اطراق الروح من هيبة الجلال فلا ترفع
حياء من الله وتعظيما لجلاله فهذا حياؤه من الله تعالى أيضا وأما الحياء من جهة الخلق فله رتبتان
الرتبة الاولى أن يستحي من الخلق فلا يفعل ما يوجب عليهم ثقلا ولا ضررا الا ما كان في أمر الله
فقط والباقي يستحي منهم فلا يثقل عليهم بشيء الا ما كان من أمر الله تعالى والمرتبة الثانية
بينه و بين الخلق من أن يستحي منه كل من لقيه فلا يسيء عليه الادب لشدة تعظيمه في القلو
صلى الله عليه وسلم فهو حياء كله ﴿ ثم قال رضي الله عنه

﴿ لَا تَحُلُّ الْبَأْسَاءُ مِنْهُ عُرَى الصَّبْرِ وَلَا تَسْتَخِفُّهُ السَّرَّاءُ ﴾

أخبر في هذا البيت عن حاله صلى الله عليه وسلم اذا حلت به البأساء والضراء لا تحل
عرى الصبر بل هو ثابت لأمر الله تعالى والصبر ههنا هو صبر الاكابر لا صبر العامة فان
العامة للمكاره لا يصبرون الا قهرا حيث تنعدم الحيل كلها ويسمى عند الاكابر صبر ال
فانهم ان وجدوا حيلة هربوا منه وصبر الاكابر اذا واجههم أمر الله تعالى بالبأساء والضراء
بالبشر والترحيب والرضا والتسليم وملازمة موقفه في محله فلا يتزحزح عن موقفه وهو
عنه بالثبات لأمر الله تعالى يقول سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا
ملاقات البأساء والشدائد في القتال وهو سار عند الاكابر في جميع المصائب والآلام فلا يتزحزح
من أمر الله تعالى اذا لاقاهم فيثبتون له حتى ينقضي أمره كما فعل الخليل عليه الصلاة والس
حيث زج به في المنجنيق ذاهبا به الى النار فناداه الروح الامين عليه السلام وقد جاءه
لتخليصه قال له ألك حاجة يا ابراهيم قال له ابراهيم أما اليك فلا حاجة لي اليك قال له
يعلم أن الله بعثه اليه ليخلصه ولكن أبا من الانزعاج عن أمر الله تعالى حتى ينقضي أمر
تعالى فقال له أما اليك فلا قال له سله قال له حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يا نار كو
بردا وسلاما على ابراهيم حيث لم ينزعج عن التعلق بالله تعالى ونسي جميع غير الله
بجبريل لتخليصه ولم يتعلق بسؤاله من الله تعالى بل تعلق بالله حتى يخلصه الله منه
واسطة فهذا هو الثبات لامر الله قال لا تحل البأساء منه عرى الصبر ولا ينزعج عن أمر
تعالى ﴿ قوله ولا تستخفه السراء معناه السراء هو ما ورد على العبد من مواهب الله من
أغراضه وشهواته فاذا حلت به السراء صلى الله عليه وسلم لا ينزعج ولا تستخفه السر

(لا تحل) بفتح فوقية وضم حاء من الحل ضد العقد والشد (البأساء) الضراء والشدة (منه) أي من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (عرى) بضم عين جمع عروة كدية ومدى مدخل الزر بكسر زاي مايشد به فم القميص (الصبر) حبس النفس على ما تكره لـكثرة حلمه وصبره (ولا تستخفه) تستفزه وتحركه (السراء) النعمة عن ثباته وحلمه وتواضعه بل تزيده حلما وعفوا وشكرا لله

بانزعاجه عن أمر الله تعالى وانزعاج السراء عن أمر الله ليس كانزعاج الضراء فان انزعاج الضراء هو الهرب من أمر الله تعالى والضعف عن تحمل اعباء الصبر وعن تحمل اعباء الثبات لامر الله تعالى فهذا انزعاج الضراء وأما انزعاج السراء فهى النفس عند تكامل السراء به تسرع النزول الى حضيض طبعها من الزهو والفرح وعدم المراعاة لامر الله تعالى وعدم الاستحياء من عظمته وجلاله شغلا بحظوظها فهذا هو كفر النعمة فان النعمة فى حقيقتها تقتضى القيام بحق الشكر والشكر فى السراء ههنا هو حكم ما اقتضاه حكم الحق فى النعمة وهو الوقوف بها على حدود الادب والخوف من سوء عاقبتها ان تنقلب عليه بسوء المنقلب وهى أن تصير تلك النعمة نقمة عليه ووبالا وفتنة فان الشكر أن يكون منقطعا الى الله تعالى بقلبه فرحا به سبحانه وتعالى قائما بحقوق شكره وحقوق الشكر هنا هو عدم المبالاة بغير الله تعالى وعدم المساكنة لغيره وعدم الملاحظة لغيره بل لسان حاله يصرح فى النعمة أن لا مراد لى غيرك ولا فتنة لى بغيرك وجد أم عدم وحقيقة شكرى فى هذا المحل هو لزومى للادب معك والوقوف على توفية حقوقك فهذا هو حق الشكر للنعمة وأما من خالف هذا ونزل الى حظوظ النفس من الزهو والفرح بالنعمة نسيانا لعظمة الله وجلاله فهذا هو الطغيان فى النعمة يقول سبحانه وتعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى فقال لا تستخفه السراء فهذا شكر النعم فلا يقدر على هذا الا العارف بالله تعالى * ثم قال رضى الله عنه

﴿ كَرُمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ السُّو * ءُ عَلَى قَلْبِهِ وَلَا الْفَحْشَاءُ ﴾

أخبر فى هذا البيت أنه صلى الله عليه وسلم كرمت نفسه يريد أن نفسه اتصفت بجميع أشتات أخلاق الكرم اذ كان متصفا بصفات الحضرة الالهية اذ صار مسمى اسمائها فهذا اتصف بالكرم الذى لم يتصف به غيره حيث اتصف بأخلاق الله تعالى وتسمى بأسمائه فقد جمع اشتات الكرم والى هذه الجمعية يشير قوله صلى الله عليه وسلم * ان الله خلق آدم على صورته فمضمون هذا الحديث لا يدرك الا ذوقا ولا يفيد المقال فيه شيئا فمن ذاقه عرفه * قوله فما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء يعنى حيث كرمت نفسه باتصافها بصفات الله وأسمائه فلا يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء والسوء هو سوء الأدب مع الله تعالى باقتحامه ما لا يرضاه سبحانه وتعالى بخلاصة محبة ذاته طهره من جميع سوء الأدب وأقامه فى مقام الانقطاع اليه سبحانه وتعالى عن كل ما سواه فلا يلتفت الى غير الله لحظة فهذه هى طهارة النفس حيث لا يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء والفحشاء هو ما يستبشع من القول والفعل كالزنا وشرب الخمر والكذب والبهتان وأشباهها وكل موبق من الموبقات السبعة التى هى رؤوس الذنوب وأعلاها التى يقول فيها صلى الله عليه وسلم ما من أحد يتقى السبع الموبقات الا فتحت له يوم القيامة ثمانية أبواب من الجنة حتى انها لتصفق وفى الحديث الآخر يقول صلى الله عليه وسلم اتقوا السبع الموبقات قالوا وما الموبقات قال الشرك والسحر وقتل النفس التى حرم الله وأكل الربا وأكل مال اليتيم ظلما والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات فهذه هى رؤوس الذنوب وهى أعظم الفواحش * ثم قال رضى الله عنه

﴿ عَظُمَتْ نِعْمَةُ الْإِلٰهِ عَلَيْهِ * فَاسْتَقَلَّتْ لِذِكْرِهِ الْعُظَمَاءُ ﴾

(كرمت) بضم راء طهرت من كل نقص وعيب وتحلت بكل فضل وشرف وكمال (نفسه) المحمدية المطهرة وذاته المصطفوية المقدسة (فما) نافية (يخطر) بفتح تحتية وضم طاء وكسرها من خطر بباله كذا كنصر وضرب ذكره بعد نسيان (السوء) بضم سين وبفتحها القبيح (على قلبه) الكريم المطهر من حظ البشرية (ولا الفحشاء) ما جاوز الحد من القبيح والمنكر (عظمت) وكثرت (نعمة) ومنة (الاله) سبحانه (عليه) صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال تعالى وكان فضل الله عليك عظيما وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها (فاستقلت) أى فبسبب ذلك استقلت (لذكره) أى عند ذكر نعمة الاله وذكره لاكتساب التذكير من المضاف اليه (العظماء) من الرسل والانبياء والاولياء أى يعدون ما أعطاهم الله من المعارف والكمالات والنعم التى لا تعد ولا تحصى قليلا بالنسبة لما أعطى لسيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم

(جهلت) بكسر هاء كعلم أي أفرطت في ايذائه جهلا وكفرا (قومه) قريش (٥٨) وغيرهم (عليه) فقابلهم بالحلم والصبر (فأغضى) تأثر …

عنهم حلما وكرما منه (وأخو الحلم) من وصفه الحلم والصبر (دأبه) بفتح دال مهملة وسكون همزة عادته (الاغضاء) بكسر همزة مصدر أغضى غض الطرف عن رؤية ما يكره والمراد التغافل والتعامي عما يصدر منهم ويؤذيه (وسع) بكسر سين (العالمين) بفتح لام ما سوى الله تعالى (علما) تمييز محول عن فاعل أي وسع علمه علم الاولين والآخرين (وحلما) تمييز كذلك أي وسع حلمه حلم الاولين والآخرين (فهو) بسكون هاء (بحر) عظيم كبير جدا طولا وعرضا وعمقا (لم تعيه) بضم فوقية من أعيى الرجل في مشيه تعب ووقف وعجز (الأعباء) بفتح همزة جمع عبء بكسر عين كثقل وحمل وزنا ومعنى أي لم يكدر بحر علمه شك وكفر قومه به ولا بحر حلمه وعفوه جهل وايذاء قومه (مستقل) خبر لمبتدا محذوف أي هو محتقر (دنياك) مفعول بمستقل والمراد بها ما في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الخ (أن) بفتح همزة (ينسب) بضم تحتية وفتح سين مبني للمفعول (الامساك) عن غير المستحق (منها) أي من دنياك (اليه والاعطاء) لاشغالها عن

قال عظمت نعمة الاله عليه على حد قوله سبحانه وتعالى وكان فضل الله عليك عظيما معناه أن الله …
أعطاه الله تعالى من فضله في الدنيا والآخرة ما لو جمع جميع ما آتى الله جميع خلقه من فضله …
في الدنيا والآخرة ومن الحظوة والمقامات والمراتب والعز والتعظيم والاجلال له والصور المكنو …
في الجنة على ما هي عليه وجمع ذلك كله من أول الوجود الى آخره لكان جميع ذلك بالنسبة ل …
ما أعطاه الله من فضله كنقطة في البحر المحيط واذا عرف هذا فكل العظماء وان بلغت رتبتهم في العظ …
الى غير نهاية تستقل كلها عند ذلك الفضل الذي آتاه الله تعالى من فضله وتصير نزرا يسيرا * ثم ق …
رضي الله عنه

﴿ جَهِلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى * وَأَخُو الْحِلْمِ دَأْبُهُ الإِغْضَاءُ ﴾

قال جهلت قومه عليه صلى الله عليه وسلم في مواقع كثيرة من الجهل وأساؤوا عليه الأدب وتعرض …
لمساخطته ومغاضبته فأغضى عنهم والاغضاء تغميض العينين عن مقابلة المسيء باساءته * …
وأخو الحلم يعني من دأبه الحلم دأبه الاغضاء وحقيقة الحلم هو أن لا يتأثر قلبه بالاساءة اليه ولم يزل …
عن مركز الصفاء لا يزال قلبه صافيا يصبر عند الاساءة كأنه لم يسأ اليه ولا سمع شيئا فان تأثر …
بالاساءة وأصابه من ذلك حرارة وغضب ثم زم نفسه وأمسكها عن مؤاخذته ومقابلته بالاساءة ف …
صبور وليس بحليم على حد قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس * ثم قال رضي الله …

﴿ وَسِعَ الْعَالَمِينَ عِلْمًا وَحِلْمًا * فَهْوَ بَحْرٌ لَمْ تُعْيِهِ الأَعْبَاءُ ﴾

قال وسع العالمين صلى الله عليه وسلم علما وحلما يعني انه وسع جميع العوالم بأسرها فكل ما …
مخلوقات الله من جميع العلوم من أي حق كانت وعلى أي قانون وقعت فصدرها كلها من فيضه …
صلى الله عليه وسلم قال بعض الصوفية في قوله سبحانه وتعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية …
بقدرها قال الماء ههنا هو محمد صلى الله عليه وسلم فاض بحار جميع العلوم فاستقبلته جداول …
الفهوم فسال في كل جدول ما قسم له من مقداره على حد ما سبق في المشيئة الالهية فهذا معنى قوله …
وسع العالمين صلى الله عليه وسلم علما وسعهم حلما فلا يتأثر في الاساءة صلى الله عليه وسلم كما سبق …
البيت قبل * قوله فهو بحر لم تعيه الاعباء والاعباء جمع عبء وهي الشربة الغليظة ضد الشر …
الضعيفة فهو بحر في العلم والحلم لم تعيه الاعباء بالشرب وغيره * ثم قال رضي الله عنه

﴿ مُسْتَقِلٌّ دُنْيَاكَ أَنْ يُنْسَبَ الاِمْسَاكُ مِنْهَا إِلَيْهِ وَالإِعْطَاءُ ﴾

يعني احتقرت الدنيا في عينيه صلى الله عليه وسلم حتى كانت عنده لا شيء فلا يرضى أن ينسب ال …
منها الامساك والاعطاء لاحتقارها عنده قال الشبلي اذ سأله السائل عن الزهد قال فهاذا الزهد …
الدنيا كلها كحصاة ملقاة في فلاة من الارض فهذا هو احتقار الدنيا فلا يرضى صلى الله عليه وسلم
أن ينسب اليه منها الامساك والاعطاء وفي الخبر يقول صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها الا ذكر الله وما والاه يعني ما أعان عليه من درك قوام الجسد من ملبوس ومطعوم ومسكن
وزوجة وما يتبع ذلك مما لا بد منه كدابة يركبها اذا اشتدت حاجته اليها وعالم ومتعلم معناه العالم هو
العالم بأمر الله الموفي بحقوق الله والمتعلم هو الساعي بنفسه في ادراك مرتبة العالم بالتعلم بغير …

حقوق الله تعالى ومن سوى هذين لاعبرة به * ثم قال رضي الله عنه

﴿ شَمْسُ فَضْلٍ تَحَقَّقَ الظَّنُّ فِيهِ * أَنَّهُ الشَّمْسُ رِفْعَةً وَالضِّيَاءُ ﴾

* قوله شمس فضل أراد أنه صلى الله عليه وسلم في فضله على جميع ما خلق الله هو فيها في مرتبة الشمس في ظاهر الامر وان كان أكبر في باطن الامر فانه ضرب له مثلا بالشمس من حيث انها سلطان الوجود ومنها فيض المنافع على جميع الوجود الذى نحن فيه من تنمية الاجسام وتبليغها الى غايتها وافاضة حرارتها عليها للمنافع ونضجها للثمار الذى به انتعاش الاجسام واعطائها الذوات الوجود مرتبة الاعتبار فان الذات أو الذرة تبرز من عالم العدم الى الوجود فلا تزال تنمو طورا بعد طور الى أن تنتهي الى الغاية التى سبقت لها فى علم الله فترجع الى العدم كما كانت مثل الاشجار وأوراقها ومختلفات صنوف الحيوان وضروبها وتعطى الناظر فهما من الاعتبار أن لاشئ في الوجود الا الله تعالى ومن سواه كله يدركه العدم بعد وجوده فلا اعتبار به كما قال الخليل عليه السلام لا أحب الافلين وأنه لادوام فى ظاهر الوجود وباطنه الا لله وحده بدليل أنا نرى كل شئ من الوجود من حين بروزها من العدم لا يزال ينتقل طورا بعد طور الى أن ينتهي الى غاية ظهور فيعطى هذا من صريح التوحيد ان لاباقى الا الله ولا معول عليه الا الله الى غير ذلك من أحوال التوحيد فلهذا ضرب له مثلا باحوال الشمس من حيث ان الشمس حوت جميع صنوف الانوار واحتوت على جميع ضروب الاعتبار وأعطت بذلك كمال البقاء والدوام لله الواحد القهار فهي في نفسها مشتملة على جميع الفضائل ولذا كان مقامها فى الاوسط فان حكمها على الاعلى كحكمها على الادنى فالتوسط أشرف من العلو قال سبحانه وتعالى فى حق ادريس عليه السلام قال ورفعناه مكانا عليا ومكانه فى الفلك الذى فيه الشمس فلها العلو على غيرها بالنسبة اليها قال اذا عرفت أمر الشمس وما جمعت من الفضائل فانه صلى الله عليه وسلم هو شمس الفضل فانه فى مرتبة علوه على جميع ما خلق الله وافاضة الرحمة والمنافع على جميع خلق الله بمنزلة الشمس بل الشمس وما فيها من الفضائل نقطة من بحر جوده ومدده والشمس وما فيها استمد منه صلى الله عليه وسلم فمن حيث ماحوى جميع الفضائل والمراتب العالية صح تمثيله بالشمس من باب ضرب المثل الاعلى بالادنى كما قال سبحانه وتعالى فى الآية الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية قوله تحقق الظن فيه انه الشمس رفعة والضياء يعنى تحقق الظن فيه أشار بهذا الى ما تعتقده الخاصة العليا من العارفين وهو أنه صلى الله عليه وسلم أبو الوجود كله فانما الوجود كله تناسل عنه وأمد بعضه من بعض فيض حقيقته صلى الله عليه وسلم وانه صلى الله عليه وسلم فى مرتبته العليا لا يمكن أن يبرز الله شيئا من العدم الى الوجود الا بامتداد خيط من نوره اليه صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك الخيط ما برز من العدم الى الوجود ولا تصور وجوده وأنه لا يكمل نضج ثمرة بعد ظهورها الا بامتداد خيط من نوره اليها صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك الخيط ما وقع فيها طيب ولا حلاوة ولا شمت لها رائحة طيبة واتبع هذا الامر فيما بعد ذلك من التلذذ بظلال الاشجار والتقاط وجوه المنافع منها وهى كثيرة فما ذلك الا بامتداد خيوط نوره صلى الله عليه وسلم اليها بل الايمان فى قلب كل مؤمن والعمل الصالح فى ذات كل عامل ورسوخ التوحيد فى قلب كل موحد وما

الله تعالى هو (شمس) كل (فضل) وشرف وكمال (تحقق) بفتحات علم علم يقين (الظن) الاعتقاد الجازم برفع فاعل (فيه) أى فى ذاته السنية وطلعته البهية (أنه الشمس) لجميع البدور والكواكب (رفعة) وشرفا (والضياء) لجميع الاضواء

بر زمن التصرف بالقبضة الالهية التى قبضها الحق تعالى وقال فيهامولانا سبحانه هؤلاء الى
ولا أبالى فما كان تصرف هذه القبضة من الايمان والتوحيد والسعادة وضروب النعيم فى
والبرزخ وضروب النعيم فى مواطن يوم القيامة لاصحابه وضروب النعيم فى دار القرار واختلا
اشكاله وألوانه وأحواله كل ذلك فردا فردا ممدود بخيط نور من نوره صلى الله عليه وسلم
الامر لم يرد به ظاهر الشرع فلا علم للعامة به انما أعطاه كشف العارفين ووقوفهم منه على
التحقيق فاذا سماه اعتقادا وهو الظن لما لم يكن مشهودا للعامة ولا معروفا عندهم لم يسلموا
نازعوا لان هذا أمر لا يعرف الا من أخبار الغيب ليس له سبيل عند العامة الا ما ورد به
أو أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وماسوى ذلك لا يسلمونه لمدعيه فان عند العامة ان
الاحاطة التى ذكرناها له صلى الله عليه وسلم أنه لا يصل الى العلم بها الا نبى أو ملك لا من عداهم ولم
أن للعارفين فى الغيوب مدارك كمدارك النبيين والمرسلين سواء بسواء فانه سبحانه وتعالى
للخاصة العليا من خلقه من أكابر العارفين جميع ما أظهره للنبيين والمرسلين من الغيو
وأحوالها ومختلفات ضروبها وعندهم من أخذ العلم بالتعلم عن الله تعالى بلا واسطة
النبيين والمرسلين * فلما لم يكن مشهودا للعامة هذا الامر ولا يسلمونه ان باحتوا
سماه ظنا واعتقادا وما كان ظنا الا لعدم اجتماع قلوب العامة على أنه حق فلذا قال تحقق الظن
أراد ماذكر من مشاهد العارفين قال صار حقا قال تحقق الظن أنه الشمس * يعنى محيط كا
بالانوار والمنافع * قال رفعة يعنى هو صلى الله عليه وسلم فى غاية العلو والرفعة كالشمس
الضياء كالشمس فان الضياء فى الوجود هو أكبر المنافع فان به يعرف نور الابصار
التعريف الالهى بين المبصرات لان هذا حيوان مثلا وهذا جماد مثلا وهذا عود وهذا
ان اتبعت ظواهر الوجود كل تمييزها انما كان عن الضياء البارز فيها وبواسطة الضياء
منافع الاشياء ومضارها ومحامدها وخدامها وشريفها ووضيعها فالحاصل الامر أن بالضياء المنبسط
الوجود تمايزت مراتب الوجود وما احاطت به من لوازمها ومقتضياتها حتى ظهر الوجه أنه لو
الضياء المنبسط ما عرف شئ من الوجود قال هو الضياء الذى عرفت به مراتب الوجود فهو
الله عليه وسلم الضياء المنبسط فى الوجود من حيث ان الضياء ممتد من نوره صلى الله عليه
وماذكرنا من مدارك العارفين كمدارك النبيين والمرسلين من غير ما اختصت به النبوءة من الادر
الذى هو عين النبوءة فهذا لا مطمع فيه للعارفين ولو أدركوه لكانوا أنبياء فلا مطمع لاحد
نيل النبوءة اذ طوى بساطها وغلق بابها به صلى الله عليه وسلم فدعيها بعده كاذب
والسلام * ثم قال رضى الله عنه

(فَإِذَا مَا ضَحَى مَحَا نُورُهُ الظِّلَّ وَقَدْ أَثْبَتَ الظِّلَالَ الضَّحَاءُ)

* يعنى تبدى نوره للوجود صلى الله عليه وسلم محا نوره الظلال والظلال ههنا هى أجزاء الظل
الاضافى والظل الاضافى هو ذوات الموجودات من كل ماسوى الله فهى ظلال للذات المقدسة لان
الظل فى الظاهر وجوده بواسطة الشمس من صورة كثيفة أو كالكثيفة فان الجواهر اللطيفة
لا ظل لها انما يصل الظل فى الشواهد عن الذوات الكثيفة بواسطة الشمس ولولا هى لم تعرف

(فاذاما) زائدة (ضحى) كسعى
برز للشمس (محا) كدعا
وسعى أزال وأذهب (نوره)
النير الذى لا يبقى معه ظل
ولا ظلمة (الظل) لكل
ذاته الشريفة (وقد أثبت)
أوجد (الظلال) بكسر
ظاء مشالة جمع ظل (الضحاء)
بضم ضاد وتخفيف حاء
الشمس وكسياه اذا قرب
الزوال

الظلال فى الشاهد فان الظل فى الحقيقة المنبسط فى الظاهر موجود عن حقيقتين لو فقدت احدى
الحقيقتين لم يظهر للظل وجود فالحقيقة الاولى ظهور النور المنبسط بلا حائل وهو نور الشمس
والحقيقة الثانية الذات الكثيفة فانه لولا الذوات الكثيفة ماظهر ذلك فى النور قلنا فالظلال
فى الشاهد الذى ذكرنا اذا عرفنا حقيقة الظل ومن أين كان وبأى فالعالم كله على اختلاف أجزائه
وتراكيبه هو ظل الذات المقدسة وهو أيضا موجود عن حقيقتين الحقيقة الاولى هى الذات من
حيث ما هى هى فانه لولاها ما كان وجود شئ فى العالم والحقيقة الثانية مرتبة الالوهية التى
هى تحت حيطة اسمه الله فان المرتبة هى التى ظهرت فى الوجود وعنها ظهور كل شئ من
الموجودات والذات غيب لا مطمع فى معرفتها لاحد من النبيين والمرسلين ومن عداهم ومن ادعى العلم
بها كفر ولانه لا يحيط بها علما لقوله تعالى ولا يحيطون به علما فهى غيب لا تدرك ولا تعرف
ومن هنا وقع السؤال عنها من الشيوخ سابقا فما أجاب عنها أحد لا بنفى ولا باثبات ونص السؤال
أخبرونا عن الذات المقدسة هل هى حسية أو معنوية فما قدر أحد أن يجيب عنها بشئ الا الشيخ
أحمد بن يوسف الراشدى أجاب عنها بقوله هى حسية غير مدركة وقد تكلم بعض الشيوخ على
نص هذا السؤال قال قولكم حسية أو معنوية ان أردت بالحس ما أدركه حس ظواهر الموجودات
حتى تصير حسية كالمحسوسات فليست فى هذا الميدان حسية أصلا اذ لا مطمع للحواس فى
ادراكها وان أردت بالمعنوية تصورها فى الذهن ولا وجود لها فى الخارج فهى فى هذا الميدان
حسية فى الخارج وان قصدت بالمعنوية استتارها عن محل الادراك حتى عجز جميع الوجود عن
ادراكها مع كونها موجودة فى نفسها فهى فى هذا الميدان معنوية وان قصدت بالحس وجودها
فى حقيقتها مع كونها لا ترى ولا تعرف فهى فى هذا الميدان حسية وحاصل ماينفصل عنه الجواب
فيها ما قاله الراشدى رضى الله عنه حسية غير مدركة قلنا فالذات من حيث ماهى هى غيب
والمرتبة العليا وهى مرتبة الالوهية ظاهرة بجميع الوجود فيها وهل العلم بالذات الى الوجود
والعلم الذى وصل الى الوجود بالذات هو انها موجودة متصفة بجميع صفات الألوهية وحقيقتها
غيب لا تدرك ولا تعرف انما هى غيب ومرتبة الالوهية ظاهرة فما ظهر للوجود سبحانه وتعالى
الا بمرتبة الالوهية والذات غيب ومن هنا تعرف أن الجهل بالله عين الكفر وان الجهل بالله عين
الايمان فالجهل بالله الذى هو عين الايمان هو الجهل بذاته العلية بأن لا تعرف حقيقتها ولا
تدرك والجهل بالله الذى هو عين الكفر هو الجهل بمرتبة ألوهيته الظاهرة قلنا فالوجود الذى
هو الظل الاضافى ظهر عن حقيقتين الحقيقة الاولى الذات المقدسة والحقيقة الثانية مرتبة الالوهية
والوجود ظهر عنها والى هذا المعنى الاشارة بقوله سبحانه وتعالى فى مفتتح الانجيل قال باسم الاب
والام والابن الها واحدا فركبه الكفرة لجهلهم بحقيقته فقالوا ان الاله مركب من ثلاث أقانيم أقنوم
العلم وأقنوم الحياة وأقنوم الكلمة فأقنوم العلم عندهم هى الذات المقدسة وأقنوم الحياة هى مريم
وأقنوم الكلمة هو عيسى تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما المعنى الذى أراده الحق سبحانه وتعالى
فى كلامه باسم الاب والام والابن فالاب ههنا هو اسم الجلالة لانه هو أب الوجود كله فعنه ظهر الوجود
لانه عين مرتبة الالوهية والام ههنا هى الذات المقدسة فانه من تصرفها ظهر الوجود فانها تصرفت

فى الوجود بحكم المشيئة والقدرة والكلمة بقوله كن فانها له بمنزلة الام للوجود والوجود الذى وجد عن اسم الجلالة وعن الذات هو الوجود الظاهر وأدرجه مع قوله إلها واحدا لانه تجلى فى حقائق الوجود بكمال ذاته وبصور صفاته وأسمائه فلهذا قال باسم الأب والام والابن إلها واحدا فان الوجود كله مافيه الا الالوهية المحضة لانه صور الصفات والاسماء فافيه ذرة خافوقها الاوإلها اسم من اسماء الله تعالى باطن لاظاهر فبذلك الاسم نظامها وبه قوامها ولولا ذلك الاسم ماظهرت فى الشاهد ولا ريشت ولا عرفت وبهذا يقول فى الحديث صلى الله عليه وسلم انما قام الوجود كله بأسماء الله الظاهرة والباطنة وذوات الوجود كأنها عين الاسماء الالهية فلهذا أدرجها بقوله إلها واحدا وتعالى الله عما يقوله الجاهلون علوا كبيرا * قوله فاذا ماضحى محا نوره الظل معناه أى اذا مابدى نوره الاصلى الذى هو أول موجود أوجده الله تعالى وهى الحقيقة المحمدية فانها اذا ظهرت من حيث ماهى هى ظهرت بصورة الفردانية لله تعالى فانه فرد فى وجوده لاثانى معه وعند تجليها بهذا الوصف وهى الحقيقة المحمدية انمحقت ظلال الوجود وظهرت الفردانية لله تعالى وحده فانه لاموجود سواه فاذا ما ضحى أى ظهر نوره الاصلى ظهورا بينا كظهور الشمس فى وقت الضحى أى محى نوره الظل والظل ههنا هى ذوات الوجود فهذا الظل هو الذى ينمحق بوجود نوره صلى الله عليه وسلم قال والحال أن الظلال أثبتها ضحاء الشمس فانه شبه ظهور نوره بضحاء الشمس ثم قال بعد ظهور نوره والحال أن الضحى أى ضحى الشمس أثبت الظلال لان الظلال ترى بواسطة الشمس يعنى أن تشبيه نوره صلى الله عليه وسلم بضحى الشمس ليس من كل وجه فان الشمس اذا ضحت ظهرت الظلال بضحاها ونوره صلى الله عليه وسلم اذا ظهر محى الظلال كلها فعند ذلك ظهرت الفردانية لله تعالى وحده بذلك النور فبذلك فارق نوره نور الشمس وهو أرفع منها وأعلى فهذا التعبير على مشرب العارفين أما مشرب أهل الشريعة فهو اذا ماضحى محى نوره الظل اذا مابدى نوره للوجود الذى فاض ببعثته صلى الله عليه وسلم على القرب محى نوره ظلال الكفر من القلوب وأثبت فيها نور الايمان فشبه الكفر بالظل الموجود فاذا ظهر ومسه النور تلاشى الظل كذلك وجود نوره صلى الله عليه وسلم الفائض ببعثته محى ظلال الكفر من القلوب وأثبت فيها نور الايمان حتى استضاءت القلوب بنور الايمان قال سبحانه وتعالى أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها فالظلام ههنا هو ظلام الكفر فى القلوب الذى كان قبل وجوده صلى الله عليه وسلم فمحاها نور وجوده وبعثته صلى الله عليه وسلم وصيرها منورة بنور الايمان قال فاذاما ضحى يعنى اذا ظهر نور بعثته بالرسالة ظهورا بينا كظهور الشمس فى وقت الضحى محا نوره الظل يعنى بعثته بالرسالة محا ظل الكفر من القلوب ونورها بنور الايمان فهذا هو الظل وفى الخبر أن الله سبحانه وتعالى خلق الارواح كلها فى ظلمة حين خلقها أول مرة ثم رش عليها من نوره فمن أصابه من الرش ولو أقل قليل منه صار مؤمنا فى الدنيا وانتقل بنور الايمان الى الآخرة ومن لم يصبه شئ من ذلك النور فهو المختوم عليه بظلام الكفر فانه سبحانه وتعالى ماأصاب الارواح من نوره حين رش الا أصحاب القبضة التى قبضها قال هؤلاء الى الجنة ولا أبالى والارواح التى لم يصبها شئ من النور حين رش هى التى وقعت فى القبضة الاخرى بقوله هؤلاء الى النار ولا أبالى وذلك النور المرشوش هو قسط من نوره صلى

(فكأن) حرف تشبيه (الغمامة) السحابة (استودعته) أى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم استحفظته (من) مفعول

الله عليه وسلم وأولئك الذين رش عليهم فى الازل وأصابهم النور هم الذين وقعوا فى الدنيا وطوقوا فى أعناقهم شرائع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أصحاب القبضة المرشوشة بالنور وذلك النور المرشوش الذى هو قسط من نوره صلى الله عليه وسلم الذى رشه الحق على الارواح فى الازل وهو الذى محا ظلال الكفر من القلوب فى دار الدنيا وكل من أصابه من ذلك النور فانما مرجعه اليه صلى الله عليه وسلم لان الرسل كلهم نوابه فى تبليغ الرسالة الى الخلق وهو المراد بالرسالة صلى الله عليه وسلم وحده وقد سبق فى أول القصيدة فى ذكر الانبياء قال انما مثلوا صفاتك للناس البيت وقد تقدم الكلام عليها فانظره هنالك ان شئت يعنى اذا ما بدا نور بعثته صلى الله عليه وسلم حين بعثه رسولا الى الخلق فحا نور بعثته ظلال الكفر من القلوب وقد أثبت الظلال الضحاء كانه يقول اذا سمعت تشبيهنا نوره بضحاء الشمس فلا تعقل أنه مثلها بل هو أرفع وأعلى صلى الله عليه وسلم لان نور بعثته صلى الله عليه وسلم محا ظلال الكفر من القلوب حتى لا وجود له فيها ممن أراد الله سعادته وأما نور الشمس فقد ظهرت الظلال عنه حين ظهر فهو ناقص عن نوره صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

*(فَكَأَنَّ الغَمَامَةَ اسْتَوْدَعَتْهُ * مَنْ أَظَلَّتْ مِنْ ظِلِّهِ الدُّفَفَاءُ)*

ههنا ذكر احدى معجزاته صلى الله عليه وسلم منها الغمامة التى كانت تظله فى وطيس الحر أخبر أنها كانت لا تفارقه صلى الله عليه وسلم كل ما كان يمشى فى الحر كانت تظله أخبر عن شدة ملازمتها له صلى الله عليه وسلم كأن الله استودعها اياه حتى كانت دائمة الملازمة له لا تفارقه كل ما مشى فى الحر ثم أخبر عن تخصيصها به من جهة خرق العادة فانها كانت تظله وحده وما أظلت الذين يمشون وانما وقع عليه ظلها صلى الله عليه وسلم وحده والدففاء من الجيش الذين يغزون فى الحر والقر قال ما أظلتهم مع ظله صلى الله عليه وسلم مع اتحاد المكان وهذا غاية ما يكون من خرق العادة أخبر أنها كانت ملازمة له وانها لا تفارقه كأنها استودعته ثم قال ما أظلت الدففاء معه أى المدافعين له * ثم قال رضى الله عنه

*(خَفِيَتْ عِنْدَهُ الفَضَائِلُ وَانْجَا * بَتْ بِهِ عَنْ عُقُولِنَا الأَهْوَاءُ)*

معناه أنه لما تبدى صلى الله عليه وسلم بفضائله العظيمة بما عرف من كرمه وجوده وبسطه يديه بالاموال وبما عرف من عفوه وصفحه عن العثرات والزلات وحلمه عن السفهاء صلى الله عليه وسلم وشدة ثباته لامر الله تعالى بما لا تثبت له الجبال الرواسى وتوفيته فى جميع ذلك بحقوق كمال الالوهية وما يتبع ذلك من فيوض أقواله وعلومه ومعارفه على جميع الوجود فعند ظهور هذه الفضائل منه صلى الله عليه وسلم خفيت عنده جميع الفواضل وصارت بافاضتها الى فضائله صلى الله عليه وسلم كلا شئ صارت كالنقطة فى بحر المحيط فلذا قال خفيت عنده الفضائل فلا تعد فضائل جميع الوجود مع فضائله صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك استواؤه وتمكينه فى مرتبة العندية التى لا مطمع لاحد فى نيلها ولا ان تحوم حول ساحتها افيض عليه فى تلك الحضرة ما لا يحد ولا يحصى ولا تدرك له غاية من الفيض الاقدس والاحوال العلية والاخلاق البهية الكريمة والسجايا العظيمة فلهذا لا مطمع لاحد فى لحوق فضائله صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بمرتبة العندية قوله وانجابت الانجياب هو كشط الشئ وزواله عن محله قال وانجابت به أى بسببه صلى الله عليه وسلم عن عقولنا الاهواء والاهواء هو فاعل انجابت حتى

ثان أى جميع الامة غير الصحابة (أظلت) مفعوله محذوف (من ظله) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (الدففاء) بضم دال مهملة وبفاءين جمع داف هم الصحابة رضى الله عنهم سموا بذلك لانهم يدفون يسيرون للعدو ويدفعونه أى فكأن الغمامة لما أظلته أعلمته أنها استودعته جميع أمته الذين أظلتهم أصحابه بظله ونوره وهذه اشارة الى أن أمته فى ظله وجاه وحفظه الى يوم القيامة وفى بردة المديح أحل أمته فى حرز ملته * كالليث حل مع الاشبال فى أجم * (خفيت) بكسر فاء كرضى استترت وانكتمت (عنده) أى فى جانب ما أعطاه الله من الكمالات والفضائل (الفضائل) والكمالات التى أعطى الله غيره من الرسل والانبياء والملائكة وغيرهم (وانجابت) انكشفت واتضحت (به) أى بسبب ما أتانا به من النور المبين والقرآن العظيم (عن عقولنا) جمع عقل نور روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية (الاهواء) بفتح همزة جمع هوى الضلالة والجهالة

عرفنا طريق الرشد والهدى واتضحت لنا اتضاح الشمس فى حين الظهيرة ثم قذف بنا فى بحارها غ
لا يلم بنا غيرها فذلك كله بسببه صلى الله عليه وسلم والعقل له ثلاث مراتب ومن حيث هو هو
الروح فهو للروح كالبصر للعين تبصر به الامور وتميزها وتدرك به حقائق الاشياء وتعرف عوا
ثم هو أى العقل فى نفسه منقسم على ثلاث مراتب المرتبة الاولى وهى العقل الاكبر وهو النور الفائ
من حضرة القدس ويسمى عند الاكابر بالعقل الربانى وهو فى نفسه فى غاية الوضوح والاتضاح تنكشف
به الاشياء على ماهى عليه بحيث أن لا تقبل غلطا ولا خطأ ولا تقتحم شيئا من السفه وصاحبه يأخذ ال
عن الله بلا واسطة ولا سبيل للهوى الى هذا العقل فان الروح فى هذه المرتبة عند حلولها بها تفتش ع
النفس فلا تجد شيئا من آثارها فيقول أين النفس التى كانت تضلنى وكانت على خبالها فيقال لها حيل
بينك وبينها بحجب الانوار فلا مطمع لها فى لحوقك ولا يصلك شئ من خبالها فهذه مرتبة العقل الاكبر
والمرتبة الثانية من العقل هى مرتبة العقل الكلى وهو الذى ارتفع عن مرتبة العقل المعاشى ول
ماتصفى خروجه عن الظلمات لكن قدحت فيه قوادح من انوار العقل الاكبر فارتفع بها عن مرتبة
العقل المعاشى فليست له قاعدة ينظر بها ولا يتقيد بعادة لغلبة الانوار عليه فتصرف صاحبه فى
العوالم ايجادا واعداما دفعا وجلبا بوجه لا يندفع تصرفه فى شئ لكنه نقص عن العقل الاكبر لاشتغاله
بنفسه وتلذذه بتصرفاته فى العوالم بنقصه عن العقل الاكبر فى هذه المرتبة لان العقل الاكبر
وان كانت له هذه السجية التى هى كمال التصرف فى العوالم وتفوق حكمه فيها لكن غلب عليه جلال
الربوبية وغرق فى بحار أنوارها فاشتغل بمراعات ماهنالك من العظمة والكبرياء فهو مشغول بربه
لا بنفسه فلا يتفرغ بالتصرف فى العوالم ايجادا واعداما ولا يقول لشئ كن ولا تكن مع تمكنه من كل
التكوين لعظمة الشاغل له بما تبدى له من جلال الربوبية فبهذا فاق عن العقل الكلى وكان اشتغاله فى
هذه المرتبة من تمييزها فيما تبدى له من صفات الله واسمائه والخوض فى معرفة خواصها ولوازمها
ومقتضياتها وأحكامها فاشتغل بتفصيل ذلك بما يتفرغ لنظره الى نفسه لاشتغاله بالله تعالى وهذه كانت
حالة الروح قبل تركيبها فى الجسم لغلبة هذا العقل عليها بخلاف العقل الكلى فانه لما أطلق من عقال
التقييد بالعادات وأطلق سراحه فى فضاء الجبروت أدركه فرح عظيم فاشتغل بفرحه واشتغل بقهره
للاشياء وسيرها تحت حكمه منذ ملكه الله أزمة ظواهر الاشياء لا تستعصى عليه فى شئ لكنه لا يأمن
من مكر الله فى هذه المرتبة لشدة اشتغاله بنفسه الا بتأييد الهى يدركه والا فالهلاك أقرب اليه من
شراك نعله والمرتبة الثالثة للعقل فهى مرتبة العقل المعاشى وهى أسفل المراتب وأشدها خوضا فى
مخالفة الله الا أن يقذف الله به قاذفا من الرشد يقوده والا فهو غريق فى بحر الهوى لا يسعى الا فى
شهوات نفسه وخوضه دائما فى مقتضيات عاداته ومألوفاته وصاحبه أسير فى يد النفس لغلبة الهوى
عليه والهوى نعوذ بالله منه هو الظلام الفائض من استيلاء النفس على العبد اذا استولى على العبد
قذف به فى بحر الضلال والخبث وان كان له علم قائم فان الهوى يغلب لقوة سلطان النفس اذا انعدم
الناصر من الله تعالى فهذه هى مراتب العقل الثلاثة فلذا قال انحجبت عن عقولنا الاهواء وهى تبعات
الهوى فانها كانت فى أول الامر قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية كانت عقول الخلق لا تخوض
الا فى الكفر بالله تعالى لانعدام النور الالهى الى أن بعثه الله صلى الله عليه وسلم للخلق ففتح

(أمع) أى كيف يوجمع (الصبح) وهو أول النهار (للنجوم) والكواكب (تجل) اشراق وضوء وظهور (أم) كيف يوجد (مع) طلوع (الشمس للظلام) كسحاب الظلمة (بقاء) ووجود هو (٦٥) (معجز) بضم ميم وكسر جيم من أعجز أعيي وغلب (القول)

سبحانه وتعالى أبواب الهدى والرشد بفيض الانوار الالهية على القلوب حتى تطهرت العقول من متابعة الهوى وسعت بذلك فى الترقى فى المراتب الى أن بلغت مرتبة العقل الاكبر وكل ذلك بسبب النور الفائض منه صلى الله عليه وسلم من حضرة القدس فلذا قال انجابت به عن عقولنا الاهواء * ثم قال رضى الله عنه

*(أَمَعَ الصُّبْحِ لِلنُّجُومِ تَجَلٍّ * أَمْ مَعَ الشَّمْسِ لِلظَّلَامِ بَقَاءُ)*

لما ذكر زوال الاهواء بسبب الانوار الالهية عن العقول بسبب ظهوره صلى الله عليه وسلم ضرب لها مثلا بنور الشمس وضيائها فانه يغطى ضياء النجوم حتى لاظهور لها فيه ويكشط الظلام من الكون حتى لاظهور له فيها أى فى ضياء الشمس شبه الانوار الواردة منه صلى الله عليه وسلم حين بعث فانها كشطت ظلام الضلال من القلوب حتى لابقاء لها معه وكذا النجوم التى ظهورها فى ظلام الليل يقصيها ضياء الشمس والاستفهام تعجب وانكار * ثم قال رضى الله عنه

(مُعْجِزُ الْقَوْلِ وَالْفِعَالِ كَرِيمُ الْـخَلْقِ وَالْخُلْقِ مُقْسِطٌ مِعْطَاءُ)

قوله معجز القول والفعال لانه صلى الله عليه وسلم أعجز جميع الناطقين عن احصاء مآثره الكريمة قولا وفعلا فى أقواله وأفعاله فلا قدرة لاحد على احصائها واستقصائها قوله كريم الخلق والخلق معنى الكريم هو الذى جمع أشتات المحامد فهو صلى الله عليه وسلم باستكمال معانى الجمال فى ذاته صلى الله عليه وسلم حتى لم يشذ منها شئ وهو ظاهر جسده الكريم ثم قال كريم الخلق وكريم الخلق ومعناها جمع اشتات محامد الافعال مثل الصدق فى جميع أحواله ومثل البذل والعطاء للاموال ومثل الحلم على السفهاء والصبر وعدم مقابلة المسئ باساءته والعفو مع قدرته على الظالم وهى كثيرة لا تنحصر ثم قال مقسط معطاء مع كونه كريم الاخلاق هو فيها مقسط يراعى مراتب الحق فى الافعال فقد قطع يد السارق فى السرقة وجلد فى الزنى ورجم فيه وجلد فى شرب الخمر والقذف ولم يعف فى شئ من هذه الامور لانها مرتبة القسط والحق فهو مع كونه صلى الله عليه وسلم فى المرتبة العليا فى مكارم الاخلاق لا يتهافت فيها تهافتا يؤدى الى اسقاط حقوق الله تعالى فيمن ظلم نفسه وتعدى أمر الله تعالى يقول قاصر العقل اذا أحدث عن مكارمه وعفوه وحلمه ثم رأى ما يفعل بار باب الحدود المتقدمة يقول هذا ليس بحليم وليس بعفو حيث لم يعف عن الزلات قلنا انه كان متصفا بالعفو والحلم اتصافا لا يخرجه عن ترك حدود الله تعالى فى الجرائم فلذا أردفها بقوله مقسط بعد كونه كريم الخلق فهو مقسط لا يخرج عن الحق فى مراتبه قوله معطاء يعنى كثير الاعطاء للاموال بحيث أن لا حد لذلك ولا يقاس بمقياس فهذا معلوم من أحواله صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

*(لَا تَقِسْ بِالنَّبِيِّ فِى الْفَضْلِ خَلْقًا * فَهُوَ الْبَحْرُ وَالْأَنَامُ إِضَاءُ)*

أى كلامه الفصيح البليغ معجز الخلق فلا يقدر أحد أن يأتى بمثل كلامه حسا ومعنى (والفعال) بكسر فاء جمع فعل أى ومعجز الفعل فلا يطيق أحد من الخلق أن يأتى بمثل فعله البديع الاتقان والحكمة

سبحان من انشاه كيف يشاء * وخصه بما يشاء كيف شاء * هو (كريم الخلق) بفتح خاء طلعته البهية وصورته السنية (و) كريم (الخلق) بضم خاء كقفل الطبيعة قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم هو (مقسط) بضم ميم وكسر سين من أقسط عدل وحكم بالحق هو (معطاء) بكسر ميم وسكون عين صيغة مبالغة أى كثير العطاء فعطاؤه وكرمه تعجز عنه الملوك الكرماء (لاتقس) بفتح فوقية وكسر قاف من قاس الشئ على الشئ قدره على مثاله أى لا تمثل ولا تشبه (بالنبى) سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (فى الفضل) والشرف والكمال والجمال وفى كل شئ (خلقا) أى أحدا من جميع خلق الله من رسول ونبى وملك فضلا عن غيرهم (فهو البحر) الكبير البالغ الغاية فى العظمة والكثرة (والانام) بفتح همزة كسحاب الخلق كله (إضاء) بكسر همزة

حقيقة القياس بالشئ أوعلى الشئ هو المساواة به قال لا تقس بالنبى صلى الله عليه وسلم خلـ

المخلوقات فلا يقاس بشئ لاتصافه بما لا يذكر من أمر الربوبية فلا مطمع لأحد من المخلوقا

نيل تلك المرتبة فلذا امتنع القياس به صلى الله عليه وسلم قال هو فى هذا الميدان بحر لاساحـ

ولا قعر صلى الله عليه وسلم والانام إضاء واحدها أضاة وهو الغدير الذى يترك فيه الما

سيلانه * ثم قال رضى الله عنه

(كلُّ فَضْلٍ فى العَالَمينَ فَمِنْ فَضْـلِ النبىِّ استعارهُ الفُضلاءُ)

يعنى كل فضل محمود فى العالمين من الازل الى الأبد وان بلغ الغاية فى الكثرة والتضاعف كـ

النبيين والمرسلين والملائكة فكل ذلك مستعار من فضله صلى الله عليه وسلم فانه سبق لنا فى غير

أن كل من أوتى الوجود مما يحمد أو يطلب من ملاءمة الاغراض والمحامد الكريمة كل ذلك مستـ

حضرة القدس فان الله تعالى هو الذى وهبه خلقه وكل ما يبرز من حضرة القدس يجتمع فى حقيقتـ

الله عليه وسلم ومنه يفيض على الوجود فالخيرات له بالاصالة صلى الله عليه وسلم ولغيره بالعارية

له صلى الله عليه وسلم حتى قال بعض الاكابر فى نسبة عقله صلى الله عليه وسلم انك لو أخذت ر

الدنيا حبة حبة ثم جمعتها كانت نسبة عقول جميع المخلوقات بالنسبة الى عقله صلى الله عليه وسلم

من رمال الدنيا أعنى اذا اجتمعت عقول الخلق وانضافت بعضها الى بعض كانت نسبتها الى

صلى الله عليه وسلم كنسبة رملة الى جميع رمال الدنيا فكل عقول فهى فيهم أنوار الهية مقسومة

على قدر نور كل واحد أدرك عقله وجميع الانوار التى فى الخلق من عند الله انما هى نقطة من عـ

صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

(شُقَّ عَنْ صَدْرِهِ وَشُقَّ لهُ البَدْ رُ وَمِنْ شَرْطِ كلِّ شَرْطٍ جَزَاءُ)

قوله شق عن صدره صلى الله عليه وسلم اشارة الشق هنا الى حيث كان عند مرضعته حليمة اهبط

جبريل وميكائيل عليهما السلام وشقا صدره واستخرجا منه علقة سوداء وهو الدم المنعقد وقالا هـ

حظ الشيطان منك وقد تقدمت القضية وشق أيضا عن صدره صلى الله عليه وسلم ليلة الاسـ

وأتى بطست من ذهب مملوءة حكمة وايمانا وأفرغت فى قلبه صلى الله عليه وسلم فهذا هو الشـ

وجزاء هذا الشق فيه صلى الله عليه وسلم أنه طهر من جميع الاخلاق البشرية التى اقتضتها الطـ

وتفارق الاخلاق الالهية مثل الحرص على الدنيا وشدة الانهماك فى الشهوات وحب كثرة الامو

ونسيان الآخرة وهى كثيرة وتخلق صلى الله عليه وسلم بالاخلاق الالهية مثل الزهد فيما سوى

تعالى وكمال الاشتغال بالله وغض طرف القلب من غير الله تعالى والانقطاع الى الله تعالى من كل

والتعويل على الله تعالى فى كل أمر وعلى كل حال وعدم المبالات بغير الله تعالى وأكبر ذلك هو حـ

الذات المقدسة من حيث ما هى هى لذاتها فان هذه الخصلة هى القطب الذى عليه مدار الاخلا

الالهية والاحوال الربانية فمن كملت له تلك الحالة وهى حب الذات المقدسة استولى على أثنا

الاخلاق الالهية واتصف بالصفات الكريمة لما عرف فى العادة المرء على دين خليله فمن اجتمع

تعالى فى حضرة قدسه وأحب ذاته لذاته خلع عليه سبحانه وتعالى خلعة الصفات والاسماء الالـ

واتصف بما لا يذكر ولا يعرف الا ذوقا وكانت منزلته من الحق أن يغضب لغضبه ويرضى لرضا

ككساء جمع أضاة بفتحها كقناة غدير وهو قطعة ماء يتركها السيل وفى نسخة ركاء بكسر

ركوة بكسرها كسدرة

دلو صغير (كل فضل) وشرف

ومجد وفخر وجمال كان وثبت

(فى العالمين) بفتح لام ما

سوى الله تعالى (فمن) فهو

مقتبس ومأخوذ ومستمد

من (فضل النبى) سيدنا

ومولانا محمد بن عبد الله

رسول الله صلى الله عليه

وعلى آله وسلم (استعاره)

أى طلبه من بحر جوده

وكرمه عارية ووديعة

عندهم (الفضلاء) ساداتنا

الرسل والانبياء والاولياء

والملائكة (شق) بضم شين

مبنى للمفعول (عن صدره)

وفى نسخة عن قلبه أى فتحته

الملائكة أربع أوخمس

مرات مبالغة فى التطهير

والتقديس من حظ البشرية

بالاسرار الالهية والحكم

الربانية والعلوم اللدنية (و)

من أجل ذلك (شق) بضم

شين (له) صلى الله عليه وعلى

آله وسلم (البدر) القمر

فرقتين لما طلب منه أهل

مكة آية يرونها فلما رأوها

قالوا سحرنا محمد (و) انما

شق له القمر مكافأة ومجازاة

له عن شق صدره بجنس

ذلك الفعل اذ (من شرط)

وقاعدة (كل شرط) عندهم

(جزاء) وجواب

(ورمى) صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعداءه الذين تحزبوا عليه في غزوة بدر وحنين (بالحصى) مفرده حصاة بعد أن سبحت في كفه

وسر الشق هو أن الشق الاول ظهر فيه من الاخلاق البشرية المناقضة للامور الالهية والشق الثاني ليلة الاسراء كملت له الاحاطة بجميع صفات الله وأسمائه حتى كأنه هو والشق الاول عند مرضعته السيدة حليمة والثاني هو ليلة الاسراء وقد يرد ههنا اعتراض على هذا الكلام فيقال انه صلى الله عليه وسلم كان قطبيا والقطبية ولها عند فتح النبوة ومن المعروف أن القطب في كل عصر يتصف بجميع صفات الله وأسمائه حتى كأنه هو فكيف قلتم انه اتصف بها ليلة الاسراء مع كونه كان قطبا قبلها * والجواب أن الامر الذي تحصل به القطبانية والخلافة تم له عند فتح النبوة وتمت له مرتبة الخلافة وما وقع ليلة الاسراء فانما اتصف بصفات الله الباطنة التي لا يصل اليها غيره فان الله سبحانه وتعالى لا نهاية لصفاته وأسمائه فان القطب وان أحاط بها في مرتبته فانما حصل له من صفات الله وأسمائه نزر قليل بالنسبة الى ما بقي فان القطب بل وسيدنا صلى الله عليه وسلم فانه منذ بعث وهو تفاض عليه صفات الله وأسماؤه في كل طرفة عين في طول عمر الدنيا وفي البرزخ بعدها وفي طول يوم القيامة وفي عمر جنة الابد أبدا سرمدا ولا مطمع لاحد أن يلحق غاية الاسماء والصفات ويحيط بها فاذا كان هكذا فالامر الذي يتصل به عند مرتبة القطبانية هو اتصافه بالكمالات الالهية بحيث اذا نقص شيء منها عنه لم يتأت له الخلافة والقطبانية ووراء هذه الكمالات مما لا تحيط به العقول ولا تنتهي اليه الافكار من صفات الله وأسمائه وأسراره وعلومه ومعارفه * قوله وشق له البدر البيت وشق البدر قضية معلومة أنه اقترحه عليه المشركون حيث طلبوه بآية كظهور النبيين بالآيات فقال لهم ما تريدون فقالوا نريد أن ينشق لك القمر نصفين ونحن نراه فقال لهم نعم فلما كان الليل رأوا القمر أراه لهم مشقوقا نصفين وكان على رأس الجبل فكانت قطعة منه دون الجبل وقطعة وراء الجبل ولم يحتجب عنهم فطلبهم بالايمان فقالوا له حتى نسأل من يأتي من بعد هل رأوا من القمر ما رأينا أم لا فلما كان الغد سألوا الرفاق الواردة على مكة وهم كثيرون فقال كل واحد منهم رأيناه انشق نصفين فقالوا هذا سحر مستمر سحر به الغائب والحاضر وآمن به بعض من كان كافرا وظهر بعدها الايمان به في الناس بعد ما جحده كفار قريش قال ومن شرط كل شرط جزاء وجزاء هذا الشق شق البدر أن انتشر به الايمان في الارض به صلى الله عليه وسلم وكثر الخلق في اتباعه * ثم قال رضي الله عنه

*(وَرَمَى بِالْحَصَى فَأَقْصَدَ جَيْشاً * مَا الْعَصَا عِنْدَهُ وَمَا الْإِلْقَاءُ)*

معناه أنه رمى صلى الله عليه وسلم بالحصى مرتين في يوم بدر وفي يوم حنين * قلنا وذلك الرمي هزم به جيوش المشركين ومنح الله المسلمين اكتافهم يأسرون منهم كيف شاؤوا بعد القتل قال وهذا الرمي ما العصا عنده وما الالقاء يعني ما العصا عنده كأنها ليست بشيء وما القاء السلاح للقتال بسل السيوف وطعن الرماح وضرب النشاب كأنهم ليسوا بشيء فانها لم تفعل كهذا الرمي فانه هزم به صلى الله عليه وسلم جيوش المشركين أكثر من ضرب العصا والالقاء وهذه احدى معجزاته صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضي الله عنه

*(وَدَعَا لِلْأَنَامِ إِذْ دَهَمَتْهُمْ * سَنَةٌ مِنْ مُحُولِهَا شَهْبَاءُ)*

(فأقصد) أهلك وشتت (جيشا) عظيما كثير العدة والعدد فما بقي أحد الا ودخل شيء من الحصى عينيه ومنخريه فقتل من قتل وأسر من أسر وفر من فر (ما) استفهام انكاري أي ما نسبة (العصا) بفتح العين عصا سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام التي ألقاها على حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعتها كلها (عنده) أي في جانب هذا الحصى القليل المرمى به هذا العدو الكثير عددا وعدة (وما) استفهام ابعادي (الالقاء) لتلك العصا على تلك الحبال بالنسبة لرمي الحصى أي لا تقس هذا الرمي بالقاء هذه العصا فشتان ما بينهما (ودعا) رغب وتوسل الى الكريم سبحانه سيدنا ومولانا محمد ابن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (للأنام) كسحاب الخلق كله المراد أهل المدينة ومن والاها (اذ) حين (دهمتهم) بكسر هاء وفتحها كسمع ومنع غشتهم وأصابتهم (سنة) عام جدب وقحط (من محولها) بضم ميم جمع محل كفلس الجدب وقلة المطر والشدة (شهباء)

بيضاء لفقد النبات (فاستهلت) أى فبسبب دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمطرت وصبت (بالغيث) بفتح غين وسك...
المطر الغزير (سبعة أيام) بلياليها (عليهم) أى على الانام (سحابة) برفع فاعل استهلت (وطفاء) بفتح واو كحمراء من الوطف بفتـ...
كثيرة المطر (تتحرى) تلك السحابة تقصد بمطرها بسبب قوله (٦٨) فى دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم اللهم حوالينا ولا علـ...
(مواضع) أماكن (الرعى) الكلأ والعشب (والسقى) أى وتتحرى مواضع السقى التى تجتمع فيها المياه لتشرب منها البهائم كالغدران (وحيث) أى وتتحرى أيضا المواضع (العطاش) بكسر عين جمع عطشان التى (توهى) بضم فوقية وفتح هاء مبنى للمفعول تقطع وتخرق فيها (السقاء) بكسر سين ككساء القربة لشدة يبسها وفى نسخة يوهى بضم تحتية والسقاء بمعنى الجلد (وأتى) جاء (الناس) أهل المدينة (يشتكون) الى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو فى خطبة الجمعة الثانية (أذاها) أى ضرر السحابة المستمرة عليهم سبعة أيام بهدم البنيان وقطع السبل وتعطيل المعاش (ورخاء) بفتح راء كسماء سعة وخصب ورغد عيش (يؤذى) بضم تحتية يضر (الانام) كسحاب الخلق
كله (غلاء) كسماء ارتفاع الاسعار والمراد كغلاء فى الشدة والضرر ويقرأ عند شدة المطر هذا التوسل

يا ربنا نحن لك العبيد * أنت لنا سيدنا المجيد	يا ربنا نحن لك العيال * أنت لنا المدبر النوال
يارب أمسك كثرة الامطار * بجاه أحمد النبى المختار	رب حوالينا ولا علينا * لضعف حالنا وما بنينا
والطف بنا فانك اللطيف * وارأف بنا فانك الرؤف	آمين آمين استجب دعانا * ولا تخيب سيدى رجانا

وقضية هذه الدعوة معلومة فانه صلى الله عليه وسلم كان على المنبر يوم الجمعة يخطب وكان الناس فى شدة عظيمة من الجوع والقحط فقام اليه بعض الاعراب وهو على المنبر يخطب فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله أن يسقينا فرفع يديه صلى الله عليه وسلم حتى ظهر بياض ابطه صلى الله عليه وسلم ثم قال اللهم اسق بلادك وارحم عبادك فقام أبو أيوب الانصارى رضى الله عنه فقال يا رسول الله التمر فى المرابد فزاد صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اسق بلادك وارحم عبادك فقال ابو أيوب مثل مقالته الاولى فقال صلى الله عليه وسلم فى الثالثة أو فى الرابعة اللهم اسق بلادك وارحم عبادك حتى يقوم أبو أيوب يسد مربده بردائه فانهلت السحاب على المدينة وأقبلت بالمطر كافواه القرب فبقيت من يوم الجمعة الى يوم الجمعة فلما كان صلى الله عليه وسلم يخطب قام اليه رجل من المسلمين وقال يا رسول الله هلك المال وتهدم البنيان مشتكين له مما وقع فأبى أن يدعو برفع المطر وقال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحاب عن المدينة كانجياب الثوب وأخبر أن واديا بقى يسيل شهرا كاملا وفاض الخصب والخيرات فى الارض حتى كانت تلك السنة تعرف فى السنين المتباعدة الغرة البيضاء فى الدابة السوداء قال ودعا للانام اذ دهمتهم والدهم هو الاخذ بعنف يعنى تلك السنة لشدة قحطها وجوعها دهمت الانام وذوقتهم من وبالها أمرا شديدا * قوله سنة من محولها شهباء وحقيقة المحل هى شدة الضيق فى المعيشة وتباعد آثار الخير فكانت تلك السنة من محولها وتمكين القحط فيها أن الارض كلها شهباء منها يعنى لا خصب فى الارض * ثم قال رضى الله عنه

*(فَاسْتَهَلَّتْ بِالْغَيْثِ سَبْعَةَ أَيَّا * مٍ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ وَطْفَاءُ)*

فبأثر دعوته صلى الله عليه وسلم استهلت سحابة بالغيث والاستهلال هو الظهور بشدة فاستهلت سحابة بالغيث وهو المطر فى ساعته ودام سبعة أيام الى الجمعة الأخرى وهو متصل الليل والنهار * قوله وطفاء معناه أنها دائمة النزول والوبل * ثم قال رضى الله عنه

*(تَتَحَرَّى مَوَاضِعَ الرَّعْيِ وَالسَّقْـ * ـيِ وَحَيْثُ الْعِطَاشُ يُوهَى السِّقَاءُ)*

أخبر ان تلك السحابة التى دام انصبابها و بلها كانت تتحرى مواضع السقى والرعى والسقى هو سقى الزراعين للحراثة والرعى هو الذى ترعاه المواشى يعنى ان تلك السحابة كانت تتحرى مواضع السقى والرعى لينتفع الناس بذلك * ثم قال رضى الله عنه وحيث العطاش يوهى السقاء معناه ان سيل السحابة كانت تجرى فى الاماكن الثلاثة أماكن الرعى واماكن السقاء والاماكن التى توهى العطاش أى يدلى دلاءهم وقربهم * ثم قال رضى الله عنه

*(وَأَتَى النَّاسُ يَشْتَكُونَ أَذَاهَا * وَرَخَاءٌ يُؤْذِي الأَنَامَ غَلَاءُ)*

(فدعا) صلى الله عليه وعلى آله وسلم الكريم سبحانه (٦٩) رأفة ورحمة بهم فقال اللهم حوالينا ولا علينا (فانجلى) انكشف وزال وغاب (الغمام) السحاب والمطر عن المدينة فخرجوا يمشون في الشمس (فقل) متعجبا في هذه الكرامة وهذه المعجزة (في وصف غيث) مطر (إقلاعه) بكسر همزة امساكه وانقطاعه خوفا من الضرر (استسقاء) أي مثل طلب انزاله وارساله لازالة الجدب والقحط فكلا الطلبين ترتبت عليه مصلحة (ثم) بعد ذلك الغيث الغزير النافع ببركة دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (أثرى) بفتح همزة وسكون مثلثة كأعطى (الثرى) بفتحتين التراب فاعل أي كثر الخير والخصب والزراعة (فقرت) بفتح قاف وراء مشددة فرحت واطمأنت (عيون) جمع عين أي أبصار أهل المدينة (بقراها) بضم قاف جمع قرية كقرة على غير قياس أي بعمارة قراها أي المدينة وبلادها بكثرة الخصب والخيرات العميمة وفي نسخة بقراها بكسر قاف من قرى الضيف (وأحييت) بضم همزة وكسر تحتية مبنى للمفعول أي أحياهم الله وأنقذهم من شدة الجدب والقحط ومن شدة كثرة الامطار ببركة دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (أحياء)

أخبر هنا عن قول الرجل الذى أتى فى الجمعة الاخرى وقال يارسول الله غرق المال وتهدم البنيان واتوا يشتكون من رخاء الامطار عليهم بحيث أن لاتنقبض قال ذلك الرخاء فى المطر هو شدة الغلاء على الناس لانه يمنع الناس من السعى فى معاشهم فلذا سماه غلاء * ثم قال رضى الله عنه

*(فَدَعَا فانجلَى الغَمَامُ فَقُلْ فى * وَصْفِ غَيْثٍ إِقْلَاعُهُ استِسقَاءُ)*

أخبر انه صلى الله عليه وسلم لما اشتكى له الاعرابى من شدة الاذى من المطر دعا صلى الله عليه وسلم برفعها فانجابت اى انقشعت فانه أنزل المطر بدعوته صلى الله عليه وسلم ورفع بدعوته صلى الله عليه وسلم فقل فى وصف غيث اقلاعه استسقاء معناه أن المطر فى نزوله استسقاء منه صلى الله عليه وسلم وفى رفعه استسقاء منه صلى الله عليه وسلم ومعنى رفعه استسقاء انه صلى الله عليه وسلم دعا فيه بزوال الضرر حين أضر دوام نزول المطر بالناس دعا برفعه فهو استسقاء * ثم قال رضى الله عنه

*(ثم أثرَى الثَّرَى فقرَّتْ عيونٌ * بِقِرَاهَا وَأُحْيِيَتْ أحياءُ)*

قال ثم أثرى الثرى ومعنى أثرى ابتل هنا يتكلم مازال فى دعوته صلى الله عليه وسلم حين دعا بالغيث * وصار طينا وثرى الثرى هو السبب فى ايقاع الخصب فى الارض فانها مادامت يابسة لم ينبت منها شئ * قوله فقرت عيون يعنى انها لما اثرى الثرى وصار طينا انبت النبات بما فيه من البزور وعظم امر النبات حتى صار أعظم الخصب بسبب ثرى الثرى الذى وقع بالارض فلما صار خصبا عظيما قرت به عيون الناظرين لان بسبب الخصب فى الارض تكثر الخيرات بها * قوله بقراها الضمير هنا فى قراها إما ان يعود على الارض حين كثر الخصب بها أو على المطر كله صحيح وسماه قرى لانه فى حقيقته اعطاء وتسميته قرى مأخوذ من اقراء الضيف وهو الطعام الذى يدفعونه له أهل البيت يعنى ان المطر حين نزلت اعطت قراها للخلق من قوة الخصب وينشأ عنه من أحوال المعيشة أو الارض حين كثر الثرى بها أعطت قراها للخلق وهو كثرة الخصب بها فهو القرى ويصح القرى ان يقرأ بضم القاف قال حين كثر المطر وأثرى الثرى حين صار طينا واندفع عنه كثرة الخصب قرت عيون بقرى الارض والقرى جمع قرية وهو المكان الذى يجتمع به كثير من الخلق أو قليل والمراد بهم الذين يستقرون على قرار الارض من الآدمى وغيره من الدواب كلها قرت عيونهم بالخصب لما وقع * قوله وأحييت أحياء الاحياء هنا يعم الحيوان والجماد فاما الحيوانات من الآدميين وغيره فانها كانت كأنها فى صور الاموات من شدة ماتلاقى من القحط والجوع وشدة البلاء أمره معروف حين يقع الجدب فلما كانت الخلق فى هذه الحالة وهى كالموت أحيوا بسبب نزول المطر وكثرة الخصب حتى تمكنت صورة الحياة من الفرح والسرور وكثرة الزهو مما تلاقيه النفس من ملائمة اغراضها واما الجماد فأحييت بظهورها بعد العدم وهى اجناس الخصب التى تنبت فان الارض كانت منهامية لاشئ بها فلما كثر نزول المطر أحيي النبات وظهر وجوده بعد العدم وأحييت الارض بسبب ذلك وحياة الأرض هنا بسبب فرح المار بها لما يرى من كثرة الخصب فهى حياتها وحياتها أيضا بكثرة ذكر الله عليها فان كل غصن على الارض وكل ورقة تسبح الله تعالى بألسنة فصاح فهى الحياة الحقيقية يقول صلى الله عليه وسلم مثل الذى يذكر ربه

بفتح همزة جمع حى قبائل العرب (فترى) (١) بفتح فوقية تبصر أيها الناظر (الارض) أى أرض المدينة وغيرها (غب) غين معجمة أى عقب ذلك المطر الغزير النافع (كسماء) أى حال كون الارض مثل السماء فى الخضرة والسواد لكن خرقا للعادة وكرامة للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (أشرقت) انكشفت وزالت عن الارض (من نجومها) أزهارها وأنوارها (الظلماء) الظلمة (تخجل) بضم فوقية وكسر جيم من أخجل أى تدهش وتحير (الدر) اللؤلؤ بنصب مفعول (واليواقيت) جمع ياقوت بنصب عطف على الدر (من نور) بفتح نون كزهر وزنا ومعنى بيان لما بعده (رباها) أى الارض جمع ربوة بتثليث الراء جمعا وفردا ما ارتفع من الارض ودون الجبل وخصت بالذكر لان أنوارها وأزهارها اجلى وأبهى وأطيب من غيرها (البيضاء) برفع فاعل تخجل (والحمراء) برفع عطف عليها (ليته) أى سيدنا ومولانا محمدا بن سيدنا عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (خصنى) وأكرمنى فضلا وكرما وجودا منه (برؤية وجه) أى برؤية وجهه الكريم وذاته الكريمة مناما ويقظة وكان ذلك على الله يسيرا . اللهم بحق سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أرنى وجه سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم حالا ومآلا يقظة ومناما بمحض فضلك ورضاك يا الله (زال) ذهب واضمحل (عن كل من رآه) مناما ويقظة (الشقاء) كسماء العذاب وحصلت له

والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت * قلنا فهذه حياة الارض من كثرة ذكر الله عليها فى ...
ثم قال رضى الله عنه

*(تُخْجِلُ الدُّرَّ واليَوَاقِيتَ مِنْ نَو * رِ رُباها البَيْضاءُ والحَمْرَاءُ)*

قال صارت الارض حينئذ بسبب ما ذكر من المطر فى الارض وانتعاش خصبها الى الغاية و... الانوار عليها صارت تخجل الدر واليواقيت يعنى صار الدر واليواقيت اذا رأوا ما بالارض من ... خجلوا من ظهورهم لكون تلك الانوار شأنها ارفع من شأنه فهذا هو الخجل وهو الحياء ... معناه انه يزرى بمرتبة اليواقيت والدر اذا رأى تلك الانوار بالارض * قوله رباها الربا هو جمع والربوة هو المكان المرتفع من الارض وخص الربا بالنور لكونها هى الغالبة فى كثرة الانوار ظهورها وقد تكثر الانوار فى المكان المنسفل من الارض * قوله البيضاء والحمراء يعنى بهما الانوار الخصب اذا تفتحت أنواره وهو فى غاية ما يكون من القوة تفتحت أنواره بيضاء وحمراء بل ... تظهر حينئذ فى عين الناظر كأنها بساط من الياقوت ثم قال رضى الله عنه

*(لَيْتَهُ خَصَّنِي بِرُؤْيَةِ وَجْهٍ * زَالَ عَنْ كُلِّ مَنْ رَآهُ الشَّقَاءُ)*

* ثم انتقل رضى الله عنه يتكلم على رؤية وجهه صلى الله عليه وسلم وأتى فيه بليت التى هى عين التمنى ... عن شدة حبه له صلى الله عليه وسلم وشدة شوقه اليه قال ليته خصنى برؤية وجه يعنى ليته أرانى وجهه الكريم صلى الله عليه وسلم فانه بسبب رؤيته يزول الشقاء عن كل من رآه يريد رؤية النوم أو اليقظة فانه لا يراه الا سعيد يعنى ان تلك الرؤية لو منحنيها فى وجهه الكريم لزال عنى الشقاء كما يزول عن كل من رآه الشقاء ورؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة واقعة قطعا لا شك فى ذلك ثم هى نفسها مستبعدة عند أهل الظاهر لانها عندهم من معانى الآخرة وأمور الآخرة لا مطمع لاحد فى دركها الا ... النبوءة عندهم ومن ادعاها من غيرهم كذب فهذا مذهب أهل الظاهر * قلنا الجواب عن ... الانكار أنها وان كانت من عوالم الآخرة فهى واقعة لمن اختصه الله بفضله فهى من جملة الخوارق التى تقع للاولياء والخوارق التى تقع للاولياء هى مشهودة للعامة لا سبيل لانكارها فاذا صح لهم خرق العوائد فهى من جملة خرق العوائد وأما المشاهدة فتواتر الامر بها كثير من وجوه لا يمكن دفعها ... يدخل الريب فيها ولا بد للرائى لهذا أن يقع له شىء شبه السنة واحساسه كامل لا نوم معه ويكلمه صلى الله عليه وسلم ويأخذ عنه الاحكام والفوائد والاسرار وقولنا الاحكام هى الاحكام الشرعية فى الوقائع المتجددة الجارية على منهجه صلى الله عليه وسلم وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم فى النوم فهى صحيحة والحديث شاهد بها * قال صلى الله عليه وسلم من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى أو كما قال صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

---

(١) فترى الارض غبه كسماء * أشرقت من نجومها الظلماء

*(مُسْفِرٌ يَلْتَقِى الْكَتِيبَةَ بَسَّاً * ما إذا أَسْهَمَ الْوُجُوهَ اللِّقَاءُ)*

ثم وصف الوجه الكريم منه صلى الله عليه وسلم قال مهما القيه الانسان يلقاه مسفرا يعنى مضيئا معنى هذا أن الهموم التى تحل قلبه صلى الله عليه وسلم من جهة البلايا والمحن لا توقع التغيير فى وجهه الكريم بل لا يزال وجهه مسفرا مضيئا كأنه لا هم عنده وهو فى غاية الهم وذلك لقوة قلبه صلى الله عليه وسلم وامساكه للهموم فلا يتركها تظهر على وجهه صلى الله عليه وسلم وذلك مشعر بقوة ثباته لامر الله تعالى فلا تزعجه فواجع الامور والكتيبة هى الجماعة التى اجتمعت لقتاله صلى الله عليه وسلم يلقاها بساما يعنى ضاحكا لا يهمه أمرها لقوة ما فيه من الثبات لامر الله تعالى وشدة الشجاعة أما الشجاعة فهى من كمالات البشرية وأما الثبات لأمر الله تعالى فمن قوة سلطان النبوة وسطوته على الأمور والمصائب فلا تدهشه معضلات الفتن قال يلتقى الكتيبة للقتال صلى الله عليه وسلم وهو بسام ليس به بأس كأنه نائم على فراشه صلى الله عليه وسلم لقوة سلطان نبوته صلى الله عليه وسلم فلا ينزعج لشىء من أمر الله تعالى وحيث كان الأمر هكذا فهو يلتقى الكتيبة بساما أى ضاحكا * قوله اذا أسهم الوجوه اللقاء يعنى اذا غير الوجوه لقاء العدو من شدة الخوف من القتل فان هذه حالة البشرية فهو صلى الله عليه وسلم يلتقى الكتيبة بساما ليس به هم ولا غم فى ملاقاتها اذا غير الوجوه اللقاء * ثم قال رضى الله عنه وارضاه

(جُعِلَتْ مَسْجِداً لهُ الأَرْضُ فَاهْتَـزَّ بِهِ لِلصَّلاَةِ فِيها حِرَاءُ)

قال من معجزاته صلى الله عليه وسلم ومنن الله التى ليست لغيره صلى الله عليه وسلم ان الله جعل له الارض كلها مسجدا ولامته من بعده يصلى حيث شاء اذ كانت الامم قبله لا تصلى الا فى المساجد وهو صلى الله عليه وسلم جعلت له الأرض كلها مسجدا يصلى فيها حيث شاء * قوله فاهتز به للصلاة فيها حراء أردف عليه معجزة أخرى وهى كونه صلى الله عليه وسلم اهتز به حراء وحراء جبل من جبال مكة وقضيته أنه صلى الله عليه وسلم كان يوما جالسا عليه مع الصحابة فاهتز به الجبل فقال صلى الله عليه وسلم اسكن ياحراء فانما عليك نبىء وصديق وشهيدان أما النبىء فهو صلى الله عليه وسلم وأما الصديق فهو أبو بكر الصديق وأما الشهيدان فعمر وعثمان رضى الله عنهم * ثم قال رضى الله عنه

*(مُظْهِرٌ شَجَّةَ الْجَبِينِ عَلى الْبُرْءِ * كما أَظْهَرَ الْهِلاَلَ الْبَرَاءُ)*

أخبرهنا عن شجة كانت فى وجهه صلى الله عليه وسلم كانت كالهلال فى وجهه صلى الله عليه وسلم لم توقع فيه شينا ولا عيبا بل لم يزل جماله كاملا مع ظهور تلك الشجة فى وجهه صلى الله عليه وسلم والشجة ههنا هى الشجة التى شج بها وجهه صلى الله عليه وسلم يوم أحد ضربه عتبة بن أبى وقاص

السعادة الابدية (مسفر) بضم ميم وكسر فاء مشرق ومضىء بجر نعت وجه أو برفع خبر لمحذوف أى فوجهه الكريم منير (يلتقى الكتيبة) بفوقية كسفينة الجيش العظيم حال كونه (بساما) كشداد كثير التبسم طلاقة الوجه وانشراحه للضحك (اذا) حين (أسهم) غير وعبس (الوجوه) بنصب (٧١) مفعول (اللقاء) بكسر لام ككساء الملاقاة والمصادمة فى معركة الحرب وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يتغير وجهه فى تلك الحالة لثباته وكمال شجاعته وقوته وعزته بالله العزيز القهار (جعلت) بضم جيم وكسر عين مبنى للمفعول (مسجدا) محل سجود (له) أى لوجهه الكريم ولامته (الارض) كلها شرقا وغربا برا وبحرا وهذا من خصوصيته صلى الله عليه وعلى آله وسلم (فاهتز) أى فبسبب ذلك اهتز وتحرك فرحا وطربا (به) صلى الله عليه وعلى وآله وسلم (للصلاة) أى لأجل صلاته وتعبده (فيها) أى فى حراء (حراء) بكسر حاء ككساء جبل معروف بقرب مكة فيه غار يتعبد فيه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل النبوة وعليه اليوم قبة (مظهر) بضم ميم وكسر هاء مبرز بجر نعت لوجه أو برفع خبر لمحذوف (شجة) بفتح شين جرحة (الجبين) كرغيف فوق الحاجب والصدغ شجه الشقى عتبة ابن أبى وقاص فى جبهته فى غزوة أحد وكسر رباعيته (على) أى مع (البرء) بضم موحدة كقفل أى مع برئها (كما) مصدرية أى مثل ما (أظهر) أبرز (الهلال) القمر أول ليلة (البراء) بفتح موحدة كسماء أول ليلة من الشهر أى ان تلك الشجة بعد برئها فى غاية من الحسن كالهلال فى السماء

(ستر) كنصر أخفى وكتم هذا الوجه المكرم (الحسن) بنصب مفعول به أى الاصلى (منه) أى من نظ

الوجه (بالحسن) العارض
من تلك الشجة أول ما يقع
عليه نظر من رآه حسن
تلك الشجة (فاعجب)
بفتح جيم من عجب كفرح
أى فتعجب (لجمال)
كسحاب أى لحسن أصلى
كان (له) أى للجمال الاصلى
(الجمال) الحسن العارض
من تلك الشجة (وقاء)
بكسر واو ككساء وقاية
وحفظ بحسن ظاهره صار
مستورا ومخفيا بما أظهرته
الشجة من حسن باطنه
(فهو) بسكون هاء أى ما
ظهر من حسن باطنه بتلك
الشجة (كالزهر) بفتح زاى
نور النبات بفتح أوليهما (لاح)
ظهر وبان (من سجف)
بضمتين جمع سجاف ككتاب
وكتب الستر ويقال سجف
بفتح أوله وكسره كفلس
وضرس (الأكمام) بفتح
همزة جمع كم بكسر كاف
غطاء النور وغلافه
فالاضافة بيانية (والعود)
بضم عين كفول طيب
معروف وبجر عطفا على
الزهر فهو أيضا كالعود (شق)
بضم شين مبنى للمفعول
أزيل (عنه) اى عن العود
(اللحاء) بكسر لام ككساء
قشره من لحا الشجرة
كدعا قشرها فظاهر جلده
كاللحاء وباطنه كالعود

لعنه الله وكان قد ضربه وقت التحامهم واجتماعهم عليه صلى الله عليه وسلم فان ذلك الوقت ما
منهم شيء ولا وصلت سلاحهم الى محمد صلى الله عليه وسلم كان خبط سيوفهم وقع فى لحم طلحة بن
عبد الله رضى الله عنه وكان لما رأى اقتحام المشركين عليه صلى الله عليه وسلم وارادة قتله وانهزا
الصحابة عنه لم يبق معه الا نفر قليل واشتغلوا بقتالهم عنه فتركهم المشركون وكبوا عليه صلى الله
عليه وسلم كالعرموم وعلم أنه ان قاتلهم عنه لم يفد شيئا فانكب على النبى صلى الله عليه
وهو جالس وأحاط به فراموا أن ينزعوه عنه بكل حيلة فلم يقدروا فجعلت السيوف تتلا
على لحمه رضى الله عنه وهو فى ذلك صابر لا يصيح ولا ينزع عنه صلى الله عليه وسلم فمازال
كذلك حتى أجلاهم المسلمون عنه فلما نزع عنه وقع طريحا رضى الله عنه من شدة الجراح
قوله كما أظهر الهلال البراء والبراء هو شدة ارتفاع الاصوات يعنى من ظهورها وأصل البراء
اللغة هو الظهور ويقال برىء من الشيء يعنى زال اختلاطه معه حتى صار وحده وبرىء
الجرح يعنى ظهر شفاؤه وبرؤه * ثم قال رضى الله عنه

*(سَتَرَ الحُسْنَ مِنْهُ بِالحُسْنِ فَاعْجَبْ * لِجَمَالٍ لَهُ الجَمَالُ وِقَاءُ)*

قال ستر الحسن منه بالحسن أراد فى هذه القضية ما وقع به السؤال قديما عن فتنة زليخاء بجمال
يوسف عليه الصلاة والسلام وهو انما أعطى شطر الحسن فقط لا الحسن كاملا ثم وقعت الفتنة
به لكل من رآه وهو صلى الله عليه وسلم أعطى الجمال كاملا ما نقص منه شيء ثم لم يفتتن
أحد بجماله ولا نقل هذا عن أحد قال وجماله ستره الجمال وتحقيق الجواب فى هذه المسألة أن
قالبه الكريم عليه ملابس من هيبة الله تعالى فى حضرة سلطانه فكل من رآه على البديهة دهش
من هيبته صلى الله عليه وسلم فما يقدم لشدة الفتنة من جماله لقوة سلطان الهيبة فيه صلى الله عليه وسلم
وهو الرعب الذى يقع على القلوب عند ملاقاته صلى الله عليه وسلم يأخذ القلوب رعب يشغلها
عن التمتع بجماله صلى الله عليه وسلم فانه نقل عن الصحابة كلهم انهم ما كانوا يملأون أعينهم
من رؤية وجهه صلى الله عليه وسلم من الهيبة التى ألبسها والهيبة هى من أكبر أوصاف الجلال
فهى التى سترت جماله صلى الله عليه وسلم حتى لم يفتتن به أحد فان المرأة مثلا شديدة
التعلق بالرجال للجماع لا تقدر عند رؤيته أن تطلب منه ذلك لقوة الدهش من هيبته صلى الله عليه وسلم
وبهذا وقعت العصمة له من مراودة النساء له على شدة جماله صلى الله عليه وسلم ثم قال رضى الله عنه

(فَهُوَ كَالزَّهْرِ لَاحَ مِنْ سُجُفِ الأَكْمَامِ وَالعُودِ شُقَّ عَنْهُ اللِّحَاءُ)

تكلم هنا على جمال وجهه صلى الله عليه وسلم فقال فهو كالزهر والزهر هى الانوار المتفتحة من الاكمام
ومعنى لاح ظهر من سجف الاكمام والاكمام جمع كم وهو المكان الذى تجتمع فيه النوارة قبل انفتاحها
فهذا هو الكم فهو صلى الله عليه وسلم فى جمال وجهه صلى الله عليه وسلم ونضارته مثل الزهر الذى ظهر
من سجف الاكمام والسجف واحدها سجاف والجمع سجف والسجاف هو الغطاء الساتر للشيء والاكمام
هى الأغطية التى سترت الانوار قبل ظهورها وشبهه بالزهر الذى لاح من سجف الاكمام وكالعود
شق عنه اللحاء واللحاء هنا هى قشرة العود اذا شقت عن العود ظهر فيه بياض فشبهه أيضا بالعود
الذى شق عنه اللحاء صلى الله عليه وسلم والتشبيه الأول للوجه الكريم من سجف الاكمام والتشبيه

الثانى لجسده الشريف فانه مستور بالثياب فاذا رفعت عنه الثياب ظهر نور لحمه صلى الله عليه وسلم وفيه يقول واصفه أنور متجرد فهو كالعود الذى شق عنه اللحاء وهى القشرة * ثم قال رضى الله عنه

﴿ كَادَ أَنْ يُغْشِيَ الْعُيُونَ سَنَى مِنْـــهُ لِسِرٍّ فِيهِ حَكَتْهُ ذُكَاءُ ﴾

فهذه أيضا فى وصفه صلى الله عليه وسلم فانه كاد أن يغشى العيون نور وجهه صلى الله عليه وسلم حتى تصير لا تبصر شيئا * فقد روى أن عائشة رضى الله عنها رأت الابرة فى شدة الظلام بنور وجهه صلى الله عليه وسلم والحكاية أنها كانت جالسة فى بيتها فى شدة الظلام فسقطت منها الابرة فدخل عليها صلى الله عليه وسلم فاضاء البيت بنوره صلى الله عليه وسلم حتى رأت ابرتها فأنشدت

وأجمل منك لم ترقط عينى * وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

والسناء هو النور وقوله لسر فيه والسر هنا هو ما ألبسه الحق سبحانه وتعالى فى حضرة جماله التى لا طاقة للعقول على مقابلتها فضلا أن تحيط بشأنها فانه صلى الله عليه وسلم نور جميع الأنوار وكل نور فى الكون إنما هو فلقة (١) من نوره صلى الله عليه وسلم مثل نور العرش * فقد روى أنه يكسى كل يوم ألف حلة من النور منذ خلق ولو ظهر نوره للعيون لصارت الشمس كالقنديل معها ثم ضرب الله الحجاب على نور العرش فبسطه فى الجنة فقط ونور الحجب من ورائه يعد معه نور العرش كلا شئ * فقد روى أنه سأل الله تعالى فقال لماذا خلقتنى يارب فقال الله تعالى خلقتك لتقى عبادى من نور الحجاب وكان أمر ذلك أن السموات والارضين لولا احتجابها بالعرش من نور الحجب لاحترقت بنور الحجب وان الجنة آنوارها لو أخرجت حوراء سبابتها من السماء لاطفأت نور العرش فهذه الانوار كلها فلقات من نوره صلى الله عليه وسلم ونوره صلى الله عليه وسلم سر محتجب بينه وبين الله تعالى لا يطلع عليه الا من اختصه من عباده * قوله حكته فيه ذكاء وهى الشمس لأن ذلك السر الكامن فيه هو أصل جميع الأنوار وعينها ومنبعها وكل نور فى الأكوان انما هو فلقة من نوره صلى الله عليه وسلم قال هذا هو السر فيه صلى الله عليه وسلم حكته فيه الشمس يعنى ماثلته والمماثلة هنا من ضرب المجاز لا الحقيقة كقوله تعالى الله نور السموات والأرض الآية والمثال ههنا مجازى لا حقيقى فان نور الله تعالى لا تماثله الزجاجة فى الطاق لأن الأنوار المنبثة فى الكون عظيمها وقليلها كلها لو تبدى لها نور العظمة والجلال الذاتيين لصارت محض العدم ونوره صلى الله عليه وسلم الذى هو حقيقته قائم بين يدى الحق سبحانه وتعالى والوجود كله تحت ظله لو تظلل الوجود به لصار محض العدم أسرع من طرفة عين يعنى من نور الحق اذا تجلى له يقول فى الحديث حجابه النور لو كشف لاحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه فلم يكن للحق حجاب عن خلقه الا ذلك النور المحمدى صلى الله عليه وسلم هو الذى أطاق مؤنة اثقال الحضرة الالهية وصعوبة أعبائها القوة ما فيها من الاسرار وليس للانوار من غيره من نور العرش والحجب والجنة والشمس وغيرها أن تثبت لورود نور العظمة والجلال عليها فلم يثبت لذلك الا نوره صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

﴿ صَانَهُ الْحُسْنُ وَالسَّكِينَةُ أَنْ تُظْـــهِرَ فِيهِ آثَارَهَا الْبَأْسَاءُ ﴾

(كاد) قرب (أن يغشى) بضم تحتية وسكون غين معجمة وكسر شين معجمة من أغشى غطى وأكل (العيون) الابصار مفعول به اذا نظرت اليه (سنى) بفتحتين نور عظيم ظاهر (منه) أى من ذلك الوجه بتلك الشجة (لسر) عظيم (فيه) أى فى ذلك الباطن وهو كله نور وضياء ومنه نور الشمس ولذا قال (حكته) شابهته على جهة التقريب (ذكاء) بضم ذال معجمة كغناء الشمس (صانه) أى حفظ ذلك الجمال الاصلى (الحسن) الظاهر (والسكينة) الوقار وثبات الظاهر وطمأنينة القلب (أن) أى من أن (تظهر) بضم فوقية وكسر هاء (فيه) أى فى ذلك الوجه (آثارها) بنصب مفعول (البأساء) فاعل الشدة والمصيبة فلذلك لم يظهر عليه فى تلك الشجة الا غاية الطمأنينة والثبات ونهاية الحسن والجمال

(١) قوله فلقة كقطعة وزنا ومعنى

*قوله صانه الحسن الخ أخبر أن البأساء وهى اقتحام الشر والهلاك فى ذات الله تعالى من مواقف القتال وغيرها انها لا تظهر فى وجهه الكريم أثرا من الحزن والكآبة والتذلل والبكاء والتصاغر لها لقوة ما هو فيه من السكينة وهى شدة الثبات لامر الله تعالى فلا ينزعج من ورود ما لا تطيقه النفوس ولا تدفع معضلات البلاء والمحن لقوة ثباته لامر الله تعالى فانه فى ملاقاة التجليات الالهية كل ما صادمه تجل من تجليات الله تعالى وجده مستعد اللقائه لكمال توفية حقوقه وآدابه فهو على أى حالة تقلبت به الاطوار التى وردها من عيون التجليات الالهية وجدته فى حين ورودها عليه كامل الاستعداد لملاقاتها وتوفية حقوقها وتكميل آدابها لا يقع فيه مال ولا خلل فهذا هو المراد بالسكينة التى وصفه بها صلى الله عليه وسلم والسكينة التى فيه صانته صلى الله عليه وسلم عن أن يظهر فى وجهه آثار البأساء كما هو معلوم فى قضية ابرهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال له الروح الامين ألك حاجة يا ابراهيم قال أما اليك فلا يعنى وجد الاستعداد لتحمل أثقال تجليه ولم ينزل لحظوظ نفسه من طلب التفريج وكشف الكربة لان ذلك حظ نفسه وحق تجليه شاغل له عن نفسه لانه يعلم أن الروح الامين بعثه الله تعالى لتخليصه من المحنة قال له أما اليك فلا لانه مشغول بحقوق تجليه حتى يوفى أمرها ولا طاقة لاحد بهذا الا النبيون والمرسلون ومن قواه الله لذلك من العارفين فهذه هى السكينة التى أشار اليها قال صانه السكينة الخ فانه فى وقت ورود البأساء لو كان متغافلا عن التجليات ولم ير الا عيون البأساء لانقلت ظهره وفر منها كما يفر البشر لكن نظره الى المتجلى سبحانه وتعالى لانه أنساه مرارة ذلك البأساء كما روى أن بعض الرجال أمر بعض الملوك بتجريده وضربه مائة سوط بجرده وضرب مائة سوط فما تغير له ظاهر ولا باطن ولا أن ولا صاح وكان يرى كأنه نائم على فراشه فقام وسرحه الامير فبعد هنيهة قال الامير ردوه واضربوه سوطا واحدا فردوه وطرح بين يديه فلما ضرب بالسوط زعق وصاح صياحا شديدا فقال سرحوه فلما سرحوه تبعه بعض الرجال حين فارق مجلس الامير ثم قال له رأيت منك عجبا قال له ما هو قال له رأيتك ضربت مائة سوط مباشرة للحم فما تغير لك ظاهر ولا باطن ولا اضطربت ولا وقع منك أنين ولا صياح فلما ردوك وضربوك سوطا واحدا صحت وظهر منك عدم الصبر فقال له ان البلاء تتحمله الهمم لا الاجسام ان المائة سوط العين التى كنت أعذب من أجلها كانت ناظرة الى فتشغلنى لذة النظر اليها عن التألم لما أنا فيه فما كنت أبالى بما يقع وفى السوط الواحد احتجبت عنى وبقيت فريدا مع بشريتى فوقع منى ما يقع من البشر فاذا عرفت هذا عرفت أحوال النبيين عليهم الصلاة والسلام فيما يتحملون من البلايا والمحن قال الجنيد رضى الله عنه قال يبلغ العبد من النظر الى الله أن يلقى بجميعه فى التنور يحرق ولا يحس بشئ فهذه السكينة التى يشير اليها * ثم قال رضى الله عنه

﴿ وَتَخَالُ الوُجُوهَ إنْ قَابَلَتْهُ * أَلْبَسَتْهَا أَلْوَانَهَا الحِرْبَاءُ ﴾

* قوله وتخال الوجوه أخبر عن حاله صلى الله عليه وسلم فى مقابلته الناس وملاقاة الناس له فان كل من لاقاه أو قابله صلى الله عليه وسلم ارتعب من هيبته صلى الله عليه وسلم لاجل أنه مكسو باطنه صلى الله عليه وسلم بالاوصاف الباطنة وهى الكمالات الالهية الذاتية التى لا اطلاع لاحد عليها فبسبب تلك الصفات وشروقها فى باطنه صلى الله عليه وسلم ألبسه الله لباس الهيبة الالهية فكل من قابله أو لاقاه

(وتخال) بفتح فوقية تظن أيها المخاطب (الوجوه) بنصب (ان قابلته) أى واجهت وعاينت ذلك الوجه المكرم خجلت من فرط جماله وتلونت بألوان شتى (ألبستها) أى كست تلك الوجوه (ألوانها) المختلفة (الحرباء) بكسر حاء دويبة تستقبل الشمس وتتلون بألوان شتى بحسب ما هى عليه من شجر وحجر

(فاذا شمت) بكسرشين من شام البرق نظر اليه أى فبسبب هذا الجمال الباهر والكرم الفاخراذانظرت وتوسمت (بشره) بكسر موحدة كضرس طلاقة الوجه وبشاشته (ونداه) بفتحتين الكرم والجود أى فاذا اطلعت وتشوفت الى كرمه وجوده (أذهلتك) بذال معجمة أنستك كل ماأنت بصدده (الانوار) (٧٥) الباهرة الساطعة من نور وجهه المكرم (و) أذهلتك وأنستك (الانواء) بفتح همزة جمع نوء بفتح نون كفلس النجم كانت العرب تقول مطرنا بنوء كذا والمراد بها الخيرات والبركات الواضحة لمن قصد نداه وكرمه (أو) ليته خصنى (بتقبيل راحة) بطن الكف مناما ويقظة (كان) كله ابتغاء (ا) رضا (الله) ولوجهه لا لغرض آخر (وبالله) أى وبمعونة الله وقدرته (أخذها) أى أخذ راحته اذا أخذت (والعطاء) كسماء أى عطاؤها اذا أعطت فتأخذ لله وبالله وتعطى لله وبالله (تتق) بفتح فوقيتين مع تشديد الثانية من الاتقاء تخاف وتحذر (بأسها) شدتها فى الحرب بنصب مفعول (الملوك) ككسرى وقيصر برفع فاعل (وتحظى) بفتح فوقية وظاء مشالة من حظى كرضى تظفر وتفوز (بالغنى) اليسار المعنوى والحسى (من نوالها) عطائها وجودها (الفقراء) اليتامى والمساكين والارامل (لاتسل) بفتح فوقيه من سال كخاف أى لا تطلب (سيل) بفتح سين الماء الكثير الجارى بشدة (جودها) بفتح جيم وسكون واو المطر الغزير فانك لاتطيق لذلك (انما يكفيك) ويغنيك الغنى الابدى (من وكف) بفتح واو كقطر وزنا ومعنى من وكف البيت كوعد قطر (سحبها) بضم سين جمع سحاب (الأنداء) بفتح همزة جمع ندى بفتحتين

ارتعب من هيبته صلى الله عليه وسلم وذلك الرعب الذى يقع فى باطن من قابله أولاقاه يتلون منه ظاهره بألوان مختلفة مابين بياض واصفرار واحمرار وخضرة وغيرها من الالوان يتلون الناظر فيه صلى الله عليه وسلم بتلك الالوان من افراط الهيبة والتعظيم وتلونه أى الناظر فى ذلك مماثل لتلون الحرباء لانها فى الوقت الواحد تتلون بألوان كثيرة وهى التى يسمونها العامة اللبوبية * قوله رضى الله عنه

﴿ فَإِذَا شِمْتَ بِشْرَهُ وَنَدَاهُ * أَذْهَلَتْكَ الأَنْوَارُ وَالأَنْوَاءُ ﴾

* قوله اذا شمت بشره هو ظاهر وجهه وجسده الشريف صلى الله عليه وسلم ونداه هو جوده وعطاؤه صلى الله عليه وسلم اذا رأيت ذلك أذهلتك الانوار عن تعقلاتك وأذهلتك الانداء عن تذكر العطاء معها لا تذكر معها عطاء أحد يقول القائل فيه صلى الله عليه وسلم وتضاءلت عند جوده يمينه الغمائم والبحار * قوله رضى الله عنه

﴿ أَوْ بِتَقْبِيلِ رَاحَةٍ كَانَ لِلَّـهِ وَبِاللهِ أَخْذُهَا وَالعَطَاءُ ﴾

قال اذا شمت بشره ونداه يعنى اذا نظرت أذهلتك الانوار والانداء بسبب النظر وكذا يقع هذا الحال وهو الذهول بانواره وانداثه بسبب تقبيل راحته صلى الله عليه وسلم يعنى يغشى على المقبل راحته صلى الله عيه وسلم حتى يذهل عن تعقلاته بسبب الانوار والانداء ثم وصف الراحة وهى اليد الشريفة اذ صارت فى الشرف فى الرتبة العليا بحيث أنه يأخذ لله بالله ويعطى لله بالله بكمال تنزهه صلى الله عليه وسلم عن متابعة دائرة الهوى من الشهوات لما وصل الى حد قوله سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به و يده التى يبطش بها الحديث فبهذا الحديث صار أخذه لله بالله وعطاؤه لله بالله صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

﴿ تَتَّقِي بَأْسَهَا المُلُوكُ وَتَحْظَى * بِالغِنَى مِنْ نَوَالِهَا الفُقَرَاءُ ﴾

ثم ازداد فى وصف يده الكريمة صلى الله عليه وسلم بأنها تخافها الملوك على شدة تجبرهم يتقون بأسها وهو ظهور الهلاك من يده صلى الله عليه وسلم وخوفهم منه صلى الله عليه وسلم لانه يبطش لله بالله فلا يجترئ عليه من الملوك الا من كان جاهلا بمرتبته صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه وتحظى بالغنى من نوالها الفقراء وصف أيضا يده الكريمة صلى الله عليه وسلم بانها كلما توجه منها النوال لأحد من الفقراء حظى منها بالغنى بسبب ذلك النوال * ثم قال رضى الله عنه

﴿ لاَ تَسَلْ سَيْلَ جُودِهَا إِنَّمَا يَكْـفِيكَ مِنْ وَكْفِ سُحْبِهَا الأَنْدَاءُ ﴾

قال لاتسل سيل جودها يعنى لا تطلب سيل عطائها التقف منه على الغاية فانه لاغاية له ينتهى اليها صلى

الله عليه وسلم قال انما يكفيك من وكف سحبها الانداء يعنى اذا طلبت الوقوف على غاية سيل عطائه صلى الله عليه وسلم لم تقف له على غاية ولكنه يكفيك فى استعظامه ما تراه من كثرة جوده وعطائه صلى الله عليه وسلم عطاء خارجا عن العادة * ثم قال رضى الله عنه

﴿ دَرَّتِ الشَّاةُ حِينَ مَرَّتْ عَلَيْهَا * فَلَهَا ثَرْوَةٌ بِهَا وَنَمَاءُ ﴾

ثم أخذ يصف توقعات اليد الكريمة منه صلى الله عليه وسلم قال درت الشاة حين مرت عليها يده صلى الله عليه وسلم وقضيته معلومة حين هاجر صلى الله عليه وسلم وكان رابع أربعة صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر وخادمهما عامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثى فمروا بخيمة أم معبد الخزاعية وكانت الغنم اذ ذاك فى جهد شديد من الهزال فنزلوا بخيمة أم معبد فلما دخلوها نظر صلى الله عليه وسلم فى جانب الخيمة فرأى فيها نعجة مربوطة شديدة العجف حبسوها عن الغنم لكونها لم تقدر على المشى مع الغنم لشدة الهزال الذى بها فقال صلى الله عليه وسلم لصاحبة الخيمة أتأذنين لنا أن نحلب تلك الشاة فقالت له هى اجهد من ذلك فقال لها ان أذنت لنا حلبناها أو كما قال لها ما هذا منعناه فأمر يده الشريفة على ضرعها فانبعث الضرع لبنا وحلب حتى أروى أصحابه الثلاثة وأروى أم معبد ومن معها فى البيت وشرب هو صلى الله عليه وسلم وحلب لها منها لبنا كثيرا تركه عندها بالخيمة وذهب مع أصحابه فجاء بعده زوجها أبو معبد فقدمت له اللبن فتعجب وقال لها أنى لك هذا قالت له مر بنا رجل هو رابع أربعة وهو أبهاهم وأجلهم والكل يخدمونه إن أمر امتثلوا أمره له منطق كأنه خرزات تنظمن يعنى فى جمال ذلك المنطق وحسن ذلك الكلام وعدم اختلاطه بالهذيان وانبهار العقول من كلامه صلى الله عليه وسلم قالت له ثم اخذ الشاة وأمر يده على ضرعها فانبعث الضرع لبنا أروى منه أصحابه ونفسه وأروانا جميعا وترك هذا اللبن عندنا منها قال لها هذا صاحب قريش صلى الله عليه وسلم والقضية معلومة فى كتب السير فلا نطيل بها * ثم قال رضى الله عنه

﴿ نَبَعَ المَاءُ أَثْمَرَ النَّخْلُ فى عَا * مٍ بِهَا سَبَّحَتْ بِهَا الحَصْبَاءُ ﴾

ثم اخذ يعدد ما ... تريده الكريمة صلى الله عليه وسلم قال نبع الماء منها اى من أصابعه وقضيته معلومة فى كتب السير وأثمر النخل فى عامه وذلك قد وقع فى قضية سلمان الفارسى رضى الله عنه وحديثه طويل مشهور وكان قد جاءه صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة فذكر له صلى الله عليه وسلم قصة حديثه الى ان مر فى حديثه بالرجل الذى وجده بالغيضة يتعرض له الناس بمرضاهم فيخبرهم باسباب الشفا قال فسألته قلت له أسألك عن الحنيفية دين ابراهيم فقال له الرجل انك لتسأل عن أمر ما يسأل عنه أحد اليوم ولقد أظلك زمان نبى يبعث بهذا الدين يحملك عليه قال قلت له اخبرنى ما علامته واين يكون قال له اما أين يكون فبارض ذات نخل ومن وصفها وصفتها ووصف له المدينة واما علامته يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة قال فخرجت من عنده أطلب ان اصل الى المدينة فلما توسط أرض العرب عمد اليه ناس من العرب فغصبوه وباعوه ظلما ثم الذين اشتروه باعوه بأرض قرب المدينة ارض يهود قال فلما رأيتها قلت هذه هى فمكثت بها مدة وقد بعث صلى الله عليه وسلم بعدها بمكة ولم اسمع بخبره لاشتغالى بامر الرق قال فلما هاجر الى المدينة صلى الله عليه وسلم كان فى يوم هجرته حين دخل المدينة قال لم أعلم لشئ الا ان سيدى كان فى أصل النخلة وانا فى رأس النخلة القحها وكانت العشية فقدم

البلل وكل خير وغنى وسر يكفيك من بلل هذا القطر (درت) بفتح دال مهملة أى أرسلت ابنها الغزير (الشاة) أى شاة أم معبد (حين مرت) الراحة الكريمة (عليها) أى على ثروتها وذلك فى هجرته للمدينة (فلها) أى الشاة (ثروة) بفتح مثلثة كثرة لبن (بها) أى بسبب مرور تلك الراحة الكريمة عليها (ونماء) بفتح نون أى زيادة فى اللبن فصارت تلك الشاة تحلب ليلا ونهارا وبقيت عند أم معبد الى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه فماتت (نبع) كنفع فار وخرج (الماء) من بين أصابع تلك الراحة الكريمة تارة وببركتها أخرى كما فى غزوة تبوك والحديبية (أثمر) بمثلثة أى حل بتمر (النخل) مفرده نخلة (فى عام) أى فى عام غرسه (بها) أى بسبب مس تلك الراحة الكريمة له كما فى قصة سلمان الفارسى رضى الله عنه (سبحت) أى نزهت وقدست وقالت بلسان فصيح سبحان الله (بها) أى فى تلك الراحة الكريمة وببركتها (الحصباء) مفرده حصبة كقصبة صغار الحصى كفول

عليه رجل من يهود هو أخوه أو غيره قال فاشتغل يحدثه قال له قاتل الله بني قيلة انهم الآن يجتمعون على رجل قدم من مكة يزعم انه رسول قال يعيبهم بذلك وقد غاظه ذلك قال فلما سمعته كدت أسقط من رأس النخلة فنزلت بسرعة ثم قلت للرجل ماذا تقول قال فانتهرني سيدي نهرا شديدا وقال أقبل على عملك امر ليس من شأنك قال فتركته وساعة قال فلما كان الغد اتيته صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه وكان صاحبه الذي وصف له صفاته قال فلما رأيته صلى الله عليه وسلم وجدت الصفة التي وصف لي صاحبي ثم قلت لا بد من العلامة فذهبت وصنعت طعاما ثم اتيته به وأصحابه مجتمعون عليه فقلت هذه صدقة أتيتكم بها لكونكم أتيتم غرباء فانتم أحق بها قال فقال لاصحابه صلى الله عليه وسلم كلوا وامسك يده قال فقلت هذه واحدة ثم ذهبت وصنعت طعاما وأتيت به من غد أيضا فاتيت به حتى وضعته بين يديه صلى الله عليه وسلم فقلت له اني رأيتك لم تأكل بالامس من الصدقة فاتيتك بهذا الطعام هدية لك فتناول صلى الله عليه وسلم وأكل وأكل الناس معه فقلت هذه العلامة الاخرى قال ثم جعلت احوم حول ظهره أريد لعله ينكشف لي ما بين اكتافه فلما رآني صلى الله عليه وسلم أدور هنا علم مرادي فكشف عن اكتافه حتى رأيت الخاتم بين اكتافه صلى الله عليه وسلم فلما رأيته تحققت ذلك ثم سألني صلى الله عليه وسلم عن الخبر فاخبرته بالحديث من أوله الى آخره وقال صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ثم أسلم رضي الله عنه وشغله الرق قال حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد والخندق فلما كان ذلك أتيته يوما وشكوت له ما أنا فيه من الرق فقال له صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان فذهبت وطلبت الكتابة قال فكاتبني سيدي على أربعمائة نخلة يغرسها كلها وتحيى وأربعين أوقية والاوقية فيها أربعون درهما فلما كاتبت أتيته صلى الله عليه وسلم وأخبرته فجاءه بعض الناس بشيء من التبر من بعض المعادن وكان قليلا فاعطاه له صلى الله عليه وسلم فقال له وأين تقع هذه من الذي علي قال اذهب فأدلهم منها قال فذهبت وأديت المال الذي علي منها وبقيت منها بقية ثم قلت له النخل يا رسول الله فامر الانصار فاتوني بأربعمائة نخلة ثم أمرهم صلى الله عليه وسلم أن يحفروا لها فامرهم أن لا يضعوها في مواضعها حتى يضعها بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم فوضعها كلها بيده صلى الله عليه وسلم فحييت كلها وأثمرت من عامها ببركته صلى الله عليه وسلم وتحرر سلمان من الرق رضي الله عنه * قوله سبحت بها الحصباء في كفه صلى الله عليه وسلم حتى سمعه الحاضرون * ثم قال رضي الله عنه

﴿ أَحْيَتِ الْمُرْمِلِينَ مِنْ مَوْتِ جَهْدٍ * أَعْوَزَ الْقَوْمَ فِيهِ زَادٌ وَمَاءُ ﴾

ذكر ههنا من مآثره الكريمة أنها أحيت المرملين والمرملين جمع أرملة وهي المرأة المحتاجة التي لا زوج لها وكانت تلك النساء في حال جهد بالجوع حال الاموات فنقلهن الى صورة الاكل وهي صورة الحياة التي نقلهن اليها وله في الباب كم من أرملة أحياها من موت الجهد صلى الله عليه وسلم والجهد هو الجوع وتلك الحالة التي كانت المرملون فيها أعوزهن فيها الزاد والماء فهي صورة الموت عندهم فنقلهن الى الاكل والشبع وهي حالة الحياة * ثم قال رضي الله عنه

﴿ فَتَغَدَّى بِالصَّاعِ أَلْفٌ جِيَاعٌ * وَتَرَوَّى بِالصَّاعِ أَلْفٌ ظِمَاءُ ﴾

(أحيت) أي نفعت وأنقذت وأنجت (المرملين) بضم ميم أولى وراء مهملة من أرمل الرجل اشتد فقره ونفد زاده وزاي معجمة أي المسافرين المحتاجين للزاد والماء (من موت جهد) بفتح جيم وضمها أي من شدة قحط وجدب (أعوز) يقال أعوزه الشيء احتاج وافتقر اليه (القوم) بالنصب وفي نسخة الناس (فيه) أي في ذلك الجهد (زاد وماء) طعام المسافر (فتغدى) بدال مهملة والغداء كسحاب ما يؤكل أول النهار أي فبسبب تلك الراحة الكريمة أكل حتى شبع (بالصاع) أي بصاع من شعير وهو أربعة أمداد بمده صلى الله عليه وعلى آله وسلم (ألف جياع) بكسر جيم جمع جائع كقائم وقيام كما في قصة الخندق (وتروى) ببركة تلك الراحة الكريمة أي شرب حتى روى (بالصاع) أي بالماء القليل (ألف ظماء) بكسر ظاء مشالة

كعاطش وعطاش وزنا ومعنى كما مر فى غزوة تبوك والحديبية (ووفى) كقضى وزنا ومعنى وأدى ببركة تلك الراحة الكريمة (قدر بيضة) دجاجة بفتح موحدة كتمرة (من نضار) بضم نون كغراب ذهب (دين) بفتح دال مهملة أى ما بقى عليه من الكتابة وهو أربعون أوقية ذهبا (سلمان) الفارسى الاصبهانى (حين) وقت (حان) وصل (الوفاء) أى حلول أجل الدين (كان) رضى الله عنه وعنا به آمين (يدعى) أى يسمى (قنا) بكسر قاف أى رقيقا ظلما وتعديا ليهودى من بنى قريظة (فأعتق) بضم همزة وكسر فوقية مبنى للمفعول أى من الرق المدعى عليه ظلما (لما) أى حين وفى وقضى ما عليه من الدين و (أينعت) أى نضجت وطابت (من نخيله) كرغيف مفرده نخلة (الاقناء) بفتح همزة جمع قنو بكسر قاف كضرس العذق والعرجون (أ) تظلمون أيها اليهود سلمان وتمنعونه من الاجتماع برسول الله صلى الله عليه (٧٨) وعلى آله وسلم (فلا تعذرون) بفتح فوقية وضم ذال معجمة وكسرها من عذره كضرب ونصر أى أفلا ترون له عذرا يمنعكم من إيذائه ومنعه من الاجتماع به (سلمان) رضى الله عنه بنصب مفعول به (لما) أى حين (أن عرته) أى اعترته وأصابته (من) أجل سماع (ذكره) أى ذكر سيده اليهودى لقريبه النبى واجتماع الناس عليه بقبا (العرواء) بضم عين وفتح راء مهملتين شدة الحمى وحدتها (وأزالت) أذهبت ومحت تلك الراحة الكريمة (ب) سبب (لمسها) أى ببركة مس تلك الراحة الكريمة (كل) بنصب مفعول (داء) أى مرض عضال (أكبرته) استعظمته وعجزت عن مداواته (أطبة) بفتح همزة جمع طبيب وهو الماهر الخبير بعلم الطب (وإساء) بكسر همزة الدواء والعلاج أو جمع آس كراع ورعاء الطبيب وتفسيره بالدواء أحسن وأسلم من التكرار وفى نسخة رؤساء جمع رئيس (و) من بركات تلك الراحة الكريمة أنها رثت بها (عيون) بضم العين جمع عين الباصرة (مرت بها) أى عليها ومسحتها (وهى) بسكون هاء أي والحال أنها (رمد) بضم راء جمع رمداء كحمراء وحمر أى مريضة بالرمد وهو وجع العين (فأرتها) أى فأبصرت تلك الراحة الكريمة تلك العيون ببركة مسحها (ما) أى الشىء البعيد الذى (لم تر) بفتح فوقية أى لم تبصره (الزرقاء) أى زرقاء اليمامة يضرب بها المثل فى حدة البصر وكانت تبصر مسيرة ثلاثة أيام (وأعادت) تلك الراحة الكريمة (على) سيدنا (قتادة) بن النعمان رضى الله عنهما وعنا بهما آمين (عينا) له أصيبت يوم أحد فسقطت على وجنته فذهب بها الى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فردها له فكانت أحسن عينيه (فهى) بسكون هاء أى العين التى ردتها له تلك الراحة الكريمة (حتى مماته) أى الى وفاته (النجلاء) أى الواسعة الحديدة نظرا

﴿ وَوَفَى قَدْرَ بَيْضَةٍ مِنْ نُضَارٍ * دَيْنَ سَلْمَانَ حِينَ حَانَ الْوَفَاءُ ﴾

﴿ كَانَ يُدْعَى قِنًّا فَأُعْتِقَ لَمَّا * أَيْنَعَتْ مِنْ نَخِيلِهِ الْأَقْنَاءُ ﴾

وهذا كله تقدم فى قضية سلمان رضى الله عنه وأرضاه * ثم قال رضى الله عنه

*(أَفَلَا تَعْذِرُونَ سَلْمَانَ لَمَّا * أَنْ عَرَتْهُ مِنْ ذِكْرِهِ الْعُرَوَاءُ)*

خاطب اليهود عن اذايتهم لسلمان وهم يعلمون أن الذى يسأل عنه هو حق عندهم لا ريب فيه * ثم قال رضى الله عنه

*(وَأَزَالَتْ بِلَمْسِهَا كُلَّ دَاءٍ * أَكْبَرَتْهُ أَطِبَّةٌ وَإِسَاءُ)*

قال وأزالت بلمسها كل داء يعنى كم من ذى عاهة لمسه بيده الكريمة الشريفة صلى الله عليه وسلم فزالت عاهته من حينها ومن هذا الباب وقائع لا تعد ولا تحصى وذلك الداء العضال الذى استصعب زوال ذلك الداء الماهرون فى الطب وهم الرؤساء * ثم قال رضى الله عنه

*(وَعُيُونٌ مَرَّتْ بِهَا وَهْيَ رُمْدٌ * فَأَرَتْهَا مَا لَمْ تَرَ الزَّرْقَاءُ)*

وكم من عيون رمد مرت بها يده الكريمة صلى الله عليه وسلم فزال الرمد عنها من حينه وأرتها من قوة البصر بيده الكريمة صلى الله عليه وسلم ما لم تره الزرقاء والزرقاء امرأة مشهورة باليمامة وكانت ترى مسيرة ثلاثة أيام وحكايتها معلومة * ثم قال رضى الله عنه

(وَأَعَادَتْ عَلَى قَتَادَةَ عَيْنًا * فَهْيَ حَتَّى مَمَاتِهِ النَّجْلَاءُ)

(أو) أى وليته خصنى وأكرمنى يقظة ومناما (بلثم) بفتح لام وعثلثة كفلس مصدر لثم يده كضرب وسمع قبلها (التراب) المنفصل (من قدم) أى من قدم شريف (لانت) من الليونة كالرطوبة وزنا ومعنى (حياء) أى اجلالا وتعظيما واستحياء (من مشيها) أى تلك القدم الشريفة عليها (الصفواء) مفرده صفاة الحجر الصلب الكثير الصلابة (٧٩) (موطئ) كمجلس بجر بدل من التراب أى مكان وطء (الأخمص) بفتح ميم على الأشهر وتضم المحل الذى لا يمس الارض عند المشى من القدم (الذى) نعت لموطئ (منه) متعلق بمحذوف حال من وطاء الذى هو المبتدأ (للقلب) متعلق بمحذوف خبر عنه (اذا مضجعى) بفتح ميم وجيم كمقعد أى محل اضطجاعى وهو جنبى الذى اضطجع عليه (أقض) بقاف وبضاد معجمة مشددة أى التصق بالقضض بفتحتين وهو التراب والغبار الذى يعلو الفراش (وطاء) بكسر واو الفراش والمهاد (حظى) بفتح حاء وبكسر ظاء مشالة كرضى من الحظوة بكسر حاء وضمها أى منزلة رفيعة ومكانة فخيمة (المسجد الحرام) أى بجميع حرم مكة (بممشاها) أى بمشى تلك القدم الشريفة فى ذلك الحرم الشريف (ولم ينس) بفتح تحتية وسين من نسى كرضى أى لم يترك ولم يفت من مشى تلك القدم الشريفة (حظه) بتذكير الضمير مرادا به بيت المقدس وفى نسخة بتأنيثه (إيلياء) بكسر همزة ولام بينهما ياء ساكنة ككبرياء مدينة القدس (ورمت) بكسر راء ماضيا ومضارعا من الورم أى تورمت وانتفخت تلك القدم الشريفة (إذ) أى حين (رمى) النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (بها) بتلك القدم الشريفة (ظلم) بضم ظاء مشالة وفتح لام جمع ظلمة كغرفة بنصب مفعول سواد (الليل) والمراد قيامه (الى الله) سبحانه وتعالى خبر عن قوله (خوفه والرجاء) أى انما كان خوفه ورجاؤه تقربا الى الله تعالى وتعظيما وشكرا له

وقتادة هذا من احد الصحابة من الانصار كانت سقطت عينه فردها صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة صلى الله عليه وسلم وبقيت فى قوة بصرها الى مماته وقوله النجلاء هى المتسعة أراد بها اتساع بصره وقوته بتلك العين * ثم قال رضى الله عنه

(أَوْ بِلَثْمِ التُّرَابِ مِنْ قَدَمٍ لَا * نَتْ حَيَاءً مِنْ مَشْيِهَا الصَّفْوَاءُ)

وكذا التراب الذى مشى عليه صلى الله عليه وسلم بقدمه كم من ذى عاهة تلثم ذلك التراب يعنى مسح به عاهته فزالت العاهة من حينها * قوله من قدم لانت حياء من مشيها الخ يعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى على الصخرة الصماء لانت تحت قدمه وأثرت فيها قدمه الكريمة كما تؤثر فى وطىء الطين * ثم قال رضى الله عنه

(مَوْطِئُ الأَخْمَصِ الَّذِى مِنْهُ لِلْقَلْـ * ـبِ إِذَا مَضْجَعِى أَقَضَّ وِطَاءُ)

قال موطئ الاخمص * الاخمص ههنا هو ما كان مرتفعا فارغا من قدمه صلى الله عليه وسلم وهو المحل المعروف بين عقب القدم وأول القدم قال موطئ الاخمص أخذ بمدحه كأنه يقول نعم ذلك الموطئ أو ما أعظم شأنه قال ليت قلبى له وطاء يعنى فراشا اذا انقض مضجعى للنام ليت قلبى له وطاء يطأ عليه ذلك الاخمص صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

(حَظِىَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ بِمَمْشَا * هَا وَلَمْ يَنْسَ حَظَّهُ إِيلِيَاءُ)

قال حظى المسجد الحرام والحظوة هنا هى ارتفاع الدرجة والمرتبة قال حظى المسجد الحرام وهو مسجد مكة بمشى ذلك الاخمص فيه علت رتبته وعظمت عند الله تعالى ولم ينس حظه ايلياء يعنى مسجد ايلياء وهو مسجد بيت المقدس فانه مسجد عظيم المقدار لكونه صلى فيه أكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلم ينسه الله تعالى يعنى لم يتركه هملا من مشى أخمصه صلى الله عليه وسلم فى ذلك المسجد بل قيض الله رسوله صلى الله عليه وسلم الى مسجد ايلياء فشرفه الله تعالى بمشى قدمه الكريمة فيه صلى الله عليه وسلم وقد مشى اليه ليلة الاسراء وقضيته معلومة * ثم قال رضى الله عنه

(وَرِمَتْ إِذْ رَمَى بِهَا ظُلَمَ اللَّيْـ * ـلِ إِلَى اللهِ خَوْفُهُ وَالرَّجَاءُ)

* قوله ورمت أخبر ههنا عما نقل الرواة متواترا أنه قام الليل حتى تورمت قدماه صلى الله عليه وسلم يعنى صارت ذات قروح من طول قيامه لله تعالى قال ورمت قدمه صلى الله عليه وسلم يعنى صارت ذات ورم * قوله إذ رمى بها خوفه ورجاؤه وهو فاعل رمى بها الى الله تعالى خوفه ورجاؤه وقوله ظلم الليل ظرف للفعل وهو قيامه لله فى ظلام الليل وتركيب البيت هو ورمت قدمه الكريمة من التورم واذ بمعنى حين ورمت قدمه الكريمة حين رمى بها الى الله خوفه ورجاؤه

(دميت) بفتح دال مهملة وكسر ميم كرضى أى خرج وسال من تلك القدم الشريفة دم (فى الوغى) بفتحتين الحرب …
وحده لثقيف (لتكسب) بضم فوقية وكسر سين من أكسبه كذا أناله وأوصله له واللام فيه للعاقبة (طيبا) …
الذى خرج منها فى الحرب (ما) مفعول أول أى الدم الذى (أراقه) (٨٠) أى صبته ورمته فى الحرب (من الدم) بيان …
جمع شهيد وهو من قتل فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله (فهى) بسكون هاء أى القدم الشريفة بسبب ثباتها فى العبادة حتى تورمت وفى الجهاد حتى دميت (قطب) بتثليث قاف حديدة تدور عليها الرحى (المحراب) بكسر ميم كمفتاح محل اقامة الامام للصلاة فى المسجد (و) قطب (الحرب) القتال فى سبيل الله (كم) مرات فى غزوات كثيرة (دارت) وطافت وأحاطت (عليها) أى على القدم الشريفة (فى طاعة) أى فى الصلاة والجهاد (أرحاء) بفتح همزة جمع رحى بفتحتين وهو الجيش العظيم ويسمى أمير الجيش قطب رحى الحرب لان عليه المدار (وأراه) بضم همزة بمعنى أظن و بفتحها بمعنى أعلم (لولم يسكن) بضم تحتية وكسر كاف مشددة من التسكين التقرير والتثبيت (بها) أى بقدمه الشريفة (قبل) أى فى أول وابتداء تحركه واضطرابه حين طلع عليه صلى الله عليه
وعلى آله وسلم هو وأصحابه (حراء) بصرف وعدمه جبل بمكة معروف وعليه اليوم قبة (ماجت) كقال أى اضطربت وتحرك …
فرحا (به) بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبدا الأبد وفى نسخة بها أى بالقدم الشريفة (الدأماء) بفتح دال مهملة فى الاصل البحر …
والمراد به هنا جبل حراء وقد ثبت أنه ضربها بقدمه الشريفة وقال اثبت حراء فانما عليك نبى وصديق وشهيدان

لحين رمى بها الى الله خوفه ورجاؤه قامت بين يدى الله تعالى حتى تورمت وقيامها فى ظلم الليـ…
جمع ظلمة وهو تكرر ذلك القيام فى ليال كثيرة صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

(دَمِيَتْ فى الوَغَى لِتُكْسِبَ طِيبًا * مَا أَرَاقَتْ مِنَ الدَّمِ الشُّهَدَاءُ)

* قوله دميت فى الوغا أراد بها قدمه الكريمة صلى الله عليه وسلم والوغاء هو مجمع القتال …
ضرب السلاح دميت قدمه الكريمة فى الوغاء صلى الله عليه وسلم لاجل انها أرادت أن …
طيبا فى دماء الشهداء بعد لما ورد فى الخبر أن الشهيد يوم القيامة يأتى تنبعث جرحه …
لون الدم والريح ريح المسك كل الشهداء على هذا المنوال مستمدة دماء الشهداء تلك الرائحة …
من دم قدمه الكريمة حين دميت فى الوغاء * ثم قال رضى الله عنه

(فَهْىَ قُطْبُ المِحْرَابِ وَالحَرْبِ كَمْ دَا * رَتْ عَلَيْهَا فى طَاعَةٍ أَرْحَاءُ)

وصف القدم الكريمة منه صلى الله عليه وسلم لانها هى قطب المحراب فى التعبد والمحراب …
قيامه لعبادة الله تعالى فالقدم الكريمة هى قطب المحراب عليها مدار العبادة وهى قطب …
فالحرب صدر منه على أمر الله تعالى له بالجهاد والقتال امتثل أمر الله فى ذلك وشمر …
ساقه وشد حزامه صلى الله عليه وسلم للنهوض لامر الله وبذل جهده فى قتال المشركين ومن أبى …
الاستجابة لامر الله فما زال كذلك صلى الله عليه وسلم حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم فالقدم الكـ…
هى قطب تلك الحروب أعنى عليها مدارها كم دارت عليها ارحاء من الحرب والرحاء من الحر…
مواضع اشتداد القتال وكثرة اراقة الدماء مع كثرة المقتولين هذه رحاء الحرب التى تسـ…
العرب رحاء الحرب وشبهت بالرحى لان الرحى تطحن الزرع وتخرجه دقيقا والحرب تطـ…
رقاب الرجال وتخرجه من حد الحياة الى الممات فلذا سميت بالرحى كم دارت على قدمه الكر…
فى الحروب ارحاء وهى ثابتة لا تتزلزل لان الهزيمة والشجاعة والثبات والزوال عن الحر…
كلها تنسب للقدم اذا ثبتت القدم ثبت صاحبها واذا زالت زال ولذا طلب أصحاب طالوت تثبيـ…
أقدامهم فى الحرب قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدمنا * ثم قال رضى الله عنه

(وَأَرَاهُ لَوْ لَمْ يُسَكِّنْ بِهَا قَبْـــلُ حِرَاءً مَاجَتْ بِهِ الدَّأْمَاءُ)

أخبر عن قضيته صلى الله عليه وسلم انه كان جالسا على جبل حراء وهو جبل معروف بمكة مع …
الصحابة تحرك به الجبل فقال له صلى الله عليه وسلم اسكن ياحراء فانما عليك نبى وصديق وشهيدان
الصديق سيدنا أبو بكر رضى الله عنه والشهيدان سيدنا عمر رضى الله عنه وسيدنا عثمان رضى الله
عنه قال الناظم أراه لولم يسكن بها حراء بقدمه الكريمة لماجت بحراء الدأماء وهو البحر …
ثم قال رضى الله عنه

*(عَجَبًا لِلْكُفَّارِ زَادُوا ضَلَالاً * بِالَّذِي فِيهِ لِلْعُقُولِ اهْتِدَاءُ)*

ذكر التعجب من ضلال الكفار بظهور ما فيه الهدى عيانا لعيونهم وهو ظهور كتاب الله تعالى حيث أعجزهم بأن يأتوا بسورة من مثله وبما أظهر من انشقاق القمر الذى لا يشك أحد أنه من عند الله تعالى وهاتان الآيتان أعظم ما أتى به صلى الله عليه وسلم من المعجزات لبعدها عن التعمل والقطع بأن صاحبها صادق فى كل ما جاء به فلما ظهرت تلك المعجزات زادوا بها ضلالا وسموها سحرا او كهانة وجنونا وكل ذلك جحد لأمر الله تعالى مع اتضاحه وقد قال سبحانه وتعالى انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فهذا الضلال الذى زادوا به من شدة العناد * ثم قال رضى الله عنه

*(وَالَّذِي يَسْأَلُونَ مِنْهُ كِتَابٌ * مُنْزَلٌ قَدْ أَتَاهُمُ وَارْتِقَاءُ)*

أراد الناظم انهم كانوا يسألون من النبى صلى الله عليه وسلم آية بينة وهو قولهم فليأتنا بآية كما أرسل الاولون وقولهم أيضا فيما أخبر الله عنهم لولا أنزل عليه آيات من ربه الى قوله أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم قال والذى يسألون منه هو ظهور المعجزات على يديه صلى الله عليه وسلم قال جاءهم فيما سألوا عنه بكتاب أعجزهم فيه من أن يأتوا بمثله فهو الآية التى لا آية بعده وهو أكبر دليل على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به الكتاب العزيز من أخبار الامم الماضية وما وقع بينهم وبين رسلهم عليهم الصلاة والسلام من الاحوال والامور بحيث أن لا يقدر على استيفاء ذلك أكابر الاحبار ثم الذى جاء به صلى الله عليه وسلم أمى لم تعرف له مخالطة أهل الكتب ولا عرف منه أنه ألم بشئ من مجالسة أهل القصص والاخبار بل هو فى أميته لا يعلم شيئا من ذلك ولا يقرأ ولا يكتب ثم جاءهم بالاخبار العجيبة والقصص الغريبة التى لا يهتدى اليها أكابر أهل العقول بل يعجز أهل العقول عن أقل قليل منها ثم جاء بكتاب فصل فيه تلك الاخبار العجيبة والقصص الغريبة بلسان عربى مبين بين المعانى مستحسن الاسلوب والمبانى بحيث أن لا يستريب عاقل فى أنه من عند الله الا من جحد الحق بعد وضوحه وعاند أمر الله تعالى بالعناد الشنيع البين الكذب فكفى بهذا الكتاب معجزة دل على صدق الآتى به أنه من عند الله حق وفى هذا الكتاب ارتقاء الى العلوم العلية مثل العلم بالله وصفاته وأسمائه وتعريف نعمه سبحانه وتعالى وامتنانه وتفصيل أحوال يوم القيامة وما ذكر فيها من ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد فهذا هو الارتقاء بهذا الكتاب الى العلوم العلية * ثم قال رضى الله عنه

*(أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ مِنَ اللهِ ذِكْرٌ * فِيهِ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ وَشِفَاءُ)*

قال الناظم فى هذا ردعلى الجاحدين والكفرة بما تعسفوا عليه صلى الله عليه وسلم بظهور آية خارقة للعادة مثل ما تقدمه من الرسل قال أولم يكفهم من الله ذكر وهو القرآن فيه للناس رحمة وشفاء الرحمة فى تلاوته والشفاء هو ما شفيت به أغلال العقول المستريبة بما قدمنا ذكره من الاخبار والقصص وما فيه من كمال العلم بالله وصفاته وأسمائه وما ذكر فيه من أحوال يوم القيامة والجنة والنار والوعيد حتى تبين لكل ذى عقل وان كان كافرا أنه لا يقدر أن يأتى به كاذب *

(عجبا) مصدر منصوب بفعل محذوف أى أعجب عجبا (٨١) (للكفار) أى من الكفار (زادوا) كباع من الزيادة ضد التقصير (ضلالا) وكفرا وعنادا (بالذى) أى القرآن العظيم الذى (فيه) هدى ونور مبين (للعقول) السليمة من الجهل والكفر والغى (اهتداء) ورشد (والذى) أى والكتاب الذى (يسألون) بفتح فوقية وهمزة وسكون سين يطلبونه تعنتا وتعاندا (منه) من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (كتاب) كريم من كريم (منزل) بضم ميم وسكون نون وفتح زاى عليه من عند الله (قد أتاهم) أى الكفار بليلة الاسراء (وارتقاء) أى صعود الى السماء معطوف على كتاب قال تعالى ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين الآية (أولم يكفهم) أى أيقولون ذلك كله فيه ولم يكفهم (من الله) سبحانه حال من (ذكر) منزل عليه وواصل اليهم من الله بواسطته قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (فيه) أى فى الذكر العظيم والقرآن (للناس) والجن والملائكة وجميع خلق الله (رحمة) عظيمة عميمة مستمرة وباقية دنيا وأخرى (و) فيه لهم (شفاء) لكل علة ووصمة وشبهة حسا ومعنى ظاهرا وباطنا قال تعالى قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى

ورحمة للمؤمنين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء (أعجز) وأعي وغلب (الانس) بنصب مفعول (آيةمنه) أى القرآن (و) أعجز وأعي (الجن) بنصب آيةمنه أى لم يقدر أحد من الانس والجن وخصهم بالذكر لان المعارضة والمعاندة والكفر والاشراك منهم لانهم غير معصومين قال تعالى لئن اجتمعت الانس والجن (٨٢) على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم

ثم قال رضى الله عنه

(أعجزَ الإِنسَ آيةٌ منهُ والجِنَّ فهلاَّ تأتي بِها البُلغاءُ)

قوله أعجز الجن والانس على أن يأتوا بآية من مثله كما قال اللعين الوليد بن المغيرة حين اعترف بالحق جهرا مع شدة جحوده وشدة كفره ذكروا بين يديه القرآن يوما فقال لهم أى لجلسائه ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وأن أعلاه لمثمر وما يقدر أن يأتى به بشر ثم بعد ذلك أنكر الحق فقال لعنه الله ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر * ثم قال رضى الله عنه

*(كلَّ يومٍ تُهدِي إلى سامعيهِ * معجزاتٍ من لفظِهِ القُرّاءُ)*

أخبر الناظم عما كان فيه من المشركين يقرع أسماعهم بتوقيعات القرآن وهو يغاديهم ويراوحهم أن يأتوا بمثله فلم تتحرك منهم أنفة مع أنهم أصحاب الانفة العظمى تتحرك قوتهم بأقل قليل مما يتوهم فيه تعجيزهم واذلالهم فاتاهم صلى الله عليه وسلم بكتاب من جنس ما يتكلمون به فى السياق والمنوال لا فى العلم والاختبار ويقرع أسماعهم بذلك غدوا ورواحا مع حدة أنفتهم فما تحركت منهم ولا شعرة واحدة لنهوض أن يأتوا بمثله ما كان الا أن بواطنهم التى يتحركون بقواها أخبرتهم باطنا أنه أمر الهى لا تمكن معارضته ولا يقدر البشر أن يأتى بمثله فألقوا القياد مستسلمين مسلوبين القوة فى عدم معارضته فهذا هو التحقيق أن البواطن تخبرهم أخبارا قطعيا أنه من عند الله لا تقدر البشر أن تأتى بمثله وألسنة العناد منهم تفوه بالاباطيل كقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا الا أساطير الاولين مع أنه برز أعظمهم فجورا وأكبرهم فصاحة نهض لارادة معارضة الكتاب فبينما هو ذاهب الى مجالستهم سمع صبيا من فوق السطح يتلو قوله سبحانه وتعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين فارخى قياده واستسلم وصرح بالعجز والحق وقال أشهد أن هذا لا يعارض ورجع على عقبه ومع هذا انهم مازالوا معاندين وهو صلى الله عليه وسلم يغاديهم ويراوحهم فى كل يوم يأتيهم بعجائب يسمعونها غير التى تقدمت على طول ما أقام فيهم وعجائب القرآن متعددة على اسماعهم يسمعونها من كل تال * ثم قال رضى الله عنه

(تتحلَّى بهِ المسامعُ والأفـواهُ فهوَ الحُلِيُّ والحلواءُ)

أخبر الشيخ ههنا عن حالة القرآن انه تتحلى به المسامع والافواه من التحلى وهو لباس الزينة ومن التحلى الذى هو ذوق الحلاوة فى القوة الحاسة فالقرآن له هاتان الحالتان تتلذذ الاسماع والافواه به لعذوبة لفظه وقوة اختصاره واحاطته بالمعانى البعيدة مع كونه يخرج من لسان تاليه ملبوسا بهيبة الربوبية فهذا

لبعض ظهيرا (فهلا) حرف تهكم وتوبيخ وتبكيت (تأتى) تجيء (بها) أى بآية شبيهة بآية قرآنية وفى نسخة به أى بما ذكر من الآية أو بمثلها (البلغاء) والفصحاء كقريش وغيرهم من العرب لانهم أهل فصاحة وبلاغة جبلة وطبيعة (كل) بنصب (يوم) أى فى كل وقت وزمان (تهدى) بضم فوقية وكسر دال من أهدى له كذا أكرمه به (الى سامعيه) أى الذكر الحكيم والقرآن الكريم (معجزات) بنصب مفعول به أى عجائب وغرائب (من لفظه) أى من تلاوة ألفاظه لعذوبتها وجزالتها وفصاحتها وبلاغتها وخروجها عن قياس كلام المخلوق (القراء) بضم قاف وتشديد راء جمع قارى فان من سمع القرآن ودبره علم انه ليس من كلام المخلوق ولاحت له منه علوم عجيبة وغريبة تصريحا وتلويحا (تحلى) بفتحات وتشديد لام تتزين (به) أى بالذكر الحكيم والقرآن الكريم أى بسماع تلاوته (المسامع) جمع مسمع بكسر ميم أولى وفتح الثانية كمنبر الاذن (و) تتحلى به (الأفواه) بفتح همزة جمع مفرده فاه كباب وفوه كقول وفم كفيل الفم (فهو) بسكون هاء أى الذكر الحكيم والقرآن العظيم (الحلى) بضم حاء وكسر لام وتحتية مشددة جمع حلى بفتح حاء كفلس ما يتزين به أى للمسامع (و) هو (الحلواء) بفتح حاء أى كل ما فيه حلاوة كعسل أو الحلواء المعروفة على شكل معروف أى للافواه

هو التحلي بزينته والتحلي بذوق حلاوته وخضوع النفوس له باطنا واستحلائها لمعانيه فهى الحلواء التى فيه كما قال الملعون الوليد بن المغيرة حين خبطوا بين يديه فى القرآن قال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة هى الطلاوة حلة الجمال المكسو بها وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر وما يقدر ان يأتى به بشر مع شدة كفره وعناده كما قيل فى المثل السائر الفضل ما شهدت به الاعداء * ثم قال رضى الله عنه

(رَقَّ لَفْظًا وَرَاقَ مَعْنًى فَجَاءَتْ * فِى حُلَاهَا وَحَلْيِهَا الخَنْسَاءُ)

قال رق لفظا واللفظ الرقيق هو الذى تستحليه النفوس باطنا وتميل اليه ولا تمل من تكراره عليها فهذا هو اللفظ الرقيق وراق معنى ومعنى راق بمعنى صفى معناه وصفت معانيه اى معانى القرآن فليس فيها تخليط ولا هذيان وليس فيه ما يستبشعه العاقل من المعانى ولقد بلغت معانيه فى الصفا كل ما مرت على العقل السليم منه آية ازداد تعجبا من وقوعها كانه ما سمعها ولا سمع غيرها فهو على زداد تكراره دائما فى هذا الميدان حتى ذهب بعض الصوفية الى أن من تلا القرآن وكانت معانيه المرة الثانية هى التى فى الاولى كانه ما تلا القرآن ولا عرفه بل عندهم فى كل مرة منه فاضت فيه علوما واسرارا وعجائب غير التى فى الاولى وهكذا دائما كلما يكرر على طول عمره وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم لا تنقضى عجائبه الى يوم القيامة فتشبهت بحليها وحلاها الخنساء بالقرآن وان كانت لا تصل اليه ولا بوجه ما لانها كانت شاعرة عظيمة القدر فى الشعر وقد كان يستنشدها صلى الله عليه وسلم ويستحسن شعرها كل ما رآها ارادت السكوت يقول ايه يا خناس (١) حتى قال لها عمر يوما أنت اشعر من ذات خصى فقالت ومن كل خصيين * ثم قال رضى الله عنه *

(وَأَرَتْنَا فِيهِ غَوَامِضَ فَضْلٍ * رِقَّةٌ مِنْ زُلَالِهِ وَصَفَاءُ)

الزلال هو الماء العذب الصافى البارد وسمى بهذا الاسم لشدة ميل النفوس اليه عند العطش معانى القرآن شبهها فى صفائها وعلومها أخذها واحاطتها بالمحاسن بالماء العذب الزلال وصفاء معانيه ارتنا فيه غوامض علم واسرار سماها غوامض لبعد ادراكها عن العقول فلا تنال الا بفيض الهى وهى تلك العلوم والاسرار والفيوضات والتجليات التى فى القرآن * ثم قال رضى عنه

(إِنَّمَا تَجْتَلِى الوُجُوهُ إِذَا مَا * جُلِيَتْ عَنْ مِرْآتِهَا الأَصْدَاءُ) .

قال انما تجتلى الوجوه يريد فى المرائى الصقيلة معناه يراها الناظر فى المرآت بحكم المقابلة لكن لا تجتلى الوجوه فى المرآت الا اذا جليت من الصداء كذلك معانى القرآن الغامضة لا تجليها العقول الا اذا بلغت الرتبة الحقية وهى ذهاب غير الله تعالى من نظرها عينا واثرا لم يبق الا الله وحده فهنالك تجتلى معانى القرآن للعقل فى تلك المرآت وما لا فلا *

(رق) كضرب من الرقة ضد الغلظة حسن وزان الذكر الحكيم والقرآن العظيم (لفظا) أى من جهة لفظه البديع وصنعه الغريب فلا تجد فيه لفظة فيها ما ينافى الفصاحة والبلاغة (وراق) كقال صفى وأعجب كل من نظر اليه (معنى) أى من جهة المعنى فمعانيه منزهة ومقدسة من كل نقص وعيب (فجاءت) أى فبسبب كون ألفاظه فى غاية من الحسن ومعانيه فى نهاية من الكمال تقريبا للاذهان جاءت متزينة (فى حلاها) بكسر حاء وضمها جمع حلية بكسرها كلحية (وحليها) بفتح حاء كفلس ما يتزين به من مصوغ وغيره أي فى صورتها الحسنة وصفتها السنية وفى زينتها (الخنساء) بفتح خاء أخت صخر وكانت شاعرة مفلقة وكانت من أجمل النساء وقد أسلمت فى زمن سيدنا عمر رضى الله عنه • (وأرتنا) أعلمتنا وأوضحتنا (فيه) أى فى الذكر الحكيم والقرآن العظيم (غوامض) عجائب وغرائب (فضل) وهدى ونور كالعلوم والمعارف المستنبطة منه (رقة) بكسر راء حسن صنيعه وبديع أسلوبه ناشئة (من زلالها) أى الرقة بضم زاى كغراب ماء عذب فى غاية الحلاوة والبرودة والصفاء (و) أرتنا فيه غوامض فضل فى (صفاء) من زلال تلك الرقة (انما تجتلى) بفتح فوقيتين من الاجتلاء تظهر وتتضح (الوجوه لإذاما) زائدة (جليت) بضم جيم وكسر لام مبنى للمفعول أى أزيلت وصقلت (عن مرآتها) بكسر ميم وبعد همزة آلة ينظر فيها (الاصداء) بفتح همزة جمع صدى بفتحتين الدرن والوسخ فكذلك مرآة القلوب لا تظهر لها العلوم والمعارف من القرآن وغيره الا اذا طهرت وقدست من الذنوب والمعاصى

(١) قوله خناس بضم خاء كغراب

ثم قال رضى الله عنـه

(سُوَرٌ مِنْهُ أَشْبَهَتْ صُوَراً مِنَّـــا وَمِثْلُ النَّظَائِرِ النُّظَرَاءُ)

قال سور من القرآن أشبهت صور امنا والمشابهة بيننا و بينها انها مماثلة الموقع على وتيرة واحدة مثل الصور الآدمية على وتيرة واحدة لا تختلف كيفيتها ولكنها تختلف فى غير هذا الحد بالالوان والاخلاق والاحوال والاحكام واللوازم والمقتضيات وصورتها فى الشبه يعنى صور الآدميين صورة واحدة مختلفة فى المبانى والمعانى لاختلاف الآثار الواردة عليها من الحضرة الالهية بحسب الاسم القائم والفيض الطارئ عليها من المشيئة الربانية والحكم الواقع عليها من الكلمة الالهية وهى كن فهى فى هذا الميدان متفقة مفترقة مؤتلفة مختلفة كذلك صور القرآن هى متفقة على قانون واحد لانها كلام الحق سبحانه وتعالى ومن حيث حقيقتها مفترقة المعانى والأسرار والطوالع والتطلبات فهى مثل صور الآدمى فهى متفقة متفرقة مؤتلفة مختلفة * ثم قال ومثل النظائر النظراء هذه كلمة جاء بها لصحة التقابل لان التقابل الذى بين النظائر هو الذى بين النظراء والنظائر جمع نظيرة هو جمع التأنيث والنظراء جمع نظير وهو جمع التذكير وهو كما تقابلت سور القرآن بالصور الآدمية اتفاقا وافتراقا وائتلافا واختلافا كذلك تقابلت النظائر بالنظراء النظائر هى آيات القرآن والنظراء هم اشخاص بنى آدم * ثم قال رضى الله عنه

(وَالأَقَاوِيلُ عِنْدَهُمْ كَالتَّمَاثِيـــلِ فَلَا يُوهِمَنَّكَ الْخُطَبَاءُ)

* قوله والاقاويل عندهم وهى الاقاويل المفتريات فى القرآن بقولهم هو سحر أو أساطير الاولين هو قولهم انما يعلمه بشر وكذا قولهم أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا الى غير ذلك من وجوه الافتراء التى افتروها فى القرآن قال الاقاويل عندهم كالتماثيل والتماثيل هى وضع تماثيل الصور المتحركة فى طرز الثياب وعلى الجدران وغيرها فان تلك التماثيـل لا تعطى من حقائق الشئ شيئا مثل ان كتبوا صورة البغل مثلا وكذا غيره من الحيوانات والطيور فان تلك التماثيل حقيقتها زور لا تعطى من التحقيق شيئا لان الحيوان الطائر مثلا والسائر كالفرس وغيره مثلا بين الكيفية والكيفية وبه تغنى عن وصفه وتماثيلها الصورة ليس فيها حركة ولا طيران ولا سير ولا ما يستفاد من الحيوان فى ركوبها أو حلبها أو ذبحها أو كل لحمها أو الحمل عليها للاثقال فان تلك التماثيل لا يستفاد من هذه الامور شئ فهى زور وافتراء اذا أطلق عليها اسم الحيوان فهو زور لمفارقته للحيوان فى جميع وجوهه كذلك الأقاويل المفتريات فى القرآن لم تعط من التحقيق شيئا انما هى زور وكذب لان القرآن فى تحقيق مبانيه وتوضيح معانيه ووجوه نزاهة سياقه وكشفه عن الامور المغيبات ومكارم الاخلاق ومحاسن الآداب مما لا يحصى مما اشتمل عليه القرآن كل ذلك بين لذوى العقول لا يقدر ذو عقل ان ينكر منه شيئا وما زخرفوه فيه من الاقاويل المزورة بينة الكذب لذوى العقول السليمة * قوله فلا يوهمنك الخطباء يعنى خطباء العرب لا يوهمنك من الزخاريف المزورة

(سور) بضم سين وفتح واو مخففة جمع سورة بضمها طائفة من الآيات مسماة باسم مخصوص كسورة الاخلاص والبقرة (منه) أى من الذكر الحكيم والقرآن العظيم (أشبهت) ماثلت (صورا) بضم صاد وفتح واو مخففة جمع صورة شكل الانسان (منا) معشر الانس والجن أى أن سور القرآن مشبهة بصورنا من حيث تميز كل سورة منها عن الاخرى بما اشتملت عليه من الصفات الجميلة اللفظية والمعنوية كما ان صورنا تمتاز كل صورة منها عن الاخرى بالصفات الخلقية والخلقية ان الله عليم حكيم (ومثل النظائر) جمع نظير المثيل والمشابه (النظراء) جمع نظير أيضا أى ومثل الافاضل والاماثل منا النظراء أى سور القرآن لأن بعضها يناظر بعضا أى ان سور القرآن تشابه الافاضـل منا (والاقاويل) جمع أقوال جمع قول فالأباطيل التى (عندهم) أى عند الكفار قاتلهم الله أنى يؤفكون فى ذم القرآن القدسى (كالتماثيل) جمع تمثال كمفتاح الصورة أى مثل الصورة المخترعة على أيدى المصورين لعنهم الله فلا وجود فى الحقيقة لهذه الصور المخترعة كذلك تقولاتهم فى القرآن الكريم كالعدم (فلا يوهمنك) بضم تحتية وكسر هاء وفتح ميم مخففة ونون مشددة بعدها (١) واو ساكنة من أوهمه أوقعه فى الوهم والشك (الخطباء) بضم خاء جمع خطيب من الكفرة الذين يتقولون الاباطيل

(١) قوله بعدها اى بعد التحتية والا لم يستقم المعنى

في القرآن (كم) مرات كثيرة (أبانت) أظهرت (آياته) جمع آية طائفة من سورة منقطعة عما قبلها وعما بعدها (من علوم) مفعول مجرور بمن الزائدة علوما ومعارف لا تعد ولا تحصى ناشئة (عن حروف) قليلة بنسبة ما ينشأ عنها (أبان عنها) أى عن الحروف (الهجاء) بكسر هاء ككساء التهجي وهو تعداد حروف الكلمة بذكر أسمائها (فهي) بسكون هاء أى الحروف القرآنية وان قلت بالنسبة لما ينشأ عنها من العلوم والمعارف والاحكام (كالحب) مثل الحب الذى يزرعه الزارع (والنوى) بفتحتين الذى يغرسه الغارس (أعجب) وأفرح (الزراع) بضم زاى وفتح راء مشددة جمع زارع بنصب مفعول أعجب (منه) أى من الحب وفى نسخة منها أى من الزروع والثمار (سنابل) بتنوين جمع سنبلة كقنفذة محل ومجمع الحبوب أى كثرة ما نشأ عن ذلك الحب القليل من السنابل والحبوب الكثيرة التى لا تعد ولا تحصى (وزكاء) بفتح زاى كسماء النمو والزيادة (فأطالوا) معطوف على زادوا ضلالا أى عجبا الكفار مع هذه المعجزات والآيات البينات استمروا على الضلال والعناد فأطالوا أكثروا (فيه) أى فى الذكر الحكيم والقرآن العظيم (التردد) والتحير (والريب) والشك (فقالوا) تارة هو (سحر) تموية لا حقيقة له (وقالوا) أخرى هو (افتراء) أى اختلاق وكذب محض أولئك كالانعام بل هم أضل بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (واذا البينات) الحجج القاطعة الواضحة (لم تغن) بضم فوقية لم تفدهم (شيئا) من الهدى (فالتماس) طلب (الهدى) والهداية لهم (بهن) أى بتلك البينات وفيه تنزيل لغير العاقل منزلة العاقل وفى نسخة لهن بلام أى لأجلهن (عناء) بفتح عين كسماء التعب والمشقة (واذا ضلت) عن طريق الحق (العقول) السقيمة العليلة بالكفر والشرك (على علم) أى مع علمها بتلك الطرق (فماذا) أى أى نصح ووعظ (تقوله النصحاء) جمع ناصح الرسل وخلفاؤهم قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله

* قوله رضى الله عنه

(كَمْ أَبَانَتْ آيَاتُهُ مِنْ عُلُومٍ * عَنْ حُرُوفٍ أَبَانَ عَنْهَا الْهِجَاءُ)

قال كم أبانت آياته من علوم يعنى آيات القرآن وتلك الابانة من الحروف يعنى حروف الهجاء تركبت كلمات والكلمات تركبت آيات والآيات ابانت عن العلوم يعنى ان العلوم التى ابان عنها القرآن لا نهاية لها ولا تفرغ الى الابد يقول صلى الله عليه وسلم لا تنقضى عجائبه الى يوم القيامة أراد صلى الله عليه وسلم انه فى كل عصر يفتح على أهل ذلك العصر من علوم القرآن ومعانيه ما لم يفتح على من قبلهم من أهل الاعصار وهكذا الى يوم القيامة فلا نهاية لعلومه ومعارفه الى يوم القيامة * قوله رضى الله عنه

(فَهْيَ كَالْحَبِّ وَالنَّوَى أَعْجَبَ الزُّرَّ * رَاعَ مِنْهُ سَنَابِلٌ وَزَكَاءُ)

قال يعنى آيات القرآن شبهها بالحب والنوى لزارعها وغارسها فانه يبدو لهم من غرسها وزرعها فى آخر أمرها ما لم يكن يعلمونه من أنواع الثمار والسنابل كذلك آيات القرآن لتاليها بشروطها بر زله فى كل تلاوة من علومها ما لم يكن يعلمه قبل * قوله رضى الله عنه

(فَأَطَالُوا فِيهِ التَّرَدُّدَ وَالرَّيْـبَ فَقَالُوا سِحْرٌ وَقَالُوا افْتِرَاءُ)

يعنى فى القرآن وهى الاقاويل المزورة التى قالوا فيها سحر وقالوا افتراء * ثم قال رضى الله عنه

(وَإِذَا الْبَيِّنَاتُ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا * فَالْتِمَاسُ الْهُدَى بِهِنَّ عَنَاءُ)

يعنى اذا كانت البينات لم تفد البيان لناظرها فالتماس الهدى بهن عناء * قال صلى الله عليه وسلم لبعض أحبار اليهود وكان اعلم أهل زمانه الا انه شاب وجده صلى الله عليه وسلم فى انقطاع عن الخلق ليس الاهما فقال صلى الله عليه وسلم للحبر يا فلان أنا الموصوف فى التوراة وذكر له صلى الله عليه وسلم صفاته فى ذلك المحل من التوراة قال له تزعمون انى لست به يعنى ذلك الموصوف فنظر الحبر يمينا وشمالا فلم ير أحدا فقال له يا محمد كل أحبار اليهود مطبقون عالمون انك المنعوت فى التوراة من غير شك ولا ريب وما فيهم من يجهل هذا او يتردد فيه أو كما قال له الحبر مما معناه هذا ثم قال له ولكن غلبهم الحسد وانا منهم اعاذنا الله من بلائه * ثم قال رضى الله عنه

(وَإِذَا ضَلَّتِ الْعُقُولُ عَلَى عِلْـمٍ فَمَاذَا تَقُولُهُ النُّصَحَاءُ)

يعنى ان العقول اذا ضلت على علم فما تفيدها النصيحة شيئا * ثم قال رضى الله عنه

(قوم) بنصب منادى مضاف أي ياقوم نبي الله (عيسى) ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام (عاملتم) وقابلتم (قوم) نبي ا
(موسى) على نبينا وعليه الصلاة والسلام (بالذى) أى بتصديق كتابهم التوراة وآمنتم به (عاملتكم) بنظيره وهو تصديقهم بكتا
الانجيل (الحنفاء) جمع حنيف المسلمون من هذه الامة (صدقوا) أى (٨٦) قوم عيسى هم النصارى فيه التفات من الخطاب ا

(قَوْمَ عِيسَى عَامَلْتُمْ قَوْمَ مُوسَى * بِالَّذِى عَامَلَتْكُمُ الْحُنَفَاءُ)

ثم أخذ يخاطب أهل الكتابين التوراة والانجيل قال بدأ بالنصارى قال قوم عيسى وهم القوم الذ
آمنوا بعيسى عليه الصلاة والسلام قال عاملتم قوم موسى بالذى عاملتكم الحنفاء معناه انكم معشر
النصارى آمنتم بموسى عليه الصلاة والسلام وبالتوراة المنزلة عليه بان الجميع حق وكفروا بكتابك
ورسولكم وهو عيسى هكذا عاملة وهم كذلك عاملتكم الحنفاء بهذا الامر وهم أمة محمد صلى الله عل
وسلم آمنوا بكتابكم ورسولكم وكفرتم بكتابهم ورسولهم سواء بسواء كما فعلتم مع اليهود مع كفره
بكم كذلك عاملتكم الحنفاء بمثل ما عاملتم به اليهود وقد تقدم الايمان والكفر * ثم قال رضى الله ع

(صَدَّقُوا كُتْبَكُمْ وَكَذَّبْتُمْ كُتْبَهُمْ إِنْ ذَا لَبِئْسَ الْبَوَاءُ)

معناه أن الحنفاء صدقوا بالانجيل وعيسى وآمنوا بهما وهم دين النصارى وكذبتم كتبهم وهم الحنف
وكتبهم القرآن وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان ذا لبئس البواء يعنى المرجع الذى رجعتم وهى القائ
التى يحصلها الطالب للامر اما فائدة أو خسارة يقال رجع عن مطلبه بكذا يعنى من فائدة أو خسارة
ثم قال رضى الله عنه

*(لَوْ جَحَدْنَا جُحُودَكُمْ لَاسْتَوَيْنَا * أَوَ لِلْحَقِّ بِالضَّلَالِ اسْتِوَاءُ)*

قال يخاطب النصارى قال لو جحدنا بكتابكم ورسولكم فى عدم الايمان بهما كما جحدتم الايما
بكتابنا ورسولنا وأنتم تعلمون أنهما حق بما أخبركم الانجيل وعيسى عليه الصلاة والسلام
لو جحدنا بجحودكم لاستوينا نحن وأنتم قال أو للحق بالضلال استواء معناه لا يستوى متبع الحق
على بينة مع الضال عن الحق على بينة فانهم ضلوا عن الحق على بينة فانهم يعلمون أنه حق فكان ضلاله
عنادا أو حسدا ليس جهلا * ثم قال رضى الله عنه

*(مَا لَكُمْ إِخْوَةَ الْكِتَابِ أُنَاسًا * لَيْسَ يُرْعَى لِلْحَقِّ مِنْكُمْ إِخَاءُ)*

قال مالكم هى هنا استفهامية الا أنها واردة مورد الانكار والتوبيخ والطرد للوبال الذى يحل بصاح
فانهم لما كفروا بالقرآن وبالنبي صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنهما حق ليس عندهم فى ذلك شك
ريب قال لهم مالكم يعنى أى شئ حملكم على هذا الجحود وأنتم على بينة من حقه وقوله مالكم اخ
الكتاب واخوة الكتاب هم المصاحبون له لكون أن الله سبحانه وتعالى خاطبهم فيه وكلفهم بالع
بمقتضاه ويسألهم عنه يوم القيامة فبهذا الحد كانوا اخوته يعنى أصحاب الكتاب وهو الانجيل قال
اخوة الكتاب * وقوله أناسا هو تمييز لاخوة الكتاب منصوب على التمييز قال مالكم لا يرعى لل
منكم اخاء يعنى صحبة ومتابعة فهو يوبخهم بهذا * ثم قال رضى الله عنه

الغيبة (كتبكم) بضم كاف
وسكون فوقية جمع كتاب
أى التوراة والخطاب لقوم
موسى هم اليهود (وكذبتم)
من التكذيب (كتبهم)
بضم كاف وبسكون فوقية
جمع كتاب الانجيل والضمير
لقوم عيسى (إن ذا) أى
ان هذا الذى فعلتموه أيها
اليهود من التكذيب
بالانجيل مع تصديق النصارى
بالتوراة (لبئس) قبح
وشنع (البواء) بفتح موحدة
الصنيع الذى رجعتم به
القهقرى (لو جحدنا) كتمنا
أنكرنا عن علم (جحودكم)
أى مثل انكاركم أى لو
أنكرنا كتابكم كما أنكرتم
كتابنا وكتاب عيسى
(لاستوينا) فى الكفر
والضلال والعناد (أو) أى
أنفعل ذلك نحن معشر
المؤمنين بالله وبجميع كتبه
ورسله كلا وحاشا ومعاذ
الله كيف وليس (للحق)
وهو ما نحن عليه من التصديق
بجميع ما ذكر (بالضلال)
والكفر والتكذيب بما ذكر
والعناد وهو ما أنتم عليه (استواء) أى مساواة بل بينهما التضاد والتنافى (ما) مبتدأ استفهامية أى أى شئ وقع (لكم) يا (إخوة) بنص
منادى مضاف (الكتاب) أى الكتابين التوراة والانجيل فهم اخوة بسبب انتسابهم الى الكتاب لاشتراكهم فى أحكامه كاشتراك الا
فى النسب الى أصل حال كونكم (أناسا) بضم همزة (ليس يرعى) بضم تحتية وفتح عين مبنى للمفعول ونائب الفاعل ضمير مستتر عائ
اخاء وهو اسم ليس جملته خبرها (للحق) أى للدين الحق هو دين الاسلام (منكم إخاء) بكسر همزة أى مواخاة ومعاونة منكم

*(يَحْسُدُ الأَوَّلُ الآخِيرَ وَمَازَا * لَ كَذَا المُحْدَثُونَ وَالقُدَمَاءُ)*

قال الاول يحسد الاخير لان الاول لما حصل فى غاية الشرف لأعطائهم النبوة والكتاب وتساهلهم لذلك ومتابعتهم له حلوا منزلة عالية عند الله من الشرف وتلذذوا بان لا مثل لهم فى الشرف فلما أعطى من بعدهم بمثل ما أعطوا من النبوة والكتاب ليحصل لهم الشرف الذى حصل لمن قبلهم حسدوهم لكونهم ماثلوهم فى الرتبة فأنفوا من ذلك لانهم تلذذوا أولا بعدم وجود مثليتهم وقد دعا الكلام ههنا الى تبين حقيقة الحسد ماهو وماسببه * اعلم أن حقيقة الحسد هو جزع الشخص الحاسد من مزاحمة غيره فى الوصول الى مرتبة عالية فى الشرف حل بها الحاسد قبل هذا فكلما رأى شخصا حل فيها معه وسعى فى الوصول اليها أبغضه وعاداه لان نفسه كانت قد حصل لها التلذذ بالاختصاص بتلك المرتبة ونظر غيره تحت حيطته لان اختصاصه فى تلك المرتبة شاهد غيره محتقرا تحت مرتبته والغير ينظر اليه بعين العظمة والجلال والاختصاص وهو قد حصل له التعزز والاستكبار بشهوده لتعظيم غيره لمرتبته فهو يحب التوحد بالاختصاص فى تلك المرتبة ويعادى كل من رآه قد حل معه فى تلك المرتبة أو ماثله بمرتبة مماثلة له فى العظمة والجلال فهذا احد وجوه الحسد والرتبة الثانية فى الحسد اذا كان الشخص الحاسد فى مرتبة عالية قد ماثله فى تلك المرتبة أفراد كثيرة فيما هو فيه من العلو والعظمة والجلال ولا يستطيع دفع غيره من مزاحمة تلك المرتبة فيشاهد نفسه حينئذ سا كنة لانها عالية مع العالين تنظر الى شرفها بشهود أهل المراتب النازلة عنها المحتقرة لعدم تحصيل تلك المرتبة التى هو فيها فنفسه أيضا راضية بشرفها مع الاشراف فى تلك المرتبة راضية بعلوها مع العالين فى تلك المرتبة فاذا رأى شخصا ارتقى فوق رتبته وعلا شرفه عليه وزاد تعظيمه واجلاله عليه حسده وعاداه وأبغضه لاجل زيادة مرتبته عليه فهو مع العالين فى مرتبتهم لا يحسدهم لاجل ماحصل له من العلو ولكن يحسد من يزيد على رتبته فى العلو والعظمة والجلال فتحصل لك من هذا أن الحسد قسمان قسم يكون من علو مرتبة المحسود على رتبته والقسم الثانى من طلوع الاسفل المحقور والى تحصيل رتبة تماثل رتبته فى العظمة والجلال والعلو والاستكبار فمن الوجه الاول يكون حسد العلماء للاولياء والملوك بعضهم بعضا لانهم يطلبون العلو على مراتبهم فهم يحسدونهم ويبغضونهم على هذا الامر ومن الوجه الثانى فى الحسد حسد أهل الاموال وأهل الرياسة فيمن كان محتقرا تحتهم وحصل فى مثل مراتبهم فهذه وجوه الحسد وحقيقة الحسد هو استنكاف الحاسد من حصول المحسود فى مثل رتبته علوا واستكبارا بعدما كان محتقرا مهانا أومن طلوع من كان مثله فى الرتبة فوق رتبته علوا واستكبارا وتعززا وافتخارا فهذه حقيقة الحسد * ثم قال رضى الله عنه

(قَدْ عَلِمْتُمْ بِظُلْمِ قَابِيلَ هَابِيـلَ وَمَظْلُومُ الإِخْوَةِ الأَتْقِيَاءُ)

قصة قابيل مع هابيل معلومة باستقراء الاخبار لا تحتاج الى ذكر هى أشهر من أن تذكر ومظلوم الاخوة الاتقياء هو سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام وأخوته حيث وصفوه بالسرقة بقولهم قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فعيروه بالاعار فيه انما أرادوا الدفع لما لحقهم من العار فى ظهور صورة السرقة على أخيهم وهم معيرون بها على ماجرت به العادة فارادوا دفع ذلك بقولهم ان يسرق فقد

للحق بالتصديق قال تعالى هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (يحسد) بفتح تحتية وضم سين من حسد كنصر تمنى زوال نعمة غيره وهو من الكبائر وأم الخبائث (الاول) هم اليهود (الاخير) هم النصارى (وما) نافية (زال) فعل ماض (كذا) خبرها أى على مثل هذا الحال من حسد الاول الاخير من لدن آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة (المحدثون) أى المحسودون اسمها (والقدماء) أى الحاسدون سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (قد علمتم) علم يقين من كتبكم (بظلم قابيل) إذ قتل أخاه (هابيل) حسدا وبغضا وهو أول من أراق دما ظلما عليه وزر ذلك ووزر كل من أراق دما ظلما الى يوم القيامة (ومظلوم) رفع مبتدأ (الاخوة) أى من الاخوة (الاتقياء) جمع تقى فالتقى هو الذى يكون مظلوما ومؤذى وحقيرا وذليلا بين أخوانه فهو وإن كان كذلك أفضلهم وسيدهم

(و) قد (سمعتم) وفى نسخة علمتم من كتبكم (بكيد) حيلة وخديعة (أبناء) وفى نسخة اولاد سيدنا (يعقوب) ا
اسرائيل ومعناه عبد الله على نبينا وعليه الصلاة والسلام (أخاهم) من أبيهم سيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة وال
(وكلهم) أى أبناء يعقوب (صلحاء) أنبياء ولا يؤثر ولا ينقص فى صلاحهم ونبوتهم ما وقع بينهم و بين اخيهم لك
(حين) ظرف (ألقوه) بفتح همزة وقاف فعل ماض وفاعل أى (٨٨) رموه ونبذوه (فى غيابات) جمع غيابة كسحابة وفى
نسخة بالافراد (جب)
بضم جيم بئر لم تطو ولم تبن
لشدة محبة أبيهم له دونهم
(و) حين (رموه)
بفتح راء وميم (بالافك)
بكسر همزة كضرس
البهتان والكذب والسرقة
(وهو) بسكون هاء أى
سيدنا يوسف على نبينا
وعليه الصلاة والسلام
(براء) بفتح موحدة كسماء
أى برىء ومنزه من ذلك
الافك (فتأسوا) بفتحات
وسكون واو أى تصبروا
واقتدوا (بمن) ظلم ممن (مضى)
من الاتقياء الصلحاء (إذ)
حين (ظلمتم) بضم ظاء
مشالة وكسر لام أى ظلمكم
الكفار بما رموكم به من
الحسد والعداوة والقتال
(فالتأسى) التصبر والاقتداء
بأهل الخير (للنفس)
متعلق بعزاء (فيه) أى فى
التأسى (عزاء) كسماء أى
تسل وتصبر للنفس يحملها
على الاغضاء والاعراض
عمن يؤذيها (أتراكم) الهمزة
للاستفهام وترى بضم فوقية بمعنى تظن والضمير المستتر لليهود والكاف للسلمين أى أتظنكم اليهود (وفيتم) بفتح واو و
وبسكون ياء كرمى فعل وفاعل جملته مفعول ثان أى وافين ومنجزين عهد الله باظهار الحق ودين الاسلام والعمل به (حين)
ظرف لوفيتم (خانوا) أى اليهود الله و رسوله فكتموا الحق وأنكروه مع علمهم به (أم تراكم) أم تظنكم اليهود أيها المؤمنون
(أحسنتم) واستجبتم لله ولرسوله فى كل ما دعاكم اليه (اذ) حين (أساؤا) اى عصوا وكفروا بما جاءتهم به رسلهم و بما وجدوه فى كتبهم
من الايمان بالنبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل الآية

سرق أخ له من قبل فاجابهم بقوله أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون وقصته فى السرقة معلومة
الصلاة والسلام لانه سرق صنم جده من أمه وذهب به حتى لا يرى وكان من ذهب وفضة مرصع بال
فحملته الغيرة الالهية أن يرى أن يعبد من دون الله تعالى فسعى فى تلفه بما يقدر عليه وما حمله على ذ
طلب المال أو الطمع فى الحرص على الدنيا كما هو شأن العوام وانما هى الغيرة الالهية كما قلنا فى اتلاف
لمن يعبد من دون الله تعالى فكانت له تلك السرقة فى غاية المدح والشرف وشفوف المرتبة
وظلمهم له حيث عيروه بها وليست بعار ولذا قال والله أعلم بما تصفون عليه الصلاة والسلام
ثم قال رضى الله عنه

(وَسَمِعتُمْ بِكَيْدِ أَوْلَادِ يَعْقُو * بَ أَخَاهُمْ وَكُلُّهُمْ صُلَحَاءُ)

قصة أولاد سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام معلومة مشهورة لا يحتاج الى ذكرها وقوله وكلهم صلحاء
الراجح والجمهور على أنهم أنبياء * ثم قال رضى الله عنه

(حِينَ أَلْقَوْهُ فِى غَيَابَتِ جُبٍّ * وَرَمَوْهُ بِالإِفْكِ وَهْوَ بَرَاءُ)

(فَتَأَسَّوْا بِمَنْ مَضَى إِذْ ظُلِمْتُمْ * فَالتَّأَسِّى لِلنَّفْسِ فِيهِ عَزَاءُ)

الافك الذى رموه به هو قولهم للذين باعوه انه عبد مملوك لنا هذا هو الافك الذى رموه به وهو منه
براء وقد قال لهم الذين اشتروه منهم حين قالوا هو عبد مملوك لنا قالوا لهم ما نرى عليه صورة العبودية
نرى أخلاقا حسنة ومكارم من الاوصاف عالية ليست من العبودية فى شئ قالوا لهم انه عبد مملوك لنا
ولكن ربى فى وسطنا وتخلق باخلاقنا فسألوا يوسف يعنى سألوه المشترون له عما قال اخوته فقال عليه
الصلاة والسلام ربيت فى وسطهم وتخلقت باخلاقهم فسكتوا واشتروه وذهبوا به فهذا هو الافك الذى
رموه به وهو منه براء لانه ولد أبيهم عليه الصلاة والسلام * ثم قال رضى الله عنه

(أَتُرَاكُمْ وَفَيْتُمُ حِينَ خَانُوا * أَمْ تُرَاكُمْ أَحْسَنْتُمْ إِذْ أَسَاؤُا)

اعلم انه يخاطب أهل الكتاب وهم النصارى فى كفرهم بنبينا صلى الله عليه وسلم و بالقرآن * بقوله
أتراكم يعنى يا معشر النصارى وفيتم بامر الله حين خانه اليهود فى عدم الوفاء بعهده وفيتم يعنى بما عهد
الله اليكم فى الانجيل وعلى لسان عيسى عليه الصلاة والسلام من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
ونصرته أتراكم وفيتم لله بهذا العهد حين خانوه اليهود فى عهده أم تراكم أحسنتم فى القيام بامر الله تعالى

(بل تمادت) استمرت وتتابعت (على التجاهل) اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على خلافه (آباء) أسلافهم (تقفت) بفتحات وتشديد فاء اتبعت (آثارها) أى آثار الآباء (الابناء) أى أبناؤهم قال تعالى انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون (بينته) أى الحق أوضحت نبوة ورسالة (٨٩) سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لجميع الخلائق (توراتهم) المنزل على سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام (و) بينته (الاناجيل) جمع انجيل جمعه للتعظيم ولتنوع قصصه وآياته (وهم) اليهود والنصارى (فى جحوده) اى فى انكار الحق مع علمهم بأنه حق وغيره باطل (شركاء) جمع شريك أى مشتركون فى انكاره (أن يقولوا) بفتح تحتية وفى نسخة بفوقية أى اليهود والنصارى (ما) نافية (بينته) أوضحت التوراة والانجيل الحق النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل (فازالت) بها أى بسبب التوراة والانجيل (عن عيونهم) أبصارهم (عشواء) بفتح عين مهملة وسكون شين معجمة ظلمة تمنع العين من الابصار (أو يقولوا) بفتح تحتية وفى نسخة بفوقية أى اليهود والنصارى (قد بينته) أى ذلك الحق (فما) مبتدأ استفهامية أى فأى شئ حصل (للاذن) أى لاسماعكم (عما) أى عن الحق الذى (تقوله) التوراة والانجيل (صماء) خبر لمحذوف أى هى غير سامعة له سماع قبول (عرفوه) حق معرفة ببواطنهم وأنه حق رسول لجميع الخلائق (وأنكروه) بظواهرهم قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآية (وظلما) أى ولأجل الظلم والبغى (كتمته) أى الحق النبىّ الامىّ (الشهادة) بدل من الضمير أى كتمت الشهادة به (الشهداء) جمع شاهد اليهود والنصارى لانهم عرفوا صفاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم معرفة قطعية فى التوراة والانجيل وأنكروه عنادا وتلبيسا للغير وتجاهلا قال تعالى ولا تلبسوا الحق

والوفاء بعهده اذ أساءوا يعنى اليهود أساءوا لمخالفة أمر الله تعالى وهو الامر الذى أمرهم به فى التوراة وعلى لسان موسى عليه الصلاة والسلام فيما أمرهم وعاهدهم فى الايمان بعيسى و بمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان بالانجيل والقرآن فحين أساءوا اليهود بمخالفتهم لهذا العهد أترا كم أنتم أحسنتم فى الوفاء بعهد الله حين عهد اليكم بالايمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و بالقرآن فهو استفهام لكنه و ردمورد الانكار والطعن والطرد للمستفهم * ثم قال رضى الله عنه

(بَلْ تَمَادَتْ عَلَى التَّجَاهُلِ آبَا * ءٌ تَقَفَّتْ آثَارَهَا الأَبْنَاءُ)

بعد فراغه من الاستفهام الذى أراد به الانكار والتوبيخ الخ أجاب عن استفهامهم بعد أن استفهمهم قال انكم لم تجيبوا أمر الله سبحانه وتعالى ولم تمتثلوه بل تمادت على الجهالة آباء وهم الذين حضروا وقت النبى صلى الله عليه وسلم وعرفوه صورة وعيناوزمانا ثم كفروا به ظلما وحسدا وعنادا فهذه الآباء الذين تمادت على الجهالة وتقفت آثارها أبناؤها يعنى عملوا مثل عملهم فى مخالفة عهد الله وأمره * ثم قال رضى الله عنه

(بَيَّنَتْهُ تَوْرَاتُهُمْ وَالأَنَاجِيلُ وَهُمْ فِى جُحُودِهِمْ شُرَكَاءُ)

يعنى ان الذى بينته لهم توراتهم والاناجيل هو عهد الله اليهم وشدة تأكيده عليهم فى وجوب الايمان بالخاتم الاكبر خاتم الرسالة والنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك العهد بينته توراتهم وأناجيلهم وهو مسطر فى كتبهم بحيث أن لا محيص لهم فى رده وتكذيبه قال فهم فى جحودهم شركاء فيما خالفوا فيه أمر الله وعهده يعنى اليهود والنصارى * ثم قال رضى الله عنه

(إِنْ تَقُولُوا مَا بَيَّنَتْهُ فَمَا زَا * لَتْ بِهَا عَنْ عُيُونِهِمْ عَشْوَاءُ)

يعنى ان تقولوا معشر أهل الكتابين ما بينته التوراة والانجيل يعنى وهو عهد الله لهم بالايمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اذا أنكرتم وقلتم ما بينته التوراة والانجيل فازالت الغشاوة عن أعينهم بالتوراة والانجيل بل هم فى عمى وظلام على البصائر * ثم قال رضى الله عنه

(أَوْ تَقُولُوا قَدْ بَيَّنَتْهُ فَمَا لِلْأُذْنِ عَمَّا تَقُولُهُ صَمَّاءُ)

يعنى ان قلتم ما بينته التوراة والانجيل فالغشاوة على الاعين والبصائر أو تقولوا قد بينته فالاذن عما تقوله صماء يعنى لا تسمع ولا تعقل يعنى لا وجه لاستماعكم بدينكم واعراضكم عن دين الاسلام * ثم قال رضى الله عنه

(عَرَفُوهُ وَأَنْكَرُوهُ وَظُلْمًا * كَتَمَتْهُ الشَّهَادَةَ الشُّهَدَاءُ)

بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون (أو نور) أى أتكتمون الحق وتظهرون الضلال ونور (الاله) القرآن ومن جا
بضم فوقية وكسر فاء من أطفأ النار أخمد لهبها بشئ (الأفواه)
بفتح همزة جمع فاه كبان وفوه كـ

يعنى أنهم شهداء بتقرر عهد الله فى أعناقهم من وجه لا يجدون عنه مصرفا ولا الى غيره
مقرون بهذه الشهادة ثم كتموا هذه الشهادة ظلما وهم بها شهداء يعنى يعلمونها ويعرفونها
ظلما وعدوانا * ثم قال رضى الله عنه

(أَوَنُورُ الإِلٰهِ تُطْفِئُهُ الأَفْــوَاهُ وَهُوَ الَّذِى بِهِ يُسْتَضَاءُ)

ثم استفهم تعجبا قال أو نور الاله تطفئه الافواه وهو فى غاية البعد عن اطفاء الافواه فانه
لا اطفائه قوله وهو الذى به يستضاء استفهم فى هذا البيت تعجبا وانكارا ونفيا لما استفهم عنه
من البعد فى غاية لا تلحقها العقول قال أو نور الاله تطفؤه الافواه فان هذا فى غاية البعد لان نور
امتلأ الكون به والفم اذا نفخ فانه فى غاية الضعف ومثاله فى الشاهد نور الشمس فليست
الافواه على اطفائه ولو نفخت عليه طول الابد كأنها لم تنفخ فانه قال به يستضاء يعنى أن نور
استضاءت الاكوان كلها وهى فى غاية كثرتها وتعددها فكيف يمكن أن تطفئه الافواه و
الذى ذكرناه فى الشمس بين اهـ * ثم قال رضى الله عنه

(أَوَلَا يُنْكِرُونَ مَنْ طَحَنَتْهُمْ * بِرَحَاهَا عَنْ أَمْرِهِ الْهَيْجَاءُ)

معنى معشر أهل الكتاب فيما أخذتم به من جحود كم أمر نبينا صلى الله عليه وسلم وهو بين فى كتـ
كالشمس ثم لم ترجعوا عن ضلالكم وخروجكم عن أمر الله تعالى أفلا تتذكرون أحوال الطوائـ
الذين مضوا قبلكم والانكار ههنا هو تركهم للطريق التى كان عليها الاوائل من الجحود لامر نبيه
صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم به فى كتبهم وتركهم لعهد الله المأخوذ عليهم فى ايمانهم به ونصرته
الا تتذكرونهم يعنى افلا تفارقون طريقهم قوله الهيجاء معناها شدة مواقع ضرب السيوف حتى يرى
النهار بها كأنه ليل والهيجاء بها تطحن رقاب الرجال وأعناقهم وقطع الاطراف والاعضاء فاذا مات
الانسان بهذا فكأنما طحنته الرحاء واستعير للفظ الحرب اسم الرحاء لكونها تم لك الرجال وتقتلهم بعدم
رجوعهم الى الدنيا مثل ما تفعل الرحاء بالزرع حيث تصيره دقيقا فاقد للشمونة أى الزرع الا تذكرون من
طحنتهم الهيجاء برحاها عن أمره يعنى بادبارهم عن أمره صلى الله عليه وسلم والهيجاء ههنا هى المواطن
التى حارب فيها الكفار مثل بدر وأحد والخندق وحنين والطائف وفتح مكة وخيبر وبنى قريظة وبنى
النضير الى غير ذلك من مواطنه صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

(وَكَسَاهُمْ ثَوْبَ الصَّغَارِ وَكَمْ طُلَّتْ دِمَاءٌ مِنْهُمْ وَصِينَتْ دِمَاءُ)

يعنى الكفار الذين حاربهم صلى الله عليه وسلم واذاقهم وبال بأسه كساهم بذلك صلى الله عليه وسلم
ثوب الصغار وهو الذل والاحتقار والاهانة مثل ما فعل ببنى قريظة حيث قتل جميع رجالهم واستباح
نساءهم واولادهم ملكا وأخذ جميع أموالهم وأملاكهم ومثل ما فعل ببنى النضير حيث أخذ أيضا
جميع أموالهم وأملاكهم وطردهم الى الشام عن بلادهم ومثل ما فعل بقريش حيث كانوا فى عز

كفيل الفم كاس بما تخترعه وتتقوله من الباطل والكذب قال تعالى يريدون أن يطفئوا نور الله الخ (وهو) بسكون هاء أى ونور الاله (الذى به يستضاء) بضم تحتية وفتح فوقية وضاد مبنى للمفعول أى به يتبين ويتميز الحق من الباطل والصادق من الكاذب (أولا ينكرون) بضم تحتية وكسر كاف أى أينكرون نبوته ورسالته ولا ينكرون (من) النبى الامى سيدنا ومولانا محمد ابن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (طحنتهم) بفتح حاء كمنع كما يطحن الرحى الحبوب أى أهلكتهم واستأصلتهم (رحاها) أى رحى الهيجاء طحنا ناشئا (عن أمره) واذنه وقصتهم فى سورة الحشر (الهيجاء) الحرب فاعل طحنتهم (وكساهم) أى ألبسهم (ثوب الصغار) بفتح صاد كسحاب الذل والهوان بقتل المقاتلة وهم ستمائة أو سبعمائة فى وقت واحد واسترقاق غيرهم من نساء وصبيان (وقد) وفى نسخة وكم (طلت) بضم طاء وفتح لام مشددة مبنى للمفعول أى أهدرت وأريقت (دماء) بمد جمع دم (منهم) بسكون ميم الجمع وفى نسخة دما بقصر وضم ميم الجمع أى من اليهود كبنى قريظة (وصينت) بكسر صاد وفتح نون مبنى للمفعول حفظت من القتل والسفك (دماء) بكسر دال جمع دم

عظيم ومنعة (١) فأذلهم واستعبدهم وصاروا تحت حكمه مقهورين حتى ادخلهم فى الاسلام كرها فى ذل واهانة * وان الله سبحانه وتعالى قابلهم بذلك وعاقبهم بما فعلوا به حين خرج من عندهم اذخرج مستخفيا صلى الله عليه وسلم فى خوف شديد منهم وماتخلص منهم الا بكثرة الحيل والتخفى عاقبهم الله سبحانه وتعالى عالم بفعله بقبيلة من العرب اذ أدخله عليهم عزة وقهرا بعدما كانوا فى منعة وعز ورفعة تعرفها جميع القبائل فأدخلهم الله تحت حكمه فى ذل واهانة وحقارة ومسكنة حتى كان يقتل منهم من شاء و يترك منهم من شاء ولم يستطيعوا دفاعا ولم يملكوا فى نصرة انفسهم امتناعا حتى دخلوا فى دينه صلى الله عليه وسلم قهرا وكرها مثل العبيد المقادين بالسلاسل ومثل مافعل بهوازن فى حنين بعدما كانوا فى عز ومنعة فملك رقابهم ونساءهم وأولادهم واخذ جميع أملاكهم وأولادهم الى غير ذلك من القبائل الذين أذاقهم الوبال صلى الله عليه وسلم قال بعد ماكساهم ثوب الصغار وان بقيت منهم دماء طلت يعنى ان بقيت واهرقت واستعار هذا الطلل لسفك الدماء ماخوذ من سيلان ماء الامطار من الطلل لان المطر اذا سقط على طلل وهو المكان العالى انحدرت مياهه سائلة فهذا وجه تسمية سيل الماء بالطلل أخبر عما فعل صلى الله عليه وسلم بالمشركين حيث قال كساهم ثوب الصغار وطلت دماء منهم يعنى سفكت دماء منهم وصينت دماؤهم عن القتل يعنى من الكفرة قتل صلى الله عليه وسلم طوائف حين أظفره الله بهم وترك طوائف من القتل هو المراد بقوله وصينت دماء * ثم قال رضى الله عنه

(كَيْفَ يَهْدِى الإِلٰهُ مِنْهُمْ قُلُوبًا * حَشْوُهَا مِنْ حَبِيبِهِ الْبَغْضَاءُ)

ثم استفهم مستبعدا للامر ومنكرا الوقوعه قال كيف يهدى الاله منهم قلوبا يريد كيف تحلها أنوار الهداية وهى محشوة بظلام بغضه صلى الله عليه وسلم كيف يتأتى هذا والقلوب ممتلئة بظلام بغضه صلى الله عليه وسلم ونور الهداية مرسل من عند الله تعالى بشرط وقوع محبة رسوله صلى الله عليه وسلم فى القلب فاذا انعدمت المحبة والعياذ بالله تعالى انسدل الظلام على القلب فلا تحله الهداية ولا نورها فلذا استفهمه مستبعدا ومنكرا معناه انها لا تقع أصلا يقول سبحانه وتعالى فى الآية كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين أولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله الآية * ثم قال رضى الله عنه

(خَبِّرُونَا أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ مِنْ أَيْنَ أَتَاكُمْ تَثْلِيثُكُمْ وَالْبَدَاءُ)

أما أهل الكتابين هما أهل التوراة والانجيل قال خبرونا عن هاتين القضيتين وهما حكمهم بان الله ثالث ثلاثة والبداء وهو انكارهم للنسخ فى حقه سبحانه وتعالى كيف ينسخ الاحكام بعد وقوعها وتقريرها قالوا لا يتأتى النسخ أبدا له أى ظهر فهذا وجه انكارهم للنسخ فى الآية قالوا ماله ينسخ أبداله يعنى بعد ماقدر الحكم وشرعه ثم نسخه وأحدث حكما آخر يعنى أبداله خفى عنه وجه المصلحة فى الحكم الا خير حتى حكم بخلافه هذا عندهم مستبعد فى النسخ فان الله تبارك وتعالى محيط بكل شئ قال استفهم الشيخ قال لهم يا أهل الكتابين خبرونا من اين أتاكم تثليثكم والبداء * أما التثليث فلم يقل به الا النصارى دون اليهود قالوا ان الله ثالث ثلاثة قال لهم خبرونا من أين أتاكم هذا التثليث والاله واحد اذ بعثت الرسل كلها

كبنى النضير فقد أجلاهم ونفاهم من أرض الحجاز الى الشام (٩١)(كيف) استفهام ابعادى وتعجبى (يهدى) بفتح تحتية من الهداية أى يرشد (الاله) سبحانه العليم الحكيم (منهم) أى من اليهود (قلوبا) سقيمة عليلة مسودة بالكفر والجهل (حشوها) بفتح حاء أى ملء تلك القلوب الخبيثة (من حبيبه) وفى نسخة من نبيه ومن بمعنى اللام (البغضاء) بفتح موحدة أى شدة البغض والحقد والحسد لحبيب الله سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (خبرونا) أعلمونا (أهل) بنصب منادى مضاف أى يا أهل (الكتابين) التوراة والانجيل (من أين) استفهام انكارى (أتاكم) جاءكم (تثليثكم أى ادعاؤكم ان الله سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ثالث ثلاثة والاثنان عيسى ومريم قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد هذا فى حق النصارى (والبداء) بفتح موحدة ودال مهملة أى وخبرونا أيها اليهود من أين أتاكم البداء أى ادعاؤكم البداء ظهور المصلحة لله تعالى فى الحكم الناسخ بعد خفائها عليه فى الحكم المنسوخ

(١) قوله منعة كقصبة وتمرة

(ما) نافية (أتى) جاء (بالعقيدتين) التثليث والبداء (كتاب) كريم (٩٢) منزل من عند الله تعالى (واعتقاد) شئ (لانص) لا دليل ولا برهان (فيه) أى فى ذلك الاعتقاد (ادعاء) بكسر همزة ودال مشددة أى دعوى باطلة وزور وافك وبهتان (والدعاوى) بفتح دال وكسر واو وبفتحها جمع دعوى التى تدعون وتزعمون وتفترون عنادا وجهلا منكم (ما) مصدرية ظرفية (لم تقيموا) بضم فوقية وفى نسخة بتحتية تثبتوا وتظهروا (عليها) أى على الدعاوى (بينات) قاطعة وحججا واضحة لان مجرد الدعوى لا ينفع (أبناؤها) نتائجها (أدعياء) بفتح همزة جمع دعى كغنى من ينسب لغير أبيه أى باطلة لا أصل لها ولا منفعة فيها فالاعتقاد الذى لا نص فيه دعى والدعاوى بلا بينة باطلة وما أنتم عليه أيها اليهود والنصارى باطل (ليت) حرف تمن (شعرى) علمى أى ليتنى عالم بالضباط وانحصار ما تدعونه لأرد عليكم بأبلغ حجة وأوضح برهان (ذكر الثلاثة) أى قولكم تارة ان الله ثالث ثلاثة (والواحد) أى وذكركم أخرى أن الله واحد (نقص فى عدكم أم نماء) أى زيادة بحيث ذكرتم أنه ثالث ثلاثة كان ذكركم الواحد نقصا

وصرحت كلها بوحدانية الاله فقوله من أين ضمنه التكذيب لهم والرد عليهم كانه يقول لهم افتريتم على الله افكا وكذبتم فى دعواكم ان الله ثالث ثلاثة اذ لا أصل لما تدعون ولم يساعدكم أحد من أهل الشرائع على ما ذكرتم اذ الشرائع الصحيحة كلها مطبقة على الاقرار بانه واحد لا ثانى له ولا مضاد له فلا أصل لما ذكرتم * وأما قوله والبداء هو خطاب للنصارى واليهود حيث انكروا النسخ فى أحكام الله تعالى لانهم انكروا ذلك لاستحالة البداء عليه سبحانه وتعالى وبذلك كذبوا النبى صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من نسخ شرائعهم وتقرير شرعه وحده فاحالوا ذلك باستحالة البداء عليه سبحانه قال لهم من أين أتاكم هذا البداء ومن أى حجة ركبتموه فهو زور وكذب منكم على الله تعالى اذ مذهبنا نحن معشر المسلمين فى النسخ ان الله سبحانه وتعالى يقرر شرعا لعباده محدودا بمدة معلومة لا يتعداها فاذا تناهت مدته نسخه بشرع آخر ولا منازع له فى حكمه يحكم على عباده بما شاء وكيف يشاء لا يسأل عما يفعل وهو المحيط علما بكل شئ فلا يقال فيما نسخ من الحكم بعد تقريره انه بدا له يعنى انه خفى عليه وجه المصلحة التى فى غير ذلك الحكم فحكم به فلما تراءت له المصلحة فى غيره تركه وحكم بذلك الحكم وهذا معنى البداء وهذا مستحيل على الله تعالى * ثم قال رضى الله عنه

(ما أتى بالعقيدتين كتابٌ * واعتقادٌ لا نصَّ فيه ادّعاءُ)

قال لهم العقيدتان اللتان اعتقدتموهما فى الله تعالى قال ما أتى بالعقيدتين كتاب وهما التثليث فى الالوهية والبداء فى نسخ الاحكام ما أتى بهما كتاب من عند الله تحتجون به واعتقاد لا نص فيه من كتاب يدل عليه من ادعاه من صاحبه بالكذب فلا يلتفت اليه * ثم قال رضى الله عنه

(والدعاوى مالم يقيموا عليها * بيناتٍ أبناؤها أدعياءُ)

والدعاوى وهو جمع دعوى والمراد بها اثبات الامر وهو الحكم بالكذب والزور بغير كتاب يشهد عليها فهذه هى الدعاوى والفرق بين الدعوى والحجة ان الحجة ما قام لها الدليل والبرهان بصحتها وثبوتها فهى الحجة وما جاءت بغير دليل ولا برهان فهى الدعوى واثباتها كذب وزور لا يلتفت اليه فال ما ادعيتموه من التثليث فى الالوهية والبداء فى نسخ الاحكام هى دعوات فقط لا حجج عليها وكل دعوى لا يلتفت اليها قال الدعاوى التى لا تقوم عليها بينات والبينات وهى الدلائل والبراهين قال ابناؤها ادعياء يعنى تلك الدعاوى التى لم تقيموا عليها دليلا ولا برهانا أبناؤها الناشئة منها أدعياء لا آباء لهم * والمراد بالابناء هى النتائج المتصلة عن تلك الدعاوى والنتائج هنا التى سماها أبناء هو ما نتجت لهم تلك الدعاوى الكاذبة من عدم وجوب متابعتهم لنبينا صلى الله عليه وسلم وعدم ايمانهم به زاعمين بان الله لا يطالبهم بذلك يوم القيامة مدعين ان الله جعلهم على شرع ومنهاج ثابت بنصوص كتاب الله التى جاءت بها الرسل عن الله تعالى وهى بحيث ان لا يمكن تكذيبها ولا مناقضتها * فهذه هى النتائج التى سماها ابناء لهم وأولئك الابناء ادعياء لا آباء لهم فكله باطل * ثم قال رضى الله عنه

(ليت شعرى ذكرُ الثلاثة والوا * حدِ نقصٌ فى عدّكم أم نماءُ)

* ليت هذه وضعت للتمنى وهى من أخوات ظن تنصب الاسم والخبر وتركيبها ليت شعرى

وحيث ذكرتم أنه الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وذلك فى غاية التضاد والتنافى فلا يقول به عاقل فضلا عمن يدعى أنه من أهل الكتاب (كيف) استفهام ابعادى وتعجبى (وحدتم إلهاً نفى) كرمى أى أبعد (التوحيد عنه) أى من اله (الآباء والابناء) أى آباؤكم وأبناؤكم الذين اتبعتموهم فى التثليث (أإله) الهمزة (٩٣) استفهام ابعادى أى أيوجد إله (مركب) من ثلاثة أجزاء أو أقل أو أكثر (ما) نافية (سمعنا) ولا علمنا (باله) بوجود اله مركب بحيث تكون (لذاته أجزاء) شتى فذلك من المستحيل عقلا ونقلا وشرعا وطبعا (ألكل) الاستفهام للتقريع والتبكيت والتوبيخ أى ألكل جزء (منهم) بسكون ميم أى من تلك الاجزاء المركبة فيه الاله بزعمكم (نصيب) حظ (من الملك) فى الالوهية (فهلا) وفى نسخة فلم لا (تميز) بفتح فوقية وزاى فعل ماض او بضم زاى مضارع بحذف احدى التاءين (الانصباء) أى نصيب كل واحد من الآلهة (أتراهم) بضم فوقية أى أتظن تلك الآلهة (لحاجة) أى لأجل احتياج وافتقار (واضطرار) أى شدة اضطرار بعضها الى البعض فى المعاونة (خلطوها) أى الانصباء (وما) أى والحال انه ما (بغى) كرمى (الخلطاء) أى وما تعدى بعضهم على بعض مع أن الشركة تستلزم المنازعة والمنافرة بين الشركاء (أ) الهمزة استفهام تقرير وتقريع وتبكيت اذ منهم من يقول ان عيسى هو الاله وقد ثبت انه ركب الحمار فيقال أ (هو) أى الاله الذى زعمتم (الراكب الحمار) أى على الحمار (فياعجز) وضعف (اله) منادى تعجبى (يمسه) بفتح تحتية وميم يصيبه (الاعياء) بكسر همزة مصدر أعيا وقف عن المشى لتعب وعجز وضعف * هنا انتهى النصف الاول

واقعا والشعر هنا هو العلم معناه ليتنى شعرت بذلك قال ليت شعرى أذكر الثلاثة عندكم والواحد التى وقع التركيب منها أهو عندكم نقص فى حق الخالق سبحانه وتعالى أم هو عندكم نماء يعنى زيادة يريد على كل حال لا يستقيم هذا العدد فى جانب الاله ان هو الا إله واحد * ثم قال رضى الله عنه

(كَيْفَ وَحَّدْتُمْ إِلَهاً نَفَى التَّوْ * حِيدَ عَنْهُ الآبَاءُ وَالأَبْنَاءُ)

ان ايمانكم ايمان التوحيد وقد نفى التوحيد عنه سبحانه تعالى آباؤكم وابناؤكم بدعواهم ان الله ثالث ثلاثة يريد اذا كان هذا مذهب آبائكم وأبنائكم وأنتم على سبيله فاعندكم وما عندهم شئ من التوحيد * ثم قال رضى الله عنه

(أَإِلَهٌ مُرَكَّبٌ مَا سَمِعْنَا * بِإِلَهٍ لِذَاتِهِ أَجْزَاءُ)

يعنى حيث قالوا ان الله ثالث ثلاثة وهم عندهم الاب والام والابن تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا الثلاث عندهم هو الاله فرد عليهم بقوله أإله مركب يعنى ذاته تتركب من أجزاء فان هذه صفة الجسم وكل جسم حادث وكل حادث ليس باله * ثم قال رضى الله عنه

(أَلِكُلٍّ مِنْهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْـــكِ فَهَلاَّ تَمَيَّزَ الأَنْصِبَاءُ)

قال الثلاثة الذين فى زعمكم هو اله المملكة التى ترون أهى متفرقة بينهم لكل واحد منهم نصيب من الملك وان كان كما قلتم لكل واحد نصيب من الملك فهلا تميز الانصباء تميز لكل واحد نصيبه من الملك فهذا لم يكن تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * ثم قال رضى الله عنه

(أَتُرَاهُمْ لِحَاجَةٍ وَاضْطِرَارٍ * خَلَطُوهَا وَمَا بَغَى الْخُلَطَاءُ)

* ثم أخذ رضى الله عنه يسألهم عن حججهم فيم ادعوه من التثليث ونفس السؤال لهم هو عين الرد عليهم وتكذيبهم فيما قالوه قال ألم ترون هذه الثلاثة الذين اشركتموهم فى المملكة أترونهم اشتركوا لحاجة واضطرار كل واحد منهم لا يقدر على مخالفة الآخرين * قوله وما بغى الخلطاء يبغى بعضهم على بعض كل واحد منهم يبغى قهر الآخر اى الشريك * ثم قال رضى الله عنه

(أَهُوَ الرَّاكِبُ الْحِمَارَ فَيَاعَجْـــزَ إِلَهٍ يَمَسُّهُ الإِعْيَاءُ)

قال أهو الراكب يعنى استفهم عن حججهم ان الله تعالى سبحانه لا اله الا هو عما يقول الكافرون علوا كبيرا أهو عيسى الذى يركب الحمار فان ادعيتم هذا بان عيسى هو الله فعيسى كان يركب الحمار ومعلوم أن الراكب عجز عن المشى أو ضعف عنه فهذا أمر بعيد لا حجة لكم فيه تعالى الله عما نسبتموه اليه تعالى

(أم جميع) الآلهة الثلاثة بزعمكم (على الحمار لقد جل) عظم (حمار) أى شأن وقدر حمار (بجمعهم) أى بالآلهة الثلاثة (مشا
ميم كشداد فبئس إله يحتاج الى حمار يمشى به لعجزه وتعبه (أم سواهم) أى أم غير الآلهة الثلاثة على الحمار (هو الاله
فبسبب ذلك (ما) استفهامية مبتدأ خبره (نسبة عيسى اليه) أى الى الله (والانتماء) الانتساب اليه فاقائدته (أم أردتم) قصدتم
أى بالثلاثة (الصفات) القائمة بذات الاله (فلم) ما استفهامية (٩٤) حذفت الفها لأنها مجرورة وسكنت لضرورة الوزن اخ
بضم خاء وفتح صاد مشددة
مبنى للمفعول (ثلاث)
بضم مثلثة كغراب ممنوع
من الصرف لأنه معدول عن
ثلاثة ثلاثة أى لأى سبب
خصصتم الاله (بوصفه)
بالثلاثة عند من يقول
بالتثليث (وثناء) بضم مثلثة
معدول عن اثنين اثنين
عند من يقول بذلك (أم هو)
أم يقولون عيسى (ابن الاله)
تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا (ما) نافية (شاركته)
وشابهته (فى معانى) أى فى
صفات (البنوة) بتقديم
موحدة على النون وتقديم
النون على الموحدة تصحيف
(الانبياء) والرسل فهذا
تحكم باطل ودعوى داحضة
وافك وبهتان (قتلته) أى
عيسى (اليهود فيما) أى
على القول الذى (زعمتم).
وادعيتم أيها النصارى
فحينئذ ليس باله ولا ابن
له اذ لو كان كذلك لما تمكن
اليهود من قتله (ولأمواتكم
به) أى والحال ان
لأمواتكم بعيسى (احياء) بكسر همزة رد الروح للجسد بعد مفارقتها له فتصديقكم لليهود فى قتله مع احياء موتاكم به
على سخافة عقولكم وانطماس بصائركم (ان قولا) فظيعا وقبيحا كالتثليث (أطلقتموه) بأفواهكم (على الله) ونسبتموه
اليه (تعالى) وتنزه وتقدس (ذكرا) ثناء حسنا أى تعالى ذكره وثناؤه (لقول) شنيع (هراء) بضم هاء وفتح راء مهملة من هراء
أفرط فى الفحش والخنى وفى نسخة هزاء بضم هاء و[illegible] أى مهزوء به وفى نسخة هذاء بضم هاء و بذال معجمة

عن ذلك علوا كبيرا * ثم قال رضى الله عنه

(أَمْ جَمِيعٌ عَلَى الْحِمَارِ لَقَدْ جَـــلَّ حِمَارٌ بِجَمْعِهِمْ مَشَّاءُ)

قال الثلاثة الذين قلتم بالاهيتهم أهم جميعهم فوق الحمار فى مظهر عيسى وان كان ما زعمتم فقد جل
الحمار الذى ركبوا عليه الثلاثة فهذا باطل لا حجة لكم فيه * ثم قال رضى الله عنه

(أَمْ سِوَاهُمْ هُوَ الإِلَهُ فَمَا نِسْــبَةُ عِيسَى إِلَيْهِ وَالإِنْتِمَاءُ)

يعنى اذا كان الثلاثة فى زعمكم انهم ليسوا هم الاله ولكن الاله هو غيرهم اذا قلتم هذه القولة فاخبر
ما نسبة عيسى عندكم الى هذا الاله الذى هو غير الثلاثة أهو ابنه أى ابن الاله كما تزعمون أم هو
حل فى ذات عيسى كما تزعمون أيضا وكل هذه الدعاوى باطلة لا أصل لها * ثم قال رضى الله عنه

(أَمْ أَرَدْتُمْ بِهَا الصِّفَاتِ فَلِمْ خُصَّتْ ثُلَاثُ بِوَصْفِهِ وَثُنَاءُ)

يعنى أم الثلاثة الذين ركبتم الاله منها عنيتم بها الصفات واذا كان قصدكم بها ذكر الصفات فلم خص
الثلاث والاثنان بذكر الصفة والصفات لا حد لها ولا غاية * ثم قال رضى الله عنه وأرضاه

(قَتَلَتْهُ الْيَهُودُ فِيمَا زَعَمْتُمْ * وَلِأَمْوَاتِكُمْ بِهِ إِحْيَاءُ)

هذا أحد الوجوه الذين قيل بها فى عيسى أنه هو الاله قال الامام الفخر الرازى ناظرت بعض رهبان
النصارى قلت له بما ادعيتم فى عيسى أنه هو الله وأعطيتموه صفات الالوهية قال بما ظهر على يديه
الخوارق كاحياء الموتى وتصوير الطير من الطين ونفخ الروح فيه وغيرها من الخوارق قلت ان ادعيتم
فى عيسى أن دليل الوهيته هو احياؤه للموتى فقتل اليهود له فى زعمكم دليل على عدم الوهيته لعجزه
الوهية له قوله ولامواتكم به احياء قلنا عندهم دليل الوهيته كان يحيى الموتى وجعلوا ذلك
لما يدعونه فبطل قولهم بقتل اليهود فى دعواهم وعجزه عن دفع ذلك عن نفسه فهو أكبر دليل على
الوهيته * ثم قال رضى الله عنه

(أَمْ هُوَ ابْنُ الإِلَهِ مَا شَارَكَتْهُ * فِى مَعَانِى الْبُنُوَّةِ الأَنْبِيَاءُ)

قال أم هو يعنى استفهاما لهم وردا عليهم وتكذيبا لهم أم هو ابن الاله فيما تزعمون لبنوته قال أو ما
فى معنى البنوة الانبياء الذين زعمتم أنهم أبناء الله فلا ابن لله تعالى الله عما تقولون علوا كبيرا
لتخصيصه بالبنوة وحده وكل النبيين قد شاركوه فى النبوة فلا وجه لتخصيصه * ثم قال رضى الله عنه

(إِنَّ قَوْلاً أَطْلَقْتُمُوهُ عَلَى اللَّـــهِ تَعَالَى ذِكْراً لَقَوْلٌ هُرَاءُ)

الكلام الساقط والاولى انسب (مثل) بنصب حال أو برفع خبر لمحذوف أى هو مثل (ما) مصدرية (قالت) أى مثل قول (اليهود وكل) من اليهود والنصارى (لزمته) ووجبت عليه (مقالة) كلمة (شنعاء) قبيحة جدا (اذهم) أى لان اليهود (استقرءوا) تتبعوا (البداء) بفتح موحدة وبدال مهملة كسماء ظهور مصلحة لله فى الحكم الناسخ بعد خفائها عليه فى الحكم المنسوخ فمنعوا نسخ ملة بملة (وكم) مرات (ساق) جلب (وبالا) عذابا وهلاكا (عليهم) أى اليهود (استقراء) تتبع البداء وما زعموه من البداء باطل لا يسأل عما يفعل وهم (٩٥) يسألون ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها (وأراهم) بضم همزة أى أعلم علم يقين من قولهم بامتناع نسخ ملة بأخرى فرارا من البداء (لم يجعلوا) لم يعتقدوا (الواحد) الاحد فى ذاته وصفاته وأفعاله (القهار فى الخلق) متعلق بقوله (فاعلا ما يشاء) من النسخ وغيره ان الله يفعل ما يريد (جوزوا) بفتح جيم وواو مشددة من التجويز جواب لو مقدم (النسخ) بنون تبديل حكم بحكم (مثل ما) مصدرية (جوزوا) أى مثل تجويزهم (المسخ) بميم تبديل صورة بصورة أخرى أقبح وأشنع منها تعذيبا وعقوبة (عليهم) الواقع فيهم معاينة قردة وخنازير (لو أنهم) أى اليهود (فقهاء) علماء أى لو كانوا من أهل الفقه والفهم لجوزوا النسخ الخ ولكنهم بلداء (هو) أى وكيف يمنعون النسخ وهو ليس فيه (الا أن يرفع) بضم تحتية وفتح فاء مبنى للمفعول (الحكم) الشرعى أى استمراره وتعلقه (بالحكم) الشرعى (وخلق) بفتح خاء أى ايجاد للصورة الثانية بعد ذهاب الاولى (فيه) أى فى المسخ بميم (وأمر) أى تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثانى (سواء) أى مستويان فيلزمكم من تجويز المسخ بميم تجويزكم النسخ بنون (والحكم من الزمان انتهاء) أى وكيف تستبعدون النسخ وانما غايته ان كان لبد ان فيه حكمين المنسوخ والناسخ فالاول وهو المنسوخ هو المراد بقوله والحكم من الزمان انتهاء والثانى وهو الناسخ وهو المراد بقوله (والحكم من الزمان ابتداء) *

قال لهم بهذا القول الذى أطلقتموه على الله تعالى فى هذه الدعاوى الكاذبة من كونه ثالث ثلاثة ومن كون عيسى ابنه ونظائرها من الدعاوى كلها قول هراء والهراء هو الكلام الذى يتكلم به فاقد العقل فلا عبرة به وبما ادعيتموه * ثم قال رضى الله عنه

(مِثْلَ مَا قَالَتِ الْيَهُودُ وَكُلٌّ * لَزِمَتْهُ مَقَالَةٌ شَنْعَاءُ)

يعنى هذه الدعاوى التى ادعيتموها معشر النصارى فى جانب الحق سبحانه وتعالى كلها دعاوى باطلة وزور وانك مثل ما قالت اليهود فى قولهم عزير ابن الله وكل من اليهود والنصارى لزمتهم فى جانب الله مقالة شنعاء يشقى بها اصحابها ويكفر نعوذ بالله من ذلك * ثم قال رضى الله عنه

﴿ إِذْ هُمُ اسْتَقْرَءُوا الْبَدَاءَ وَكَمْ سَا * قَ وَبَالاً إِلَيْهِمُ اسْتِقْرَاءُ ﴾

﴿ وَأَرَاهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا الْوَاحِدَ الْقَهَّـــارَ فِى الْخَلْقِ فَاعِلاً مَا يَشَاءُ ﴾

قال اذهم يعنى أهل الكتابين استقرءوا البداء فى مذهبهم وبذلك أحالوا النسخ فى الشرائع قال ذلك الاستقراء الذى به استقرءوا البداء كم ساق اليهم من وبال ثم قال لهم أراهم بدعوى البداء فهو وجه احالة النسخ فى الشرائع قال أراهم لم يجعلوا الواحد القهار وهو الاله فاعلا فى خلقه ما يشاء منعوا عليه هذه الصفة وهى صفة الالوهية لان الجميع مقهور تحت حكمه وغلبته يفعل فيه ما يشاء * ثم قال رضى الله عنه

﴿ جَوَّزُوا النَّسْخَ مِثْلَ مَا جَوَّزُوا الْمَسْـــخَ عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ فُقَهَاءُ ﴾

يعنى كما جاز المسخ عليهم فى الذوات بانتقال ذوات بعضهم الى الصورة الخنزيرية والقردية كذلك يجوز النسخ فى الشرائع لانه فى كل ذلك يفعل فى خلقه ما يريد فى تبديل ذواتهم بذوات أخرى وتبديل الشرائع بشرائع أخرى * ثم قال رضى الله عنه وأرضاه

﴿ هُوَ إِلاَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحُكْمُ بِالْحُكْمِ وَخَلْقٌ فِيهِ وَأَمْرٌ سَوَاءُ ﴾

يعنى أن النسخ فى الذوات بعضها الى ذوات أخرى هو مثل رفع الحكم بالشرائع وتبديله بحكم آخر والخلق والامر فيه سواء كما يبدل الخلق بنقل هذه الصورة الى صورة أخرى كذلك يجوز نقل الحكم الى حكم آخر فى الشرع * ثم قال رضى الله عنه

فسلوهم) بفتح سين فعل أمر من سال كخاف أى سلوا أيها المسلمون اليهود (أكان) هل كان وحصل (فى مسخهم) أى فى جعلهم قردة وخنازير (نسخ لايات الله) تعالى وهى الصورة الاولى مع احكامها (أم انشاء) أى ايجاد لصورة أخرى مستقلة وحكم مستقل بها فالمسخ متردد بين انشاء الخلق و بين النسخ فبالنسبة للصورة الاولى نسخ وبالنسبة للثانية انشاء (وبداء) بفتح موحدة كاسم مبتدأ خبره (فى قولهم) أى سلوهم أيضا عن قولهم (ندم) بكسر دال (٩٦) مهملة كفرح أسف وحزن على ما فات (الله) تعالى الله علوا كبيرا (على خلق آدم) بصرف وعدمه أصدر منهم عن عمد (أم خطاء) بفتح خاء كسما ضد الصواب قاتلهم الله أنى يؤفكون (أم محا) كدعا ورمى وسعى معطوف على أكان فى مسخهم أى سلوهم أيضا أم محا الله أى أذهب وأزال وطمس (الله) تعالى علوا كبيرا (آية) أى علامة (الليل) مفرده ليلة وأتى بآية النهار وهكذا الى يوم القيامة (ذكرا) بكسر ذال معجمة وضمها أى من جهة التذكر أى العلم والعمد (بعد سهو) ونسيان منه بزعمكم وقولكم (ليوجد) بضم تحتية وفتح جيم مبنى للمفعول (الامساء) بكسر همزة مصدر أمسى والمراد ما بعد الغروب وتقدير الكلام أم محا الله آية الليل ليوجد الضوء ومحا آية النهار ليوجد الامساء أى سلوهم عن هذا المحو أكان أم لا (أم بدا) ظهر بعد الخفاء (للاله) تعالى عما يقولون علوا كبيرا (فى ذبح) أى فى أمره لسيدنا ابراهيم فى المنام بذبح ولده سيدنا (اسحاق) وقيل سيدنا اسماعيل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام خلاف ذلك الذبح (و) الحال انه (قد كان الامر) أى أمر الله تعالى لسيدنا ابراهيم فى المنام (فيه) أى بذبح ولده (مضاء) بفتح ميم كسماء أى نافذ ولازم وفى نسخة قضاء بفتح قاف أى حكم واجب (أو) أى أتنكرون النسخ وتقولون (ما) نافية (حرم) بتشديد الراء من التحريم ضد التحليل (الاله) تعالى عما يقولون علوا كبيرا (نكاح الاخت بعد التحليل) لنكاحها فى زمن سيدنا آدم عليه السلام أو تقولون قد حرم نكاحها بعد تحليله (فهو) بسكون هاء أى نكاحها بعد تحريمه (الزناء) بالمد كسماء لغة فى الزنا بالقصر الموجب للحد

﴿ فَسَلُوهُمْ أَكَانَ فى مَسْخِهِمْ نَسْخٌ لآيَاتِ اللهِ أَمْ إِنْشَاءُ ﴾

يعنى اسألوا اهل الكتابين عن المسخ الواقع فيهم أكان فى مسخهم وهو التبديل بذوات أخرى أكان ذلك نسخ لآيات الله لان جميع الخلق آيات الله تعالى والمسخ فيها هو تبديل آية بآية أم انشاء يعنى انشاء خلق جديد أفنى الخلق الاول وأنشأ مكانه خلقا آخر وعلى كل حال فهو جائز سواء قلنا إنه رفع الحكم فى آيات الله وتبديله بحكم آخر هو انشاء لاعدام الصورة الاولى وانشاء الصورة التى بعدها فى مكانها على كل حال فهو جائز وبجوازه يجوز نسخ الشرائع * ثم قال رضى الله عنه

﴿ وَبَدَاءٌ فى قَوْلِهِمْ نَدِمَ اللـهُ عَلَى خَلْقِ آدَمَ أَمْ خَطَاءُ ﴾

يعنى أن البداء الذى ادعوه فى نفى النسخ بقولهم خلق الله آدم وندم عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا أو أخطأ فى خلقه لان آدم عليه الصلاة والسلام أحل الله فى شرعه نكاح بنيه لبناته ثم حرمه الله تعالى بين الاخوة والاخوات وهم يعلمون هذا ولا يجهلونه ونكاح الاخوة والاخوات فى شرائعهم محرم يقال لهم أندم الله على خلق آدم حيث أحل له نكاح بنيه لبناته ثم حرمه بعد ذلك فى شرائع الانبياء أكان ندما من الله تعالى أم كان خطأ فى تحليله لآدم وتحريمه على من عداه من النبيين والمرسلين وكلاهما مستحيلان على الله تعالى وهذا كله رد عليهم وتكذيب لهم فى عدم نسخ الشرائع * ثم قال رضى الله عنه

(أَمْ مَحَا اللهُ آيَةَ اللَّيْلِ ذُكْرًا * بَعْدَ سَهْوٍ لِيُوجَدَ الإِمْسَاءُ)

يعنى قال حين محا الله آية الليل أمحاها ذكرا بعد سهو يعنى خلقها ساهيا ثم ادكر بعد ذلك فمحاها وكل هذا بعيد على الله وكله يجوز لنسخ الشرائع فانه خلق آية الليل وهو القمر خلقها فى الضوء كالشمس ثم محاها وطمسها لاجل وجود الليل أكان هذا الفعل منه ادكارا بعد سهو وفى ضمن هذا أنه تقريع لهم وتكذيب لما يدعونه * ثم قال رضى الله عنه

(أَمْ بَدَا لِلإِلَهِ فى ذَبْحِ إِسْحَا * قَ وَقَدْ كَانَ الأَمْرُ فِيهِ مَضَاءُ)

يعنى أن هذه الحجج فى نفى البداء على الله تعالى فى نسخ الاحكام الشرعية قال أم بدا للاله فى ذبح اسحق بعد ان أمر بذبحه ثم عفا عنه وفداه بذبح عظيم أكان هذا بدء منه سبحانه وتعالى أم هو ما قررناه لكم من جواز نسخ الاحكام فى الشرائع * ثم قال رضى الله عنه

(أَوْ مَا حَرَّمَ الإِلَهُ نِكَاحَ الأُخْتِ بَعْدَ التَّحْلِيلِ فَهْوَ الزِّنَاءُ)

(لا تكذب) بضم فوقية وكسر ذال مشددة من التكذيب (٩٧) ضد التصديق (أن اليهود و) الحال انهم (قد زاغوا) حادوا ومالوا

يعني احتج عليهم بما يعلمون ووقوعه قال أو ما حرم الا الا نكاح الاخت بعد التحليل فهو الزنا يعني بعدما كان حلالا متعبدا به صار اليوم هو الزنا فكان دليلا على جواز نسخ الأحكام * ثم قال رضي الله عنه

(لاَ تُكَذِّبْ أَنَّ الْيَهُودَ وَقَدْ زَا * غُوا عَنِ الْحَقِّ مَعْشَرٌ لُؤَمَاءُ)

معناه لا تكذب أن اليهود ضلوا على علم وقد زاغوا عن الحق معنى زاغوا زالوا عن طريق الحق الى طريق الباطل قوله معشر والمعشر هو الجمع والقبيلة قوله لؤماء جمع لئيم واللئيم ضد الكريم فان الكريم في اللغة هو الجامع لجميع الاخلاق الحسنة وجميع مكارم الاخلاق واللئيم هو الذي اجتمعت فيه الاخلاق السيئة واتصف باخلاق الاسواء قال اليهود معشر لؤماء كل منهم جمع الاخلاق السيئة وأكبرها الحسد للنبي صلى الله عليه وسلم على ما أعطاه الله من فضله فانهم بذلك جمعوا الاخلاق السيئة * ثم قال رضي الله عنه

(جَحَدُوا الْمُصْطَفَى وَآمَنَ بِالطَّا * غُوتِ قَوْمٌ هُمْ عِنْدَهُمْ شُرَفَاءُ)

أخبرنا عن جماعة من أحبار اليهود لعنهم الله تعالى كانوا قد لقيهم أبو سفيان بن حرب أيام كفره في جماعة من أشراف قريش فسألوا أحبار اليهود وقالوا لهم أخبرونا أديننا خير أم دين محمد صلى الله عليه وسلم فانا نطعم الطعام ونسقي اللبن وذكروا مآثرهم الحسنة فقالوا لهم أحبار يهود دينكم خير من دين محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله في شأنهم قوله سبحانه وتعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله الآية فهذا معنى البيت وقد جحدوه صلى الله عليه وسلم وهم يعلمونه بالصورة والعين يعني اليهود بما أخبر الله من أمر نبيه صلى الله عليه وسلم في التوراة آمنوا بالجبت والطاغوت وجحدوا النبي صلى الله عليه وسلم قوم هم عندهم شرفاء وهم احبار اليهود الذين أنزل الله في شأنهم الآية المتقدمة * ثم قال رضي الله عنه

(قَتَلُوا الأَنْبِيَاءَ وَاتَّخَذُوا الْعِجْـلَ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ)

ذكر فيها ذكر من ذمهم وذكرهم باعظم الخطايا وأكبرها قال قتلوا الانبياء وهو كفر بالله تعالى واتخذوا العجل عبدوه من دون الله وهو الكفر الصريح حيث فعلوا هذا قال ألا انهم هم السفهاء وكونهم سفهاء لم يتبعوا ما يعلمون من طريق الرشد فان طريق الرشد الايمان بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وتعظيم جانبهم لله تعالى واحترامهم حتى لا يتجاسر عليهم باقل قليل من الاذى ثم أيضا توحيد الباري سبحانه وتعالى بالعبادة وعدم التفات لغيره بالعبادة فخالفوا طريق الرشد واتبعوا طريق الغي والضلال وهم يعلمون انها مهلكة لم يكونوا فيها على غرور فهذا هو حقيقة السفيه الذي يعلم الهلاك فيه ثم يقتحمه باختياره * ثم قال رضي الله عنه

(وَسَفِيهٌ مَنْ سَاءَهُ الْمَنُّ وَالسَّلْـوَى وَأَرْضَاهُ الْفُومُ وَالْقِثَّاءُ)

الواو هنا ليست حالية ولا استئنافية محضة وانما هي مرتبة على سؤال مقدر وتقديره هو العيب على الشيخ فيما سمى به بنو اسرائيل سفهاء كان المعارض له يقول له أمة آمنت بموسى ووحدت الله وعبدته باتباع كتابه فاسم الايمان محقق عليهم كيف حل لك أن تسميهم سفهاء فاجاب بالجملة

(عن) طريق (الحق معشر) بفتح ميم كمقعد القوم والجماعة (لؤماء) بضم لام وفتح همزة جمع لئيم الدنئ الاصل الخبيث الفعل (جحدوا) أي أنكروا عن علم ومعرفة رسالة ونبوة (المصطفى) صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآية (و) الحال انه قد (آمن) وصدق (بالطاغوت) الصليب والشيطان وكل ما عبد من دون الله (قوم) منهم (هم عندهم) أي عند اليهود (شرفاء) عظماء لأنهم ساداتهم وعلماؤهم (قتلوا) بغير حق (الانبياء) بفتح همزة جمع نبي كسيدنا زكرياء وسيدنا يحيى وغيرهما على نبينا وعليهم الصلاة والسلام (واتخذوا العجل) الها يعبدونه من دون الله كما في القرآن (ألا) حرف تنبيه (انهم) بكسر همزة إن أي اليهود (هم السفهاء) الجهلاء البلداء (وسفيه) جاهل أحمق خبر عن قوله (من) أي اليهود (ساءه) أحزنه وأعياه (المن) بفتح ميم ما ينزل على ورق الشجر يشبه الحلواء (والسلوى) بفتح سين وواو كدعوى طائر

 يعرف بالسماني وهو أشهى الطيور وأنفعها وأطيبها لحما (وأرضاه الفوم) بضم الفاء كفول وثوم وزنا ومعنى (والقثاء)

بكسر قاف وضمها وتشديدمثلثة معروف (ملئت) بضم ميم وكسر لام مبنى للمفعول أى شحنت وحشيت (بالخبيث) أى بكل نوع من أنواع الخبيث الذى سألوه من الفوم وغيره (منهم) أى من اليهود (بطون) بضم موحدة جمع بطن ضد الظهر (فهى) بسكون هاء أى بطونهم (نار) محل نار لانها تؤول وتصير اليها (طباقها) أى طبقاتها ودركاتها (الأمعاء) بفتح همزة جمع معى بكسر ميم كرضا المصارين (لو) حرف امتناع لوجود (أريدوا) بضم همزة وكسر راء مبنى للمفعول أى لو أراد الله بهم (فى حال) وفى نسخة فى يوم (سبت) أى فى تركهم للاسباب الدنيوية وتفرغهم لعبادة الله تعالى فى سبتهم اذ هو فى الاصل القطع (بخير) كامل (كان سبتا) أى يوم سبت (لديهم) أى عندهم (الاربعاء) بفتح همزة وبتثليث موحدة وبمد لانه خلق فيه النور وبالنور يحصل تمام الاهتداء (هو) أى يوم السبت (يوم مبارك) معظم لان الله تعالى ابتدأ فيه خلق العالم خلافا لما زعمته اليهود أنه ابتدأه يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت فقالوا نستريح فيه كما استراح ربنا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (قيل) فعل ماض مبنى للمفعول غير مراد به التضعيف (للتصريف) أى للتسبب باصطياد الحوت وغيره (فيه) أى فى يوم السبت (من اليهود) فى زمن سيدنا داود (اعتداء) أى تعد وظلم قال تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت الآية (فبظلم) أى فبسبب ظلم كثير (منهم) أى من اليهود كالخيانة يوم السبت وأكل السحت والربا وأموال الناس بالباطل (وكفر) منهم بالنبى الامى وبما جاء به (عدتهم) جاوزتهم وفاتتهم وتركتهم (طيبات) برفع فاعل قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية (فى تركهن) وتحريمهن عليهم (ابتلاء) اختبار وامتحان يترتب عليه صلاح العبد وهلاكه (خدعوا) بضم خاء وكسر دال مهملة مبنى للمفعول أى يهود المدينة وما والاها كبنى النضير وقريظة وخيبر (بالمنافقين) من أهل المدينة كعبد الله بن أبى وغيره ومن معهم من الاحزاب أى بسبب قولهم لهم لئن أخرجتم لنخرجن معكم الآية (وهل) حرف نفى (ما) (ينفق) بفتح تحتية وكسر فاء وفتحها وضمها من نفق البيع كضرب وعلم وكرم راج وذهب مبنى للفاعل أو المفعول (الاعلى السفيه) الجاهل الاحمق وفى نسخة الشقى (الشقاء) كسماء ضد السعادة

الاستئنافية المبدوءة بواو الترتيب بقول اذا عبت كونهم سفهاء قال وسفيه من ساءه المن والسلوى وأرضاه الفوم والقثاء وما معها قليلة الفائدة كثيرة التعب فى تحصيلها فمن اتبعها وترك المن والسلوى هو السفيه * ثم قال رضى الله عنه

(مُلِئَتْ بِالْخَبِيثِ مِنْهُمْ بُطُونٌ * فَهْىَ نَارٌ طِبَاقُهَا الأَمْعَاءُ)

قال ملئت بالخبيث منهم بطون والمراد بالخبيث هنا ما خالف أمر الله تعالى قال فحينئذ بطونهم هى نار طباقها الامعاء صار طباق الامعاء فى بطونهم كطباق النار فى عالم الوجود * ثم قال رضى الله عنه

(لَوْ أُرِيدُوا فِى حَالِ سَبْتٍ بِخَيْرٍ * كَانَ سَبْتاً لَدَيْهِمُ الأَرْبِعَاءُ)

قال لو أريدوا فى سبتهم بخير حيث فرضه الله عليهم لو أريدوا فى سبتهم بخير لكان سبتا لديهم الاربعاء لان الاربعاء يوم مبارك خلق الله فيه الانوار لو أراد الله بهم الخير ما وضع السبت عليهم فلما أرادهم بالشر سبحانه وتعالى جعل الله عليهم السبت * ثم قال رضى الله عنه

(هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصْرِيفِ فِيهِ مِنَ الْيَهُودِ اعْتِدَاءُ)

أم هو يوم السبت هو يوم مبارك ولكن جعل شؤما على اليهود لما كان مغضوبا عليهم كما قال سبحانه وتعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وشؤمهم مهما اختلفوا فيه حل بهم الهلاك * ثم قال رضى الله عنه

(فَبِظُلْمٍ مِنْهُمْ وَكُفْرٍ عَدَتْهُمْ * طَيِّبَاتٌ فِى تَرْكِهِنَّ ابْتِلاَءُ)

ذكر فى هذا البيت اشارة الى ما ذكره ربنا سبحانه وتعالى فى الآية مخبرا عن اليهود قال سبحانه وتعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فهذا هو المراد فى هذا البيت ففى ترك تلك الطيبات وتحريمها ابتلاء عظيم عليهم * ثم قال رضى الله عنه

(خُدِعُوا بِالْمُنَافِقِينَ وَهَلْ يَنْفُقُ إِلاَّ عَلَى السَّفِيهِ الشَّقَاءُ)

قال خدعوا بالمنافقين وخداعهم بالمنافقين حين كذبوا النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ظلما وحسدا

وأصروا على ظلمهم وحسدهم لكنهم خدعوا بالمنافقين من الانصار حيث تبعوهم على ذلك الكفر وغروهم فوقع عليهم الهلاك والوبال والشقاء والذل والهوان والقتل والسبي وكان الذي بلغهم لهذا خداعهم للمنافقين حيث قالوا لهم لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم الآية ثم قال وهل ينفق الشقاء الا على السفيه أما الشقاء فهو اتباع الطريق المهلكة وذلك الشقاء لا ينفقه منفقه الا على السفيه وأما الرشيد اذا رآه أو علمه يفر منه ولا يتبعه * ثم قال رضي الله عنه

(وَاطْمَأَنُّوا بِقَوْلِ أَحْزَابِ إِخْوَانِهِمْ إِنَّنَا لَكُمْ أَوْلِيَاءُ)

* أشار في هذا البيت الى ما وقع لهم في غزوة الاحزاب وذلك انهم حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحبار اليهود مع قريش وغطفان يريدون في ظنهم ان يستأصلوه صلى الله عليه وسلم وجميع الانصار معه قتلا فخيب الله ظنهم وأنزل الله في شأنهم في هذه القضية ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال الى قوله وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم الآية قالوا لهم اننا أولياء معشر اليهود كانوا قد حالفوهم وعاهدوهم ان لا يبرحوا الفرصة حتى يستأصلوا محمدا صلى الله عليه وسلم ومن معه واطمأن اليهود بقولهم وخدعوا بذلك فانزل الله بهم بأسه ورجسه وأنزل بالاحزاب خذلانه واذلاله وأنزل سبحانه وتعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه نصره وعزه وكشف ما بهم من الكرب * ثم قال رضي الله عنه

(حَالَفُوهُمْ وَخَالَفُوهُمْ وَلَمْ أَدْ * رِ لِمَاذَا تَخَالَفَ الْحُلَفَاءُ)

قضية المخالفة بينهم بعد الجمع والتحالف ان نعيم بن مسعود رضي الله عنه وكان من أكبر أشراف غطفان أسلم وأقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم وحده ولم يعلم بذلك أحد من قومه فلما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قال له يارسول الله ان شئت قاتلت معك الكفار وان شئت تركتني وفرقت عنك جمعهم وكلتهم فقال له صلى الله عليه وسلم بل فرق عنا جمعهم أو كما قال صلى الله عليه وسلم مما هذا معناه فجاء رضي الله عنه الى بني قريظة ودخل عليهم وحده وقال لهم أنتم أحبابنا واني لكم ناصح وقد دخلتم معنا في قتال هذا الرجل والرجل في بلادكم وأنتم وحدكم لا معين لكم عليه ونحن وقريش ليس معنا في البلاد وقومنا وقريش أصحاب ربح فقط ان أصابوا فرصة انتهزوها والا رجعوا الى بلادهم وتركوكم والرجل لا طاقة لكم به فقالوا له فما تأمرنا قال لهم لا تقاتلوا مع القوم حتى يعطوكم رهونا من أشرافهم من قريش وغطفان على انهم لا يقلعون عن قتاله حتى يستأصلوه ومن معه والا فلا تقاتلوا معهم فقالوا له صدقت ثم جاء الى قريش وغطفان وقال لهم اني لكم ناصح وقد ألقي الي خبر أن يهود ندموا على الدخول في عهدنا وقالوا لا طاقة لنا بقتال هذا الرجل وقد راسلوه صلى الله عليه وسلم وقالوا اندمنا على ما فعلنا من الدخول في حربك فهل يرضيك ان نأخذ لك جمعا من أشرافهم فتقتلهم ونرجع معك الى عهدنا كما كنا فقال لهم ان أتيتموني بجمع من أشرافهم نقتلهم فانا على عهدكم فقال لهم وأنا لكم ناصح اذا طلبتكم يهود بأخذ الرهون منكم فلا تعطوا رجلا واحدا فانهم غادرونا وأخلفونا وعدهم وارتحلوا الى بلادكم ولا حاجة لكم بهم * فلما وقع هذا الامر تكلم قريش وغطفان وقالوا نذهب اليهم ليخرجوا معنا الى القتال فانه طال بنا المقام ههنا فجاؤا اليهم وقالوا لهم طال بنا المقام هنا اخرجوا معنا لقتال هذا الرجل

(واطمأنوا) أي اليهود أي سكنت نفوسهم وأمنت (١) بسبب (قول أحزاب) بتنكير ونسخة الاحزاب بالتعريف تحريف من قلم الناسخ والمراد بهم قبائل العرب الذين تحزبوا وتجمعوا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (اخوانهم) بضم الميم أي اليهود في الكفر بجر بدل من أحزاب وفي نسخة اخوانكم بكاف الخطاب خبر لمحذوف أي نحن اخوانكم (اننا) معشر الاحزاب (لكم) بسكون الميم (اولياء) جمع ولي أي ناصرون ومعينون (حالفوهم) بحاء مهملة أي عاهد الاحزاب ومن معهم من المنافقين اليهود بالأيمان المغلظة على محاربته صلى الله عليه وعلى آله وسلم (وخالفوهم) بخاء معجمة فيما حالفوهم وعاهدوهم عليه فرحلوا عنهم وتركوهم وقتلهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن آخرهم (ولم أدر) بفتح همزة من درى كرمى علم وعرف (لماذا) أي لاي سبب (تخالف) وتناقض عهودهم (الحلفاء) بضم حاء مهملة جمع حليف أي الذين تحالفوا وتعاهدوا على محاربته صلى الله عليه وعلى آله وسلم

(أسلموهم) أي الاحزاب والمنافقون أي خذلوهم وتركوا نصرهم (لاول الحشر) أي للحشر الاول وهو جمعهم واخراجهم ونفيهم عن بلاد الحجاز وهذا كان في زمانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم والحشر الثاني كان في زمن سيدنا عمر رضي الله عنه (لاميعادهم) بكسر ميم أي ماوعدوهم به من النصر ومحاربته صلى الله عليه وعلى آله وسلم (صادق) بل هو كاذب (ولا الايلاء) بكسر همزة مصدر آلى حلف وأقسم (سكن) كدخل وزنا ومعنى وأقام ومكث (الرعب) بضم الراء كقفل الهيبة والخوف أي في قلوبهم (والخراب) كسحاب ضد العمارة أي لبيوتهم (قلوبا) جمع قلب (وبيوتا) جمع بيت على اللف والنشر المرتب (منهم) أي من اليهود قال تعالى وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين الآية (نعاها) كسعى أي أخبر تلك البيوت بموت أهلها (الجلاء) بفتح جيم كسماء أي خروجهم وارتحالهم من ديارهم (و) اطمأنوا أي بنو قريظة منهم (بيوم الاحزاب) فنقضوا عهده صلى الله عليه وعلى آله وسلم (إذ) أي حين (زاغت) أي مالت (الأبصار) أي أبصار المنافقين عن الحق (فيه وضلت) عن الرشد وهلكت (الآراء) بفتح همزة جمع رأي أي آراء المنافقين لتراكم وتعاظم

حتى يقع مانريد فقالت لهم اليهود ان الليلة ليلة السبت وما نقدر أن نقاتل فيه وقد بلغكم خبر مافعل الله بمن اعتدى في السبت من اليهود ومانستطيع أن نقاتل فيه ثم مع ذلك مانحن مقاتلون معكم حتى تعطونا رهونا من الفريقين نتوثق بهم فلايزال القتال بيننا حتى نستأصله فانكم ان لم تعطونا رهونا كنتم على سبيل ريح ان أصبتم فرصة انتهزتموها والارجعتم الى بلادكم وتركتمونا والرجل في البلاد ولاطاقة لنا به فيستاصلنا فما نحن مقاتلون معكم حتى تعطونا رهونا منكم فقال لهم قريش وغطفان لا نعطيكم حتى رجلا واحدا وانكم عاهدتمونا على ان تقاتلوا معنا فاخرجوا معنا الوفاء العهد والا فما نعطيكم رجلا واحدا فقال لهم اليهود مانحن مقاتلون معكم الا أن تعطونا رهونا منكم فغضب القوم وانصرفوا عنهم فقال بعضهم لبعض ان الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق وقالت اليهود ان الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فافترقت كلمتهم وكان بسبب ذلك انصرافهم عن النبي صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضي الله عنه

(أَسْلَمُوهُمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ لاَ مِيعَادُهُمْ صَادِقٌ وَلاَ الإِيلاَءُ)

أشار هنا الى اجلاء بني النضير عن بلادهم قال مازال بهم خداع المنافقين حتى أجلوا بني النضير عن بلادهم لاول الحشر وهو الشام وتركوا بلادهم قال لاميعادهم صادق يعني المنافقين بقولهم لئن أخرجتم لنخرجن معكم وان قوتلتم لننصرنكم لاميعادهم صادق فيما وعدوهم به ولا ايلاء والايلاء هو اليمين الذي حلفوه لهم ولا ايلاؤهم تام بل كذب وزور * ثم قال رضي الله عنه

(سَكَنَ الرُّعْبُ وَالْخَرَابُ قُلُوباً * وَبُيُوتاً مِنْهُمْ نَعَاهَا الْجَلاَءُ)

أشار رضي الله عنه للآية في قوله سبحانه وتعالى وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم الآية قال سكن الرعب والخراب منهم قلوبا وبيوتا تلك القلوب والبيوت التي ملأها الرعب والخراب نعاها الجلاء والناعي هو الباكي يحزن لما اجلوا عن تلك الديار * ثم قال رضي الله عنه

(وَبِيَوْمِ الأَحْزَابِ إِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ فِيهِ وَضَلَّتِ الآرَاءُ)

ثم عطف على سكون الرعب في القلوب قال كما سكن الرعب في قلوب بني النضير حتى جلاهم الرعب عن بلادهم الى أول الحشر فكذلك سكن الرعب في قلوب المؤمنين بيوم الاحزاب الباء بمعنى في يعني في يوم الاحزاب كذلك سكن الرعب في قلوب المؤمنين وامتلئوا خوفا قال اذ زاغت الابصار فيه وزيغ الابصار فيه هو عدم ثبوت رؤيتها لما تراه فانها كادت أن تكون تشطح ارتعادا من شدة الخوف فهذا معنى زيغ الابصار قال سبحانه وتعالى في وصف المنافقين في هذه القضية قال فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت أنظر المغشي عليه من الموت وهذا من شدة الخوف فهذا معنى زيغ الابصار قوله وظلت الآراء معناه الآراء جمع رأي ضل على كل ذي رأي رأيه من شدة الخوف فلا يلتئم فكره من تشتيته لمعرفة عاقبة الأمر وصلاحه من فساده هكذا أخبر عن شدة الخوف كما قال سبحانه وتعالى في الآية اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار الى قوله شديدا وكان مراد الله في ذلك الزلزال تمحيص المؤمنين وطرحهم في محك النظر ليعرف الصادق في ايمانه من الكاذب ففضح بذلك سرائر المنافقين بقوله سبحانه وتعالى

الشدائد فيه قال تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر الآية وقال في حق المؤمنين ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية (وتعدوا) أى تجاوز اليهود ومن آخاهم على الكفر بغيا وظلما وحسدا (الى) ايذاء (النبي) (١٠١) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (حدودا) حدها الله عليهم في حقه فنبذوها وراء ظهورهم وكفروا بها (كان فيها) أى في تعديها ومجاوزتها وعدم الايمان بها (عليهم) أى على اليهود ومن معهم في الكفر (العدواء) بفتح عين كحمراء الهلاك قال تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه (ونهتهم) أى المتعدين لتلك الحدود قوم عن تعديها وتجاوزها كما أمرتهم وحرضتهم قوم بتعديها ومجاوزتها (وما انتهت عنه) أى عن ايذاء النبي وعن تعدى تلك الحدود (قوم) فاعل متنازع أى اليهود ومن آخاهم على الكفر وفي نسخة وما انتهى بتذكير الفعل وفاعل نهتهم ضمير مستتر يعود على الحدود (فأبيد) بضم همزة وكسر موحدة مبني للمفعول أى أهلك واستؤصل (الأمار) بفتح همزة وميم مشددة كشداد أى الآمرون لهم بايذاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومجاوزة الحدود فيه (والنهاء) بفتح النون كشداد أيضا أى الناهون لهم عن اتباعه والايمان به وبما جاء به لبقاء كل من الفريقين على ضلاله (وتعاطوا) أى اليهود ومن معهم أى تناولوا وتقاولوا (في) حق سيدنا (أحمد) صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالصرف وعدمه (منكر القول) أى قولا منكرا قبيحا شنيعا فانهم أراذل خلق الله (ونطق) أى منطوق (الاراذل) بذال معجمة جمع أرذل الخسيس الدنيء الاصل (العوراء) بفتح عين أى الكلمة القبيحة الشنيعة

في وصفهم واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا الى قوله فرارا ثم قال في وصف طائفة أخرى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الى قوله المغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم الى قوله يسألون عن أنبائكم ثم ذكر سبحانه وتعالى وصف أهل الصدق والثبات والقيام مع الله بأتم القيام قال سبحانه وتعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله الى قوله ايمانا وتسليما ثم استطرد في الثناء عليهم لمكان صدقهم ومحبتهم لله تعالى بقوله سبحانه وتعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى قوله وما بدلوا تبديلا الآية فصل الامر سبحانه وتعالى في هذه القضية فأظهر أحوال أهل الصدق من أحوال الكذابين * ثم قال رضي الله عنه

(وَتَعَدَّوْا إِلَى النَّبِيِّ حُدُودًا * كَانَ فِيهَا عَلَيْهِمُ الْعَدْوَاءُ)

أخبر هنا عن ما وقع من بني قريظة فانهم كانوا في عهد مع النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤذيهم ولا يؤذونه فتعدوا هذه الحدود حين رأوا الاحزاب وغدروا ودخلوا مع الاحزاب في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربته بعد تأكيد العهد بينهم وبينه فكانت العدواء التي تعدوها وبالها عليهم وبلاؤها فقد ظهر ما فعل بهم صلى الله عليه وسلم من قتل جميع رجالهم وسبي نسائهم وأولادهم وأخذ أموالهم وأملاكهم فهذا وبال غدرهم عاد عليهم * ثم قال رضي الله عنه

(وَنَهَتْهُمْ وَمَا انْتَهَتْ عَنْهُ قَوْمٌ * فَأُبِيدَ الْأَمَّارُ وَالنَّهَّاءُ)

قال ونهتهم يعني طائفة منهم في حين الغدر عن الغدر وحذرتهم وباله أى الغدر فما انتهوا بذلك بنهي من نهاهم قال فابيد يعني هلك الامار والنهاء الامار بالغدر والنهاء عن الغدر أبيدوا كلهم بالقتل عن آخرهم * ثم قال رضي الله عنه

(وَتَعَاطَوْا فِي أَحْمَدَ مُنْكَرَ الْقَوْ * لِ وَنُطْقُ الْأَرَاذِلِ الْعَوْرَاءُ)

* أشار في هذا البيت الى ما روي انه صلى الله عليه وسلم لما قارب الوصول الى بني قريظة وكان قد سبقه طائفة من الصحابة اليهم فسمعوا شتم النبي صلى الله عليه وسلم وسبه من ألسنة الملعونين فاعترضه علي رضي الله عنه حين جاء فقال له يا رسول الله صلى الله عليك وسلم لا عليك ان لا تقرب من هؤلاء الاخابيث فقال له صلى الله عليه وسلم لعلك سمعت شيئا فقال له اجل فدفع صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم ثم ناداهم يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته فناداه بعضهم والله يا أبا القاسم ما كنت جهولا فسكت ولم يقل صلى الله عليه وسلم شيئا قال وتعاطوا في أحمد منكر القول بالسب والشتم والاراذل هم اللئام نطقهم العوراء يعني السب والشتم وهو اللفظ الذي في غاية البشاعة

(كل رجس) بكسر راء كضرس القذر والقبح والكفر (يزيده الخلق) بضمتين ماجبل وطبع عليه الانسان (السوء) بضم سين وفتحها أى القبيح الشنيع (سفاها) بفتح سين كسحاب مصدر سفه ككرم وسفاهة الخفة والطيش والجهل (و) تزيده (الملة الشريعة (العوجاء) أى الباطلة سفاها أيضا (ف) بسبب تماديهم على الضلال والجهالة (انظروا) أيها العقلاء (كيف كان) أى صارت (عاقبة) آخر ومآل ومصير أمر (القوم) (١٠٢) اليهود ومن آخاهم على الكفر من الخزى والذل والهوان فى الدنيا والعذاب فى الآخرة بسبب تعديهم الحدود وتعاطيهم منكر القول فى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (و) انظروا (ما) موصولة او استفهامية (ساق) من السوق ضد قاد (للبذى) بذال معجمة الخبيث القبيح اللسان (البذاء) بفتح موحدة و بذال معجمة كسماء النطق بالفحش والكلام القبيح (وجد) ذلك البذى (السب) بفتح سين الشتم والعيب (فيه) أى فى حق سيدنا ومولانا أحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم (سما) بتثليث السين داء معروف قاتل لحينه (ولم يدر) بفتح تحتية من درى كرمى أى لم يعلم ذلك البذى أن سبه صلى الله عليه وعلى آله وسلم عين السم القاتل لحينه (اذ) أى لان (الميم) يكون بدلها (فى) بعض (مواضع) أما كن (باء) كقولهم باسمك اذا قالوا ماسمك وهى لغة مازن (كان) حصل (من) حرف جر (فيه) أى فمه أى مما صدر من فم ذلك البذى من السب والشتم فيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (قتله) بالرفع اسم كان خبرها (بيديه فهو) بسكون هاء أى البذى المذكور (فى سوء) بضم سين وفتحها (فعله) القبيح أى فى قتله لنفسه بيديه (الزباء) بفتح زاى كشداد المرأة المشهورة التى قتلت نفسها بيدها خوفا من قتل عمرو ابن أخت جذيمة (أو) أى بل (هو) أى ذلك البذى فى قتله لنفسه (النحل) ذباب العسل اى كالنحل فى تسببها فى موتها اذ (قرصها) بفتح قاف كفلس أى لسعها وعضها لغيرها (يجلب) بفتح تحتية وضم لام وكسرها وبجر بسرعة (الحتف) بفتح حاء كالموت وزنا ومعنى (اليها) أى الى النحل بقرب لسعها لغيرها (وما) نافية (له) أى لقرصها ولسعها (انكاء) بكسر همزة مصدر انكأ العدو قتله

* ثم قال رضى الله عنه وأرضاه

(كُلُّ رِجْسٍ يَزِيدُهُ الْخُلْقُ السُّوءُ * سَفَاهًا وَالْمِلَّةُ الْعَوْجَاءُ)

الرجس ههنا هو الظلام التى تتعمر به القلوب وهو ظلام الكفر أعاذنا الله منه قال كل رجس يزيده الخلق السوء وهى الاخلاق اللئيمة يزيده سفاها والسفه هو البعد عن طريق الرشد والملة العوجاء وهى ملة الكفر أعاذنا الله منه تزيده بعدا عن الرشد * ثم قال رضى الله عنه

(فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْقَوْمِ * وَمَا سَاقَ لِلْبَذِيِّ الْبَذَاءُ)

قال فانظروا كيف كان عاقبة القوم وهم بنو اقريظة وانظروا ماساق للبذى البذاء البذاء هو كثير النطق بالسب والشتم فانظر واما صار لهم ببذاءة السنتهم * ثم قال رضى الله عنه

(وَجَدَ السَّبَّ فِيهِ سَمًّا وَلَمْ يَدْرِ * إِذِ الْمِيمُ فِي مَوَاضِعَ بَاءُ)

قال المتكلم فيه بالسوء ممن تقدم ذكره وجد السب فيه سم قتله اذ الميم الخ أصله سم قاتل فانقلبت ميمه باء فصار سبا فهذا معنى قوله اذ الميم فى مواضع باء يعنى انقلبت باء * ثم قال رضى الله عنه

(كَانَ مِنْ فِيهِ قَتْلُهُ بِيَدَيْهِ * فَهْوَ فِي سُوءِ فِعْلِهِ الزَّبَّاءُ)

السابله صلى الله عليه وسلم كانت عاقبته أشد القتل قال كان قتله بيديه من فيه يعنى مما تكلم به من فيه باختياره كان سبب قتله فكأنه قتل نفسه بيده ثم قال رضى الله عنه فهو فى سوء فعله الزباء والزباء قضيتها معلومة مشهورة لا نطيل بذكرها حكاها أبو الحسن المسعودى فى مروج الذهب * ثم قال رضى الله عنه

(أَوْ هُوَ النَّحْلُ قَرْصُهَا يَجْلِبُ الْحَتْفَ إِلَيْهَا وَمَا لَهُ إِنْكَاءُ)

مثله أولا أى السابله صلى الله عليه وسلم حيث كان قتله بسبب سبه مثله أولا بالزباء حيث قتلت نفسها بالسم وشبهه ثانيا بالنحل حيث كانت تجلب حتفها بيدها الان لدغها تلدغ بشوكتها فاذا لدغت بشوكتها التصقت شوكتها بالملدوغ وزالت منها فانها تموت بسبب زوالها وما لها انكاء يعنى مالها انكاء فى الملدوغ لان انكاءها فى نفسها أعظم بلاء من نكايتها للملدوغ * ثم قال

وجرحه (صرعت) كمنع رمت وألقت على الارض (قومه) قريشا وغيرهم (حبائل) جمع حبالة بكسر حاء آلة يصطاد بها (بغى) أى ظلمهم وتعديهم على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (مدها) أى بسط تلك الحبائل ونصبها (المكر) بفتح ميم الخداع واضمار السوء الصادر (منهم) أى من قومه (والدهاء) بفتح دال (١٠٣) مهملة كسماء وكفتى جودة الرأى والفطنة (فأتتهم) أى فبسبب مانصبوا من حبائل المكر والخداع للنبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم جاءتهم من قبله (خيل) جمع خائل كصحب جمع صاحب (الى الحرب) أى الى جهادهم وقتالهم لانهم كفروا بالله وبرسوله (تختال) أى تتبختر وتزهو وتمشى مشية الخيلاء (وللخيل فى الوغى) بفتحتين الحرب والقتال (خيلاء) بضم خاء وفتح تحتية مشية تكبر وتبختر وعجب (قصدت) بدال مهملة من القصد ارادة الشئ واتيانه بابه ضرب أى أرادت الطعن وفى نسخة قصرت بالراء من القصر الحبس بابه نصر أى انحبست وبقيت (فيهم) أى فى أبدانهم (القنا) بفتحتين مفرده قناة الرمح وهو الفاعل (فقوافى) جمع قافية وهو ماتنبنى عليه القصيدة (الطعن) بمعنى الطعنات أى الطعنات الشبيهة بالقوافى فى تتابعها وتكرارها (منهاما) نافية (شانها) أى ماعاب تلك القوافى وفى نسخة شأنه أى الطعن (الايطاء) تكرار قافية البيت قبل سبعة أبيات وفى نسخة الابطاء بموحدة (وأثارت) بمثلثة أى رفعت وهيجت تلك الخيل (:) وركضها فى (أرض مكة) ونواحيها (نقعا) أى غبارا كثيرا حتى اسودت به الافق فلذلك (ظن) بضم ظاء مبنى للمفعول أى يظن من رأى ذلك الغبار (ان الغدو) مابين صلاة الصبح وطلوع الشمس (منها) أى من الخيل أى من أجل ماأثارته تلك الخيل من الغبار (عشاء) بكسر

رضى الله عنه

(صَرَعَتْ قَوْمَهُ حَبَائِلُ بَغْيٍ * مَدَّهَا الْمَكْرُ مِنْهُمُ وَالدَّهَاءُ)

قومه هم قريش يعنى صرعت قومه يعنى ألقتهم مصر وعين بالارض قتلى وجرحى ذلا واهانة بعد الشرف والعز وكان الذى صرعهم فى ذلك الامر حبائل البغى التى نصبوها لهلاكه صلى الله عليه وسلم وصنعوها واتقنوا صنعها فيما يظنون لشدة المكر والدهاء وشدة المكر هو اظهار الخير والفرح والسرور والمحبة من الماكر للمكور به ظاهرا وفى باطن ذلك هو متحيل على هلاكه بما أظهره لما لم يقدر عليه ظاهرا فهذا هو المكر والدهاء وهو شدة الفطنة فى العقل فطنة زائدة على المعتاد تفطنا لطريق الحيل والمكر وشدة معرفة كيف يصاد العدو بطريق المكر ومعرفة بواطن الامور والتفطن لما يراد بها باطنا مخالفا للظاهر فهذا هو الدهاء يعنى ان قومه صلى الله عليه وسلم نصبوا لهلاكه صلى الله عليه وسلم حبائل بغى اصطنعوها بطريق المكر والدهاء فانقلب مكرهم عليهم وصرعوا فى تلك الحبائل وهلكوا فيها والحبائل جمع حبالة وهى الآلات التى ينصبها الصيادون لأخذ الصيد فهذه هى الحبالة والبغى هو الظلم والحسد والعناد بالباطل * ثم قال رضى عنه

(فَأَتَتْهُمْ خَيْلٌ إِلَى الْحَرْبِ تَخْتَا * لُ وَلِلْخَيْلِ فِى الْوَغَى خُيَلَاءُ)

قال لما نصبوا الهلاكه صلى الله عليه وسلم الحبائل المذكورة فبسبب نصبهم لها أتتهم خيل طالبة للحرب تختال تمشى مشى الخيلاء ومشى الخيلاء هو مشى المتكبر المتعاظم فى نفسه فهذا مشى الخيلاء ومعناه يمشى متخيلا لتعظيم نفسه وتكبيرها قال أتتهم خيل والمراد بهم الصحابة رضوان الله عليهم الذين غزوا معه صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة قال وللخيل فى الوغا يعنى موضع القتال خيلاء يعنى مشية الخيل تمشى مشية المتعاظم المتكبر * ثم قال رضى الله عنه

(قَصَدَتْ فِيهِمُ الْقَنَا فَقَوَافِى الطَّعْنِ مِنْهَا مَا شَانَهَا الْإِبْطَاءُ)

قال قصدت القنا وهى الرماح قصدت الطعن فيهم فلما طعنتهم قال فقوافى الطعن منهم ماشانها الابطاء معناه قوة انهمار الدماء فيهم بسبب طعن الرماح قوى فيهم انهمار الدماء وكان هذا الانهمار المذكور شأنه ان لا يبطأ بالطعن فان بطا ولم يسل الدم كان شينا على الضارب لضعف قواه فانه لو قويت قواه أعنى الضارب لانهمر الدم من ضربته فان بطا خروج الدم من ضربته كانت تلك الضربة شينا على الضارب لعدم تحصيلها الفائدة وهو الابطاء الذى ذكره * ثم قال رضى الله عنه

(وَأَثَارَتْ بِأَرْضِ مَكَّةَ نَقْعًا * ظُنَّ أَنَّ الْغُدُوَّ مِنْهَا عِشَاءُ)

عين كساء ما بين صلاة المغرب والعتمة (أجمت) أخرت وأمسكت وكفت عن القتال بالكلية (عنده) أى عند ذلك النقع الذي آثارت جنود الله بمكة يوم الفتح (الحجون) بفتح حاء كرسول الجبل المشرف على المعلى أى الفرقة الداخلة من (وأكدى) أي امتنع وأمسك عن القتال أيضا (عند اعطائه) (١٠٤) أى كداء أى ممن دخل فيه من المؤمنين (القليل كداء) بضم كاف ومد لغة فى كدى كهدى جبل باسفل مكة على طريق اليمن (ودهت) أصابت وأهلكت تلك الخيل (أوجها) بفتح همزة جمع وجه من اطلاق البعض وارادة الكل أى اشرافا من أهل مكة الذين بالغوا فى ايذائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كابن خطل وغيره (بها) أى بمكة (و) أصابت وأهلكت (بيوتا) دورا بمكة كان الناس يستحمون ويستجيرون بها (مل) بضم ميم مبنى للمفعول من مللت الشئ سئمته وأيست منه (منها) أى من تلك الاوجه (الاكفاء) بكسر همزة مصدر أكفى أى انكفاء وايواء الناس اليهم (و) مل من البيوت (الاقواء) بكسر همزة مصدر أقوى البيت أقفر وخلا من الانيس وفى نسخة الاقراء براء من اقرى الضيف (ف) بسبب ما حصل لأهل مكة من شدة الخوف والضيق وظنهم انهم هلكوا عن آخرهم (دعوا) نادوا وناشدوا بالقربى والرحم (أحلم) وأفصح وأعفى (البريئة) أى الخلق هو سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعفا وصفح عنهم قائلا لهم لا تثريب عليكم اذهبوا فأنتم الطلقاء (والعفو) والصفح عن جميعهم (جواب الحليم) الكريم الرؤف الرحيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم (والاغضاء)

والخيل المذكورة التى قدمت لقتال أهل مكة أثارت بها نقعا والنقع هو كثرة ثوران الغبار المسمى بالعجاج أثارت بأرض مكة نقعا حتى ظن من بمكة ان الغدو وهو وقت الضحى من النهار عشاء وهو وقت اشتداد الظلام بعد الضوء * ثم قال رضى الله عنه

(أَجْمَتْ عِنْدَهُ الْحَجُونُ وأَكْدَى * عِنْدَ إِعْطَائِهِ الْقَلِيلَ كُدَاءُ)

قال ذلك الغبار الذى أثارته الخيل بمكة من كثرته بمكة أجمت عنده الحجون والحجون هو المسمى بباب المعلى بمكة يعنى ان الغبار الذى أثارته الخيل بمكة من كثرته صارت الحجون عنده محجمة يعنى كأنها لم تبعث غبارا بالنسبة لما بمكة من كثرته كأنه لم يكن شيئا * قوله وأكدى دون اعطائه القليل كداء معناه ان ذلك الغبار الذى أثارته الخيل بمكة من كثرته ان كداء وان ثار به الغبار صار بالنسبة لما بمكة كأنه بخل بغباره ومعنى أكدى بخل وأمسك عن الاعطاء فهذا هو الاكداء وكداء هو الجبل المطل على مكة وأكدى جبل كداء يعنى بخل ببعث غباره وصار الغبار الذى ثار به لقلته كأنه ليس بشئ بالنسبة لما بمكة فهو البخل الذى نسبه له * ثم قال رضى الله عنه

(وَدَهَتْ أَوْجُهًا بِهَا وَبُيُوتًا * مُلَّ مِنْهَا الإِكْفَاءُ والإِقْرَاءُ)

* أخبر عن وقعة مكة فى وقعة الفتح بما نزل بهم من الهلاك والذل والهوان دهتهم داهية عظيمة لم يجدوا منها فكاكا ولم يستطيعوا منها حراكا كانوا منها صرعى بين قتل وذل وهوان وانعدم الناصر فهذه هى الداهية التى دهت أهل مكة دهت وجوههم فصارت وجوههم صفرا غبراء تتراءى عليها صورة الذل ودهت منها بيوتا حتى دخلت بيوتهم قهرا ولم يستطيعوا دفاعا ولم يجدوا امتناعا حتى كانوا مثل العبيد المملوكين لا يدفعون عن أنفسهم ضربة ضارب * فهذه الداهية التى دهت البيوت حتى دخلت قهرا قال تلك الداهية مل منها الاقراء والاقراء هو اطعام الضيف واكرامه فهو الاقراء ولما نزلت بهم تلك الداهية صاروا من الذل والهوان وصيرورتهم تحت الاقدام لو نادى الضيف عليهم الف مرة لم يستطيعوا اجابته ولا كرامه من الهلاك والكرب الذى حل بهم ومل منها الاكفاء * والاكفاء هو اعطاء الاموال يعنى مل منها اعطاء الاموال فانهم كانوا أيام عزهم وسلامتهم من هذه الداهية متى ورد على كرمائهم وارد يشكو اشدة فاقته أو شدة فقره يستعطف منهم المواساة بما يقدرون عليه من المال ليكفى بذلك نوائبه فلما حلت بهم تلك الداهية وصيرتهم الى ما ذكر من الذل والهوان ملوا الاكفاء وهو اعطاء المال لكفاية النوائب لسائل يستعطف النوال وقد شغلهم عن ذلك ما هم فيه من الداهية * ثم قال رضى الله عنه

(فَدَعَوْا أَحْلَمَ الْبَرِيَّةِ وَالْعَفْوُ جَوَابُ الْحَلِيمِ وَالإِغْضَاءُ)

قال حين نزلت بهم تلك الداهية دعوا أحلم البرية صلى الله عليه وسلم دعوة يعنى طلبا للعفو عنهم

بكسر همزة مصدر أغضى جفنه أرخاه حياء وتركا لحقه (ناشدوه) أى سأل قريش النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم القربى بضم قاف كفضلى أى بالقرابة (التى) وصلت اليه صلى (١٠٥) الله عليه وعلى آله وسلم (من) جميع بطون (قريش) لكن (قطعتها)

والرفق بهم وعدم المؤاخذة بما صنعوا معه فكان دعاؤهم له صلى الله عليه وسلم طابق وفاطفى(١) فيه حلمه صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم جودا وكرما ولم يؤاخذهم بما سبق منهم من كثرة الزلل معه والعداوة والشحناء والعناد وشأن الحليم الاغضاء والاغضاء هو غض الطرف وهو التغميض والمراد به عدم الالتفات لما سبق من اساءة المسيء وبسط رداء العفو عليهم فهذا هو الغض وهو الاغضاء * ثم قال رضى الله عنه

(نَاشَدُوهُ القُرْبَى الَّتى مِنْ قُرَيْشٍ * قَطَعَتْهَا التِّرَاتُ وَالشَّحْنَاءُ)

قال حين ظفر بهم صلى الله عليه وسلم وانعدم منهم الدفع والامتناع والناصر وصاروا مثل الحجر الملقات فى الطريق بين يديه صلى الله عليه وسلم وعرفوا بما صنعوا معه انه لا سبيل ولا بقاء فيهم حينئذ استغاثوا وناشدوه القربى صلى الله عليه وسلم التى بينهم وبينه اذ كان منهم وابن عمهم ناشدوه تلك القربى ليعفو عنهم وتلك القربى هى التى قطعتها التراث والشحناء والتراث هى الاشعار التى ينشدها أصحاب الحزن لأجل المقتولين بما رثوا من كثرة الاشعار فى المقتولين بينهم وبينه فان تلك التراث قطعت تلك القربى وأنستها وكذلك الشحناء وهى العناد والمكابرة التى وقعت بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم بسبب ما وقع بينهم وبينه من الحروب تلك الشحناء قطعت تلك القربى بينهم وبينه وأنستها فتلك القربى هى التى ناشدوه بها والمناشد هو المستغيث طالب للخلاص من الكرب الذى حل به ناشدوه تلك القربى الاولى صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

(فَعَفَا عَفْوٌ قَادِرٌ لَمْ يُنَغِّصْــهُ عَلَيْهِمْ بِمَا مَضَى إِغْرَاءُ)

قال فحين ناشدوه تلك القربى عفا عنهم عفو قادر لا يعجزه ولم ينغصه عليهم اغراء من أراد اغراءه على اهلاكهم صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

(وَإِذَا كَانَ القَطْعُ وَالوَصْلُ لِلّـــهِ تَسَاوَى التَّقْرِيبُ وَالإِقْصَاءُ)

ثم ذكر السبب الذى أوقع منه صلى الله عليه وسلم الحلم والعفو لان ذلك كان منه صلى الله عليه وسلم لله وفى الله اذ كان نظره اليهم صلى الله عليه وسلم بعين الاضافة وعين الاضافة هو كونهم عباد الله يعفو عنهم لاجله ويكرمهم لاجله وتنسى اساءتهم لاجله فهذه عين الاضافة ثم مع عين الاضافة نظر اليهم بعين الرحمة الالهية اذ تخلق بخلق الله تعالى اذ كان الرب سبحانه وتعالى أبدا عباده يسيئون الادب فى حضرته وهو أبدا يعفو عنهم ولا يقطع عنهم نعمه لاساءتهم فهو يعاملهم سبحانه وتعالى رحمة بهم ولا يبالى بما صدر منهم من الهفوات وتلك الرحمة عامة لجميع خلقه فبهذه العين نظر فى خلق الله صلى الله عليه وسلم بعين الرحمة الالهية وعين الاضافة قال اذا كان القطع والوصل لله تساوى فيه التقريب كون الشخص قريبا منه فى غاية القرابة وتساوى الاقصاء والاقصاء هو البعد فاذا كان الوصل والقطع لله استوى عنده فى ذلك القريب والبعيد على حد سواء * ثم قال رضى الله عنه

أى تلك القربى منهم (التراث) بكسر فوقية أولى جمع ترة كعدة وعدات من وتره حقه نقصه وظلمه فيه (والشحناء) كالبغضاء وزنا ومعنى (ف) بسبب تلك المناشدة (عفا) وصفح صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن جميع ما مضى منهم من الايذاء (عفو قادر) على الانتقام منهم واستئصالهم عن آخرهم (لم ينغصه) بضم تحتية وكسر غين مشددة من التنغيص التكدير والتغيير (عليهم) بسكون الميم أى على قريش (بما) وفى نسخة فيما أى بسبب ما (مضى) وسلف من كثرة ايذائهم وبغضهم له (اغراء) بكسر همزة مصدر أغرى الكلب على الصيد أرسله وحمله على اصطياده بل عفا عن جميعهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ظاهرا وباطنا (واذا كان القطع والوصل) الصادران منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (لله) أى لوجه الله تعالى لا لغيره (تساوى) وتماثل عنده (التقريب) للقريب والبعيد (والاقصاء) أى الابعاد للقريب والبعيد فمن آمن بالله قربه ومن كفر به أبعده

(١) قوله طفى كعلا وزنا ومعنى

(وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ فِيمَا أَتَاهُ * مِنْ سِوَاهُ الْمَلَامُ وَالْإِطْرَاءُ)

قال إذا كان القطع والوصل في الله استوى عنده ما يأتيه من غيره من الملام والملام هي أفعال الشرور التي يلام بها صاحبها والاطراء هي المدائح التي يمدح الشخص بها حتى يمتلئ بها فرحا ورضا اذا كان القطع والوصل لله استوى عنده الملام والاطراء * ثم قال رضي الله عنه

(وَلَوَ اَنَّ انْتِقَامَهُ لِهَوَى النَّفْـسِ لَدَامَتْ قَطِيعَةٌ وَجَفَاءُ)

أخبرهنا أن ما فعل معهم من الحلم والعفو كان لله وفي الله ولو كان ما فعله لهوى النفس ولم يكن لله لدامت منه قطيعة وجفاء * ثم قال رضي الله عنه

(قَامَ لِلَّهِ فِي الْأُمُورِ فَأَرْضَى الـلَّـهَ مِنْهُ تَبَايُنٌ وَوَفَاءُ)

قال قام لله صلى الله عليه وسلم في جميع الامور كلها والقيام لله لا يعلمونه حقيقة الا العارفون بالله ومن سواهم لا مطمع له في معرفته قال قام بالله تعالى ليس بنفسه في جميع الامور قال رضي الله عنه يعني أن أفعاله كلها مرضية لله يرضى الله بها في كل ما فعله مع الخلق من تباين ووفاء وحقيقة التباين هو فعله مع الناس بما أظهر فيهم من اقامة الحدود من قتال كافر اذا أبى عن اجابة أمر الله وقطع يد السارق ورجم الزاني وجلد القاذف الى غير ذلك من الحدود فان هذه مباينة لاغراض الناس فيها ملايمة ووفاء باغراض الناس بما يبدو لهم من الاموال اذا طلبوه ومن كثرة العفو عن جرائمهم وعدم مؤاخذتهم بسيئاتهم فهو الوفاء باغراض الناس كل أفعاله صلى الله عليه وسلم مرضية لله تعالى في كل ما فعل مع الخلق من مباينة أغراض الناس ومن وفاء لاغراضهم * ثم قال رضي الله عنه

(فِعْلُهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ وَهَلْ يَنْـضَحُ إِلَّا بِمَا حَوَاهُ الْإِنَاءُ)

أخبرهنا ان طويته صلى الله عليه وسلم اشتملت على ما في الحضرة الالهية وما أدته اليه الحضرة الكريمة من مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب والاحوال العلية والاوصاف الزكية والنعوت القدسية التي لا يقدر أن يتصف بها غيره صلى الله عليه وسلم وقد اتصف بها كمالا وعلوا وامع تمام طهارة سجيته صلى الله عليه وسلم وكرم طباعه فكان من أجل ذلك كل أفعاله جميلة صلى الله عليه وسلم لما اتصف به من التعلق باخلاق الله تعالى والاتصاف بصفاته العلية بحيث ان كان العين العين وحيث اتصف بهذا فلا يصدر منه ظاهرا ولا باطنا فيما دق أو جل الا ما كان مرضيا لله تعالى محبوبا عنده محمودا عنده لا يغضب الله منه شيء ولا يصدر منه شيء من سوء الآداب صلى الله عليه وسلم قل أو جل قوله وهل ينضح الا بما حواه الاناء فلما لما اتصف صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا من التعلق باخلاق الله تعالى والاتصاف بصفاته حتى كان العين العين صارت حقيقته لا يبرز منها الا ما كان محمودا مثل الاناء المملوء ينضح بما فيه ان محمودا فمحمود وان غيره فغيره وهل ينضح الا بما حواه الاناء * ثم قال رضي الله عنه

(وسواء) كسماء خبر مقدم أي مستو في ذلك (عليه) صلى الله عليه (١٠٦) وعلى آله وسلم (فيما أتاه) جاءه ووصله (من سواه) أي غيره من خير وشر (الملام) بفتح ميم كسحاب الذم والتنقيص (والاطراء) بكسر همزة مصدر أطرى بالغ وجاوز الحد في المدح والثناء الحسن (و) من ثم (لو أن انتقامه) صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهم كان (لهوى) بفتحتين حب وحظ (النفس) الامارة بالسوء لا لوجه الله تعالى (لدامت) واستمرت منه حاشاه من ذلك (قطيعة) الرحم (وجفاء) كسماء من جفاه أبعده وأبغضه لكن وصلهم حيث وصلوا ما أمر الله به وقطعهم حيث قطعوا ما أمر الله به (قام) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (لله) أي لوجه الله تعالى لا لحظ نفسه وفي نسخة بالله أي مستعينا بالله وحده (في الامور) أي في جميع أموره وأحواله وحركاته وسكناته (ف) بسبب ذلك (أرضى الله) سبحانه منصوب على التعظيم (منه) أي من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (تباين) وتباعد وتباغض لمن كفر بالله تعالى (ووفاء) ووصل ومحبة لمن آمن بالله تعالى (فعله كله) أي كل ما صدر عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (جميل) حسن لان ظاهره وباطنه حسن (وهل) حرف نفي أي ما (ينضح) بفتح تحتية وضاد من نضح كرشح وزنا ومعنى وسال (الا بما) أي بالشيء الذي (حواه) ضمه وجمعه من مليح وقبيح (الاناء)

بكسر همزة معروف (أطرب) سر وفرح (السامعين) لمحاسنه ومكارمه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (ذكر) ونشر (علاه) بضم عين جمع عليا كفضلى أى صفاته الجميلة ونعوته الجليلة (يا) حرف نداء واستغاثة (لراح) منادى مستغاث مجرور بلام مفتوحة والراح الخمر لاستراحة شاربها فى حال سكره من تعب الدنيا (مالت) تمايلت وتواجدت (به) أى بالراح المراد به ذكر علاه ولذلك ذكر الضمير (الندماء) جمع نديم شارب الخمر لانهم يتنادمون عليها ويتناشدون بالاشعار الممدوحة بها (النبي) خبر لمحذوف أى هذا الموصوف والممدوح بما ذكر النبي الرسول (الأمى) أى المنسوب لأمه لانه كان لا يقرأ ولا يكتب قال تعالى النبي الأمى (أعلم) وأفضل وأشرف جميع (من) أى الانبياء والرسل (أسند) بفتح همزة ونون أى روى (عنه الرواة) بضم راء جمع راو كقاض وقضاة الناقلون للاخبار والسير (و) أعلم من أسند عنه (الحكماء) جمع حكيم العالم الذى يضع الشئ فى محل يستحقه وهو من عطف الخاص على العام

(أَطْرَبَ السَّامِعِينَ ذِكْرُ عُلَاهُ * يَالَرَاحٍ مَالَتْ بِهِ النُّدَمَاءُ)

معناه أن ذكر علاه صلى الله عليه وسلم أطرب السامعين يعنى ملأ اسماعهم زهوا وطربا وطربا بما بلغ الطرب فيها حتى تهزها الاحوال فتتحرك شطحا وتصفيقا والطرب هو حال ينشأ عن الفرح والسرور الملايمة للقلب وضده السخط والغضب يطرأ على القلب لمنافرته لمطلوبه قال فالسامعون اذا سمعوا ذكر علاه امتلأوا زهوا وطربا وتلك حالة عزيزة لا تغشى كل سامع لذكره صلى الله عليه وسلم ولا تغشى الا أهل الايمان به والمحبة له دون من عداهم ممن كفر به أو عاداه صلى الله عليه وسلم والعلا جمع عليا والمراد بها صفاته الكريمة وأخلاقه الزكية وأحواله العلية ونعوته القدسية فهى التى اذا سمعها السامع لذكره امتلأ طربا وزهوا فهذا معنى العلا ثم ذكر النداء مع صفة التعجب قوله يالراح أصل وضعه فى اللغة ياوهى ياء النداء والمنادى محذوف تقديره ياقوم أو ياسامعين تنبهوا الراح وهى الخمر وتنبهوا لعظم شأن هذا الخمر وشدة فعله فى القلوب حتى يملأها طربا وزهوا مثل ماتفعله الخمر فى قلوب الندامى والندامى جمع ندمان والندماء جمع نديم والمراد به هنا هو المساعد لرفيقه على الشرب من الخمر يشرب كشربه فهذا هو النديم ويسقيه أى جليسه بعد شربه قال ما أعظمها من خمر وما أعظم شأنها يعنى وصف شأنها بانها مالت بها الندماء ومالت الى السكر والزهو والطرب واللام فى قوله يالراح لازدة الامنصوبة وأصلها وضعت للحث والندبة أو للاستغاثة والنجدة فالمنادى بها يحث المنادين ويحضهم على الانتباه لما ندبهم اليه ثم قال رضى الله عنه

(النَّبِيُّ الأُمِّيُّ أَعْلَمُ مَنْ أَسْنَدَ عَنْهُ الرُّوَاةُ وَالحُكَمَاءُ)

قوله النبي معنى النبوة هى أشهر من أن تعرف معناه النبي المتصف بالنبوة والامى يعنى ليس بكاتب ولا قارىء فهذا معنى الامى عند العرب فكانت هذه حالته صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبذا وصفه الحق سبحانه وتعالى فى الكتاب العزيز بقوله سبحانه وتعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وقال سبحانه وتعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فهذه صفة الامية قبل النبوة فصار بعد النبوة أعلم جميع خلق الله وأعرفهم بالله وبأمر الله فهو فى هذا الميدان لا يدرك شأوه ولا يشق غباره وكل علوم العالمين وان تناهت الى غير غاية على كثرتها وتباينها واختلاف مراتبها وتعالى وجدها فى العلوم والاحوال كل ماوصل اليها جملة وتفصيلا من جميع المخلوقات فى جميع العوالم فردا فردا على اختلاف أزمانها ودهورها ماوصل اليها الا نقطة من طامى بحر علومه ومعارفه صلى الله عليه وسلم الذى لا ساحل له ولا غاية ولا قعر ولا أمل يحويه فهو أعلم الخلق بالله تعالى جملة وتفصيلا وجميع علومه من الفيض اللدنى ليست بدراية ولا تعليم كما قال فى الحديث فى قوله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث صعب المرام عظيم الاشكال الا أن حقيقته من تجلياته سبحانه وتعالى فى مظاهر الاكوان ومرائى الكيان والكيان مصدر كان ومعناه صور الاكوان ولا يعقل معنى هذا الحديث الا من عقل كيف يتجلى الله فى الأكوان ولا يعلمه على حقيقته الا العارف بالله المعرفة الذوقية العيانية فمن وصل اليها عقل هذا الحديث وعرف مايشير اليه ومن لا فلا فان الله سبحانه وتعالى جل وتقدس وتعالت ذاته العلية عن

(وعدتنى) الوعد فى الخبر والايعاد فى الشر غالبا (ازدياره) أى زيارة (١٠٨) النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (العام) أى فى هذا العام (وجناء) بفتح واو ناقة قوية شديدة السير (ومنت) أنعمت وأنجزت ووفت (بوعدها) أى بموعودها (الوجناء) المذكورة (أ) يليق بى حينئذ ان أترك الزيارة (فلا) أحسن ولا أقدر (انطوى) أنضم وأنجمع (لها) أى على تلك الوجناء مع سهولتها وحسن سيرها (فى) أى بسبب (اقتضائيه) أى طلبى من تلك الوجناء وعدها فهو مصدر مضاف للفاعل وهو ياء المتكلم والهاء العائدة لوعدها مفعول (لتطوى) بضم فوقية وفتح واو مبنى للمفعول من الطى ضد النشر (ما) نائب فاعل أى المفازة والمسافة التى كانت (بيننا) و بين النبى الكريم والقبر الشريف (الأفلاء) بفتح همزة جمع فلا بفتحتين مفرده فلاة المفازة والقفر بدل من ما أو عطف بيان (أنكرت مصر) وغيرها من القرى (فهى) بسكون هاء أى فبسبب ذلك (تنفر) بفتح فوقية وكسر فاء وضمها من نفر كضرب ونصر هرب وجد فى السير (ما) ظرفية مصدرية (لاح) بان وظهر من أرض مصر وغيرها (بناء) أى بنيان من حائط وغيره (لعينها) أى الوجناء (أو خلاء) بفتح خاء كفضاء وزنا ومعنى وفى نسخة وخلاء بواو

أن يتصف بصفات الاجسام والاشخاص وينحصر فى هيا كلها تعالى عن ذلك علوا كبيرا ومن عقل عن الله ووصفه بظاهر هذا الحديث على حقيقته كفر بالله صريحا وانما الحديث يشير الى سر غامض صعب المرام بعيد المدرك لا يعرفه الا العارفون بالله ومن سواهم لا مطمع لهم فى لحوقه فليس لهم ان يخوضوا فى معانى هذا الحديث ولا أن يصفوا بهم فيما فى ظاهر هذا الخبر وذلك محال على الله تعالى قوله أعلم من اسند عنه الرواة والحكماء والاسناد حقيقته هو النقل عن المسند اليه كما تقول حدثنى فلان أو أخبرنى فلان والعلماء جمع عالم وهو العالم الذى تنقل عنه الاخبار التى يستفيد الناس منها مصالح دينهم وآخرتهم والرواة جمع راو وهو الذى ينقل الخبر عن العالم والحكيم نقلا محيطا بجميع وجوهه حفظا وفهما وحروفا وضبطا وحقيقة الحكيم هو الذى جاوز حدود النفوس وخرج عنها الى ميدان القلوب ففاضت عليه العلوم فى ذلك الميدان وتلك العلوم علوم لدنية وهى علوم الحكمة وبها سمى حكيما لان كلامه حينئذ كلام نافع لسامعه الا من أراد الله خذلانه فهذه حقيقة الحكيم ❊ ثم قال رضى الله عنه

(وَعَدَتْنِى إزْدِيَارَهُ الْعَامَ وَجْنَا ❊ ءُ وَمَنَّتْ بِوَعْدِهَا الوَجْنَاءُ)

قال وعدتنى ازدياره يعنى زيارته والازديار مصدر زار زيارة وازديارا قال وعدتنى ازدياره فى هذا العام والفاعل بوعدتنى هو قوله وجناء وهى الناقة الشديدة الصلبة المتينة القوة فهى الوجناء وعدتنى وجناء بزيارته صلى الله عليه وسلم فى هذا العام وسمى الوعد من الناقة وليست متكلمة لكن وعدها يؤخذ من وجودها وتيسرها حتى صارت فى يده مع تيسير الوقت وتهيئة الرفقاء وتهيئ الزاد وفقد العوائق من كل وجه فلما كان هذا الحال صار كأن الناقة قالت له فى هذا العام أبلغك زيارته صلى الله عليه وسلم فهذا الوعد الذى ذكره قال بعدما وعدتنى منت بوعدها ودخلت بالفعل معى وجدت بى فى السير اليه صلى الله عليه وسلم فهذا هو المنة بالوعد ❊ ثم قال رضى الله عنه

(أَفَلَا أَنْطَوِى لَهَا فِى اقْتِضَائِيـــهِ لِتُطْوَى مَابَيْنَنَا الأَفْلَاءُ)

قال حين وعدتنى الوجناء بزيارته صلى الله عليه وسلم فى هذا العام ومنت بوعدها أفلا أنطوى لها والانطواء هو ضم النفس يعنى ضم ثيابه وجميع أموره مساعفا لها فى السير اليه صلى الله عليه وسلم معناه بل أنطوى لها يعنى أساعفها فى السير عليها فى اقتضائيه والياء فى اقتضائيه ياء المتكلم وما قبل الياء مصدر اقتضى والهاء التى بعد الياء هى عائدة على الوعد التى وعدته الناقة وهو زيارته صلى الله عليه وسلم يعنى أفلا أساعفها فى السير فى اقتضاء ذلك الوعد الذى وعدتنى الناقة به وهى الزيارة المذكورة والاقتضاء هو الوفاء بذلك الوعد ❊ قوله لتطوى ما بيننا الافلاء الطى فى اللغة هو ضد النشر وهو تصيير المسافة البعيدة قليلة وهو ضد النشر لتطوى ما بيننا يعنى ما بينى وبينه صلى الله عليه وسلم وهى المسافة التى من مصر الى المدينة والافلاء جمع فلات والمراد بالفلاة هى الارض الفيفاء التى لا عمارة فيها ❊ ثم قال رضى الله عنه

(أَنْكَرَتْ مِصْرَ فَهْىَ تَنْفِرُ مَالَا ❊ حَ بِنَاءٌ لِعَيْنِهَا أَوْ خَلَاءُ)

قال لما وعدتنى هذه الناقة بزيارته صلى الله عليه وسلم وحثتنى على السير اليه صلى الله عليه وسلم أنكرت مصر حينئذ وكرهت المقام بها حتى ساعة واحدة فلما أنكرت مصر انكرت كل ما يبدو من مصر

(بألوف) بفتح همزة كرسول صيغة مبالغة أي بوجناء كثيرة الالفة والسيرانى (البطحاء) المراد بها مكة زادها الله عزا وحفظا وفي نسخة بألوف بضم همزة جمع آلف والمراد بهم سكانها أي بسبب محبتها لهم (يجفلها) بضم تحتية وسكون جيم وكسر فاء أي يزعجها و يفزعها (النيل) بكسر نون نهر كبير بمصر والمراد أرض مصر (و) الحال انها (قد شفف) شرب ماء (جوفها) بطنها من شدة السير والحر (الأظماء) بفتح همزة جمع ظمء بكسر ظاء مشالة كضرس العطش

وأحوازها ونفرت من جميع ذلك فهي نافرة لكل ما بدا لعينها بناء من أبنية مصر أو خلاء من أحواز مصر التي لا عمارة بها * ثم قال رضي الله عنه

(بألوفِ البطحاءِ يُجفِلُها النيـلُ وقد شفَّ جوفَها الإظماءُ)

الالوف جمع آلف قوله بألوف البطحاء يجفلها النيل ألوف البطحاء هم سكانها الذين اتخذوها وطنا وسكنا والبطحاء هي مكة زادها الله علوا وشرفا ومكانة وتعظيما قال هذه الناقة يجفلها النيل كل ما رأته لشدة شوقها لالاف البطحاء وشدة نفورها من المقام بمصر فهي لذلك كل ما رأت النيل جفلت والجفل هو شدة السعي بقوة وسرعة * قوله وقد شف جوفها الاظماء قال هذه الناقة شف جوفها وحقيقة الشف هو حال يغشى الباطن من رؤية ما يحل بالمرء من البلاء والمكروه فيغشى باطنه حال يسمى الشف والمراد به شدة تحركه في زوال ما حل بالمرء ان كانت له قدرة واضطراب الباطن بالبكاء مع انهمار العين بالدمع ان عجز عن زوال ذلك عن المرء فهذا هو الشف والشف الذي هنا في الناقة معناه شف جوفها الاظماء لرؤية تلك المنازل والمعاهد وهي منازله صلى الله عليه وسلم فذلك الشوق الذي حل بها الى رؤية تلك المعاهد والمنازل شف جوفها من شدة الشوق فصارت كثيرة الدموع شديدة الحنين من اظمائها لرؤية تلك المعاهد والمنازل والاظماء هو شدة العطش لان شدة الشوق الى الشئ مع عدم الاتصال به هو بمنزلة الظمآن الى الماء البعيد * ثم قال رضي الله عنه

(فأفضتْ على مباركِها بِرْكتها فالبُوَيْبُ فالخضراءُ)

قال فأفضت على مباركها يعني انه يصف الناقة لانها أفضت على مباركها ومعنى أفضت ألوت أو عافت يعني قصدته والمراد بهذه الناقة انها أفضت على مباركها والمبارك جمع مبرك وهو الموضع الذي يحتقن فيه الماء من سيل المطر يسمى الغدير والمبرك أخبر أن هذه الناقة في مدة سيرها تقصد مبارك الماء التي فيها الماء من سيل المطر وغيره ثم أخذ يعدد المنازل من مصر الى مكة فقال بركتها يعني الدار الاولى من مصر ثم البويبة يسمونها اليوم الدار الحمراء ثم قال فالخضراء وهي معلومة * ثم قال رضي الله عنه

(فالقبابُ التي تليها فبئرُ النخـلِ والركْبُ قائلونَ رِواءُ)

(وغدتْ أيلةٌ وحِقلٌ وقُرٌّ * خلفَها فالمَنارةُ الفيحاءُ)

الشديد ولأجل ألفتها واعتيادها للبطحاء (ف) لم تزل تلك الوجناء تنفر حالا لعينيها حتى (أفضت) بفتح همزة وفاء وضاد مشددة من الفضيض الماء السائل أسالت (على مباركها) جمع مبرك كمقعد أي على مواضع بروكها (بركتها) بكسر موحدة جمع برك كسدرة وسدر موضع يجتمع فيه الماء وهو معروف الآن بمصر أول منزل يجتمع فيه الحجاج للتأهب للسفر (ف) بعد البركة (البويب) بضم موحدة وفتح واو كزبير اسم موضع معروف اليوم بالدار الحمراء (ف) بعد البويب (الخضراء) تعرف اليوم بعجرود وفيها بئر ماؤها مسهل (ف) بعد الخضراء المنزل المسمى بوادى (القباب) بكسر قاف جمع قبة بضمها لكثرة كثبان الرمل البيض فيه الشبيهة بالقباب ويعرف اليوم بوادى التيه (التى تليها) أي تتبع الخضراء (ف) بعد القباب المنزل المعروف بـ(بئر النخل) ماؤها عذب (و) لذا قال (الركب) جمع راكب كصحب جمع صاحب (قائلون) من القيلولة أي مستريحون عندها وقت شدة الحر (رواء) بكسر راء جمع ريان بفتحها من الرى ضد العطش (وغدت) أي صارت عقبة (أيلة) بفتح همزة كثمرة القرية والمذكورة في قوله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الآية (وحقل) بكسر حاء وسكون قاف كضرس اسم منزل قريب للعقبة تسميه العامة اليوم بدوار حقن بالنون (وقر) بضم قاف اسم منزل يعرف اليوم بظهر الحمار (خلفها) أي تلك الوجناء أي قطعتها جاوزتها وتركتها خلفها (ف) بعد هذه المنازل الثلاثة المنزل المسمى بـ(المغارة) بفتح ميم الكهف (الفيحاء) أي الواسعة وفيها ماء عذب ونخل

وتعرف اليوم بمغار سيدنا شعيب على نبينا وعليه الصلاة والسلام فبعد المغارة المنزل المسمى بـ (عيون الاقصاب) جمع قصب سمى بذلك لكثرة ما فيه من القصب الفارسي (يتبعها) أى عيون الاقصاب (النبك) بكسر نون كضرس (وتتلو) بفتح فوقية وفى نسخة بتحتية أى تتبع النبك المنزل المسمى بـ (كفافة) كسحابة علم على منزل يعرف اليوم بسلمى فيه قبر ولى مشهور بالبركة (العوجاء) أى المنحرفة عن جادة الطريق (حاورتها) بحاء مهملة من المحاورة المكالمة والمحادثة والمخاطبة أى خاطبت الوجناء التى بصددها من الزيارة (الحوراء) بفتح حاء مهملة وتضمها العامة اليوم (شوقا) أى اشتياقا وغبطة من الحوراء لما اشتاقت اليه تلك الوجناء من زيارته صلى الله عليه وعلى آله وسلم (ف) حاورها أيضا بما هى بصددها من الزيارة المنزل المعروف بـ (ينبوع) وهو أول منازل بلاد الحجاز (ف) بسبب محاورتهما لها (رق) من الرقة لكن اشتاق ومال لتلك الزيارة (الينبوع والحوراء) المذكوران (لاح) بان وظهر (بالدهنوين) بفتح دال مهملة تثنية دهنى كعطشى اسم موضع أمام ينبوع (بدر) قرية معروفة فيها ماء ونخل كثير وفيها قبور الشهداء تزار (لها) أى لتلك الوجناء (بعد) وفى نسخة قبل أى قبل منزل معروف بـ (حنين) كزبير جبل قريب لبدر (وحنت) اشتاقت ومالت لما عليه تلك الوجناء القرية المعروفة بـ (الصفراء ونضت) بفتحتين كدعا أى خلعت وأزالت وأذهبت عن تلك الوجناء (بزوة) بفتح موحدة كتمرة المنزل المعروف اليوم بقاع البزوة (ف) نضت عنها أيضا (رابغ) وهى موضع الاحرام وميقات أهل مصر ومن وراءهم وفيها نخل وآبار كثيرة (ف) نضت أيضا (١١٠) عنها (الجحفة) بضم جيم كغرفة كانت قرية لليهود وهى ميقات أهل مصر ومن وراءهم وبقيت اليوم مهملة (عنها) وفى نسخة منها متعلق بنضت أى عن تلك الوجناء (ما) مفعول نضت أى نوب التعب والمشقة الذى (حاكه) كقال نسجه (الانضاء) بكسر همزة مصدر أنضى السفر البعير أضعفه وأهزله وأنحفه (وأرتها) أى أبصرت وأعلمت تلك الوجناء (الخلاص) بفتح

فعيونُ الأقصابِ يَتبعُها النبكُ ويتلو كفافةُ العوجاءُ

حاورتها الحوراءُ شوقاً فينبوعٌ فرقَّ الينبوعُ والحوراءُ

لاحَ بالدهنوينِ بدرٌ لها بعدَ حنينٍ وحنَّتِ الصفراءُ

ونضتْ بزوةٌ فرابغُ فالجحفةُ عنها ما حاكهُ الإنضاءُ

وأرتها الخلاصَ بئرُ عليٍّ ❊ فعقابُ السويقِ فالخلصاءُ

فهي من ماءِ بئرِ عُسفانَ أو من ❊ بطنِ مرٍّ ظمآنةٌ خمصاءُ

قرَّبَ الزاهرَ المساجدُ منها ❊ بخطاها فالبطءُ منها وحاءُ

هذهِ عدةُ المنازلِ لا ما ❊ عُدَّ فيهِ السماكُ والعواءُ

خاء كالنجاة وزنا ومعنى أى من تعب السفر والمشقة (بئر على) معروف (ف) أرتها الخلاص أيضا (عقاب) بضم عين كغراب (السويق) منزل قريب لبئر على (ف) أرتها الخلاص أيضا (الخلصاء) بفتح خاء كحمراء تعرف اليوم بخليص كرغيف فيها عين ماء واسعة وبركة كبيرة (فهى) بسكون هاء أى تلك الوجناء لشدة فرحها وسرورها بوصولها لمقصدها استغنت واشتغلت عن الماء والعلف ولذا قال (من) شرب (ماء بئر عسفان) بضم عين موضع معروف فيه آبار كثيرة (أو) أى و (من) علف وحشيش (بطن مر) بفتح ميم وراء مشددة يعرف اليوم بمر الظهران وبوادى فاطمة (ظمآنة) بفتح ظاء مشالة كعطشانة وزنا ومعنى (خمصاء) بفتح خاء كجوعاء وزنا ومعنى (قرب) بتشديد الراء من التقريب (الزاهر) بنصب مفعول به موضع مشهور قبل ذى طوى (المساجد) بالرفع فاعل أى المكان المعروف بمساجد عائشة وبالتنعيم (منها) أى من الوجناء (بخطاها) بضم خاء جمع خطوة كمدية ومدى أى بسبب شدة سيرها وجريها لما أحست بوصولها لمقصودها (فالبطء) بضم موحدة كقفل ضد الاسراع أى فالبطء المعهود (منها) أى من الوجناء قبل ذلك زال واضمحل وخلفه وكان مكانه (وحاء) بفتح واو وحاء مهملة كسماء عجلة وسرعة (هذه) أى المنازل الثمانية والعشرون المذكورة بين مصر ومكة (عدة) بكسر عين أى عدد (المنازل) التى يعتدو يستعان بها و يعول عليها غالبا فى السفر لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره صلى الله عليه وعلى آله وسلم (لاما) أى منازل القمر التى (عد) بضم عين فعل ماض مبنى للمفعول (فيه) بتذكير الضمير رعيا للفظ ما المنزل (السماك) بكسر سين ككتاب والمراد به الاعزل (و) المنزل المعروف بـ (العواء) بفتح عين وتشديد واو وهى خمسة أنجم

(فكاني بها) أي بتلك الوجناء أي حال كوني عليها (أرحل) بضم همزة وفتح حاء مشددة من الترحيل التنقيل والتحويل مبني
للمفعول (من مكة) زادها الله عزا وشرفا الى منى والى عرفة والى مزدلفة (شمسا) أي حال كونها كالشمس في علو شأنها ورفعة
مقصدها (سماؤها) أي تلك الوجناء الشبيهة بالشمس (البيداء) الفلاة والمفازة الواسعة (موضع) بجر بدل من مكة و برفع خبر لمحذوف
(البيت) أي الكعبة (مهبط) بفتح ميم وكسر موحدة أي محل هبوط ونزول (الوحي) على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاثة
عشر عاما (مأوى) بفتح ميم وواو من أوى الرجل الى منزله كرمى رجع اليه (الرسل) والانبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام
(حيث) ظرف مكان بدل من مكة (الانوار) الحسية والمعنوية (١١١) المستفاضة عليها وعلى من حل بها (حيث) ظرف
مكان أيضا (البهاء) بفتح موحدة كالجمال وزنا ومعنى الحسن المستفاض عليها وعلى من فيها (حيث) ظرف مكان بدل من مكة أيضا (فرض الطواف) بالبيت خاص في الحج والعمرة (والسعي) بالرفع وكذا ما بعده عطفا على المضاف أي وحيث فرض السعي بين الصفا والمروة (والحلق) أي وحيث فرض الحلق أو التقصير (و) حيث ايجاب (رمي الجمار) الثلاثة في منى (و) حيث ايجاب (الاهداء) بكسر الهمزة مصدر أهدى ساق الهدي الى مكة (حبذا) كنعم في المدح وذا فاعله (حبذا) تأكيد لفظي (معاهد) برفع مخصوص بالمدح جمع معهد كمقعد المنزل الذي يتعاهده الانسان ويعود اليه مرة بعد مرة وهذه المعاهد كذلك كل من

(فَكَأَنِّي بِهَا أُرَحَّلُ مِنْ مَكَّةَ شَمْسًا سَمَاؤُهَا الْبَيْدَاءُ)

(مَوْضِعُ الْبَيْتِ مَهْبِطُ الْوَحْيِ مَأْوَى الرُّ * سُلِ حَيْثُ الْأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ)

* قوله فكاني بها البيت يعني لما عدد منازل الحجاز التي بين مصر ومكة شبه نفسه كأنه يسير شمسا من مكة الى مصر وينزل بها منزلا بعد منزل وتلك الشمس التي ضرب المثل بها كأنه يرحلها من مكة الى مصر وسماؤها البيداء والبيداء الفيافي المقفرة * قوله موضع البيت مهبط الوحي الخ ثم انتقل يتكلم على مكة ويتغزل بها شوقا وعشقا لما فرغ من ذكر منازل الحجاز قال في تغزله بمكة وعشقه لها موضع البيت يريد به البيت المحرم وهي الكعبة وموضعها مكة قال موضع البيت ومهبط الوحي بها هبط الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها نبئ وبها أرسل * قوله مأوى الرسل حيث الانوار حيث البهاء والبها كانوا يأوون جميع الرسل بالحج والتلبية وقد نقل انه صلى الله عليه وسلم رأى موسى على ناقته الحمراء بالوادي يلبي ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيسى والدجال يطوفون بالبيت * ثم قال رضي الله عنه

(حَيْثُ فَرْضُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيُ وَالْحَلْقُ وَرَمْيُ الْجِمَارِ وَالْإِهْدَاءُ)

يعني مكة تشرفت بحيث فرض الطواف فيها وحيث فرض فيها السعي بين الصفا والمروة وبها أيضا رمي الجمار وبها الاهداء الهدي وهذا كله شرف لمكة * ثم قال رضي الله عنه وأرضاه

(حَبَّذَا حَبَّذَا مَعَاهِدُ مِنْهَا * لَمْ يُغَيِّرْ آيَاتِهِنَّ الْبَلَاءُ)

* قوله حبذا كررها للتأكيد ومعنى حبذا انما أحب هذا الى معاهد مكة وهي البيت والمطاف والمسعى بين الصفا والمروة وموقف عرفة ومحط الرحال بالمزدلفة ومراق الدماء بمنى ورمي الجمار بها فهذه هي معاهد مكة * ثم قال رضي الله عنه

(حَرَمٌ آمِنٌ وَبَيْتٌ حَرَامٌ * وَمَقَامٌ فِيهِ الْمُقَامُ تَلَاءُ)

* قوله حرم آمن يعني مكة وبها بيت حرام ومعنى البيت الحرام هي التي حرم الله أن تسفك فيها الدماء

أتاها يعود اليها بالفعل أو بالنية (منها) أي من مكة وما احتوت عليه (لم يغير) بضم أوله وكسر ثالثه من التغيير التبديل (آياتهن) جمع آية
أي علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم الامة لهن وازدحامهم على التبرك بهن (البلاء) بفتح موحدة كسماء ويجوز كسرها ومده
ضرورة والمراد به طول المدة التي من شأنها تغيير الاشياء عما هي عليه (حرم) بفتحتين كسبب أي محترم بحرمة الله تعالى من يوم
خلق السموات والارض والمراد به جميع الحرم برفع خبر لمحذوف أو بجر بدل من موضع البيت بدل كل من بعض (آمن) أي يأمن
صيده وشجره ونباته وجميع ما فيه فلا يتعرض له أحد بسوء (وبيت) أي كعبة (حرام) كسحاب أي ذو حرمة عظيمة (ومقام) بفتح
ميم كسحاب الحجر الذي كان يقف عليه سيدنا ابراهيم عند بنائه للكعبة (فيه) أي في البيت أو الحرام (المقام) بضم ميم الاقامة
والمكث (تلاء) بفتح فوقية كسماء الجوار والعهد والذمة ولذا يسمى أهل مكة بجيران الله أي جيران بيت الله

وأن تسل فيها السلاح وأن تهتك فيها الاعراض وان تنهب فيها الاموال فهذا معنى الحرام * قوله ومقام فيه المقام يعني ومكة هي مقام ابراهيم ومعنى مقام ابراهيم لما فرغ من بناء البيت صعد على حجر بأمر الله تعالى ونادى بأعلى صوته في الجهات الاربع أيها الناس كتب عليكم الحج الى بيت الله الحرام فاجابته بعض الارواح ولبت وامتنعت بعض الارواح * قوله تلاء يعني جوار بمحل تنزل الرحمة الالهية واقالة العثرات * ثم قال رضي الله عنه

(فَقَضَيْنَا بِهَا مَنَاسِكَ لَا يُحْمَدُ إِلَّا فِي فِعْلِهِنَّ الْقَضَاءُ)

* قوله فقضينا أي أدينا بها بمكة وما ينسب لها كعرفة ومزدلفة وأمثالها من مناسك الحج كلها معلومة * ثم قال رضي الله عنه

(وَرَمَيْنَا بِهَا الْفِجَاجَ إِلَى طَيْبَةَ وَالسَّيْرُ بِالْمَطَايَا رِمَاءُ)

يعني بعد ما فرغنا من مناسك الحج من مكة * قوله ورمينا بها الضمير في بها هي جماعة الابل المركوبة لنا حين فرغنا من الحج وخرجنا من مكة رمينا بالابل الفجاج جمع فج وهي الارض المستوية البطيحة المديدة * قوله الى طيبة وهي المدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام وكان سيرنا بتلك المطايا في فجاج الارض رماء يعني رميا وهو سرعة السير مأخوذة من رمية السهم عن كبد القوس فانه لا يذهب الا بسرعة * ثم قال رضي الله عنه

(فَأَصَبْنَا عَنْ قَوْسِهَا غَرَضَ الْقُرْ بِ وَنِعْمَ الْخَبِيئَةُ الْكَوْمَاءُ)

لما ذكر سيره الى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وذكر شدة سيره وسرعته وتعجيل الوصول اليها بسرعة السير شبه ذلك بالسهم المرمي من كبد القوس اذا أصاب الغرض وظفر به راميه قال أصبنا بها غرض القرب والقرب ههنا هو قربه صلى الله عليه وسلم فان قربه هو عين قرب الحق سبحانه وتعالى بكل وجه وبكل اعتبار فلا تصريح في قيام النيابة عن الله تعالى أصرح من حضرته صلى الله عليه وسلم فان قربه عين قرب الحق سبحانه وتعالى وان حضرته هي عين حضرة الله تعالى وان كانت بطريق النيابة فانها أكبر التصاريح العينية اذ ليس فوق حضرته صلى الله عليه وسلم حضرة لله خاصة به الا حضرة الطمس والعما التي تقطعت فيها الفهوم والاوهام ومحقت فيها الاشارات والعبارات وتدكدكت ادراكات العقول وتمزقت وتشتت فلا علم ولا رسم ولا توهم ولا فهم ولا كيف ولا أين ولا حس الا الذات بالذات في الذات عن الذات فانمحقت فيها جميع آثار الغير والغيرية ولم يبق الا الله وحده وهذه الحضرة انقطعت الطرق اليها عن جميع الخلق فلا سبيل لاحد اليها وليس لاحد الوصول الى حضرة الله تعالى الا في حضرة النيابة وأكبر حضرة النيابة حضرته صلى الله عليه وسلم لانه نائب عن الله بكل وجه وبكل اعتبار بتصريح قوله سبحانه وتعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ومعنى ذلك محبة وانقطاعا وتوسلا واعتمادا وانحياشا واضدادها كفرا وبغضا وعداوة وارادة شر فكل شئ من ذلك صدر من فاعله الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقد صدر منه الى الله تعالى من كل وجه وبكل اعتبار فليس لاحد من جميع الخلق اتصال بالله تعالى الا في حضرات النيابة وأكبرها حضرته صلى الله عليه وسلم فانها كادت أن تكون عين العين وأما حضرته جل جلاله التي

(فقضينا) فأدينا (بها) أي بسببه تلك الوجناء أو الضمير لمكة وما ناسب اليها كمنى ومزدلفة وعرفة (مناسك) بتنكير وبغير تنوين وفي نسخة بالتعريف جمع منسك كمقعد من النسك العبادة (لا يحمد) بضم تحتية وفتح ميم مبني للمفعول (الا في فعلهن) أي المناسك لا في تركهن (القضاء) بفتح قاف كالاداء وزنا ومعنى (ورمينا بها) أي بتلك الوجناء (الفجاج) بكسر فاء جمع فج بفتحها أي ألقيناها وأرسلناها في الطريق لتوصلنا (الى طيبة) بطيبة صلى الله عليه وعلى آله وسلم (و) الحال أن (السير) المشي (بالمطايا) جمع مطية ناقة قوية سريعة السير (رماء) بكسر راء مصدر راميته بالسهم والمراد أصل الفعل فقط (ف) بسبب تشبيه سيرها بالرمي بالسهم (أصبنا عن قوسها) أي المطايا أي بالرمي بها (غرض) بفتحتين كالهدف وزنا ومعنى ما يرمى بنبل وغيره (القرب) والوصول الى طيبة (ونعم الخبيئة) كالذخيرة وزنا ومعنى ما يخبأ أو يدخر (الكوماء) بفتح كاف الناقة العظيمة السنام

(ف) بسبب ذلك القرب والوصول (رأينا) أبصرنا (١١٣) بأبصارنا وبصائرنا (أرض) أي تربة وطيبة (الحبيب) سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (يغض) بفتح تحتية وضم غين من غض كردو كف وزنا ومعنى (الطرف) البصر بنصب مفعول (منها) أي من أرض الحبيب (الضياء) النور حسا ومعنى (و) البرق (اللألاء) أي اللامع الساطع (فكأن) حرف تشبيه (البيداء) أي الفلاة والمفازة المشهورة اليوم بأبيار على (من حيثما) زائدة (قابلت) واجهت تلك البيداء (العين) أي عين الناظرين والواصلين اليها (روضة) بستان ذات أزهار وأنوار (غناء) أي كثيرة النبات والعشب لما حصل لهم من شدة الفرح والسرور وانشراح النفس وانبساطها كما تنبسط النفس عند رؤية الروضة الغناء (وكأن البقاع) بكسر موحدة جمع بقعة بضمها أي الاماكن المحفوفة بطيبة (زرت) بفتح زاي كشدت وزنا ومعنى (عليها) أي على تلك البقاع (طرفيها) أي الملاءة (ملاءة) بضم ميم كحذافة الملحفة والازار (حمراء) لاحمرار أرضها بكثرة مافيها من الانوار الحسية والمعنوية (وكأن الارجاء) بفتح همزة جمع رجا بفتحتين أي نواحي

لا وجود فيها للغير والغيرية فلا مطمع لاحد فى الوصول اليها من الازل الى الابد قال الشبلى رضى الله عنه وقد سمع منشدا ينشد

أسائل عن سلمى فهل من مخبر * يكون له علم بها أين تنزل

فقال الشبلى لا والله ما عنه من مخبر لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم الآية * قوله الخبيئة الكوماء الخبيئة الذخيرة وهو الامر المحبوب لعزته الكوماء هى الناقة السمينة العظيمة جدا عند العرب والكوم فى اللغة هو ما عظم وارتفع وعلا منه ما فى الخبر لما أراد الله خلق السموات والارض أمر الماء فاضطربت أمواجه ألف حقب الى آخر الامر فاجتمع فى هذه المدة فوق الماء كوم من الزبد يعنى ذلك الزبد علا وعظم وارتفع لكثرته وكان فى موضع الكعبة اليوم الى آخره الشاهد منه هو ان الكوم ما عظم وعلا وارتفع وبه سميت الناقة السمينة جدا كوماء * ثم قال رضى الله عنه

(فرأينا أرضَ الحبيبِ يَغُضُّ الـطرْفَ منها الضياءُ واللألاءُ)

* قال حين وصل الى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يغض الطرف منها يعنى يغمضه منها أى من أرض الحبيب وهى المدينة لكثرة ما علاها من الضياء والانوار تخشى على بصره من كثرة ضيائها ولألائها واللألاء البروق * ثم قال رضى الله عنه

(فكأنَّ البيداءَ من حيثُ ماقا * بلتِ العينَ روضةٌ غناءُ)

قال فى سيره للمدينة أوفى مدة وقوفه فى المدينة من كثرة ما غشى قلبه من الفرح والسرور والابتهاج بحضرته صلى الله عليه وسلم حيث ما نظر لم ير الا فرحا وسرورا قال فى ذلك وكأن البيداء من حيث ما قابلت العين روضة غناء والروضة الغناء هى الكثيرة الازهار مختلفة الالوان الوافرة الخصب * ثم قال رضى الله عنه

(وكأنَّ البقاعَ زرَّتْ عليها * طرفيها ملاءةٌ حمراءُ)

يعنى كأن بقاع الارض من كثرة أزاهارها وأنوارها وفور خصبها واختلاف ألوان أزهارها كأنها ازرت عليها طرفيها ملاءة حمراء والملاءة معلومة * ثم قال رضى الله عنه

(وكأنَّ الأرجاءَ تنشرُ نشرَ الـمسكِ فيها الجنوبُ والجربياءُ)

قال كأن الارجاء والارجاء هى نواحى المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام * قوله تنشر نشر المسك يعنى كأن ارجاء المدينة تنشر الرياح فيها نشر المسك ونشر المسك هى عطريته وهى الرائحة الذكية وعبر عن الرياح بالجنوب والجربياء الجنوب هى التى تأتى من ناحية القبلة والجنوب من أحد الرياح الاربعة وتعتبر بالكعبة فما قابل الباب منها سميت ريح الصبا لانها تهب فى باب الكعبة وما كان من دبر الكعبة سميت الدبور وما كان عن يمين الكعبة فالرياح التى تهب منه تسمى جنوبا وهى التى تهب فيما بين الركنين الركن الاسود والركن اليمانى والريح التى تهب فى الحجر تسمى الشمال والتى تهب بين الاقطار فما كان بين الصبا والشمال تسمى الهيفا وقوله والجربياء قيل انها هى الشمال وقيل هى الهيفا * ثم قال رضى الله عنه

 طيبة وجوانبها (تنشر) بفتح فوقية وضم شين وفى نسخة بتحتية من نشر الخبر كنصر بثه وفرقه وأفشاه (نشر) رائحة (المسك) ... (فيها) أى فى تلك الارجاء (الجنوب) بفتح جيم ... (والجربياء)

بكسر جيم ككبر يا مريح تهب بين الشمال كسحاب والدبور كرسول وتسمى النكباء (فاذا شمت) بكسر شين معجمة من شام البرق
كباع نظر الى شعاعها (أوشممت) بكسر ميم كعلم وبفتحها كنصر (١١٤) أى انتشقت وطلبت رائحة (رباها) أى تلك البقاع
ربوة بتثليث الراء فردا
وجمعا أى ما ارتفع من الارض
ودون الجبل (لاح) كقال
ظهر وسطع لك أيها المحب
الصادق (منها) أى من ربا
تلك البقاع المحفوفة بطيبة
(برق) أى نور ساطع وضوء
لامع راجع لشمت (وفاح)
كقال انتشر من ربا تلك
البقاع (كباء) بكسر كاف
ككساء عود البخور أى
رائحته راجع لشممت (أى)
بنصب مفعول مقدم (نور)
بضم نون عظيم بكل الابصار
(وأى) بنصب أيضا (نور)
بفتح نون كزهر وزنا ومعنى
(شهدنا) بكسر هاء كعلم
أى أبصرنا بأبصارنا وبصائرنا
(يوم) حين (أبدت) أظهرت
(لنا) معشر الزائرين
والناظرين الى طيبة
(القباب) بكسر قاف جمع
قبة بضمها على غير قياس
وبنصب مفعول التى لطيبة
(قباء) بضم قاف موضع
مشهور بقرب طيبة بينهما
ثلاثة أميال وفيه مسجد بنى
على التقوى وهو أول مسجد
بنى فى الاسلام (فر) أى
كثر وسال وبرد فرحا (منها)
أى من أجل ما أبصرته من
ربا تلك البقاع المحفوفة بطيبة (دمعى) بفتح دال مفرده دمعة (وفر) ذهب وزال (اصطبارى) أى صبرى (فدموعى) بضم دال
جمع دمع (سيل) أى كالسيل وتنوينه للتعظيم (وصبرى) الصبر حبس النفس وحملها على ما تكره (جفاء) بضم الجيم أى كالجفاء الزبد

(فَإِذَا شِمْتَ أَوْ شَمَمْتَ رُبَاهَا * لَاحَ مِنْهَا بَرْقٌ وَفَاحَ كِبَاءُ)

يعنى اذا شمت ربا المدينة والربا جمع ربوة وهى ما ارتفع من الارض وغلظ قوله أوشممت رباها الخ
أى ظهر منها الى تلك البقاع برق والمراد بها فيوض الانوار العيانية قوله وفاح كباء الكباء جمع كبوة
وهو كل ماله عطر يةذكية هو الكباء * ثم قال رضى الله عنه

(أَىُّ نُورٍ وَأَىَّ نَوْرٍ شَهِدْنَا * يَوْمَ أَبْدَتْ لَنَا الْقِبَابَ قُبَاءُ)

ثم أخذ يتهيج على طريق التعجب ويبدى فرحا وسرورا وابتهاجا وحبورا قال أى نور شهدناه والنور
هو النور اللائح مثل نور البرق والنور هو جمع نوارة وهى واحدة الازهار التى فى رأس القضيب من
الخصب واحدتها نوارة والجمع نور والنور ههنا فى اللغة هو مصدر نور نورا اذا انفتحت أزهار الأكمام
على كثرتها وظهرت فى بينها مثل البرق سميت نورا قال أى نور شهدنا يعنى ما أعظم ذلك الامر وما
أفخمه وما أجله وما أكمله وما ألذه للناظرين وهى الانوار الفائضة وقوله وأى نور يعنى بها النوارات التى
ظهرت على جميع بقاع الارض قال أى نور شهدناه منها وهى الابتهاج والفرح والسرور والتعجب
بها مثل ما مضى فى الانوار قوله يوم أبدت لنا القباب قباء يعنى يوم أبدت لنا القباب قبا ما شهدناه منها تلك
الانوار وتلك النوارات والقباب جمع قبة وهى القباب التى بالبقيع ابتهج بها وفرح بها لانها مجاورة
لمنازله صلى الله عليه وسلم وقباء مكان خارج عن المدينة قريبا منها اذا وصله السائر للمدينة تبدت له قباب
البقيع وقباء هى الموضع التى ذكر الله فيها المسجد الذى أسس على التقوى بقوله سبحانه وتعالى
لمسجد اسس على التقوى من اول يوم الآية * ثم قال رضى الله عنه

(فَرَّ مِنْهَا دَمْعِي وَفَرَّ اصْطِبَارِي * فَدُمُوعِي سَيْلٌ وَصَبْرِي جُفَاءُ)

يعنى فر أى كثر وانهمل قوله منها أى من أجل ما شهدته حسرة على ما مضى له من
فراقه اوفرحا بوصولى اليه أو خوفا من التقصير لعدم رعاية الادب فى تلك الحضرة الجليلة
قوله وفر اصطبارى ذهب وانقطع قال الجوهرى رضى الله عنه حين رأى منازل المدينة وقد كان
سائرا اليها قال

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لمن قد رأينا أن نلم به ركبا

يعنى تعظيما واجلالا له عن أن نلم به ركبا وقال بعض الاكابر حين رأى منازل المدينة

رفع الحجاب لنا فلاح لناظرى * قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام
بلغننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وزمام

قوله فدموعى سيل وصبرى جفاء يعنى دموعه دائمة الانهمار لا تنقطع وصبره جفاء يعنى يجف وأما

معروف يكون للماء والبعير (ف) بسبب ما ذكر (ترى) (١١٥) تبصر أيها المحب الصادق (الركب) جمع راكب كصحب جمع صاحب خاص ركبان الابل أو عام كما هنا (طائرين) أي مسرعين ومجدين في السير (من) أجل ما بهم من (الشوق) والحب (الى) ساكن (طيبة) بالصرف للضرورة عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم (لهم) أي للركب (ضوضاء) بفتح ضادين كحمراء أصوات عالية بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (ف) بسبب ما ذكر من شدة الاسراع في السير ورفع الاصوات بشدة (كأن الزوار) بضم زاي وتشديد واو جمع زائر (ما) نافية (مست) وأصابت ولا أثرت (البأسا) أي شدة السفر وتعبه ومشقته (منهم) أي من الزوار حال من قوله (خلقا) بفتح خاء أي جسما وبدنا وفي نسخة خلقا بضم الخاء (ولا الضراء) عطف تفسير على البأساء (كل نفس) من الزائرين (لها) بلام وفي نسخة منها خبر عن قوله (ابتهال) تضرع وتذلل (وسؤل) كقفل أي توسل الى الله تعالى باحب خلقه اليه (ودعاء) عطف تفسير (ورغبة) كذلك أي فيما عند الله تعالى من خير الدنيا والآخرة (وابتغاء) أي طلب الفوز بخير الدارين

ما ينفع الناس فيمكث في الارض وهو الماء الآية * ثم قال رضي الله عنه

(فَتَرَى الرَّكْبَ طَائِرِينَ مِنَ الشَّوْ * قِ إِلَى طَيْبَةٍ لَهُمْ ضَوْضَاءُ)

يعني ترى الركب والركب اما اسم جنس أو اسم جمع واحده راكب والجمع ركب قال حين تبدت لهم المدينة ترى الركب في شدة سرعة سيرهم كأنهم طائرون في حالة سرعة سيرهم الى المدينة لهم ضوضاء كثرة علو الاصوات يعني لهم أصوات عالية من شدة الشوق والفرح والسرور والفرق بين الفرح والسرور أما السرور وهو ما يغشى الانسان بالبديهة من أمر عظيم يلائم غرضه فما كان بالبديهة فهو السرور وما انتشر منه في أجزاء ذاته ظاهرا او باطنا واستقر فهو الفرح * ثم قال رضي الله عنه

(فَكَأَنَّ الزُّوَّارَ مَا مَسَّتِ الْبَأْ * سَاءُ مِنْهُمْ خُلْقًا وَلَا الضَّرَّاءُ)

لما أخبر عما هم فيه من الحال الذي ذكره قال كأن الزوار بعد ما كابدوا من مقاساة شدائد السفر ومعاناة التعب والضنا قبل رؤية المنازل كأنهم عند رؤية المنازل ما مست البأساء منهم خلقا ولا الضراء والخلق هو الذي يكون عليه حال الانسان حين استقراره في قراره فالجبلة التي عليها مداره وهي الغريزة هي الخلق ومتى صادمها ما لا يلائم أغراضه تغير خلقه بشدة الغضب وكثرة الكلام بالسوء واضطراب جوارحه فهذه هي البأساء التي تتغير بها خلقه والضراء هو ما عاس جسده من الضرب مثلا والطعن والقطع لبعض جوارحه والتعذيب لجسده من يد من هو قاهر له أو مقاتل له فهي الضراء التي تغاير الخلق كأن الركب حين وصلوا الى منازل المدينة واستقروا بها رجعت اليهم أخلاقهم التي كانوا عليها أيام استقرارهم في منازلهم ومواطنهم كأن أخلاقهم حين رجعت اليهم للمدينة ما مستها البأساء ولا الضراء * ثم قال رضي الله عنه

(كُلُّ نَفْسٍ مِنْهَا ابْتِهَالٌ وَسُؤْلٌ * وَدُعَاءٌ وَرَغْبَةٌ وَابْتِغَاءُ)

ذكر في هذه الاحوال أمور الركب الذين وصلوا الى المدينة فلهم من تباين الاغراض وكثرة التعلق باغراضهم أمور مختلفة وأحوال متباينة هذا مثلا يسأل المقامات والاحوال التي هي مناصب أكابر الرجال وهذا يسأل العفو عن ذنبه والتخلص من وبال وصبه وهذا يشتكي من فقره وعيلة صبره وهذا يشكو من ظالمه وهذا يسأل من أمور دنياه وهذا يبتهل في أمور أخراه وهذا يسأل المنازل الرفيعة في علو الدرجات في الجنات وهذا يسأل المناصب الوضيعة التي تقذفه في أسفل الدركات مثل الامارة والرياسة والعلو على الناس وتولي السياسة وهذا يسأل التعلق بربه ويطلب الخروج عن دائرة أربه ومجموع ذلك باختلاف اغراضهم وتباين مطالبهم هو مجموع التجليات الالهية والاحكام التي مادتها المشيئة الربانية فاخرج احدهم عن مراد الله تعالى وكل واحد منهم غريق فيما اراد الله به هذا له ابتهال ومعنى الابتهال هو ملازمة الوقوف بالباب وشدة التعلق بحاجته على كثرة تملق وتذلل لله لاستعطاف نواله فهذا هو الابتهال والسؤل يطلق على معنيين الاول يراد به الدعاء في المطلوب قليلا أو كثيرا والثاني يراد به ادراك المطلوب الذي كان الدعاء وسيلة اليه فهذا هو السؤل * قوله والدعاء معنى الدعاء ظاهر يعني هو التوجه الى الله تعالى طالبا لما عنده * قوله ورغبة الرغبة حقيقتها هي التوجه الى الله تعالى بقصد ادراك المطلوب بصورة يخبر الراغب فيها بشدة فقره وتمكين ضعفه وعجزه والاعتراف بأمور عبوديته

والتخلق بالله يمثل هذا ثم يرتقى منه به التقه الله بما هو عليه من علو الكرم والمجد وسعة فضله وطوله وحيائه فى كرمه ان يتوجه اليه متوجه بصورة فقره مستمطر الفضله فيرده خائبا من نواله وجوده فهذه الرغبة وهذا الامر هو الذى كانت عليه الانبياء مع الله تعالى قال آدم عليه الصلاة والسلام ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقال أيوب عليه الصلاة والسلام رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين وقال نوح عليه الصلاة والسلام ان لم تغفرلى وترحمنى أكن من الخاسرين وقال موسى عليه الصلاة والسلام رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضائك أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى وقال صلى الله عليه وسلم يوم اشتد عليه البلاء فى يوم ثقيف حين خرج يدعوهم الى الله تعالى فأغروا به سفهاءهم وجعلوا يرضخون رجليه بالحجارة فخلص منهم بكرب عظيم فلما خلص منهم توجه الى الله تعالى وتضرع اليه قال اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين الى من تكلنى الى عدو بعيد يتجهمنى أم الى صديق قريب ملكته أمرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وأضاء له النور وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل على غضبك أو يحل بى سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك فهذه هى طريق الرغبة الى الله تعالى فليس من الادب أن يقول الشخص فى دعائه لربه أسألك أن تعطينى الامر الفلانى بعينه بل الادب أن يفعل ما فعلته الانبياء مما ذكرناه أولا ثم قال وابتغاء معناه هو محبة الشئ المطلوب به يعنى ترى الركب بالمدينة ما بين ابتهال وسؤل ودعاء ورغبة وابتغاء * ثم قال رضى الله عنه

(وَزَفِيرٌ تَظُنُّ مِنْهُ صُدُورًا * صَادِحَاتٍ يَعْتَادُهُنَّ زُقَاءُ)

الزفير هو خروج النفس بشدة وعلو مأخوذ من زفير الكير وذلك يصدر من الشخص لأحد أمور ثلاثة اما لشدة محبة وشوق وتعطش لرؤية المحبوب واما الشدة رهب ورعب وفرق من هلاك ضايقه وأحس بوقوعه به واما الشدة الرغبة فى المطلوب يخاف فواته فيهلك اذا فاته مطلوبه * قوله تظن يعنى أيها المخاطب فيه أى من الزفير صدور اصادحات يعنى مصوتات من الزفير يعتادهن زقاء يعنى صوتا عاليا ثم قال رضى الله عنه

(وَبُكَاءٌ يُغْرِيهِ بِالْعَيْنِ مَدٌّ * وَنَحِيبٌ يَحُثُّهُ اسْتِعْلَاءُ)

قال لما دخلنا المدينة ولنا بكاء يغريه بالعين دمع والاغراء هو شدة التحريك للشئ والتسبب فى شدة تحريكه واثارته قال والبكاء هو ارتفاع الصوت بحزن قال هذا البكاء يغريه أى يهيجه دمع من العين عند فيضان الدموع من الاعين ارتفعت الاصوات بالبكاء ومنه قول الشاعر يصف حال المحب فى الله تعالى

بكت عينه لما بكت عين قلبه * ولولا بكاء العين لم يدر ما به

ولنا أيضا نحيب والنحيب هو ما زاد على البكاء باضمار الحزن بالصوت مثل قول المنتحب * ياويلاه * وياتلفاه وياهلاكاه * فالبكاء هو ارتفاع الصوت بالحزن فقط والنحيب هو ذكر حزنه بالالفاظ العالية

والنجاة من شرهما (و) كل نفس لها (زفير) كرغيف تواتر وهيجان النفس بفتحتين بتكرار صعوده وخروجه بشدة مما حل بالقلب من الخشية (تظن) أيها المحب الصادق (منه) أى من تكرار ذلك الزفير بصوت عال بشدة (صدورا) من الزائرين طيورا (صادحات) بدال مهملة من صدح الطير كمنع صاح بصوت عال وفى نسخة صارخات من صرخ كنصر صاح بأعلى صوت (يعتادهن) أى الطيور الصادحات (زقاء) بضم زاى معجمة وفتح قاف كغراب الصوت العالى (و) كل نفس لها (بكاء) بعدما كان بأعلى الصوت (يغريه) بضم تحتية من أغرى الكلب على الصيد أرسله وحمله عليه (بالعين) الباصرة (مد) بفتح ميم أى استمداد نشأ من احتراق القلب بلوعة المحبوب (ونحيب) بفتح نون كرغيف رفع الصوت بالبكاء (يحثه) بفتح تحتية وبمثلثة من حثه على كذا حضه وحرضه عليه (استعلاء) أى طلب علو الصوت بالبكاء وتتابعه

من الحزن بحثه استعلاء والاستعلاء هو شدة رفع الصوت بالحزن * ثم قال رضى الله عنه

(وَجُسُومٌ كَأَنَّمَا رَحَضَتْهَا * مِنْ عَظِيمِ الْمَهَابَةِ الرُّحَضَاءُ)

ولنا بالمدينة جسوم حين دخلناها وهى مغسولة بالعرق من عظيم الهيبة لدى دخولنا عليه صلى الله عليه وسلم والرحض هو الغسل والتنظيف والرحضاء هى العرق يريد حين دخلنا المدينة مع الركب فاض العرق على الجسوم حتى غسلها كأنها غسلت بالماء والعرق ليس من شدة الحر ولا من شدة التعب بل هو من هيبته صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

(وَوُجُوهٌ كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْهَا * مِنْ حَيَاءٍ أَلْوَانَهَا الْحِرْبَاءُ)

قال ولنا بالمدينة وجوه تلونت دهشة من هيبته صلى الله عليه وسلم لكوننا لا ندرى أيرضى عنا أم يطردنا أم يغضب منا فهذا الحال هو الذى أوجب التلوين للوجوه دهشة من هيبته صلى الله عليه وسلم ثم مثل تلوين الوجوه بالدهش من الهيبة كأنما ألبست ألوانها الحرباء وهى المعروفة بتلونها * ثم قال رضى الله عنه

(وَدُمُوعٌ كَأَنَّمَا أَرْسَلَتْهَا * مِنْ جُفُونٍ سَحَابَةٌ وَطْفَاءُ)

قال ولنا بالمدينة دموع حين دخلناها كأن دموعنا فى انهمارها وعدم انقطاعها سحابة وطفاء والوطفاء هى المسترخية أو المتوقعة * ثم قال رضى الله عنه

(فَحَطَطْنَا الرِّحَالَ حَيْثُ يُحَطُّ الْــوِزْرُ عَنَّا وَتُرْفَعُ الْحَرْجَاءُ)

قال حين ذكر حاله بالمدينة من البكاء والدهش والدموع والانتحاب قال حططنا الرحال حينئذ والرحال جمع رحل وهو الشئ الذى يوضع على ظهور الابل والدواب قال حيث يحط الوزر عنا يعنى حين حططنا الرحال حيث يحط الوزر عنا يعنى يشير الى ما وقع فى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم ان المدينة تنفى الخبث عن صاحبها كما ينفى الكير خبث الحديد ومعنى ذلك انها موضع لغفر الذنوب ومعاملة الله عبده بالصفح والتجاوز قوله الحرجاء لغة فى حرج وقيل الحوجاء لغة فى الحاجة والحرجاء وهى صفة مبالغة وهى الصورة التى فيها الحرج والحرج هو شدة الضيق قال عمر رضى الله عنه ما كنت أعلم معنى الحرج فى القرآن حتى سألت يوما بعض رعاة العرب قلت له ما معنى الحرج عندكم قال لى هى السدرة الملتفة على عشبها حتى لا تجد الدواب الى أكل العشب منها سبيلا قال فعرفت معنى قوله تعالى ومن يرد الله أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا أراد عمر بهذا أن أنوار الهدى ترد من عند الله على القلب فلا تجد اليه سبيلا للدخول اليه لشدة ضيقه وجزعه من تلك الانوار فهذا هو الحرج قال تدفع عنا الحرجاء فى ذلك المكان بسبب حط الرحال هنالك * ثم قال رضى الله عنه

(و) كل نفس لها (جسوم) بضم جيم جمع جسم كفرس بدن الانسان تسيل وتفور بالماء (كأنما رحضتها) أى غسلت تلك الجسوم رحض كمنع (من) أى بما حل بالقلوب من (عظيم المهابة) بفتح الميم كالمخافة وزنا ومعنى (الرحضاء) بضم راء وفتح حاء العرق الكثير من شدة الخوف وحرارة (١١٧) القلب (و) كل نفس لها (وجوه) جمع وجه تتلون بألوان شتى لشدة القلق والخوف والتقصير والحياء (كأنما ألبستها) أى كست تلك الوجوه (من) أجل ما حل بها من (حياء) عظيم منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (ألوانها) أى الحرباء (الحرباء) بكسر حاء مهملة دويبة معروفة تستقبل الشمس وتتلون بألوان ما هى عليه من شجر وحجر (و) كل نفس لها (دموع) بضم دال جمع دمع بفتحها كثيرة السيلان والجريان من شدة البكاء والخوف والحزن على التقصير والتفريط فيما أمر الله به ونهى عنه (كأنما أرسلتها) أى تلك الدموع (من جفون) بضم جيم جمع جفن بفتحها غطاء العين أى من عيون الزائرين (سحابة) كغمامة وزنا ومعنى (وطفاء) بفتح واو أى كثيرة المطر ودائمته (و) لما وصلنا الى طيبة (حططنا) أى أنزلنا بساحته صلى الله عليه وعلى آله وسلم (الرحال) بكسر راء جمع رحل بفتحها ما يوضع على البعير من أمتعة المسافر أى والانتقال (حيث) أى المكان الذى (يحط) بضم تحتية وفتح حاء مبنى للمفعول أى ينزل ويغفر (الوزر) بكسر واو كالاثم وزنا ومعنى (عنا) معشر الزائرين بشفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم (وترفع) بضم فوقية وفتح فاء مبنى للمفعول وتزال (الحوجاء) بفتح حاء كالبأساء والضراء وزنا ومعنى وفى نسخة الحرجاء بالراء من الحرج الشدة والضيق

(وَقَرَأْنَا السَّلَامَ أَكْرَمَ خَلْقِ اللَّـهِ مِنْ حَيْثُ يُسْمَعُ الإِقْرَاءُ)

قال وحين حططنا الرحيل بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام و بعده قرأنا السلام وقراءة السلام هو التلفظ به جهرا وهى السنة و يصله السلام عليه الصلاة والسلام ولو تلفظ به صاحبه سرا تبلغها الملائكة ذلك فان لله ملائكة وكلهم الله بتبليغ الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم من كل مصل ومسلم أينما كان من بقاع الارض قال وقرأنا السلام أكرم خلق الله هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه أكرم مخلوق على الله تعالى وليس لله فى ملكه من كل ما أحاط به علمه مخلوق تبلغ رتبته رتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الله من العظمة والجلال والعلو والعز والكرم والشرف والمنزلة قوله من حيث يسمع الاقراء يعنى تلفظ السلام جهارا حيث يسمع ثم انه صلى الله عليه وسلم يسمع باذنيه صلاة أهل التخصيص عند الله تعالى وسلامهم عليه صلى الله عليه وسلم أينما كانوا من بقاع الارض والسر فى ذلك أن بين أرواح ذوى الخصوص و بين روحه الاعظم صلى الله عليه وسلم مواصلة نورانية وتلك الارواح مقرونة بروحه الشريف بسبب تلك النورانية بينهما وان بعدت أمكنتها ومن سواهم لم تكن لهم تلك النورانية التى تقتضى الوصلة فوكل الله ملائكة يبلغون اليه صلى الله عليه وسلم صلاتهم وسلامهم عليه صلى الله عليه وسلم وصفة السلام عليه صلى الله عليه وسلم هو ما فى الحديث حيث قالوا له حين نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قالوا كيف نصلى عليك ونسلم عليك قال أما السلام فكما علمتم فكان صلى الله عليه وسلم علمهم السلام عليه فى التشهد وهو السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وأما الصلاة على فذكرفيها كيفيات هى مذكورة فى كتب الحديث فلا نطيل بها هنا ❊ ثم قال رضى الله عنه وأرضاه

(وَذَهَلْنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ وَكَمْ أَذْ ❊ هَلَ صَبًّا مِنَ الْحَبِيبِ لِقَاءُ)

الذهول ههنا هو الغيبة عما كان حاضرا بيده وذهلنا عند لقائه صلى الله عليه وسلم والذهول عند لقائه صلى الله عليه وسلم هو الدهش الذى يوقع الشخص بين خوف ورجاء وطمع واياس بانه يريد من شدة شوقه وحبه مواصلة القبول منه صلى الله عليه وسلم له والاقبال عليه والفرح والسرور به و يتوقع مخافة الطرد والغضب منه صلى الله عليه وسلم لأجل ما وقع منه من سوء الادب ان علمه ومن سوء الادب الذى لم يكن فى علمه فهو لاجل هذا بين خوف ورجاء واياس وطمع والعيون تهمر بالدموع من افراط المحبة والشوق والقلوب ترتعد منه خوفا ووبالا أن يكون وقع منه من سوء الادب الذى يحسبه هينا وهو عند الله عظيم فهو بين هذه الامور ذاهل عن حالته لا يدرى ماذا يقع له منه صلى الله عليه وسلم قال الجوزى فى هذا المعنى ❊ بالباب يبكون والبكاء اذا كان خاليا من النفاق نفع ❊ تشفع فيهم دموعهم واذا شفعت دموع المتيمين شفع ❊ فبيناهم حيارى بين الخوف والجزع ❊ سكارى من شراب الاياس والطمع ❊ اذ بزغ لهم قمر السعادة من فلك الارادة فى جوانب قلوبهم ولمع ❊ وألبسوا خلع لكل خلعة علمان علم الكم الايمن سبقت لهم منا الحسنى وعلم الكم الايسر لا يحزنهم الفزع ❊ قوله وكم أذهل صبا والصب هنا هو المحب كل من صبا الى شئ فهو صب والصب هنا هو المحب له صلى الله عليه وسلم أذهله لقاؤه صلى الله عليه وسلم حتى غيبه عن شاهده ❊ ثم قال رضى الله عنه

(وقرأنا) بعد صلاة ركعتين فى الروضة (السلام) ورحمة الله وبركاته (أكرم) بنصب مفعول ثان أو بنزع الخافض أى على أفضل وأشرف (خلق الله) على الاطلاق باتفاق (من حيث) أى من المكان القريب لقبر الحبيب الذى (يسمع) بضم تحتية وفتح ميم مبنى للمفعول منا معشر الزائرين (الاقراء) بكسر همزة مصدر أقرأته السلام (وذهلنا) بفتح ذال معجمة وهاء كمنع وعلم أى غبنا عن احساسنا وغفلنا عن كل ما نحن بصدده (عند اللقاء) والوصول لحضرته صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعظمة وغلبة ما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال ونسمات ذلك الجمال المكرم (وكم) مرات (أذهل) أنسى وأغفل وغيب (صبا) بفتح صاد من الصبابة أى شديد المحبة والمودة (من الحبيب) متعلق بقوله (لقاء) بكسر لام مصدر لاقاه وواجهه

(ووجمنا) بفتح واو وجيم كوعد سكتنا وخرسنا عن الكلام فى تلك الحضرة السنية (من) أجل ما استولى علينا من عظيم (المهابة) بفتح ميم كالمخافة وزنا ومعنى والاجلال والبهاء والجلال (١١٩) (حتى لا) يسمع (كلام) بما نريده ونقصده (منا) معشر الواصلين لتلك الحضرة البهية (ولا) يوجد منا (إيماء) بكسر الهمزة اشارة الى ما نطلبه وهذا حال من استولت عليه الاحوال وغشيته الانوار من حضرة النبي المختار (ورجعنا) بعد نيل المقصود بزيارة سيد الوجود الى بلادنا (وللقلوب) أى ولقلوبنا من أجل فراق تربة الحبيب (التفاتات) بكسر همزة مصدر التفت الى الشئ أكثر من ميل وصرف وجهه اليه (اليه) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (وللجسوم) بضم جيم جمع جسم كضرس أى ولابداننا (انثناء) بكسر همزة ومثلثة مصدر انثنى أى انعطاف رغبة ومحبة فى البقاء فى تربة الحبيب (وسمحنا) بفتح ميم كمنع أى جدنا وتكرمنا (بما) أى بأحب كل شئ (نحبه) وهو التمتع بحضرة الحبيب دنيا وأخرى ولكن السنة الرجوع ولذا قال (وقد) للتقليل (يسمح) بفتح تحتية وميم يجود ويتكرم (عند) اشتداد (الضرورة) والاحتياج (البخلاء) جمع بخيل ضد كريم (ياأبا القاسم) اسم ولده من سيدتنا خديجة رضى الله عنهما وهذه الكنية مختصة به صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى حياته لحديث سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي (الذى) نعت للمضاف (ضمن) بكسر ضاد أى مضمون ومحصل مصدر أقسم حلف الآتى (عليه) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (مدح) خبر عن ضمن (له) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (وثناء) عطف تفسير

(وَوَجَمْنَا مِنَ المَهَابَةِ حَتَّى ۞ لَا كَلَامٌ مِنَّا وَلَا إِيمَاءُ)

وجم اذا دخل وجمته والوجمة هو المحل يستتر فيه الواجم بقول الناظم

ومن تكن برسول الله نصرته ۞ ان تلقه الاسد فى آجامها تجم

أى تجم خوفا منه لانه صلى الله عليه وسلم له هيبة منتشرة على محبيه يهابهم ويخافهم كل أحد فهذا هو الوجم قال ووجمنا عند لقائه صلى الله عليه وسلم يعنى استترنا وفررنا الى وراء خوفا منه ومهابة واجلالا له صلى الله عليه وسلم فهذا هو الوجم البيت ۞ ثم قال رضى الله عنه

(وَرَجَعْنَا وَلِلْقُلُوبِ الْتِفَاتَا ۞ تٌ إِلَيْهِ وَلِلْجُسُومِ انْثِنَاءُ)

قال رجعنا عنه صلى الله عليه وسلم بعد كمال الزيارة الى منازلنا وللقلوب وحال قلوبنا فى رجوعنا التفاتات اليه صلى الله عليه وسلم وللجسوم انثناء اى منثنية اليه بالالتفات قال بعض العارفين فى معنى البيت الذى قبل هذا

اشتاقه فاذا بدا ۞ اطرقت من اجلاله
لا خيفة بل هيبة ۞ وصيانة لجماله
وأصد عنه تجلدا ۞ وأروم طيف خياله
فالموت فى ادباره ۞ والعيش فى اقباله

۞ ثم قال رضى الله عنه

(وَسَمَحْنَا بِمَا نُحِبُّ وَقَدْ يَسْـمَحُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ الْبُخَلَاءُ)

قال عند لقائه صلى الله عليه وسلم سمحنا بما نحب اشتغالا به صلى الله عليه وسلم ثم ضرب مثلا فقال وقد يسمح عند الضرورة البخلاء لان البخيل لا يسمح فى شئ من ماله فاذا دعته الضرورة من خوف أو هلاك أو قضاء وطر سمح فى ماله وبذله كذلك هذا سمح فى كل شئ عند لقائه صلى الله عليه وسلم ۞ ثم قال رضى الله عنه

(يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي ضِمْنُ إِقْسَا ۞ مِي عَلَيْهِ مَدْحٌ لَهُ وَثَنَاءُ)

ثم انتقل بعد تغزله فى ندائه صلى الله عليه وسلم اما استغاثة به واما أن ينبهه لقضاء حاجته قال ياأبا القاسم وهو كنية بولده القاسم معلوم مشهور من أولاد خديجة رضى الله عنها ثم عطف على مدحه قال فى وصفه أنت الذى ضمن اقسامى أى اذا أقسمت عليه لقضاء حاجتى وتبليغ مرادى هو ثناء عليه صلى الله عليه وسلم ومدح له لانه صلى الله عليه وسلم من كمال وصفه التصرف فى جميع أحوال العالم جملة وتفصيلا جواهر واعراضا ولوازم وملزومات فاى أمر أراده صلى الله عليه وسلم تصرف فى قضائه بلا منازع ونفذ فيه حكمه صلى الله عليه وسلم فهذا هو المدح الذى أراده بهذه الصفة ۞ ثم قال رضى الله عنه

(بالعلوم) أى أقسم عليك وأتوسل اليك بما أوتيته من العلوم الظاهرة والباطنة (التى) أنزلت (عليك من) عند (الله) تعالى (بلا كاتب) أى بلا واسطة بعلمها عليك (لها) أى لتلك العلوم (املاء) (١٢٠) بكسر همزة مصدر أمليت عليه الكتاب أفتيته له (و) أقسم عليك وأتوسل اليك يا أبا القاسم بما أوتيته من (مسير) بفتح ميم أى مشى (الصبا) بفتحتين ريح تهب من مطلع الثريا (بنصرك) أى بسبب نصرك والقاء الرعب فى قلوب أعدائك (شهرا) أى مسافة شهر فى كل ناحية من نواحى مدينته لحديث نصرت بالرعب مسيرة شهر (فكأن) هذه (الصبا لديك) أى عندك يا أبا القاسم (رخاء) بضم راء اسم الريح المسخرة لسيدنا سليمان غدوها شهر ورواحها شهر على نبينا وعليه الصلاة والسلام (و) أقسم عليك

(فكأن) هذه (الصبا لديك) أى عندك يا أبا القاسم

(بِالْعُلُومِ الَّتِي عَلَيْكَ مِنَ اللّٰــهِ بِلاَ كَاتِبٍ لَهَا إِمْلاَءُ)

ثم أخذ يعدد تصاريفه فى العالم على ما ذكر أولا فقال بالعلوم التى عليك من الله يعنى أمدحك بها الباء هنا اما سببية أو للملازمة أمدحك بالعلوم التى عليك من الله أى بعلمها عليك سبحانه وتعالى والاملاء ههنا هو فى اللغة ما يخرج من الكلام والاملاء عليه صلى الله عليه وسلم فى هذه الحضرة تارة يكون باملاء الحق عليه اما بالكلام الذاتى واما بالمكالمة التى يدعها العارفون واما بالفيض الاقدسى مما يقتضيه ضرورة المقام أو من فيض النفحات الاقدسية أو من فيوض الواردات الالهية أو من مراتب الصفات والاسماء وكلها امتلاآت من الحق سبحانه وتعالى عليه وحقيقة الاملاء هو القاء المعانى فى الكلام من المملى الى المملى عليه * ثم قال رضى الله عنه

(وَمَسِيرِ الصَّبَا بِنَصْرِكَ شَهْرًا * فَكَأَنَّ الصَّبَا لَدَيْكَ رُخَاءُ)

قال ومن جملة تصاريفك فى العالم وكراماتك العليا قال سارت الصبا والصبا هى الريح الشرقية سمتها العرب صبا لانها تهب فى باب الكعبة لان باب الكعبة مشرق كما سموا الريح الغربية دبورا لانها تأتى من دبر الكعبة يقول صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور ومسير الصبا بنصرك شهرا فكان الصبا لديك رخاء والرخاء هى الريح الممتدة الدائمة السير وسميت الرخاء لان الرخاء هو البسط فهى دائمة السير لرخاوتها وضدها القبض وهو انقباض الريح عن الشئ يقول سبحانه وتعالى فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء يعنى مرخوة السير لا تنقبض عنه أبدا الا اذا وصل المحل الذى يريده قال سارت

قال ومن جملة تصاريفك فى العالم وكراماتك العليا قال سارت الصبا والصبا هى الريح الشرقية سمتها

(و) أقسم عليك وأتوسل اليك أيضا (ب) جاه (ريحانتين) أي بريحانتيك سيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضى الله عنهما الحديث ان ابنى هذين ريحانتاى من الدنيا (طيبهما) الحسى والمعنوى (١٢١) مبتدأ خبره (منك الذى) نعت لريحانتين بمعنى اللذين على حد وخضتم كالذى خاضوا (أودعتهما) بضم همزة وفتح دال مهملة مبنى للمفعول من الايداع وهو وضع الشئ على وجه الوديعة (الزهراء) سيدتنا فاطمة رضى الله عنها رعنا بها آمين سميت بذلك لانها لا تحيض (كنت) يا أبا القاسم دائما (تأويهما) بفتح فوقية من أوى كرمى وفى نسخة بضمها من آوى تضمهما (اليك) أى الى صدرك لشدة محبتك لهما وشفقة عليهما لما روى البخارى عن الحسن رضى الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يأخذ بيدى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسين على فخذه الاخرى ويضمنا اليه ثم يقول اللهم انى احبهما فاحبهما واحب من يحبهما (كما) ما مصدرية (آوت) بمد الهمزة لغة فى أوى كرمى أى ضما مثل ضم الياء التى هى (من الخط) أى من حروف الهجاء (نقطتيها) أى الياء تثنية نقطة بضم نون كغرفة معروفة (الياء) فاعل آوت وخصت من بين حروف الهجاء لانها خاتمتها كما كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاتم الانبياء (من شهيدين)

قال لما تفل صلى الله عليه وسلم بعينيه غدا ناظرا بعينى عقاب والعقاب واحد من الطير معروف وان عينيه فى غاية الصفاء وادراك بصره أمر غريب يعنى صحت عيناه وصح بصره حتى صارت كأنها عين العقاب قال فى غزوة خيبر لها العقاب لواء والعقاب عند العرب هى من أسماء الراية ❁ ثم قال رضى الله عنه

(وَبِرَيْحَانَتَيْنِ طِيبُهُمَا مِنْكَ الَّذِي أُودَعَتْهُمَا الزَّهْرَاءُ)

ثم قال وظهرت كرامات بوجود الريحانتين وهما الحسن والحسين رضى الله عنهما يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم هما ريحانتاى من الدنيا والريحان معلوم وهى الازهار التى لها روائح ذكية عطرية قال طيبهما منك يعنى هذه الرائحة العطرية التى تشم منهما انما هى منك بالذات لا بالشغل يشير بهذا الى قوله صلى الله عليه وسلم كنت وعلى نورا بين يدى الله تعالى ثم أودعنا فى صلب آدم فلم يزل ينقلنا من صلب الى صلب الى عبد المطلب فخرجت فى عبد الله وخرج فى أبى طالب ثم اجتمع نورنا فى الحسن والحسين فهما نوران من نور رب العالمين فلذا اكتسبا منه الطيب الذاتى بمعنى انهما جزآن من ذاته ليس كغيرهما من بنى هاشم ولا من قريش حتى حكى عن مالك رضى الله عنه قال أما انا فلا أفضل أحدا على بضعته صلى الله عليه وسلم يشير الى ما اجتمعت عليه الامة من تفضيل أبى بكر على فاطمة رضى الله عنها أخبر عن نفسه أنه لا يقول بذلك وسكت ثم قال وظهرت كراماتك بما أظهرت فى الحسن والحسين وهما المرادان بالريحانتين اللذين أودعتهما الزهراء فانهما خرجا من بطنها رضى الله عنها وعنهما وظهر تخصيصه لها صلى الله عليه وسلم حين انزل الله عليه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فهنالك صلى الله عليه وسلم جمع فاطمة وعليا والحسن والحسين وهو معهم صلى الله عليه وسلم واشتملت عليهم كساء واحد وهو معهم صلى الله عليه وسلم فى الكساء فقال صلى الله عليه وسلم حينئذ ❁ اللهم هؤلاء أهل بيتى فطهرهم تطهيرا لخصهم بذلك دون أهل البيت كلهم ويؤيد ما قال مالك بعدم تفضيل أبى بكر على فاطمة انه صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما يعنى على فاطمة فوجد الحسن والحسين بين يديها وعليا هنالك نائما ناحية فقال صلى الله عليه وسلم انك وهذين وذلك النائم معى فى درجة واحدة فى الجنة ولم يكن هذا لاحد من النبيين والمرسلين فضلا عن غيرهم ❁ ثم قال رضى الله عنه وأرضاه

(كُنْتَ تُؤْوِيهِمَا إِلَيْكَ كَمَا آوَتْ مِنَ الْخَطِّ نُقْطَتَيْهَا الْيَاءُ)

قال كنت تأويهما اليك يشير الى انه صلى الله عليه وسلم كلما التقى واحدا منهما ضمه الى صدره كما آوت الخط نقطتيها الياء كما ان الياء لا تنفصل عن نقطتيها كذلك هو صلى الله عليه وسلم مع الحسن والحسين ❁ ثم قال رضى الله عنه

(مِنْ شَهِيدَيْنِ لَيْسَ يُنْسِينِي الطَّفُّ مُصَابَيْهِمَا وَلَا كَرْبَلَاءُ)

قال من شهيدين قوله من هى مفرعة على محذوف تقديره فا كرم بهما وأعظم بهما من شهيدين ليس

(١٦ - ارشادات) تثنية شهيد وهو من قتل فى المعركة فى سبيل الله بيان لريحانتين أما شهادة سيدنا الحسن فقد سمته زوجته جعدة الكندية باذن يزيد وأما شهادة سيدنا الحسين فقد قتله بنو زياد باذن يزيد (ليس ينسينى) بضم تحتية وكسر نون الوقاية وفتح ياء المتكلم من انساه (الطف) بفتح طاء اسم موضع قرب الكوفة (مصابيهما) بضم ميم تثنية مصاب بمعنى المصيبة أى مصيبتهما (ولا كربلاء)

بفتح كاف وموحدة اسم موضع من الطف قرب الكوفة به قتل سيدنا الحسين رضى الله عنه (ما) نافية (رعى) كسعى حفظ (فيهما) أى فى ريحانتيك (ذمامك) بكسر ذال معجمة أى حرمتك وقرابتك (مروس) التابع لغيره والرعية بجمدة فى سيدنا الحسن وابن زياد ومن معه فى سيدنا الحسين (وقد خان) من الخيانة ضد (١٢٢) الامانة خالف ونكث ونقض (عهدك) الذى وجب الوفاء به على كل أحد فى قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى (الرؤساء) جمع رئيس كيزيد وولاته (أبدلوا) أى من ذكر من الرؤساء والمرؤسين (الود) بتثليث الواو المودة بالبغض والكراهة (و) أبدلوا (الحفيظة) الحفظ والنصر بالايذاء وسفك الدماء (فى القربى) بضم القاف كفضلى أى فى قرابته صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهم أهل بيته (وأبدت) أظهرت (ضبابها) بكسر ضاد جمع ضب والمراد به اليربوع والهاء لما بعده وفى نسخة ضبابها بفتح ضاد سحاب دقيق يغطى الارض اول النهار ثم يزول (النافقاء) احدى جحرتى اليربوع يكتمها ويظهر غيرها والاخرى تسمى بالقاصعاء فاذا أوتى منها ضرب النافقاء برأسه وخرج منها وهرب فكذلك أهل الكوفة أظهروا النصر والحماية لسيدنا الحسين فلما التقى مع عدوه خذلوه وتركوه وهربوا وكانوا من جملة عدوه وعلى نسخة ضبابها بالفتح فالمراد بالنافقاء المنافقون

ينسبنى البيت أشار بهذا الى انهما مقتولان معا أما الحسن فقتله اليزيد بن معاوية وذلك انه بعث الى زوجته ان سقته سما قاتلا أعطاها مائة الف فسقته سما قاتلا عليها وعليه لعنة الله فهذا الشهيد الاول والشهيد الثانى السيد الحسين قتل بالطف من كربلاء وهو مكان مشهور بساحل الفرات من ناحية العراق وهنالك قتل فى خمسمائة رضى الله عنه وأرضاه فيهم ثلاثة وثمانون من بنى هاشم منهم سبعة عشر من أولاد على رضى الله عنه والقضية مشهورة لا نطيل بذكرها والطف هو مكان خاص بكربلاء فيه قتل رضى الله عنه قتله عسكر اليزيد أميره عبيد الله بن زياد وهو الذى بعث الجيش الى الحسين ليقاتلوه فقتلوه قتله الشمر بن ذى الجوشن عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين واحتز رأسه خولى بن ذى أصبح الحميرى وجاء برأسه الى عبيد الله بن زياد ريد بذلك الدنيا عليه لعنة الله فلما وضع الرأس بين يديه أنشده قال له

أوقر ركابى فضة وذهبا * انا قتلت الملك المحببا

أكرم خلق الله أما وأبا * وخيرهم اذ يذكرون حسبا

فقتله ابن زياد من حينه بغضا المدحه * ثم قال رضى الله عنه

(مَارَعَى فِيهِمَا ذِمَامَكَ مَرْؤُ * سٌ وَقَدْ خَانَ عَهْدَكَ الرُّؤَسَاءُ)

قال أخبر عن قتلهما رضى الله عنهما قال ما رعى ذمامك والذمام هى الحرمة ما رعى حرمتك فيهم مروس وهو الذى عقدت له العامة الرياسة وقد خان عهدك الرؤساء الذين كانت لهم الرياسة فى ذلك الوقت من قبل اليزيد خانوا عهد النبى صلى الله عليه وسلم فى قتل ولديه عليهم لعنة الله آذوا النبى صلى الله عليه وسلم بقتل ولديه ولا اذاية أعظم من ذلك وقد قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة الآية * ثم قال رضى الله عنه

(أَبْدَلُوا الوُدَّ وَالحَفِيظَةَ فِى القُرْ * بَى وَأَبْدَتْ ضِبَابَهَا النَّافِقَاءُ)

قال أبدلوا الود والنصيحة فى القربى وهى ما افترضه الله عليهم فى كتابه فى قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى قال أبدلوا الود والنصيحة الخ بالبغض والعداوة وأبدت ضبابها النافقاء الضباب(١) ههنا هو الفائض من الارض صباحا يغطى الارض ويعمى مسالكها فلا يهتدى به أحد الى مسلك فشبه الحقد الثائر من صدورهم حين غطى عليهم متابعة الحق بعدم ودهم لقرابته صلى الله عليه وسلم والغرق فى بحر عداوتهم وذلك بسبب الحقد الثائر من صدورهم حتى فعلوا باهل البيت ما فعلوا من القتل وغيره فشبه الحقد الثائر من صدورهم بالضباب الثائر من الارض الخ قوله وأبدت ضبابها النافقاء وهو جمع منافق وهو معدول به عن المنافقين وأداه الى هذا العدل ضرورة الوزن والقافية * ثم قال رضى الله عنه

---

(١) قوله الضباب بفتح كسحاب اهـ

(وَقَسَتْ مِنهمْ قلوبٌ عَلَى مَنْ * بكَتِ الأرضُ فَقدَهمْ والسَّماءُ)

يعنى قست عن مراعات الحق والخوف من الله تعالى فيما اقتحموه من طرق الهلاك والباطل فكانوا بذلك متصبين بعداوة الله ورسوله فقد روى عن السدى رضى الله عنه انه جلس بين يديه رجل يسأله عن أمر وكان ذلك الرجل تثور منه رائحة القطران نورا ناشدا فسأله السدى فقال له ماهذه الرائحة فيك أصنعتك القطران فقال الرجل لا قال فاهذه الرائحة قال له كنت فى العسكر الذى صار الى قتال الحسين وما كانت نيتى قتاله ولاحار بته ولا الاعانة عليه انما كنت فقيرا كان عملى صنعة الاوتاد أبيعها وأتقوت منها فلما صار العسكر لقتاله صحبتهم لابيع لهم الاوتاد فقط فازلنا كذلك حتى قتلوه ففى ليلة بينا انا نائم اذ دخلت مسجدا فوجدت فيه الرسول صلى الله عليه وسلم واضعا يديه على ناظر يه مطرقا ظاهرة عليه صورة الكرب والحزن صلى الله عليه وسلم وعلى قائم على رأسه يسقى رجالا من الماء الصافى العذب وهم الذين قتلوا مع الحسين رضى الله عنهم قال فاشتد بى الكرب من العطش فسألت عليا ان يسقينى فابى فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمره ان يسقينى فقال لى صلى الله عليه وسلم ألست ممن أعان علينا فقلت يارسول الله والله ماخرجت لقتال ولا حرابة ولا إعانة انما كانت حرفتى صنعة الاوتاد أتقوت منها فتبعتهم لابيع لهم الاوتاد فقط فقال صلى الله عليه وسلم لعلى اسقه قطرانا فاعطانى قطرانا فشربته من شدة العطش فلما استيقظت وجدت رائحته فى فمى من ذلك الوقت الى الآن ما فارقتنى رائحته فقال له السدى كل من خبز البر واشرب من ماء الفرات ما أراك تعاين محمدا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة والحاصل ان أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتلوا ببنى أمية حتى فعلوا فيهم مافعلوا كما ابتليت بنو اسرائيل بالقبط وهم أهل بيت ابراهيم عليه الصلاة والسلام سواء بسواء * ثم قال رضى الله عنه

(فابكهمْ ما استطعتَ إنَّ قليلاً * فى عَظيمٍ مِنَ المُصابِ البُكاءُ)

قال ابكهم ما استطعت يعنى مادمت تطيق البكاء فابك عليهم أى على الحسن والحسين ومن قتل معهم والبكاء على العظيم هو أقل قليل من المصاب * ثم قال رضى الله عنه وأرضاه

(كلُّ يومٍ وكلُّ أرضٍ لِكَرْبِى * مِنهمْ كَرْبلا وعاشوراءُ)

أخبر عن صدق محبته فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الحبيب يكربه ما يكرب محبوبه ويصيبه ما أصابه من الحزن والكرب لمكان صدق المحبة فأخبر عن صدق محبته وتجديد كربه فى كل محل وفى كل وقت بل كل محل عنده كربلا وقد تقدم التعريف بها * قوله وعاشوراء يعنى كل وقت عندى عاشوراء لان الحسين رضى الله عنه قتل يوم عاشوراء وقد روى عن الحسين انه حين وصل الى كربلاء ورأى جنود بنى أمية تلاحقت له فسأل عن اسم المكان فقيل له كربلاء فقال دار كرب وبلاء لقد مررت مع أبى بهذا المكان وهو سائر الى صفين فلما وصل على الى هنا قال ههنا مهراق دمائهم وههنا محط ركابهم فقيل له وماذاك ياأمير المؤمنين فقال رجال من أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم يذبحون فى هذا المكان فقاتلوا حتى قتلوا * ثم قال رضى الله عنه

من) أى على سيدنا الحسين ومن قتل معه من أهل البيت وغيرهم (بكت) بكاء عويلا واسودت (الارض) أى نواحيها كالليل المظلم (فقدهم) منصوب بنزع الخافض أى على فقد أعمالهم وعلى موتهم (والسماء) أيضا على فقدهم واذا سمعت مافعل بأهل البيت (فابكهم) أى فابك عليهم بكاء عويلا (ما) ظرفية مصدرية (استطعت) قدرت وقويت (ان) بكسر همزة وفتحها لانها فى قوة التعليل جزاء (قليلا فى) حق (عظيم من المصاب) أى من المصيبة العظيمة (البكاء كل) برفع مبتدا خبره عاشوراء (يوم) أصبحت فيه حسبته وظننته انه عاشوراء (وكل) برفع ايضا خبره كربلا (أرض) أتمت ومكثت فيه حسبته أيضا انه كربلاء (لكربى) أى لاجل ماحصل لى من شدة الكرب والغم والحزن (منهم) أى من أجل مافعل بأهل البيت من الايذاء والقتل والاسر وقطع رأس سيدنا الحسين (كربلا) بفتح كاف وهو حد مقتل الحسين ومن معه من آل البيت بالطف كامر راجع لكل أرض (وعاشوراء) راجع

لكل يوم على اللف والنشر المعكوس يا (آل) أي أهل (بيت النبي) المفعول بهم ما ذكر (ان فؤادي) أي قلبي (ليس يسليه) بضم تحتية وكسر لام من أسلاه صبره وحمله على الصبر (عنكم) عن حزنكم والبكاء على ما فعل بكم (التأساء) بفتح فوقية وسين مهملة التعزية والحمل على الصبر (غير) أي الا (أني) بفتح همزة (فوضت) بفتح واو مشددة من التفويض القسليم والتوكيل (امري) شأني وحالي في ذلك (الى الله) العليم الحكيم الفاعل لما يشاء في خلقه (١٢٤) لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (وتفويضي) بفتح ياء المتكلم أي وتسليمي جميع (الامور) في الكون كله للحي القيوم الفعال لما يريد (براء) بفتح موحدة كسماء أي تبرئة مني من الاعتماد على شيء من الحول والقوة (رب) للتقليل (يوم) مجرور برب (بكر بلاء) بفتح كاف وموحدة كما (مسيء) برفع خبر لي ولكل مؤمن باعتبار ما وقع فيه من قتل آل البيت (خففت) من التخفيف ضد التثقيل عن قلبي وعن كل مؤمن (بعض وزره) بكسر واو كثقل وزنا ومعنى أي حزن وغم ذلك اليوم (الزوراء) بفتح زاي معجمة اسم مدينة بناها المنصور العباسي وهي بغداد القديمة والمراد السا كنون بها من خلفاء بني العباس (والأعادي) بفتح همزة جمع أعداء جمع عدو لله ولرسوله ولكل مؤمن قد قطعت رؤسهم وطرحت أجسادهم على الارض (كأن كل طريح)

(آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ إِنَّ فُؤَادِي * لَيْسَ يُسْلِيهِ عَنْكُمُ التَّأْسَاءُ)

قال يا آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ان فؤادي والمراد به ههنا القلب ليس يسليه عنكم يريد عن تذكار كربكم والحزن لحزنكم ليس يسليه عنكم التأساء وهي المكروب يعني المكروب التي تحل بي لا تسليني عن تذكار كربكم والحزن لحزنكم * ثم قال رضي الله عنه

(غَيْرَ أَنِّي فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى اللّهِ وَتَفْوِيضِي الأُمُورَ بَرَاءُ)

قال آل بيت النبي غير اني فوضت أمري الى الله من حولي وقوتي لما لم أجد طاقة ولا حيلة فاني لو وجدت طاقة أو حيلة لفعلت باعدائكم الذين انتهكوا حرمتكم ما يستحقونه من الهلاك فلما لم أجد حيلة ولا طاقة فوضت أمري الى الله تعالى وتفويضي الامر ههنا فيما يريد أن يعاقب به أعداء أهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم فانه هو الذي يقدر على الانتقام منهم ويجازيهم بعقوبته بما يحق لهم من النكال والهوان * ثم قال رضي الله عنه

(رُبَّ يَوْمٍ بِكَرْبَلاَءَ مُسِيءٍ * خَفَّفَتْ بَعْضَ وِزْرِهِ الزَّوْرَاءُ)

قال رب يوم أتى بها للتقليل معناه رب يوم واقع من كربلاء خففت بعض وزره الزوراء * الزوراء هنا هي بغداد يشير الى ما حل بها ببني أمية حين نزلها العباسيون حيث أفضت المملكة اليهم فكانوا يقتلون كل من وجدوه من بني أمية في جميع البلاد فلم يبق الا ما كان مختفيا الا ما كان من ولد عمر بن عبد العزيز فانهم لم يكسروا لهم حرمة وغيرهم من بني أمية لم يبق الا من لا يعرف فهذا هو الذي يشير اليه * ثم قال رضي الله عنه

(وَالأَعَادِي كَأَنَّ كُلَّ طَرِيحٍ * مِنْهُمُ الزِّقُّ حُلَّ عَنْهُ الْوِكَاءُ)

لما أخبر عن ما حل بهم أعني بني أمية حين نزل العباسيون ببغداد قال والاعادي الواو واو الحال والحال أن الاعادي هنا في هذه الوقعة من كثرة قتلهم وتركهم بلا دفن على وجه الارض مقتولين فعلوا بهم مثل ما فعلوا بهم في يوم الحسين وصار كل قتيل كالزق والزق هي القربة العظيمة المملوءة بالماء أشار بهذا الى انهم قتلوهم وتركوهم بلا دفن فانتفخوا كالزق ثم بعد انتفاخهم ينفجرون من شدة الدم والقيح فيزول الانتفاخ ويتحطم الجسد * ثم قال رضي الله عنه

(آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طِبْتُمْ فَطَابَ الْمَدْحُ لِي فِيكُمْ وَطَابَ الرِّثَاءُ)

أي مطروح على الارض ومقتول (منهم) باشباع الميم أي من الاعادي (الزق) بكسر زاي معجمة جلد غير منتوف منتفخ ملقى على الارض قد (حل) بضم حاء مبني للمفعول أي انفتح (عنه) أي عن ذلك الزق (الوكاء) بكسر واو ككساء ما يشد به الزق من خيط وغيره يا (آل بيت النبي طبتم) حسا ومعنى وأصولا وفروعا بطيبه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (ف) بسبب ذلك (طاب) زكا ولذ (المدح) أي ذكر أوصافكم الجميلة ونعوتكم الجليلة (لي فيكم) باشباع الميم (وطاب) زكا ولذلي (الرثاء) بكسر الراء وفتح مثلثة تعداد محاسنكم ومكارمكم

(أنا) فلان (حسان مدحكم) والذب والمنافحة عنكم مثل سيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه الذى كان يذب وينافح عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعداءه (فاذا نحت) بضم نون كقلت أى رفعت صوتى بالبكاء تحزنا وتحسرا (عليكم) أى على مصيبتكم (فانى) فى ذلك النوح والتحزن والتحسر عنكم مثل (الخنساء) بفتح (١٢٥) خاء معجمة اسم أخت صخر بن عمرو رضى الله عنها فى نوحها وتحزنها على أخيها صخر وتعداد محاسنه بعد موته (سدتم) بضم سين كقمتم وزنا ومعنى وفضلتم جميع (الناس) عربا وعجما بهذا النسب الشريف الذى ما وراءه وراء و (بالتقى) زيادة على هذا النسب العظيم (وسواكم) أى وغيركم ممن لا حظ له فى هذا النسب العظيم واتباع سنة النبى الكريم انما (سودته) أى صيرته سيدا فى الظاهر (البيضاء) الفضة الخالصة (والصفراء) الذهب (و) أقسم عليك وأتوسل اليك (ب) جاه جميع (أصحابك) رضى الله عنهم وعنا بهم آمين (الذين هم) باشباع الميم (بعدك) أى بعد وفاتك (فينا) معشر المؤمنين متعلقان بقوله (الهداة) بضم هاء جمع هاد أى الدالون والمرشدون للمؤمنين على الله تعالى وعلى دين الاسلام لحديث أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم (والاوصياء) بفتح همزة جمع وصى أى الذين وصيتهم بأمور المسلمين

قال يا آل بيت النبى طبتم والطيب عند العرب هو الكريم والكريم هو الذى جمع مكارم الاخلاق وطاب القول لى فيكم يعنى صار قولى فيكم وهو المدح لا يذمه أحد والرثاء هو البكاء بحزن على ميت بصياح أو شعر * ثم قال رضى الله عنه

(أنا حسَّانُ مَدْحِكُمْ فإذا نُحْـتُ عليكُمْ فإنِّى الخَنْساءُ)

قال حين مدحتكم فأنا حسان مدحكم شبه نفسه بحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يمدحه صلى الله عليه وسلم ويمدح أصحابه ويهجو قريشا حين كفروا به فكما كان حسان فى مدحه صلى الله عليه وسلم وهجوه فيمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنا فى مدحكم وهجوى لمن عاداكم * قوله فاذا نحت عليكم فانى الخنساء معناه اذا مدحتكم وأثنيت عليكم فانى فى منزلة حسان بن ثابت واذا نحت عليكم لاجل ما حل بكم من الكرب والبلاء فانى الخنساء فى نوحها على أخيها صخر والخنساء ههنا هى امرأة معلومة من بنى سليم كانت شاعرة عظيمة أدركت الرسول صلى الله عليه وسلم وآمنت به وكان أخوها صخر قد توفى قبل ذلك فكانت ترثيه بالاشعار الكثيرة وتبكى عليه متحزنة وهى مشهورة * ثم قال رضى الله عنه

(سُدْتُمُ النَّاسَ بالتُّقَى وسِوَاكُمْ * سَوَّدَتْهُ البَيْضَاءُ والصَّفْرَاءُ)

السودد هو العلو والشرف على الغير وهو المسود يعنى انكم شرفتم وعلوتم بعلو رتبتكم على الناس من أجل تقواكم وسواكم من عوام الناس لم يسد بالتقوى انما سودته البيضاء والصفراء يعنى الذهب والفضة * ثم قال رضى الله عنه

(وبأصحابِكَ الَّذِينَ هُمُ بَعْـدَكَ فِينَا الهُدَاةُ والأَوْصِيَاءُ)

قال وظهرت كراماتك بأصحابك الذين هم فينا الهداة والأوصياء فانهم هداة الامة ظاهرا وباطنا ومن حاد عن سبيلهم طرد ولعن قال هم الهداة نقتدى بهم فى أمر الله تعالى والاوصياء يعنى وهم فينا الاوصياء قد أوصاهم صلى الله عليه وسلم بالجهاد فى فتح البلاد واظهار العزم فى تبليغ أمور الدين وحفظ أمر الامة * ثم قال رضى الله عنه

(أحْسَنُوا بَعْدَكَ الخِلافَةَ فى الدِّيـنِ وكُلٌّ لِمَا تَوَلَّى إزاءُ)

أخبر عن الصحابة قال أحسنوا بعد النبى صلى الله عليه وسلم الخلافة فى الدين حفظا ومحافظة أما الحفظ فهو الاحاطة بأمر الغير والسعى فى مصالحه ودفع الفساد والشر عنه فانهم حافظوا على أمر الامة حفظوا أمر الامة والاحاطة بدينها بكتابتهم للقرآن وضبط أحواله من تطرق الفساد اليه وتبليغ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ما سلكوا من الأرض وتقرير قواعد الدين وشرائعه وشعائره وجهاد من كفر بالله تعالى وحياطة أهل الايمان بحماية ثغورهم واماطة الفساد

وبدين الاسلام (أحسنوا) رضى الله عنهم فى أوصيتهم به وامتثلوا ما أمرتهم به (بعدك) أى بعد وفاتك وقاموا بأمور (الخلافة) عنك (فى الدين) أى وقاموا بأمر دين الاسلام فى النصيحة والتبليغ والارشاد (وكل) أى وكل واحد منهم رضى الله عنهم (لما تولى) من الخلافة وأمور الدين (ازاء) بكسر همزة أى أهل له ومستحق له لعدالته

عن طرقهم والسعي في تقويم معاشهم والحرص على اقامة أمر دينهم واقامة الحدود والنكال على من خرج عن قواعد الدين منهم واعطاء العدل والاحكام حقها حتى صار الدين في الأرض كالشمس الضاحية فهذه هي خلافتهم في حفظ أمر الامة وأما محافظتهم على الدين فانقطاع قلوبهم إلى الله تعالى ومحو كل ماسواه منها بضبط الاوقات عن الاهمال ومعرفة مايختص به كل وقت من مراعاة الحقوق الالهية التي هي للحق محض من حيث هو والتي هي من حقوق خلقه وعدم مسامحة نفوسهم في السهو عن الله طرفة عين فهم أبدا غرقى في بحار التوحيد دائما يتقلبون من أمواج بحور المعارف فهذه الامور حافظوا على تكميل دينهم واقامتهم بالحقوق الالهية فهذه هي الخلافة الكاملة التي استخلفهم فيها صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضي الله عنه وكل منهم لما تولاه من أمور الدين ازاء والازاء هي المحاذات للشيء أخبر انهم دائما مقترنون بضبط الدين وعدم مفارقتهم له بوجه من الوجوه * ثم قال رضي الله عنه

(أَغْنِيَاءُ نَزَاهَةً فُقَرَاءُ * عُلَمَاءُ أَئِمَّةٌ أُمَرَاءُ)

قال في وصفهم يعني الصحابة أغنياء لا بعرض الدنيا تنزها منهم عنها وهم فقراء منها فهذا هو الغني الكامل وسبب هذا الغنى فيهم انهم لما غرقوا في بحار التوحيد أشهدهم الله تعالى أحكامه الازلية التي نفذت بها المشيئة الربانية في الاعطاء والمنع والجلب والدفع والضر والنفع لكل فرد من الوجود من الازل الى الابد يجري على وتيرة واحدة لا تتخلف في ذرة من الذرات * ولما علموا هذا غرقوا في بحار الرضا والتسليم لامر الله تعالى والاستسلام للاحكام الالهية علما منهم انهم إن نافروا شيئا من ذلك قليلا أو كثيرا كان من أعظم الجهل بالله ولم تكن لتلك المنافرة افادة لا دافع لما نفذت به المشيئة الربانية فبهذا الامر استغنوا عن عرض الدنيا وشرها ومن ذلك صفو اليقين بحيث أن ما أراده الحق فيهم من وجوه الخير لا دافع له سعوا فيه أو لم يسعوا وما حكم به فيهم من وجوه الضرر لم تنفعهم حيلة في صرفه فلما شربوا صفو هذا اليقين استغنوا في غاية فقرهم فهم في الظاهر فقراء وفي الباطن أغنياء متنزهون عن الاغراض الدنيوية وان لم يكن في أيديهم منها شيء قال علماء أئمة أمراء قال وصفهم بالعلم والعلم الذي قررناه آنفا الذي أعطاهم صفو اليقين فهذا هو العلم الثابت الذي لا يتزلزل ولا يخشى على صاحبه ثم بعد كونهم علماء أئمة أيضا يعني أئمة يقتدى بهم في هذا العلم ومن اقتدى بهم كان على بصيرة لقوله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أخبر في هذا الحديث صلى الله عليه وسلم أن الله عصم أصحابه من جميع طرق الضلال ومتابعة النفس والشيطان بما ملأهم به من العلم والهدى ثم ان هذا وان كان كما قلناه لا ينتفي عنهم بعض الملمات أو الوقوع في بعض الهفوات فانه لا عصمة لاحد من هذا ثم ان أكثر أحوالهم كمال الطهارة من متابعة النفس والشيطان فلقد روي عن علي رضي الله عنه في يوم قتاله في صفين قال أصحابه رأيناه يضرب مرات ثم يقف هنيئة ثم يعود الى الضرب فسألوه عن ذلك فقال أقاتل لله تعالى فأخاف أن تصدر مني ضربة لغير الله تعالى فأقف هنيئة حتى أصحح القصد ثم أرجع الى القتال ثم قال أمراء يعني في حالهم مثل الامراء كل منهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والذب عن فساد الدين وحياطة مصالحه كأنه فيها أمير وبهذا أثنى الله عليهم في الكتاب بقوله سبحانه وتعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون

هم (أغنياء) ظاهرا (نزاهة) بنصب تمييز أي من أجل نزاهتهم وطهارة قلوبهم من حب الدنيا وتعففهم عن جمعها أو برفع خبر لمحذوف أي هم ذوو نزاهة وطهارة وعفة هم (فقراء) باطنا كما قال تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف الآية هم (علماء) ومصابيح الدين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده هم (أئمة) وحجة في أمور الدين هم (أمراء) بالفعل لمن تولى منهم الامارة وبالقوة لمن لم يتولها

بالمعروف الآية * ثم قال رضى الله عنه

(زَهِدُوا فى الدُّنَى فما عُرِفَ المَيْــلُ إليها منهم ولا الرُّغباء)

الدنى جمع دنيا وهو الامر الدنى زهــدوا فيها لدناءتها لم يبالوا منها لا بقليــل ولا بكثير فقد روى عن ضرار بن الازور وكان صاحب على لما صفت الخلافة لمعاوية واجتمع الناس على خلافته دعا يوما ضرار بن الازور فقال له صف لى عليا وأوجز فقال له أعفنى يا أمير المؤمنين قال له لا بد من ذلك فقال له كان على بعيد المدا شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليالى وظلمتها يعجبه من العيش ما خشن ومن اللباس ما غلظ وأحلف لقد رأيته فى بعض مواطنه وقد أرخى الليل ستوره وغارت نجومه وهو يبكى بكاء الثكلى ثم يلتفت الى بيوت أمواله فيقول أبيضى وأصفرى غيرى تغرى هيهات قد نبذتك ثلاثا لا رجعت لى أبدا متاعك قليل وخطرك حقير ثم يبكى على نفسه فيقول أواه من ثقل الحمل وبعد المسافة وشقة السفر وصعوبة المسلك وخشية الطريق ثم التفت ضرار الى معاوية فوجــد عينيه تفوران بالدموع فقال له رحم الله أبا الحسن فلقد كان كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزن من ذبح وحيدها فى حجرها فهى لا ترقى لها دمعة ولا تكتحل بنوم * قال فما عرف الميل منهم اليها ولا الرغباء والرغباء أشد من الميل لان الميل طروق القلب وانخفاض رأسه الى الطمع فى الدنيا والرغباء هو محبة التمتع بالدنيا واستكثار حطامها * ثم قال رضى الله عنه

(أرْخَصُوا في الوَغَى نفوسَ مُلوكٍ * حَارَبُوهَا أسْلابُهَا إغْلاءُ)

قال أرخصوا فى الوغى معنى الوغى هو الموطن الذى تدق فيه رحى الحرب تطحن فيه رؤس بنى آدم حين وقعوا فى الوغى وهو موقف الحرب أرخصوا فيه نفوس ملوك أسلابها اغلاء والمراد بهؤلاء الملوك ملوك الــكفار كانت غالية عنــد أهلها بما نوعت من اللباس من الحرير والذهب والفضة والياقوت فتلك النفوس فى شدة غلائها أرخصوها حتى حطمتها الخيل وبقيت مطروحة من غير دفن قال أخبر عن الصحابة انهم فى شدة بأسهم أرخصوا النفوس الغالية من ملوك الــكفار كانت أسلابها اغلاء يعنى لباسهم غالية فدل ذلك على رفعة شأنهم عند أهلهم واغلاء نفوسهم بينهم فلما قابلوا الصحابة فى الوغى رخصت نفوسهم حين أهلكها الصحابة ولم تجد تلك النفوس حاملا يحملها ولا رافعا يرفعها ولا ساترا يسترها بعدما كانت فى غاية علوها وشرفها وجلوســها على بسط الحرير والذهب وعلى منابر الذهب والخــدام بين أيديها واقفة صفا بعد صف والعظماء حولها فرخصت تلك النفوس حتى صارت طريحــة فى الارض تطأها النعال لا يلتفت اليها * ثم قال رضى الله عنه

(كُلُّهُمْ فى أحكامِهِ ذُو اجتهادٍ * وصَوَابٍ وكُلُّهُمْ أكْفاءُ)

يعنى الصحابة رضى الله عنهم كل واحد منهم فى أحكامه ذو اجتهاد والمجتهد هو الذى بذل وسعه فى متابعة الحق ومعرفتــه والهرب من الباطل وطريقه فهذا هو المجتهد كلهم فى فتاويهم وأحكامهم ذو اجتهاد يطلبون الحق ويميلون اليه ويسعون فى معرفة الباطل والهرب منه فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم

(زهدوا) بتثليث كمنع وسمع وكرم أى تركوا (١٢٧) وتباعدوا عن الحب والرغبة (فى الدنيا) وفى نسخة الدنى بلفظ الجمع وان كانت فى ايديهم ظاهرا فمن باب الدنيا مطية المؤمن بها يصل حيث شاء (فما عرف) ولا علم (الميل) الالتفات والركون (اليها) أى الى الدنيا لحقارتها وخستها (منهم) رضى الله عنهم (ولا الرغباء) أى الرغبة والسعى فى جمعها لعلمهم بأنها لا تزن عند الله جناح بعوضة (أرخصوا) أهانوا وأذلوا رضى الله عنهم (فى الوغى) بفتحتين الحرب (نفوس) جمع نفس (ملوك) كثيرة عظيمة (حاربوها) أى قاتلوها رضى الله عنهم تلك النفوس أشد القتال وأذاقوها أردى النكال وأخزى الهوان (أسلابها) بفتح همزة جمع سلب بفتحتين ما يسلب ويؤخذ مما على القتيل من ثياب وأسلحة (أغلاء) بفتح همزة جمع غال كداء وأدواء وبكسرها إسم مصدر بمعنى إسم الفاعل أى غالية الاثمان (كلهم) أى كل واحد منهم رضى الله عنهم وعنا بهم آمين (فى أحكامه) بفتح همزة جمع حكم الشرعية العقلية والنقلية (ذو) صاحب (اجتهاد وصواب) أى ثواب وأجر فالمصيب منهم له أجران والمخطى له أجر واحد (وكلهم) رضى الله عنهم (أكفاء) بفتح همزة جمع كفء بضم كاف المثل والشبه أى متماثلون

فى أصل الصحبة وان تفاوتوا فى غيرها (رضى الله عنهم) باشباع الميم بطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه (ف) بسبب ما ذكر من أوصافهم المرضية (أنى) باسم استفهام انكارى (يخطو) بفتح تحتية من خطا (١٢٨) كدعا مشى أى فكيف يمشى و يصل (اليوم) بسكون الميم أى الى ساحتهم وقربهم رضى الله عنهم (خطاء) بفتح خاء كسماء ضد الصواب (جاء) الى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى زمانه (قوم) يشمل الذكور والاناث منهم رضى الله عنهم (من بعد) مجئ (قوم) حال كونهم ملتبسين (بحق) وصدق وهكذا حتى توفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (وعلى المنهج) بفتح ميم وهاء الطريق الواضح (الحنفى) بفتحتين (١) نسبة لحنيفة أى القويم المائل عن جميع الاديان (جاؤا) رضى الله عنهم وهكذا من تبعهم باحسان الى يوم الدين لحديث لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله (ما) نافية (ل) سيدنا (موسى) كليم الله (ولا ل) سيدنا (عيسى) روح الله على نبينا وعليهما الصلاة والسلام (حواريون) أى أنصار وأعوان مثل الصحابة (فى فضلهم) رضى الله عنهم راجع لسيدنا عيسى (ولا نقباء) جمع نقيب عريف القوم ورئيسهم راجع لسيدنا موسى على اللف والنشر المعكوس (بأبى بكر) بدل من بأصحابك أو بحذف العاطف أى وأقسم عليك وأتوسل اليك بجاه أبى بكر الصديق رضى الله عنه (الذى صح) وثبت (للناس) أى الصحابة (به) أى بأبى بكر (فى حياتك) أى فى مرض موتك (الاقتداء) الائتمام فى الصلاة كما فى البخارى وغيره من قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

حين ولى معاذا على قضاء اليمن قال له بم تحكم قال بقول الله تعالى قال فان لم تجده قال فبقولك قال فان لم تجده قال فبرأيى قال اذهب الآن اليها وكلهم ذو صواب فى الاجتهاد وكلهم أكفاء والا كفاء جمع كف وهو النظير والمماثل * ثم قال رضى الله عنه

(رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ فَأَنَّى يَخْطُو الْيَوْمَ خَطَاءُ)

قال رضى الله عنهم بما أقاموه من أمر الدين ظاهرا و باطنا فى نفوسهم وفى هدايتهم لغيرهم ورضوا عنه أى عن الله لرضاهم بجميع أحكامه ومقاديره فوقفوا مع الله على بساط انسلاخهم من الحول والقوة والاختيار والرضا بما يختار سبحانه وتعالى والثبوت لما جرت به الاقدار فهو رضاهم عنه فقد قيل ليس رضا الحق عنك فى كثرة الصلاة والصيام وانما رضاه عنك رضاك عنه فيما يجريه من الاحكام قال فأنى يعنى هى كلمة استفهامية ترد مورد البعد والثناء يعنى كيف يتصور أن يخطوا اليوم خطاء يعنى فى صدقهم فى أمر الدين تقاعس عنهم كل سابق من الامة فقد قال بعض الصحابة لبعض التابعين وقد رأى كثرة علومهم واتساع فتاويهم قال فقتم أصحاب محمد فى العلم وغلبوكم فى الزهد واليقين * ثم قال رضى الله عنه

(جَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ بِحَقٍّ * وَعَلَى الْمَنْهَجِ الْحَنِيفِيِّ جَاؤُا)

قال جاء قوم من بعد قوم معناه قال لما فى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أعقبهم قوم بعد قوم بحق هو الذى كان عليه الصحابة قال وعلى المنهج الحنيفى جاءوا من بعدهم الى هلم جرا * ثم قال رضى الله عنه

(مَا لِمُوسَى وَلَا لِعِيسَى حَوَارِيُّونَ فِى فَضْلِهِمْ وَلَا نُقَبَاءُ)

أخبر ههنا عن صحابته صلى الله عليه وسلم قال ما لموسى ولا لعيسى حواريون فى فضل الصحابة وقوله ما نافية يعنى ما لهم حواريون وصلوا لفضل الصحابة و بلغوا مبلغهم فى الكمال لان الغصن يتبع أصله كما أن موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يبلغا كمال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحاطوا باذواقه ولا فى سمو مقامه كذلك نسبة أصحابهما مع أصحابه صلى الله عليه وسلم عينا بعين والحوارى هو المقصر لثيابه محافظة على الطهارة دائما وعلى التجمل فى حضرة الحق على حد قوله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال أو الحوارى هو الناصر وكلاهما صحيح قوله والنقباء جمع نقيب والنقيب هو الرئيس المتبوع يعنى ليس لموسى ولا لعيسى عليهما الصلاة والسلام فى أصحابهما نقباء كنقباء أصحابه صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

(بِأَبِى بَكْرٍ الَّذِى صَحَّ لِلنَّاسِ بِهِ فِى حَيَاتِكَ الْإِقْتِدَاءُ)

يعنى وظهرت كراماتك بأبى بكر الذى صح للناس البيت فانه صلى الله عليه وسلم أمره بالصلاة بالناس * ثم قال رضى الله عنه

(١) قوله بفتحتين لا يستقيم عليه الوزن والنسخ المتداولة الحنيفى بفتح فكسر فلينظر

(وَالْمَهْدِيُّ يَوْمَ السَّقِيفَةِ لَمَّا * أَرْجَفَ النَّاسُ أَنَّهُ الدَّأْدَاءُ)

ذكرهنا وصف أبي بكر رضي الله عنه بانه المهدى والمهدى هو الذى نقه(١) من مرضه ثم اشتاق الى الخروج نخرج على شدة ضعفه من المرض يتهادى بين رجلين فهذا هو المهدى وكونه فى هذه القضية مهديا لم يعرف له مرض قبل هذا فيحتمل أنه أصابه يوم موته صلى الله عليه وسلم من صاعقة المصيبة التى لامثل لها على شدة حبه له صلى الله عليه وسلم فخر من شدة الصعق من صدمة المصيبة تهدمت قواعده وتهدمت أركانه وتمكن من سقوط قواه من الامر الذى تجعر وحه فكان له فى ذلك أعظم شاغل فلما رأى الناس تفاقم أمرهم وترا كمت جنود الفتنة حيث انحاز الانصار ناحية يريدون الاستبداد بالخلافة وانحاز المهاجرون من قريش ناحية يطلبون الاستبداد بالخلافة فلما رأى صورة تفاقم الامر مع ماحل بهم من المصيبة العظمى والداهية الصماء التى لاقدرة لاهل الارض على تحملها وهى موته صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه الكرب والبكاء بعد البكاء نخرج على شدة ضعف قواه من تحمل المصيبة المتقدمة يتهادى بين رجلين وهو متكىء عليهما يمشى بينهما وهما عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما فكان يتهادى بينهما فمازال يتهادى بينهما حتى دخل سقيفة بنى ساعدة فوجد جماعة الانصار هنالك قد اجتمعوا لبيعة سعد بن عبادة للخلافة فكلمهم أبو بكر وعمر فتكلم الانصار وذكروا نصرتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وايواءهم للمهاجرين ببلادهم وماعاملوهم به من الاموال والتوسيع لهم فى البلاد يلوحون بذلك الى استبدادهم بالخلافة فاراد أن يتكلم عمر فقال له أبو بكر على رسلك فستكفى الكلام ثم تكلم أبو بكر رضى الله عنه قائلا للانصار أما ماذكرتم من خير فانتم له أهل ولن ترضى العرب ولن تصلح الا على رجل من قريش هم أجل الناس وجوها وأفصحهم ألسنا وأوسط العرب نسبا ولدتنا العرب كلها فليست منها قبيلة الا ولقريش فيها ولادة وأنتم الذين آووا ونصروا ونحن أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشائره وبنو عمه فنحن أهل النبوة وأهل الخلافة وأنتم أهل الوزارة وهذا الامر بيننا وبينكم قسمة الابلة فنحن الخلفاء وأنتم الوزراء وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين يشير الى عمر وأبى عبيدة بن الجراح فبايعوا أيهما شئتم فكلاهما رضيته للقيام بامركم فقال له الرجلان معاذ الله أن يتقدمك أحد وقد أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصلى بالناس فقام بعض الانصار فقال أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش وكثر اللغط فلما رأى عمر أن الامر قد أخذ فى التفاقم أخذ بيد أبى بكر رضى الله عنهما فكان كزعن مدها فقال عمر ابسط يدك أبايعك فبايعه بسرعة وتتابع المهاجرون على بيعته وتابعهم الانصار على ذلك رضى الله عنهم وتم الامر وانطفت نار الفتنة والدأداء هو كثرة الاصوات وارتفاعها * ثم قال رضى الله عنه

(أَنْقَذَ الدِّينَ بَعْدَ مَا كَانَ لِلدِّيـنِ عَلَى كُلِّ كُرْبَةٍ إِشْفَاءُ)

قال حين بويع رضى الله عنه أنقذ دين الاسلام من الهلاك بعد ما أشفى أى الدين على كل كربة بسقوطه فى المهالك فانقذه الله بابى بكر قالت عائشة رضى الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية لفقد نبيهم صلى الله

لما اشتد مرضه مروا أبا بكر فليصل بالناس (والمهدى) بضم ميم وكسر دال مشددة اسم فاعل أى المسكن للفتنة والاختلاف بين الصحابة رضى الله عنهم بعد وفاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم (يوم) أى حين اجتمعوا للخلافة فى (السقيفة) لبنى ساعدة محل تجتمع فيه الانصار (لما) أى حين (أرجف) بفتح همزة وجيم اضطرب واختلف وخاض (الناس) برفع فاعل أى الصحابة فى أمر الخلافة (انه) بكسر الهمزة وبفتحها لانها فى قوة التعليل أى أبا بكر رضى الله عنه (الدأداء) أى المسكن للاضطراب والاختلاف والفتن بين الناس قديما وحديثا (أنقذ) بفتح همزة وقاف وبذال معجمة أنجى وخلص (الدين) أى دين الاسلام (بعدما) مصدرية (كان) حصل وثبت (للدين) متعلق باشفاء وكذا (على كل كربة) بضم كاف الغم والحزن الشديد (اشفاء) اشراف واطلاع

(١) قوله نقه كطرب وخضع اى صح

(أنفق) أبو بكر رضى الله عنه (المال) أى جميع ماله (فى رضاك) ورضا الله تعالى (ولا) أى والحال انه لايرى انه (مَنّ) عليك بل يرى انك الذى مننت عليه حين قبلت منه ذلك (وأعطى) رضى الله عنه (جما) أى مالا كثيرا فى وجوه الخير وثبت انه أسلم وله أربعون ألف دينار وفى رواية أربعون (١٣٠) ألف درهم (ولا إكداء) بكسر همزة مصدر أكدى امتنع أى ولم يمتنع من اعطاء وانفاق ماله بل استمر على انفاقه حتى توفى رضى الله عنه (و) أقسم عليك وأتوسل اليك بجاه (أبى حفص) سيدنا عمر الذى سميته فاروقا لانه فرق بين الحق والباطل ولانه (الذى أظهر الله) سبحانه وتعالى (به) أى بسبب حدته وشدة شوكته وهيبته (الدين) أى دين الاسلام (ف) بسبب ذلك (ارعوى) انكف وانقطع ورجع (الرقباء) الاعداء الذين هم كالافاعى عن اذايته صلى الله عليه وعلى آله وسلم واذاية اصحابه (و) هو الامام العدل (الذى) لايخاف فى الله لومة لائم ولذا كان (تقرب) بفتح فوقية وضم راء تدنو (الاباعد) جمع أبعد أى كثير البعد عنه فى النسب (فى الله) أى بسبب طاعة الله تعالى ورضاه (اليه) وفى نسخة لديه (وتبعد) بفتح فوقية وضم عين من البعد ضد القرب (القرباء) أى أقاربه فى النسب ان لم يوافقوه فى طاعة الله وطاعة رسوله هو (عمر) برفع خبر لمحذوف وبجر عطف بيان من أبى حفص (بن الخطاب) رضى الله عنه وعنا به آمين (من) أى الذى نعت ثان (قوله) أى كلامه الذى ينطق به (الفصل) أى الحق لحديث الحق يدور مع عمر حيث دار (ومن) أى الذى (حكمه) فى الامور الشرعية مبتدأ خبره (السوى) المستقيم الذى لا اعوجاج فيه الموافق للحق ظاهرا او باطنا (السواء)

عليه وسلم حتى جمعهم الله على أبى بكر فلقد نزل بابى مالو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ومعنى اشرأبت اليه اليهودية والنصرانية ظهر على وجوههم شدة الحمرة والبياض من كثرة ماملأ قلوبهم من الفرح والسرور لموته صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

(أَنفقَ المَالَ فى رِضَاكَ وَلاَ مَنّْ وأَعْطَى جمًّا وَلاَ إِكْدَاءُ)

معناه أنه أنفق المال فى رضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير منة وأعطى كثيرا ولا اكداء والاكداء هو النقص لازال يعطى العطاء الوافر لله تعالى من غير نقص * ثم قال رضى الله عنه

(وَأَبِى حَفصٍ الَّذِى أَظْهَرَ اللّـهُ بِهِ الدِّينَ فارْعَوَى الرُّقَبَاءُ)

ثم انتقل يتكلم على سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال وظهرت كراماتك بابى حفص يريد يوم أسلم بمكة جاء بالمسلمين مع النبى صلى الله عليه وسلم الى البيت وصلوا عنده جهارا ولم يبال بكثرة قريش اذ كان من أعظم أبطالهم رضى الله عنه فلما أظهر الاسلام وكان قبل ذلك لا يقدر المسلمون أن يصلوا جماعة عند البيت فلما أسلم عمر صلوا عند البيت جهارا وقد قام الشنآن حينئذ وتحركت أشرار قريش لهذا فما قدروا أن يمنعوهم من الصلاة عند البيت وقد قال عمر أحلف بالله أن لو كنا ثلثمائة لتركناها لكم أو لتركتموها لنا قال فارعوى الرقباء معناه تروعوا وانتكصوا هاربين أذلاء رعبا والرقباء جمع رقيب وهو الحسود المناقض * ثم قال رضى الله عنه

(وَالَّذِى تَقْرُبُ الأَبَاعِدُ فى اللّـهِ إِلَيْهِ وَتَبْعُدُ القُرَبَاءُ)

قال وصف حاله بشدة حبه لله تعالى وشدة صدقه فى محبته لا يحب ولا يقرب ويعظم الا من رآه محبا لله وان كان فى غاية البعد ومن لم يكن محبا لله اذا رأى عليه صورة النفاق طرده وأبعده وان كان من أقرب القرباء اليه فاخبر فى هذا انه يحب لله ويرضى لله ويبغض لله ويسخط لله * ثم قال رضى الله عنه

(عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ مَنْ قَوْلُهُ الفَصْلُ وَمَنْ حُكْمُهُ السَّوِىُّ السَّوَاءُ)

وصفه بانه قوله الفصل لكونه يتكلم لله فقط لا لهواه فكان الحق يتبع قوله فلذا كان قوله فصلا بين الحق والباطل بعدم اشتباه أحدهما بالآخر فقد قال صلى الله عليه وسلم الحق بعدى مع عمر فلقد روى عنه انه جاء يوما وقد كان صلى الله عليه وسلم فى محل خارج يصلى بالناس وهو يجد السير ليدرك الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد بعض المنافقين جالسا دون ذلك فكلمه عمر وانتهره فقال له مايقعدك ههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس فقال له الرجل سر الى عملك فاستل سيفه وضرب الرجل به فأراق دمه وقال له هذا من عملى وجاء فصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فلما سلم صلى الله عليه وسلم أخبره عمر بقضيته مع الرجل قال له هلا قتلته فقام وانخرط من

تأكيد لسوى أى المعتدل لاتفريط فيه ولا افراط ومن (فر) هرب هروبا شديدا (منه) أى من قرب ساحته (الشيطان) أى كل شيطان من شياطين الانس والجن لحديث انى لأنظر الى شياطين الانس والجن قد فروا من عمر (اذ كان) أى لأجل كونه بتسميته صلى عليه وعلى آله وسلم إياه (فاروقا) بين الاسلام (١٣١) والكفر والحق والباطل (ف) بسبب ماخصه الله به من النور كان (للنار) التى هى أصل الشيطان (من سناه) أى من نوره الذى منحه الله يفرق به بين الحق والباطل (انبراء) انمحاء واضمحلال (و) أقسم عليك وأتوسل اليك بجاه أبى عمرو ذى النورين سيدنا عثمان (ابن عفان) رضى الله عنه (ذى) أى صاحب (الايادى) جمع أيد جمع يد أى النعم (التى طال) كثر وعظم وامتد (الى المصطفى) صلى الله عليه وعلى آله وسلم ابتغاء رضا الله ورضا رسوله (بها) أى من الأيادى فهو وماقبله متعلقان بقوله (الاسداء) بكسر همزة مصدر أسدى كأعطى وزنا ومعنى (حفر) رضى الله عنه (البئر) أى بئر رومة أى زاد فى حفرها بعد ان اشتراها من يهودي بعشرين ألف درهم لما سمع قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من حفر بئر رومة أو من اشتراها فله الجنة (جهز) وزود وأعان رضى الله عنه (الجيش) أى جيش العسرة وهو غزوة تبوك بألف بعير وسبعين فرسا وبعشرة آلاف دينار وكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول ماضر عثمان مافعل بعد هذا اليوم (أهدى) أرسل رضى الله عنه يوم الحديبية (الهدى) الى مكة (لما) أى حين (أن) زائدة (صده) أى منع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحال بينه وبين مكة (الاعداء) أى كفار قريش

سيفه ذاهبا اليه ليقتله فمشى خطوات ثم ناداه صلى الله عليه وسلم فقال له ارجع فان رضاك حكم وغضبك عز * ثم قال رضى الله عنه

(فَرَّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ إِذْ كَانَ فَارُوقاً فَلِلنَّارِ مِنْ سَنَاهُ انْبِرَاءُ)

قال فرمنه الشيطان أشار بهذا الى ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعمر ماسلكت فجا الا سلك الشيطان فجا غيره قال اذ كان فاروقا الفاروق هو فاعول والفاعول عند العرب هو الذى كثر تكرار الفعل منه حتى صار له وصفا قائما وقد كان فارقا بين الحق والباطل لا يلتبس عليه فسمى بهذا فاروقا قال فللنار من سناه انبراء السنا هنا هو الضياء ويشير به الى قوة نور يقينه وشدة اتقاده واتضاحه حتى صار فى علوه اذا اتقدت النار حوله لم يظهر لها ضياء لقوة نور يقينه فلهذا لها انبراء يعنى ذهابا * ثم قال رضى الله عنه

(وَابْنِ عَفَّانَ ذِى الأَيَادِى الَّتِى طَا * لَ إِلَى الْمُصْطَفَى بِهَا الإِسْدَاءُ)

ثم ذكر ههنا سيدنا عثمان رضى الله عنه قال ذى الايادى والايادى هى العطايا التى كان يعطيها للنبى صلى الله عليه وسلم من أمواله كان يعطيه عطاء جزيلا قال التى طال الى المصطفى بها الاسداء اذ كان يعطى صلى الله عليه وسلم للناس من أموال عثمان أى اعطيا طال للنبى صلى الله عليه وسلم الاسداء للناس أعنى بالاموال التى كان يعطيها له عثمان فلقد روى انه رضى الله عنه فى جيش العسرة وهى غزوة تبوك كثر احتياجه صلى الله عليه وسلم الى الاموال لما يجهز به الجيش فى الغزوة المذكورة جاءه ذو والاموال من الصحابة كل بما يقدر عليه وجاءه عثمان رضى الله عنه بتسعمائة وخمسين من الابل وخمسين فرسا وصب فى حجره صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف دينار ذهبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى ذلك لا يضر عثمان مافعل بعد اليوم وقد قال صلى الله عليه وسلم فى مرة أخرى انت ولي فى الدنيا والآخرة * ثم قال رضى الله عنه

(حَفَرَ الْبِئْرَ جَهَّزَ الْجَيْشَ أَهْدَى الْـهَدْىَ لَمَّا أَنْ صَدَّهُ الأَعْدَاءُ)

قال حفر البئر لوجه الله تعالى وتركه لسقى الناس فى هذه القضية التى تقدمت * ولقد روى عنه انه مر فى خلافته جوع شديد بالمدينة المشرفة ولم يجدوا للمعيشة مساغا وضاق الحال فجاءته عيره من الشام فيها سبعمائة بعير موقورة زرعا فاجتمع اليه أهل المدينة فقالوا له بع لنا فانا الى ذلك فى غاية الحاجة * فقال لهم كم تعطونى سوما فقالوا له نعطيك كذا وكذا ذكروا له ثمنا كثيرا فقال لهم أعطيت أكثر من ذلك * فقالوا له من اعطاك فان هؤلاء أهل المدينة كلهم اجتمعوا فمن أعطاك منهم السوم الذى ذكرت * فقال لهم أعطيت فيها من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها * ثم قال لهم هى لله اقتسموها بينكم لا آخذ فيها شيئا * قال أعطى الهدى فى وقعة الحديبية لما ان صده الاعداء وقد ناب عنه صلى الله عليه وسلم فى بيعة الرضوان حين بعثه صلى الله عليه وسلم لمكة * ثم قال رضى الله عنه

(وأبى) أي امتنع رضي الله عنه (أن يطوف بالبيت) الحرام ويسعى بين الصفا والمروة مع قول قريش له إن شئت أن تطوف فطف فلم يفعل أدبا مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم (اذ) أي حين (لم يدن) بفتح تحتية من دنا كدعا لم يقرب الى النبي (منه) أي من البيت الحرام حال من فناء (الى النبي) صلى الله عليه وعلى آله وسلم متعلق بيدن (فناء) بكسر فاء ككساء ما اتسع من جوانب البيت (ف) بسبب ذلك (جزته) كفته رضي الله عنه (عنها) أي عن تلك الفعلة التي فعل من ذهابه لقريش والامتناع من الطواف بالبيت (ببيعة) أي في بيعة (رضوان) سميت (١٣٢) بذلك لما عمهم فيها من رضا الله ورضا رسوله قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين الآية (يد) شريفة كريمة (من نبيه) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (بيضاء) نيرة كثيرة الانوار والاحسان للكون كله (أدب) عظيم مبتدأ خبره (عنده) أي عند سيدنا عثمان رضي الله عنه ولذلك (تضاعفت) وتكاثرت وتزايدت (الاعمال) أي الاجور (بالترك) للطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة فالترك هنا أفضل من الفعل (حبذا الادباء) أي نعم فعل الادباء (و) أقسم عليك وأتوسل اليك بجاه أبي الحسنين سيدنا (علي) بن أبي طالب رضي الله عنه (صنو) بكسر صاد كضرس أي مثل (النبي) في كونهما من أصل واحد وهو عبد المطلب لحديث أنت أخي في الدنيا والآخرة (ومن دين) بكسر دال أي اعتقاد (فؤادي) أي قلبي وقلب كل مؤمن (وداده) بتثليث الواو حبه وحب جميع أهل البيت (والولاء) بفتح واو أي موالاته ومناصرته على من نازعه وعاداه (والوزير) بالتعريف بجر عطف على صنو (ابن) نعت له (عمه) أبي طالب أي ناصره ومعينه ونائب عنه (في المعالي) أي المراتب العالية الدينية والدنيوية والحسية والمعنوية (ومن الأهل) الاقارب (تسعد) بفتح فوقية وعين من سعد كنفع تتيمن وتتبرك وتتوافق (الوزراء) بضم واو جمع وزير الناصر والمعين والموافق

(وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَمْ * يَدْنُ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فِنَاءُ)

امتنع رضي الله عنه ان يطوف بالبيت حتى يطوف به النبي صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضي الله عنه

(فَجَزَتْهُ عَنْهَا بِبَيْعَةِ رِضْوَا * نَ يَدٌ مِنْ نَبِيِّهِ بَيْضَاءُ)

جزاه الله حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه الى أهل مكة نابت عنه يد المصطفى صلى الله عليه وسلم في بيعة الرضوان * ثم قال رضي الله عنه

(أَدَبٌ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الأَعْمَالُ بِالتَّرْكِ حَبَّذَا الأُدَبَاءُ)

حين امتنع من طواف البيت كان ذلك منه من شدة أدبه مع النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك الادب منه تضاعفت الاعمال بين يدي ذلك الادب الذي تأدب به مع النبي صلى الله عليه وسلم تعني لها كل الاعمال تضاعفت يعني صغرت وهانت لعظم شأن هذا الادب عند الله تعالى بالترك للطواف حبذا يعني ما أعظم هذا الادب وأشرفه والادب مفرد ذكره بالجمع لكثرته وعظمه سماه جمعا * ثم قال رضي الله عنه

(وَعَلِيٌّ صِنْوُ النَّبِيِّ وَمَنْ دِيـ * ـنُ فُؤَادِي وِدَادُهُ وَالْوَلاَءُ)

ثم انتقل يتكلم على مناقب علي رضي الله عنه وأرضاه فقال وعلي صنو النبي قوله صنو هو أخوه صلى الله عليه وسلم وذلك حين آخى بين المهاجرين والانصار أخذ بيد علي وقال وهذا أخي وقد قال له صلى الله عليه وسلم يوما أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي * قوله ومن هي موصولة بمعنى الذي وعلي الذي دين فؤادي أي قلبي أي الذي أدين الله به وأتقرب اليه به هي محبة علي ووداده وولائي له بأني من أوليائه لا من أعدائه وقد قال صلى الله عليه وسلم فيه من أحب هذين وأشار الى الحسن والحسين وهما بين يديه صلى الله عليه وسلم وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة * وقوله صلى الله عليه وسلم فيه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه * ثم قال رضي الله عنه

(وَالْوَزِيرِ ابْنِ عَمِّهِ فِي الْمَعَالِي * وَمِنَ الأَهْلِ تَسْعَدُ الْوُزَرَاءُ)

أشار بهذا الى انه وزير النبي صلى الله عليه وسلم يمينه في الامور كلها ويكفيه مؤنتها والوزير هو المعين اذ كان يجري رضي الله عنه في شؤون النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا * قوله ومن الاهل أي

من كان للمعالى أهلا أسعد وزار أوه والمراد به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

(لَمْ يَزِدْهُ كَشْفُ الْغِطَاءِ يَقِيناً * بَلْ هُوَ الشَّمْسُ مَاعَلَيْهِ غِطَاءُ)

قال لم يزده كشف الغطاء يقينا فان الواحد من أهل الدنيا الاحياء لايزال تحت غطاء عن الآخرة وعن أحوالها وعن الغيب ولم ينكشف الغطاء عنه الا بالموت الطبيعي وهو رضى الله عنه فى مدة حياته انكشفت له صورة الجنة على ماهى عليه والنار على ماهى عليه والعرش والكرسى واللوح والقلم والملائكة وماوراء ذلك من الغيب كله يراه بعين العيان فى حياته الدنيا حتى قال هو بنفسه لو كشف لى الغطاء ماازددت يقينا وكان يقول سلونى عن ازقة السماء فانى أعرف بها من أزقة الارض ثم قال رضى الله عنه بل هو الشمس فى صراحة اليقين ماعليه غطاء * ثم قال رضى الله عنه

(وَبِبَاقِى أَصْحَابِكَ الْمُظْهِرِ التَّرْتِيبِ فِينَا تَفْضِيلُهُمْ وَالْوِلَاءُ)

* قال وبباقى أصحابك المراد بهم مابقى من العشرة المظهر الترتيب فينا تفضيلهم والولاء * والولاء معناه هو عين الولاية والولاية قسمان قسم يتولى الله تعالى و يتخذه وليا بانحياشه الى الله تعالى واعتماده عليه والتجائه اليه وكمال تعلقه بالله تعالى بطهره من كل ماسوى الله تعالى وهذه الطائفة من أولياء الله تعالى يسمون بالمحبين وهم عامة الاولياء * والقسم الثانى ولى تولاه الله تعالى بنفسه فاصطفاه الله تعالى واجتباه واستخلصه لمحبته وقوله وارتضاه وغطاه برداء الصون واصطفاه لنفسه من الجميع ولم يبال بما كان من أفعاله من سيئها وقبيحها وهذه الطائفة تسمى عند الاولياء بالمحبوبين وهم الخاصة العليا يقول بعض الاكابر ان لله عبادا يظهرهم فى البداية و يسترهم فى النهاية ولله عبادا يسترهم فى البداية ويظهرهم فى النهاية ولله عبادا ضن بهم عن العامة وكشفهم للخاصة ولله عبادا ضن بهم عن العامة والخاصة لايظهر حقيقة مابينهم و بينه الى الحفظة فمن سواهم حتى يتوفى أرواحهم و يقبضها بيده بنور البقاء المجعول فى قلوبهم فهم شهداء الملكوت الاعلى وأهل الصف الايمن من العرش جعلنا الله منهم بمحض فضله وجوده وموهبته * وقد روى عن مالك بن دينار وكان من أكبر العارفين ان أهل حومة من الناس بالبصرة اشتكوا اليه شابا كان بينهم أظهر شرب الخمور والمعاصى فى طائفة تألفوا معه على ذلك وكان قد أظهر المناكر والفواحش وكانت له دار بين أهل تلك الحومة لما أظهر بينهم من المناكر فطلبوه أن يتوب فابى فلما أبى عن التوبة طلبوه أن يرتحل عنهم الى محل آخر فابى وقال هى دارى لا أخرج منها فطلبوه أن يبيع الدار منهم باغلى مايريد فابى فقال لا أبيع دارى فطلبوه أن يكرر بها لهم فامتنع بكل الوجوه فشكوه الى مالك بن دينار وكان معظما بالبصرة وذكروا له قضيته وماهم فيه فبعث اليه مالك بن دينار فجاءه وهم جلوس بين يديه فقال تب الى الله تعالى مما أنت فيه من المنكر وخوفه من الله تعالى فابى عن التوبة فقال له قد آذيت المسلمين فارتحل من بينهم الى مكان آخر قال له لا أخرج من دارى قال له بعها منهم بما تريد قال له لا أبيع دارى فقال له اكرها لهم بما تريد من الثمن قال لا أفعل فقال نبعث الى الامير لينتقم منك فقال له انه من أقاربى لا يفعل بى شيئا فقال له سوف أدعو الله عليك بالهلاك فقال له الله أرحم بى منك فاغتاظ مالك بن دينار فلما كان آخر الليل من ليلته وفرغ من أوراده وأراد ان يدعو الله بهلاكه فسمع النداء عليه من الغيب لاتدع عليه فانه

(لم يزده) رضى الله عنه (كشف) أى ازالة (الغطاء) بكسر أوله كحجاب وزنا ومعنى عن كل ماجاء به صلى الله عليه وعلى آله وسلم (يقينا) عما كان عنده من اليقين كما قال رضى الله عنه لو كشف عنى الغطاء ماازددت يقينا أى عما فى قلبه (بل) للاضراب (هو) رضى الله عنه فى جميع أحواله وأفعاله وعلومه واعتقاداته مثل (الشمس) فى الظهور والاضاءة (ما) نافية (عليه) أى على سيدنا على رضى الله عنه (غطاء) أى حجاب عند كل مؤمن موفق سعيد (و) أقسم عليك وأتوسل اليك (بـ) جاه (باقى أصحابك) الكرام العشرة المبشرين بالجنة على لسانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (المظهر) أى المبين (الترتيب) بينهم منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بنصب مفعول وفى نسخة المظهرى بياء الجمع وحذف النون للاضافة أى الذين أظهروا وبينوا (فينا) أى لنا (تفضيلهم) أى تفضيله اياهم على غيرهم من الصحابة * (والولاء) بكسر الواو أى متابعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم حق المتابعة

(طلحة) بجرعطف بيان أورفع خبرلمحذوف (الخير) (١٣٤) لقبه صلى الله عليه وعلى آله
وسلم بهذا الاسم فى غزوة
أحد كما لقبه أيضا بطلحة
الفياض فى غزوة العسرة
(المرتضيه) أى الذى ارتضاه
صلى الله عليه وعلى آله وسلم
(رفيقا) مصاحبا ومعينا
(واحدا) منفردا وفى نسخة
أحدا بضمتين أى فى غزوة
أحد (يوم فرت) ولت
ورجعت عنه صلى الله عليه
وعلى آله وسلم (الرفقاء) أى
أصحابه الذين معه فى غزوة
أحد ولم يبق معه الا سيدنا
طلحة وحده (و) أقسم
عليك وأتوسل اليك بجاه
(حواريك) أى ناصرك
ومعينك سيدنا (الزبير) بجر
عطف بيان ابن العوام
وهو ابن عمة رسول الله صلى
الله عليه وعلى آله وسلم (أبى)
نعت (القرم) بفتح قاف
السخى الكريم والشجاع
العظيم ولده سيدنا عبد الله وهو
أول مولود ولد فى الاسلام
بعد الهجرة (الذى) صفة
للمضاف اليه (أنجبت به) أى
أى أتت به فى غاية من
النجابة والشجاعة والذكاء
وجودة الرأى سيدتنا
(أسماء) بنت أبى بكر الصديق
أخت أمنا عائشة رضى الله
عنهم وفقنا بهم الرضا الابدى
آمين

ولى من أوليائنا فاستغفر الله وتاب فلما أصبح الحال وذهب اليه مالك بن دينار وقال له اجعلنى فى حل مما قلت لك بالامس فقال له ولم ألم تعدنى بان تدعو الله بهلاكى فقال تبت الى الله من ذلك فاجعلنى فى حل فقال له وما حملك على هذا وقد كنت حريصا على هلاكى فقال له البارحة لما اردت أن ادعو الله بهلاكك سمعت النداء على من الغيب لا تدع عليه فانه ولى من أوليائنا فقال له الشاب انا فقال له أنت فقال له الشاب ما كان قدرى عند نفسى يبلغ هذا وحيث كان هكذا فاشهدك انى تائب الى الله تعالى ولا أعود الى الدنيا وأهلها فذهب وتجرد من لباسه الحسن ولبس ثياب مهنة وخرج عن جميع أملاكه وأمواله لله تعالى وهام على وجهه فى البرية فارين بعد ذلك * ثم قال رضى الله عنه

(طَلْحَةَ الْخَيْرِ الْمُرْتَضِيهِ رَفِيقًا * وَاحِدًا يَوْمَ فَرَّتِ الرُّفَقَاءُ)

ذكر فى هذا البيت طلحة رضى الله عنه فدارتضاه النبى صلى الله عليه وسلم رفيقا وهذه القصة فى غزوة أحد لما فرت الصحابة عنه صلى الله عليه وسلم وقد حضر المشركون عنده بكثرة يريدون قتله صلى الله عليه وسلم وكان معه طلحة رضى الله عنه وعلم طلحة حينئذ انه ان قاتل عنه لم يفد شيئا لانه واحد فانعطف على النبى صلى الله عليه وسلم بذاته وجذب عليه وجعله تحته فرام المشركون أن يضربوه صلى الله عليه وسلم تحته فلم يقدروا فراموا أن ينزعوه عنه بكل حيلة فلم يقدروا ثم عطفوا عليه بأسيافهم يضربونه ليقتلوه طمعا أن يصلوا اليه صلى الله عليه وسلم فما زالوا يضربونه بسيوفهم وبالغوا فى حولهم واحتيالهم فما زالوا كذلك حتى كشفهم المسلمون عنه صلى الله عليه وسلم ففر المشركون حينئذ وظنوا انهم قتلوه صلى الله عليه وسلم فاجتمع حوله الصحابة صلى الله عليه وسلم وكان ابن قمئة نادى فى قريش الا انى قتلت محمدا ففرحوا بذلك غاية فجاء أبو سفيان حتى وقف قريبا من جمعهم ثم قال أفى القوم محمد فقال صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال أفى القوم ابن أبى قحافة فقال لهم صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فسكتوا فقال أفى القوم ابن الخطاب فقال لهم صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فسكتوا فقال أبو سفيان حينئذ لأصحابه وهم معه أما هؤلاء فقد كفيتموهم فلم يصبر عمر فناداه رضى الله عنه فقال له بلى بقى لك ما يخزيك الله به فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتل محمد أم لا فقال له لا والله وهو الآن حى يسمع كلامك فقال له أنت عندى أصدق من ابن قمئة فقال حينئذ أبو سفيان أعل هبل أعل هبل فقال لهم صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا الله أعلى وأجل الله أعلى واجل فقال أبو سفيان انا لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم * ثم قال رضى الله عنه

(وَحَوَارِيِّكَ الزُّبَيْرِ أَبِى الْقَرْ * مِ الَّذِى أَنْجَبَتْ بِهِ أَسْمَاءُ)

أخبر فى هذا البيت بالسادس من العشرة وهو الزبير رضى الله عنه حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبى القرم يريد بالقرم أولاده وهم عبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعروة بن الزبير وعمر بن الزبير رضى الله عنهم * قوله انجبت معناه صارت من نجائب الابل والنجيبة من الابل هى الناقة السابقة المطاوعة فى كل ما يراد منها فهى أشرف الابل قال الزبير به شرفت اسماء بنت أبى بكر أى ذات النطاقين * ثم قال رضى الله عنه

(و) أقسم عليك وأتوسل اليك بجاه (الصفيين) تثنية صفى كغنى المصفى والمنقى من كل عيب (توأم) بالافراد أى هما كالتوأمين لاشتراكهما فى (الفضل) والشرف والاوصاف الجميلة سيدنا (سعد) بن أبى وقاص بجر عطف بيان (و) سيدنا (سعيد) ابن زيد (إن عدت) وذكرت (الاصفياء) جمع صفى فهذان السيدان الجليلان من أكابرهم (و) أقسم عليك وأتوسل اليك بجاه سيدنا عبد الرحمن (ابن عوف من) أى الذى (هونت) بفتح واو مشددة صغرت وحقرت ورخصت (نفسه) الكريمة (الدنيا) لعلمه بانها لا تساوى عند الله جناح بعوضة (يبذل) بذال معجمة أى بسبب صرفه وانفاقه لها فى وجوه الخير (يمده) بفتح تحتية وضم ميم من المد أو بضمها وكسر الميم من الامداد (اثراء) بكسر همزة وبمثلثة مصدر أثرى الرجل كثر ماله واتسع (و) أقسم عليك وأتوسل اليك بجاه (المكنى أبا) أى بأبى (عبيدة) عامر ابن الجراح وهو أمين هذه الأمة (إذ) أى لاجل انه (يعزى) بفتح تحتية وكسر زاى من عزى كرمى نسبه وفى نسخة تعزو بفتح فوقية وضم زاى من عزا كدعا (اليه) أى الى أبى عبيدة (الامانة) ضد الخيانة (الأمناء) بضم همزة جمع أمين وقد نسبها اليه أفضلهم وأشرفهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما فى حديث ان لكل أمة أمينا وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح (و) أقسم عليك وأتوسل اليك (ب) جاه (عميك) سيدنا العباس وسيدنا حمزة (نيرى) تثنية نير بفتح نون وبتشديد تحتية كجيد كوكب وقاد (فلك) بفتحتين مستقر الكواكب من السماء (المجد) الفضل والشرف (وكل) واحد من سيدنا العباس وسيدنا حمزة (أتاه) جاءه ووصله (منك) أى من فضلك وكرمك (إتاء) بكسر همزة وبفوقية ككتاب مطلق ثمر الشجر والمراد هنا النعم الحسية والمعنوية

(وَالصَّفِيَّيْنِ تَوْأَمَا الْفَضْلِ سَعْدٍ * وَسَعِيدٍ إِنْ عُدَّتِ الأَصْفِيَاءُ)

قال وتوأما الفضل سعد وسعيد ذكر فى هذا البيت السابع والثامن من العشرة فهما فى مرتبتهما فى الفضل كالتوأمين سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد كلاهما من قريش والعشرة كلهم من قريش رضى الله عنهم * قوله ان عدت الاصفياء يعنى فهما فى الصفاء معه صلى الله عليه وسلم فى أعظم رتبة وهما مشهوران * ثم قال رضى الله عنه

(وَابْنِ عَوْفٍ مَنْ هَوَّنَتْ نَفْسُهُ الدُّنْـيَا بِبَذْلٍ يُمِدُّهُ إِثْرَاءُ)

ذكر التاسع فى هذا البيت من العشرة وهو سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال هونت نفسه الدنيا يعنى صغرت الدنيا فى عينيه فلم يبال ببذلها وذلك التصغير فى عينيه يمده اثراء والاثراء هى كثرة المال وكان رضى الله عنه من أعظم الصحابة مالا فكثرة أمواله هى التى صغرت الدنيا فكان كلما ازدادت الدنيا عليه ازداد فيها زهدا رضى الله عنه * ثم قال رضى الله عنه

(وَالْمُكَنَّى أَبَا عُبَيْدَةَ إِذْ يَعْـزِى إِلَيْهِ الأَمَانَةَ الأُمَنَاءُ)

ذكر فى هذا البيت عاشر العشرة وهو أبو عبيدة وهى كنيته واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح قتل أباه يوم بدر وجاء برأسه الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله فى شأنه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الى قوله أولئك حزب الله الآية قال اذ يعزى اليه الامانة أشار * فى هذا البيت الى ما روى عنه صلى الله عليه وسلم ان طائفة من العرب أسلموا فطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث معهم من يفقههم فى الدين ويهديهم فقال لهم صلى الله عليه وسلم لنبعثن معكم الصالح الامين قال عمر رضى الله عنه تطاولت لها ان أكون أنا هو فلما كان غدا وتهيأ بعثه لهم صلى الله عليه وسلم الى أهليهم نادى أين أبو عبيدة بن الجراح فجاء اليه فبعثه معهم فكان هو المشهود له بالامانة والصلاح رضى الله عنه * ثم قال رضى الله عنه

(وَبِعَمَّيْكَ نَيِّرَى فَلَكِ الْمَجْـدِ وَكُلٌّ أَتَاهُ مِنْكَ إِتَاءُ)

ذكر فى هذا البيت عمى المصطفى صلى الله عليه وسلم حمزة والعباس رضى الله عنهما * قوله نيرى فلك المجد معناه ان حمزة والعباس فى الشرف والعلو فى سماء المجد كالنيرين فى الفلك وهما الشمس والقمر * قوله وكل أتاه منك أتاه يعنى اعطاء كل منهما اباحه صلى الله عليه وسلم من أسراره وانواره عطاء وافرا وهو الاتاء * ثم قال رضى الله عنه

(و) أقسم عليك وأتوسل اليك (ب) جاه بضعتك سيدتنا فاطمة الزهراء (ام) والدة (السبطين) بكسر سين تثنية سبط كقفرس ولد الولد سيدنا الحسن وسيدنا الحسين (زوج) عطف بيان أى زوجة سيدنا (على) رضى الله عن جميعهم وعنابهم الرضا الابدى آمين (و) أقسم عليك وأتوسل اليك بجاه (بنيها) الخمسة سيدنا الحسن وسيدنا الحسين وسيدنا محسن بفتح ميم وحاء وكسر سين مشددة هذا مات صغيرا وسيدتنا أم كلثوم وسيدتنا زينب رضى الله عنهم أجمعين وعنابهم الرضا الابدى آمين (و) أقسم عليك وأتوسل اليك بجاه (من حوته) ضمته وشملته (العباء) بفتح عين كسماء كساء معروف (١٣٦) وهم النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسيدتنا فاطمة وسيدنا على وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين وقد صح انه صلى الله عليه وعلى آله وسلم جعل عليهم كساءه فقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا الحديث فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثا وأسكفة بضم همزة وكاف وبفاء مشددة العتبة بفتحين (و) أقسم عليك وأتوسل اليك (ب) جاه (أزواجك) وهن احدى عشرة (اللواتى تشرفن) أى حصل لهن الشرف والفضل على غيرهن (بان صانهن) حفظهن من النار دنيا واخرى (منك) حال من قوله (بناء) أى دخول بالفعل او بالنية ليشمل من تزوج ولم يدخل بها (الامان) بنصب مفعول لمحذوف أى ان تؤمننى من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة (الامان) تأكيد للاول (ان) بكسر همزة وبفتحها الا انها فى قوة التعليل (فؤادى) قلبى (من) أجل مخافة (ذنوب) عظيمة كثيرة (أتيتهن) فعلتهن (هباء) بفتح هاء وموحدة كسماء ما يرى من الغبار فى شعاع الشمس اذا دخلت فى كوة وفى نسخة هواء بواو أى خال وفارغ من فهم ما يعنى لشدة ما حل به من الخوف (قد) للتحقيق (تمسكت) تعلقت وتحصنت (من ودادك) بتثليث واو أى مودتك ومحبتك بيان لقوله (بالحبل) أى بالسبب الاقوى والعهد الاوفى (الذى استمسكت) أى اعتصمت وتعلقت (به) أى بالحبل (الشفعاء) من الانبياء والاولياء والعلماء اذ لم تحصل لواحد منهم الشفاعة الا بمحبتك (وأبى) أى لم يرد (الله) تعالى بمحض فضله وكرمه (ان يمسنى) بفتح تحتية وميم من مسه كنا أصابه وأدركه (السوء) بضم سين وفتحها الشر (بحال) أى فى حال وما لى دنيا وأخرى (ولى) خبر مقدم أى والحال ان لى (اليك) متعلق بقوله (التجاء) استناد واعتصام وركون

(وَبِأُمِّ السِّبْطَيْنِ زَوْجِ عَلِيٍّ * وَبَنِيهَا وَمَنْ حَوَتْهُ الْعَبَاءُ)

ذكر فى هذا البيت أم السبطين وهى فاطمة ابنت النبى صلى الله عليه وسلم والسبط عند العرب هو ولد البنت ووصفها بكونها زوج على رضى الله عنه و بنيها وهما سيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضى الله عنهما * قوله ومن حوته العباء أراد بمن حوته العباء والعباء هى الكساء والذى حوته العباء أشار بهذا الى ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه جمع معه فاطمة والحسن والحسين وعليا فى كساء واحد الخ القصة وقد تقدمت * ثم قال رضى الله عنه

(وَبِأَزْوَاجِكَ اللَّوَاتِي تَشَرَّفْــنَ بِأَنْ صَانَهُنَّ مِنْكَ بِنَاءُ)

ذكر فى هذا البيت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم الطاهرات امهات المؤمنين منهن خديجة وقد توفيت فى حياته صلى الله عليه وسلم وهى أم أولاده صلى الله عليه وسلم الا سيدنا ابراهيم عليه السلام والتسع التى توفى عنهن صلى الله عليه وسلم * قوله تشرفن بان صانهن منك البناء لما بنى بهن صلى الله عليه وسلم اصطفاهن الله تعالى وطهرهن وتشرفن * ثم قال رضى الله عنه *

(الأَمَانَ الأَمَانَ إِنَّ فُؤَادِي * مِنْ ذُنُوبٍ أَتَيْتُهُنَّ هَوَاءُ)

ثم انتقل يسأل من النبى صلى الله عليه وسلم مراده قال الامان الامان ثناه للتأكيد أو لشدة الحث فى الرغبة والطلب والامان ههنا هو الامان من عذاب الله فى الآخرة أطلب منك الامان الامان قال اعتذر عن نفسه لهذا طلب الامان قال ان فؤادى تقطع حتى صار كالعدم من شدة الخوف من ذنوب أتيتهن تقدمت مقر وما كالهواء * ثم قال رضى الله عنه

(قَدْ تَمَسَّكْتُ مِنْ وِدَادِكَ بِالْحَبْــلِ الَّذِي اسْتَمْسَكَتْ بِهِ الشُّفَعَاءُ)

معناه أنه ينادى النبى صلى الله عليه وسلم يقول له قد تمسكت من ودادك وهى المحبة تمسكت منها بالحبل الذى تمسكت به الشفعاء والشفعاء جمع شفيع يعنى كما تمسكت الشفعاء بحبل وداده صلى الله عليه وسلم يعنى لا شفيع عند الله يوم القيامة الا من له اتصال بحبل وداده صلى الله عليه وسلم أو بحبل من اتصل بحبله صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

(وَأَبَى اللهُ أَنْ يَمَسَّنِيَ السُّوءُ * بِحَالٍ وَلِي إِلَيْكَ الْتِجَاءُ)

(قد رجوناك) معشر المحبين ذخيرة وعدة (للامور) العظيمة الصعبة التى لا يوجد لها دواء سواك (التى أبردها) أيسرها وأسهلها مبتدأ (فى قلوبنا) وفى نسخة فؤادنا (رمضاء) بفتح راء وضاد كحمراء نار محرقة من شدة خوف ما ارتكبناه من الذنوب والمخالفات (وأتينا) أى جئنا بقلوبنا وقوالبنا (اليك) أى الى ساحتك الكريمة وقبرك الشريف حال كوننا (أنضاء) بفتح همزة جمع نضو بكسر نون كضرس المهزول الضعيف (١٣٧) (فقر) من الاعمال الصالحات (حملتنا) وأوصلتنا (الى) محل ومركز (الغنى) الحسى والمعنوى وهو حضرتك (أنضاء) بفتح همزة جمع نضو كضرس أى ركائب ضعاف كما مر من شدة الهزال (وانطوت) أى انكتمت واستترت (فى الصدور) أى فى قلوبنا (حاجات) جمع حاجة وفى نسخة بالافراد (نفس) أرجو حصولها من نوالك الكريم وفضلك العميم (ما) نافية (لها) أى لتلك الحاجات خبر عن انطواء وبه تعلق (عن ندى) بفتحتين العطاء والكرم (يديك) الكريمتين (انطواء) استتار واستغناء اذ لا تحصل ولا توجد الا على يديك الشريفتين الكريمتين (فأغثنا) كأعنا وزنا ومعنى وانصرنا وأدركنا بشفاعتك وبفضلك (يامن هو الغوث) للملهوفين والمكروبين عند الشدائد (والغيث) المطر المريع للمضطرين (اذا أجهد) أى ضيق على (الورى) بفتحتين الخلق (اللاواء) بفتح همزة وتشديد واو شدة القحط والجدب (و) يامن هو (الجواد) بفتح

جيم وتخفيف واو كسحاب أى الكثير الجود والعطاء (الذى) نعت (به) أى بسبب التوسل والتعلق به (تفرج) بضم فوقية وفتح راء مبنى للمفعول أى تكشف (الغمة) بضم غين الكرب والحزن الشديد وفى نسخة الكربة (عنا) معشر المؤمنين (وتكشف) بضم فوقية وفتح شين مبنى للمفعول أى تمحى وتزال عنا (الحوباء) بفتح حاء وضمها الاثم

قال أبى الله أن يمسنى بسوء ولى اليك التجاء يعنى لا يمسنى السوء من الله ما دمت ملتجئا اليك مستمسكا بحبلك ● ثم قال رضى الله عنه

(قَدْ رَجَوْنَاكَ لِلأُمُورِ التى أَبْـــرَدُهَا فِى قُلُوبِنَا رَمْضَاءُ)

قال قد رجوناك للامور وهى الدواهى العظام التى تظهر يوم القيامة بالهلاك والزلازل والرجف والعذاب رجوناك لهذه الامور أن تفكنا منها يا رسول الله وهى فى فؤادنا رمضاء والرمضاء هى الرملة التى اشتدت حرارتها من حرارة الشمس فلا يقدر أحد أن يمسها أو يضع رجله عليها قال تلك الامور التى خفنا ورجوناك لها أهونها وأسهلها هو فى قلبى مثل الرمضاء الشديدة الحر ● ثم قال رضى الله عنه

(وَأَتَيْنَا إِلَيْكَ أَنْضَاءَ فَقْرٍ ● حَمَلَتْنَا إِلَى الْغِنَى أَنْضَاءُ)

ههنا يشتكى الى النبى صلى الله عليه وسلم قال أتينا اليك يارسول الله انضاء فقر والانضاء جمع نضو وهو العضو المقطوع من الانسان يعنى أتينا اليك وقد قطعنا الفقر حتى صيرنا انضاء يعنى أعضاء منفصلة بعضها من بعض يعنى فلا يمسك عضو عضوا ● قوله حملتنا الى الغنى انضاء يريد النوق التى تحمله فانها مقطعة الانضا من شدة التعب وهى الاعضاء المنفصلة ● ثم قال رضى الله عنه

(وَانْطَوَتْ فِى الصُّدُورِ حَاجَاتُ نَفْسٍ ● مَالَهَا عَنْ نَدَى يَدَيْكَ انْطِوَاءُ)

معناه انه يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم ويسأل من فضله بقوله وانطوت أى سترت واضمرت فى النفوس وهى القلوب حاجات يعنى مقاصد نفس أو اغراضها اما تلك الحاجات التى تضمرها النفوس عن ندا يديك أى عن اعطاء يديك انطواء يعنى انقباضا وامتناعا فهى تريد الورود من ندا يديك ما لورودها انقباض أى انطواء ثم قال رضى الله عنه

(فَأَغِثْنَا يَامَنْ هُوَ الْغَوْثُ وَالْغَيْــثُ إِذَا أَجْهَدَ الْوَرَى اللَّأْوَاءُ)

قوله فاغثنا يامن هو الغوث والغوث هو الشخص الذى يكون من يده العطاء عند الحاجة وزوال الكرب والخناق عند الشدة اغثنا يامن هو الغوث وهذه صفته صلى الله عليه وسلم ● قوله والغيث يعنى هو المطر الغزير الذى يرد بكثرة الخصب عند شدة الجدب كما أنت الغوث كذلك أنت الغيث اذا أجهد الورى اللأواء وهو شدة الجدب يعنى أنت يارسول الله الغيث لجميع الخلق اذا أجهد الورى ● ثم قال رضى الله عنه

(وَالْجَوَادُ الَّذِى بِهِ تُفْرَجُ الْغُمَّــةُ عَنَّا وَتُكْشَفُ الْحَوْبَاءُ)

والذنب وفي نسخة الغماء وهي بمعنى واحد (يارحيما) ويا رؤفا (بالمؤمنين) (١٣٨) قال تعالى حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم (اذاما) زائدة

يعني وأنت الجواد والجواد هو كثير الخير والعطاء وكثير الفيض بالجود أنت الجواد الذي به تفرج الكربة من سترة جوده وخيره وبه تكشف الغماء والغماء هي صفة الكرب الذي يغم الشخص حتى يشتد عليه الضيق والكرب من كل جانب ثم قال رضي الله عنه

(يارَحِيماً بِالمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا * ذَهِلَتْ عَنْ أَبْنَائِهَا الرُّحَمَاءُ)

قال يارحيما بالمؤمنين وحقيقة الرحيم هو الذي تأخذه الرقة الباطنية والشفقة على المرحوم فتلك الرقة والشفقة يذب بها عن المرحوم كل كرب وضيق وكل بلاء وهلاك ويجلب اليه كل ماقدر عليه من كل ماهو محتاج اليه من الخيرات فهو الرحيم كان صلى الله عليه وسلم رحيما بالمومنين فلذلك وصفه الله في كتابه العزيز بقوله بالمؤمنين رؤف رحيم * قوله اذا ماذهلت الخ أشار بهذا الى حال الخلق في يوم القيامة فان جميع الرحماء من النبيين والصديقين كلها ذهلت عن أبنائها فضلا عن غيرهم من شدة التجلي بما يروع النفوس فكل منهم يقول لا أسألك الا نفسي فهو حينئذ صلى الله عليه وسلم يقول لا اسألك نفسي وانما أسألك أمتي وعدك يامن لا يخلف الميعاد فانك وعدتني أن لا تخزيني في أمتي * ثم قال رضي الله عنه

(يَاشَفِيعاً لِلْمُذْنِبِينَ إِذَا أَشْـفَقَ مِنْ خَوْفِ ذَنْبِهِ البُرَآءُ)

هذا وصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ياشفيعا في المذنبين ويريد بها الشفاعة الكبرى التي له صلى الله عليه وسلم يوم القيامة قال ياشفيعا في المذنبين اذا أشفق من خوف ذنبه البرآء والبرآء جمع بريء والمراد بهم جماعة النبيين والصديقين كلهم أشفقوا من خوف ذنوبهم وهم برآء من الذنوب * ثم قال رضي الله عنه وأرضاه

(جُدْ لِعَاصٍ وَمَاسِوَايَ هُوَ العَا * صِي ولَكِنْ تَنَكُّرِي اسْتِحْيَاءُ)

قال ناداه صلى الله عليه وسلم جد لعاص والعاصي هو الذي خالف أمر الله تعالى باجتناب أوامره وارتكاب نواهيه فهذا هو العاصي قال جد بشفاعتك للعاصي وماسواي هو العاصي وماهنا نافية لا موصولة فقال ما العاصي سواي بل أناهو العاصي وفي تنكري استحياء لم يقل أناهو العاصي ونكر الامر بقوله جد لعاص وهي نكرة لا معرفة ثم قال وفي تنكري استحياء من الله خوفا أن توجب لي المقت من الله تعالى * ثم قال رضي الله عنه

(وَتَدَارَكْهُ بِالعِنَايَةِ مَادَا * مَ لَهُ بِالذِّمَامِ مِنْكَ ذِمَاءُ)

قال جد لعاص وتداركه بالعناية أراد التدارك بأصل الفعل لا بنفسه فان من لم يداركه الله بفعله قد يمحى ويحبط ويرد الى خسرانه ومن تداركه الله بعنايته التي هي أصل الفعل لم يكن عليه خوف والمراد بها هي حقيقة المشيئة الربانية والواقع بها الذي لا يمحى ولا يبدل هو صوت الحكم الالهي بسعادة من اسعده حيث هو أن ذلك الحكم منوط بالمشيئة الالهية وتصور تلك السعادة في علم الحق سبحانه تصور الحالة محمودة محبوبة في المآل ونفوذ الكلمة الالهية بذلك بقوله لها كن وتسطير ذلك في أم الكتاب فهذا هو الذي لا محو فيه ولا تبديل وعلى هذا الامل المحقق وقع الرش منه سبحانه وتعالى في الارواح بانواره الحقيقية فانه خلق الارواح سبحانه وتعالى في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه

(ذهلت) بفتح هاء وكسرها كمنع وعلم غفلت ونسيت (عن أبنائها) أى أولادها والضمير راجع لقوله (الرحماء) جمع رحيم الامهات والآباء قال تعالى يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت الآية (ياشفيعا) الشفاعة العظمى في جميع اهل الحشر والشفاعة الخاصة (في) المؤمنين (المذنبين اذا) أى حين (أشفق) وخاف وذل ودهش (من) شدة (خوف ذنبه) وافرد الضمير الراجع لما بعده لكونه مرادا به الجنس (البرآء) جمع بريء المنزهون المقدسون من جميع النقائص والذنوب وهم الانبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام (جد) بمحض فضلك العميم وكرمك العظيم (لعاص) أى لعبد ذليل أسير المعاصي والمساوي فلان (وما) نافية (سواي) اى غيري من الخلائق (هو) المراد بقولي (العاصي) السابق (ولكن تنكري) بفتح فوقية ونون وضم كاف مشددة مصدر تنكر ويا ء ساكنة أى عدم تسميتي نفسي باسمها (استحياء) منك ان أسمي نفسي باسمها (وتداركه) فعل أمر أى أدرك ذلك العاصي (بالعناية) أى بمحض عنايتك بشأنه حتى يفوز برضاك ورضا الله تعالى (ما) ظرفية مصدرية (دام) واستمر (له) أى لذلك العاصي (بالذمام) بكسر ذال معجمة العهد والذمة والحرمة (منك) متعلق بمحذوف حال (ذماء) بفتح

ذالمعجمة كسماء أدنى وأقل تعلق واستمساك (أخرته) أى أبعدت ذلك العاصى وخلفته (الاعمال) بفتح همزة جمع عمل الذنوب والسيئات (والمال) الفانى الذى جمعه وأمسكه ولم يصرفه فى وجوه الخير والطاعة (عما) أى عن الاعمال الصالحات التى (قدم) بها واذخرها (الصالحون و) أخره وخلفه حب المال وامساكه عما قدمه واذخره (الأغنياء) الاتقياء من انفاق المال وصرفه فى وجوه الخير والطاعات (كل) برفع مبتدأ (يوم) بعر عليه (ذنوبه) مبتدأ ثان (صاعدات) بها الملائكة الموكلون برفعها الى الله تعالى (وعليها) أى ومن أجل ذنوبه التى صعدت بها الملائكة الى الله تعالى (أنفاسه) وزفراته (صعداء) بضم صاد وفتح عين جمع صاعد مع ذنوبه (ألف) بكسر لام كعلم اعتاد ذلك العاصى (البطنة) بكسر موحدة أى ملء بطنه بطعام وشراب لانها تثقل البدن وتذهب الفطنة وتقسى القلب (المبطئة) بضم ميم وفتح باء وكسر طاء مشددة من بطأه أخره وعوقه وصده (السير) بجر أى عن العمل الصالح (بدار) أى فى دار الدنيا (بها) أى فيها (البطان) بكسر موحدة جمع بطين عظيم البطن (بطاء) بكسر موحدة جمع بطى المتأخر والمتخلف عن الفائزين بكل خير (ف) بسبب ما ذكر (بكى) ذلك العاصى بكاء عويلا على (ذنبه بقسوة) بفتح قاف كثمرة الغلظة أى مع قساوة وصلابة (قلب) ه (نهت) قسوة قلبه وغلظته (الدمع) أن يسيل من عينه (فالبكاء) العويل حينئذ انما هو (مكاء) بضم ميم التصفير والتصويت بشدة بالفم (وغدا) أى صار ذلك العاصى (يعتب) بفتح تحتية وضم فوقية وكسرها من عتبه كنصر وضرب أى يتعلل ويستعذر (القضاء) أى بالقضاء بأن يقول هذا أمر قدره الله على ولا حول ولا قوة الا بالله (و) الحال انه (لا عذر) بضم عين وذال معجمة كقفل يقبل (لعاص) أى لكل عبد عاص (فيما يسوق) ه اليه ويأتى به (القضاء) والقدر من

من ذلك النور كان سعيدا فى المآل وان ظهرت عليه صورة الكفر والمعاصى فى الاول ومن لم يصبه من ذلك النور كان شقيا محروما نعوذ بالله من ذلك وان ظهرت عليه صورة الايمان والطاعة فى الاول فهو شقى محروم والعياذ بالله من ذلك وفى تمييز هذا الرش بين الارواح وقع التمايز فى القبضتين بقوله سبحانه وتعالى وقد قبض قبضة من الارواح فقال هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وما أصاب النور الا أهل هذه القبضة وقد قبض القبضة الاخرى من الارواح وقال هؤلاء الى النار ولا أبالى وهم الذين لم يصبهم رش النور فهذه هى العناية التى هى أصل الفعل فلذا قال تداركه بالعناية ما دام بالذمام منك يعنى ما دامت ذمتك عليه مبسوطة * قوله ذماء يعنى بقاء بروحه فى جسده تداركه بالعناية مادامت روحه فى جسده * ثم قال رضى الله عنه

(أخَّرَتْهُ الأعْمَالُ وَالمَالُ عَمَّا * قَدَّمَ الصَّالِحُونَ وَالأغْنِيَاءُ)

قال أخرته أعماله السيئة عما قدمه الصالحون من الاعمال الصالحات وأخره المال يعنى حب المال عما قدمه الاغنياء فى صرفهم المال فى اعطائهم لله تعالى * ثم قال رضى الله عنه

(كُلُّ يَوْمٍ ذُنُوبُهُ صَاعِدَاتٌ * وَعَلَيْهَا أنْفَاسُهُ صُعَدَاءُ)

يعنى وصف نفسه بالعصيان تواضعا لله تعالى وخوفا منه قال كل يوم ذنوبه صاعدات الى الله تعالى والمراد بها صحائف أعماله التى تصعد بها الحفظة الى الله تعالى وعليها أنفاسه صعداء يعنى أنفاسه صاعدات اهتماما وكربا من الاشفاق من تلك الاعمال والخوف من عذابها * ثم قال رضى الله عنه

(ألِفَ البِطْنَةَ المُبَطِّئَةَ السَّيْرِ * بِدَارٍ بِهَا البِطَانُ بِطَاءُ)

يعنى وصف نفسه بانه ألف البطنة وهى الشبع والمراد بها امتلاء البطن من الاكل فان من ألف البطنة واتخذها عادة أوقفته عن السير الى الله تعالى * قوله بدار وهى الدنيا بها البطان والبطان جمع بطين وهو الذى يملأ بطنه من الاكل والبطاء جمع بطى والمراد بهم الذين قعدوا عن السير الى الله تعالى بامتلاء بطونهم من الاكل * ثم قال رضى الله عنه

(فَبَكَى ذَنْبَهُ بِقَسْوَةِ قَلْبٍ * نَهَتِ الدَّمْعَ فَالبُكَاءُ مُكَاءُ)

وصف نفسه بالبكاء من الذنب لما حل به من البكاء الذى ذكره قال فبكى ذنبه بقسوة قلب والقسوة تمنع من البكاء فهو يبكى وليس بباك وقسوة القلب تمنع سيلان الدموع من العين فبكاؤها حينئذ ليس ببكاء حقيقة وانما هو مكاء وهو التصفير * ثم قال رضى الله عنه

(وَغَدَا يَعْتِبُ القَضَاءَ وَلاَ عُذْ * رَ لِعَاصٍ فِيمَا يَسُوقُ القَضَاءُ)

المعاصي المقدرة عليه في الازل (أوثقته) بفتح همزة ومثلثة أي قيدت ذلك العاصي وحبسته (من) كثرة (الذنوب) والمعاصي متعلق بمحذوف حال من قوله (ديون) حقوق كثيرة لله ولعباده ترتبت (١٤٠) عليه من أجل ذنوبه ومعاصيه (شددت) غلظت وألحت عليه (في اقتضائها) أي في طلب قضاء تلك الديون (الغرماء) جمع غريم أرباب الديون (ما) نافية (له) أي لذلك العاصي (حيلة) بكسر حاء كقيمة الاحتيال والتدبير تخلصه وتنقذه من ورطة تلك الديون (سوى) أي غير (حيلة الموثق) بضم ميم وفتح مثلثة أي المقيد (اما توسل) الى الله تعالى بعمل عمله أو بمن له الجاه الى الله تعالى من نبي أو ولي (أو دعاء) الى الله تعالى أن يرضي عنه غرماءه وخصماءه حال كونه (راجيا) ومؤملا من فضل الله الكريم وجوده العميم بجاه نبيه العظيم (ان تعود) ترجع وتصير (أعماله) بفتح همزة جمع عمل (السوء) أي السيئة القبيحة ملتبسة (بغفران الله) له مغفرة لا تغادر صغيرة ولا كبيرة (وهي) بسكون هاء أي أعماله السيئة حينئذ (هباء) بفتح هاء أي مثله في كونه لا حقيقة ولا وجود لها (أو) ان (ترى) بضم فوقية مبني للمفعول (سيئاته) وذنوبه التي عملها في جميع عمره (حسنات) فضلا ومنة من الله تعالى عليه لانه في سلك إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات (ف) بسبب تبديل السيئات حسنات (يقال) عند حصول ذلك ورؤيته بالمعاينة (استحالت) تغيرت وتبدلت (الصهباء) بفتح صاد الخمر خلا

يعني انه يعلم ان ماحل به من البكاء هو حكم الله تعالى الذي لا محيد لاحد عنه بحقه أن لا يسخطه فذهب مساخطا للحكم في عدم رضاه به فهذا هو الذي يسمى عتاب القضاء والعتاب هو شدة الخصام والمخاصمة قال غدا أي صار يعتب القضاء ولا عذر لعاص فيما يسوق القضاء تكلم أولا على حكم الحقيقة الالهية التي هي عين المشيئة الربانية فليس هنالك الا الرضا بالحكم والقضاء وتكلم هنا على صورة الشرع الظاهر قال ولا عذر لعاص فيما يسوق القضاء بل التسجيل عليه بالظلم لنفسه هو الواقع شرعا وان كان عين الحكم في ذلك هو المشيئة الربانية فلا عذر للعاصي في ذلك * ثم قال رضي الله عنه

(أَوْثَقَتْهُ مِنَ الذُّنُوبِ دُيُونٌ * شَدَّدَتْ فِي اقْتِضَائِهَا الغُرَمَاءُ)

أخبر عن نفسه بما تشكى له صلى الله عليه وسلم قال أوثقته من الذنوب ديون فهو مرهون فيها يشير بهذا الى قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الآية قال وتلك الديون التي عليه شددت الغرماء في اقتضائها فما سامحوه في شيء فهو يبكي منها أبدا من كثرة الديون وعدم المسامحة في شيء منها * ثم قال رضي الله عنه

(مَالَهُ حِيلَةٌ سِوَى حِيلَةِ المُوثَقِ إِمَّا تَوَسُّلٌ أَوْ دُعَاءُ)

قال ماله في هذا الامر الذي حل به أي لا حيلة له في دفعه ولا في التخلص منه فهو موثوق من كل جهاته لا يستطيع دفاعا ولا يملك في التخلص منها نقاعا فلا حيلة له الا التوسل بأهل الوسيلة أو الدعاء والاستغاثة * ثم قال رضي الله عنه

(رَاجِياً أَنْ تَعُودَ أَعْمَالُهُ السُّوءُ بِغُفْرَانِ اللهِ وَهْيَ هَبَاءُ)

قال راجيا من الله أخبر عن نفسه في هذه الحالة انه ما تمكن يأسه ولا انقطع رجاؤه من الله تعالى بل رجاؤه في الله متمن أن تصير ذنوبه هباء بالعفو من الله عنها والمغفرة لها فان الذنوب اذا فاض عليها عفو الله تعالى صارت هباء * ثم قال رضي الله عنه

(أَوْ تُرَى سَيِّئَاتُهُ حَسَنَاتٍ * فَيُقَالُ اسْتَحَالَتِ الصَّهْبَاءُ)

قال راجيا من الله تعالى أن تعود سيئاته هباء أو تنقلب حسنات وهي أعظم منة من العفو عنها فلقد روي في الخبر أنه يؤتى ببعض المذنبين فيقف بين يدي الله تعالى فيقول سبحانه وتعالى للملائكة أعرضوا عليه صغار ذنوبه فيجردونها بين يديه في صحيفة أخرى غير الصحيفة الاولى فتعرض عليه وهو مشفق منها ومن ظهور الكبار المكتومة حتى اذا جزع منها قال له ربه سبحانه وتعالى ان لك بكل سيئة عملتها حسنة فيقول العبد من طمعه ان لي ذنوبا أخرى ما أراها هنا فيقول له جل جلاله لك بكل واحدة منها حسنة * ثم قال فيقال استحالت الصهباء يعني صارت عسلا في غاية الحلاوة واللذة والنفع والصهباء هي الخمر * ثم قال رضي الله عنه

(كُلُّ أَمْرٍ تعنى بِهِ تُقَلَّبُ الأَعْـيَانُ فِيهِ وَتَعْجَبُ الْبُصَرَاءُ)

معناه أنه يخاطب الله جل جلاله أو يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كل أمر تعنى به والعناية بالشئ هى شدة النظر فى حفظه والاهتمام باصلاحه ودفع الضرر والنقص والفساد عنه قال كل أمر تعنى به يعنى هذه العناية المذكورة فبها تقلب الاعيان فتصير من فساد الى صلاح ومن قبيح الى غاية الحسن ومن خساسة واهانة الى غاية العلو والشرف والتعظيم والاجلال قال وتعجب البصراء بعدما كانوا يبصرونه فى غاية الخسة والاهانة والذلة صاروا يرونه فى غاية العلو والشرف والتعظيم * ثم قال رضى الله عنه

(رُبَّ عَيْنٍ تَفَلَتْ فِى مَائِهَا الْمِلْـحِ فَأَضْحَى وَهْوَ الفُرَاتُ الرَّوَاءُ)

معناه رب عـين من الماء فى مائهـا تفلت فيها مع شدة ملوحتها فاضحى ماؤها الفرات يعنى العذب الذى روى كل عطشان * ثم قال رضى الله عنه

(آهُ مِمَّا جَنَيْتُ إِنْ كَانَ يُغْنِى * أَلِفٌ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبٍ وَهَاءُ)

آه كلمة تأوه يتأوه الشخص بها من ثقل ماحل به من العذاب أو البلاء أو الكرب أو البعد عن محبوبه أو مراده فهذا معناه مما جنيت من الذنوب تأوه من شدة عقوبتها ان وقعت ان كان يغنى من الذنب الف وهاء فهذا لا يغنى شيئا * ثم قال رضى الله عنه

(أَرْتَجِى التَّوْبَةَ النَّصُوحَ وَفِى الْقَلْـبِ نِفَاقٌ وَفِي اللِّسَانِ رِيَاءُ)

ثم انعطف على توبيخ نفسه مشتكيا مما حل به مستعطفا فيضا ونوالا من مواهب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال أرتجى التوبة النصوح وحقيقة التوبة النصوح هى التى وقعت من التائب باستكمال شروطها وآدابها أما شروطها فالندم على مافات والعزم على أن لا يعود الى ذنب فيما بقى من عمره وتعميمها عن كل مخالفة وأما آدابها فهى تلافى المستأنف بدلا من التقصير فى السالف وملازمة الوقوف بباب الله تعالى بالتضرع والاستكانة بالبعد عن الغفلة حسب الاستطاعة وتبديل الحال صحبة ومجلسا ومعيشة اما الصحبة فبالبعد عن الاصحاب الذين الفهم عن المعاصى والمخالفة لامر الله تعالى وأما المعيشة فاستعمال الورع مما كان يتصور فيه من جلب الكسب من محرم وغيره فمن لم يستكمل الشروط لا يكتب عند الله تائبا ومن لم يستكمل الآداب لم ير لتوبته فائدة ولا يدرك لها نتيجة فهذه هى التوبة النصوح وسكتنا

(كل) برفع مبتدأ (أمر) من الامور الدينية والدنيوية والاخروية فى الكون كله (تعنى) بفتح فوقية وكسر نون وبفتحها من عنى كرضى بالبناء للفاعل أو بضم فوقية وفتح نون من عنى كزهى اللازم للبناء للمفعول أى تعتنى وتهتم (به) أى بذلك الامر (تقلب) بضم فوقية وفتح لام مبنى للمفعول أى تبدل وتحول (الاعيان) بفتح همزة جمع عين أى الذوات عن صفاتها التي لا تريدها الى الصفات التي تريدها (فيه) أى فى ذلك الامر (وتعجب) بفتح فوقية وجيم من عجب كفرح أى تتعجب وتستعظم (البصراء) جمع بصير أى أصحاب البصائر والعقول السليمة من تقليب (١٤١) تلك الاعيان من حال الى حال (رب) للتكثير (عين) أو بئر (تفلت) بفتح فوقية وفاء كضرب ونصر بصقت (فى مائها) أى العين (الملح) بكسر ميم كضرس أى شديد الملوحة والمرارة بجر نعت لماء (فأضحى) أى فتحول ذلك الملح عن صفات الملوحة الى صفات العذوبة ببركة امتزاجه بتفلك وبصاقك الذى هو أحلى وأعذب من كل شئ (وهو) بسكون الهاء أى الماء الملح المتفول فيه (الفرات) بضم فاء كغراب الحلو العذب الزلال اللذيذ لكل شارب (الرواء) بفتح راء كسماء أى الذى يحصل الرى الكامل بقليل منه لشاربه لعذوبته وحلاوته (آه) بتثليث الهاء بدون تنوين هنا اسم فعل للمضارع أى أتوجع وأتحسر وأتحزن (مما) أى من خوف وهم الذنب العظيم الذى (جنيته) واكتسبته مدة حياتى (ان) شرطية (كان) على الفرض والتقدير (يغنى) أى يجزى عنى شيئا (ألف) وهمزة وهاء أسماء حروف كلمة آه فى أول البيت (من عظيم ذنب) أى من الذنب العظيم الذى اكتسبته (وهاء) معطوف على الالف كما مر فى التقدير (أرتجى) وآمل من فضل الله تعالى (التوبة) بالتعريف وفى نسخة بتنكير الندم على الذنب والاقلاع عنه (النصوح) بتعريف وتنكير أيضا أى الخالصة الصادقة بحيث لا أعود للذنب أبداً (و) الحال انه متلبس ومتعلق بما يخالف قولى (فى القلب) أى فى فؤادى (نفاق) كامن عظيم من حيث خالفت أقوالى أفعالى وجميع الجوارح (وفى اللسان) (رياء) بكسر راء وتخفيف تحتية التكلم بما يدل على التوبة ظاهرا وهو فى الباطن بخلاف ذلك

(ومتى) مبتدأ اسم استفهام تعجبي وابعادى أى وكيف (يستقيم قلبي) باقباله على الله تعالى واعراضه عما سواه (و) الحال انه قد حصل وثبت (للجسم) أى جسدى (اعوجاج) بكسر همزة مصدر اعوج ضد استقام واعتدل وانتصب (من) أجل (كبرتى) بكسر كاف وسكون موحدة وبياء متكلم أى كبر سنى وضعف (١٤٢) قوتى (وانحناء) أى انعطاف وتقويس لظهرى (كنت) دمت وبقيت (فى نومة) بفتح نون وغفلة (الشباب) بفتح شين كسحاب حداثة السن (فما استيقظت) ولا انتبهت من نومة الشباب وغفلته (الاولتى) بكسر لام شعر مجاوز شحمة الاذن والمراد بها هنا اللحية (شمطاء) من الشمط بفتحتين وهو اختلاط بياض شعر الرأس بسواده (و) لما بلغت هذا السن الذى تعسر فيه التوبة (تماديت) أخذت وطلبت فى السير الى الله تعالى (اقتفى) اتبع (أثر) بفتح همزة ومثلثة أى بقية (القوم) أى المشايخ الواصلين الى الله تعالى (فطالت) بى وامتدت على (مسافة) مفازة عظيمة (و) طال بى (اقتفاء) أى اتباع أثرهم (ف) بسبب طول المسافة بى واتباع أثر القوم الصالح (ورا) بالقصر بمعنى خلف خبر مقدم عن سبل (السائرين) من السرى وهو المشى عامة الليل أى المجتهدين فى جميع الليل (وهو) بسكون هاء أى ورا السائرين (أمامى) بفتح همزة أى قدامى مبتدأ وخبر جملة اعتراضية (سبل) بضمتين جمع سبيل كطريق وطرق وزنا ومعنى (وعرة) بفتح واو أى صعبة السلوك شديدة المخلوف كثيرة المهالك (وأرض عراء) بفتح عين كسماء الخلاء والفضاء الواسع

فيها عن بعض شروطها التى هى الاقلاع فان الشرطان المذكوران يغنيان عنه لان الندم على مافات والعزم على أن لا يعود الى ذنب فيما بقى من عمره لا يصلحان مع عدم الاقلاع فى الحال قال وفى القلب البيت وصف نفسه قال أرتجى التوبة النصوح ان أتى بها وفى القلب نفاق وفى اللسان رياء والفرق بين النفاق والرياء ان النفاق بدايته المام القلب وتحدثه بالوقوع فى أقل قليل مما لا يرضى الله مع عدم العزم فان عزم فقد وقع فهذه بداية النفاق ونهايته أن لا يضيع شيئا وان قل من أوقاته بالالتفات الى غير الله تعالى أو بالاشتغال بسواه أو بالاعراض عن باب الله ولو لحظة ويقابل النفاق الصفاء وهو تخلص العبد من متابعة هواه والالتفات لاغراض نفسه وحظوظه واستغراقه الاوقات فى الله والاستهتار بالتوبة به فهذا هو الصفاء قال وفى اللسان رياء والرياء هى الاشارة الى الخلق صريحا أو تلويحا أو ضمنا لرجاء النفع منهم أو دفع الضرر عنه منهم أو تعظيمهم له فهذا هو الرياء وضده الاخلاص وحقيقته هى تخليص المعاملة لله تعالى من وجه لا يشوبها رياء فهذا هو الاخلاص * ثم قال رضى الله عنه

(وَمَتى يَسْتَقِيمُ قَلْبِي وَلِلْجِسْمِ اعْوِجَاجٌ مِنْ كِبْرَتِي وانحناءُ)

أتى هنا بمتى الاستفهامية التى هى مقتضية للبعد قال ومتى يستقيم قلبي أى كيف يتصور لان القلب لا يستقيم الا بقوة المجاهدة وقوة المجاهدة تقتضى قوة الشباب وحالى الآن اعوجاج ظهرى من الكبر وانحناء فلا تستقيم المجاهدة على هذا الحال فلذا أتى بمتى المقتضية للبعد * ثم قال رضى الله عنه

(كُنْتُ فى نَوْمَةِ الشَّبَابِ فَمَا اسْتَيْقَظْتُ إلاَّ وَلِمَّتى شَمْطَاءُ)

وصف نفسه بانه فى نومة الشباب بالنوم لبعد انتباهه وصعوبة مخالفة هواه واشتغاله بلذة فرجه فلذا وصف الشباب بالنوم فما استيقظت منها الا ولمتى شمطاء والشمطاء هى المختلطة بالشيب وسواد الشعر * ثم قال رضى الله عنه

(وَتَمَادَيْتُ أَقْتَفِي أَثَرَ الْقَوْ * مِ فَطَالَتْ مَسَافَةٌ وَاقْتِفَاءُ)

قال وتماديت على حالى الذى هو فى غاية البعد ومع ذلك انا أقتفى أثر القوم يعنى أسير فى آثارهم فطالت المسافة على لبعدها وطال الاقتفاء فما وجدت راحة * ثم قال رضى الله عنه

(فَوَرَا السَّائِرِينَ وَهْوَ أَمَامِي * سُبُلٌ وَعْرَةٌ وَأَرْضٌ عَرَاءُ)

قال أنا أسير فى أثر القوم وأقتفى آثارهم وقد بعدت الطريق وفى الطريق سبل وعرة والوعرة هى العقبة الكؤود التى لا يستطاع صعودها الا بمشقة عظيمة وو راء ذلك أرض عراء فضاء خال من النبات والجبال فهى طويلة ممتدة لا نهاية لها * ثم قال رضى الله عنه

(حمد) بكسر ميم كعلم مدح وشكر (المدلجون) بضم ميم وسكون دال مهملة وكسر لام اسم فاعل من أدلج مشى عامة الليل (غب) بكسر غين معجمة أى عاقبة وآخر (سراهم) بضم سين أى مشيهم جميع الليل (وكفى) فى الخسران والندامة (من) يعنى نفسه (تخلف) عن مسيرهم عامة الليل (الابطاء) بكسر همزة ضد السرعة (رحله) عظيمة بجر بدل من سراهم وبرفع خبر لمحذوف وبنصب مفعول بفعل محذوف (لم يزل) لم يبرح (١٤٣) (يفندنى) بضم تحتية وكسر نون مشددة من التفنيد التكذيب (الصيف) فصل من فصول السنة (اذ) حين (ما) زائدة (نويتها) قصدت تلك الرحلة (والشتاء) فصل من فصول السنة أيضا (يتقى) أى يتحفظ ويخاف (حر) بضم حاء مهملة ما يبدو ويظهر من الخد برفع فاعل (وجهى) بفتح ياء متكلم (الحر) بفتح حاء وبنصب مفعول فى الصيف (والبرد) فى الشتاء (و) الحال انه (قد عز) صعب وعسر واشتد على (من) حر وبرد (لظى) بفتحتين اسم طبقة من طبقات النار (الاتقاء) التحفظ والتحرز لانى ملتبس ومشتغل بما يؤدى اليها من المعاصى (ضقت ذرعا) بفتح ذال المعجمة أى صبرا أى لم أقدر على الصبر ولم أطق حمله (مما) أى من أجل خوف وهم الذنوب التى (جنية) ها واكتسبتها مدة حياتى (فيومى قطرير) بفتح قاف أى شديد عسير (وليلتى درعاء) بفتح دال مهملة سوداء مظلمة (و) لكن خفف على أنى (تذكرت) سعة (رحمة الله) التى وسعت كل شئ وسبقت غضب الله (فالبشر) بكسر موحدة ونسخة فالبشرى كفضلى تصحيف طلاقة الوجه وسرور وه وانبساطه وضحكه برفع مبتدأ خبره تلقاه وبه تعلق قوله (لوجهى) بسكون ياء متكلم أى فالفرح والسرور مقابل ومواجه لوجهى (انى) أى حينا (انتحى) بهمزة وصل وفتح حاء فعل ماض أى توجه وقصد (تلقاء) بكسر فوقية وفتحها

(حَمِدَ الْمُدْلِجُونَ غِبَّ سُرَاهُمْ * وَكَفَى مَنْ تَخَلَّفَ الإِبْطَاءُ)

قال السائرون فى أثر القوم أدلجوا من شدة الشوق ساروا فى الدلجة وهى الليل حمدوا غب سراهم عند ذلك والغب هى المرارة والمشقة التى تحملوها فى السير بالليل فلما أصبحوا وجدوا اقرب المنزل الذى صاروا اليه فحمدوه عند ذلك ومن تخلف عن الادلاج معهم كفاه الابطاء عن الوصول الى المنزل * ثم قال رضى الله عنه

(رِحْلَةٌ لَمْ يَزَلْ يُفَنِّدُنِي الصَّيْـفُ إِذَا مَا نَوَيْتُهَا وَالشِّتَاءُ)

قال رحلة أرتحلها كل ما نويتها وأردت الاشتغال بها يفندنى عنها وعن الاشتغال بها الصيف لشدة حره والشتاء لشدة برده والتفنيد هو شدة المنع بشدة الممانعة والتوبيخ باللسان فمنه اذا أراد الانسان أمرا فاقبل عليه من يعنفه بالتوبيخ عن ارادة فعله وعدم الاقلاع عنه وحثه على تركه والتبرح عنه يقول المعصوم عليه الصلاة والسلام انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون يعنى تكثرون لومى وعتابى وتقهرونى بالسنتكم عن توجه النظر فى ذلك فاجابوا بقولهم تالله انك لفى ضلالك القديم * ثم قال رضى الله عنه

(يَتَّقِي حَرُّ وَجْهِيَ الحَرَّ وَالْبَرْ * دَ وَقَدْ عَزَّ مِنْ لَظَى الاِتِّقَاءُ)

قال وصف نفسه فى هذه الحالة وهو انه يريد الرحلة الى الله تعالى و يقيده عنها الصيف والشتاء لكون حر وجهه يتقى حر الصيف فلا يقدر على الارتحال معه و يتقى القر وهو شدة البرد من الشتاء فلا يستطيع الرحلة معه وهو فى هذا الحال وقد عاجله وقت المنية يخاف ان مات على هذه الحالة ان يعز اتقاء من نار لظى فلا يجد سبيلا الى الاتقاء منها * ثم قال رضى الله عنه

(ضِقْتُ ذَرْعًا مِمَّا جَنَيْتُ فَيَوْمِي * قَمْطَرِيرٌ وَلَيْلَتِي دَرْعَاءُ)

قال ضقت من الصيف ذرعا والمراد به حالة القلب بما حل به من الهم والكرب من خوف المؤاخذة بذنبه فيومى قمطرير والقمطرير هو الذى ظهرت فيه صورة الهلاك والخوف والرعب حتى لا يرجى فيه نجاة وليلتى درعاء يعنى مضرعة بالسواد من شدة ظلمتها * ثم قال رضى الله عنه

(وَتَذَكَّرْتُ رَحْمَةَ اللهِ فَالْبِشْـرُ لِوَجْهِيَ أَنِّي انْتَحَى تِلْقَاءُ)

لما فرغ من ذكر مخاوفه التى أوجبت خوفه وتوقع هلاكه قال وتذكرت رحمة الله مع ذلك والمراد بها هنا هى الرحمة التى وسعت كل شئ فلما تذكرت هذه الرحمة وقع البشر لوجهى وهو الفرح والسرور لكونى أنتحى يعنى أقصد تلقاء يعنى يقابلنى ويقبل على لا يستدبرنى ولا يغضب على والمراد بهذا التلقاء

(ف) بسبب خوفي وحزني مما جنيته من الذنوب وفرحي وسرور ي من سعة رحمة الله (ألح) بحاء مهملة كألظ بظاء مشالة كما في نسخة وزنا ومعنى قام ودام ولزم (الرجاء) الناشئ عن تذكر سعة رحمة الله (والخوف) الناشئ عن تذكر غضب الله وسخطه على من عصاه (بالقلب) أى في قلبي على حد سواء (وللخوف والرجا) بقصر اللازمين لقلبي (احفاء) بكسر همزة وبحاء مهملة أى استقصاء ومنازعة ومضادة لان الخوف يوجب التحسر والتحزن (١٤٤) والرجاء يوجب الفرح والسرور يا (صاح) منادى مرخم أى ياصاحبي يعنى نفسه (لا تأس) بفتح فوقية وسين من أسى كرضى حزن حزنا شديدا يؤدى الى القنوط وفي نسخة لا تيئس من يئس قنط أى لا تقنط من رحمة الله تعالى ولا تحزن حزنا يؤدى لذلك (ان ضعفت) بضم عين من الضعف ضد القوة (عن) اكتساب كثرة (الطاعة) بالافراد وفي نسخة بالجمع والاعمال الصالحة (واستأثرت) بفتح فوقية ومثلثة استقلت واستبدت واختصت (بها) أى بالطاعة والاعمال الصالحة (الاقوياء) أى الذين قويت هممهم في طاعة الله وقهروا نفوسهم (ان) بكسر همزة وبفتحها لانها في قوة التعليل (لله) البر الرؤف الرحيم (رحمة) عظيمة مذخرة لمن شاء من عباده (وأحق) وأولى وأسبق (الناس) المؤمنين (منه) أى من الله تعالى متعلق بمحذوف حال من قوله (بالرحمة) الواسعة العظيمة المذخرة عنده (الضعفاء) على اكتساب الطاعات لانكسار وذلة قلوبهم (ف) بسبب ماذكر من أحقية الضعفاء برحمة الله (ابق) بفتح قاف فعل أمر من بقى كرضى وسعى أى تأخر ياصاح (في العرج) بضم عين جمع أعرج أى الضعفاء على اكتساب الطاعات (عند) ظرف متعلق بابق (منقلب) بضم ميم وفتح لام أى انقلاب ورجوع (الذود) بفتح ذال معجمة أولى واهمال الثانية جماعة من الابل أى باذن راعيها (ففي العود) أى فعند رجوع الذود (تسبق) الى راعيها (العرجاء) فتفوز بالسبق لراعيها ومالكها فتأخرها قد أوجب لها السبق على القوية

هو وجه الرحمة الالهية التي استغرقت الوجود كله فهي مقابلة لكل شئ لا تستدبر عنه لان من استدبرت عنه فقد حرم منها ولا يحرم منها مخلوق فلا تدبر عن شئ وهو الذى أراده بالتلقاء * ثم قال رضى الله عنه

(فألحَّ الرَّجاءُ وَالخَوْفُ بالقَلْــبِ وَلِلخَوْفِ وَالرَّجا إحْفَاءُ)

قال حينئذ ألح الرجاء والخوف في القلب فالرجاء بتذكر سعة الرحمة الالهية التي لا يمكن أن ينقص عنها شئ فهي محققة الوقوع والخوف لما حققه من نفسه من الوقوع لمخالفة أمر الله وعدم تيقنه للعفو من الله فهذا الرجاء والخوف ألحا في القلب كل منهما يطلب نتيجته في القلب لان الرجاء في القلب لا يكون الا بخوف فانه متى انفرد الرجاء في القلب دون خوف كان امانا ومتى انفرد الخوف في القلب دون رجاء كان يأسا وقنوطا فلا يقع أحدهما الا بالآخر * ثم قال رضى الله عنه

(صَاحِ لاَ تَأْسَ إِنْ ضَعُفْتَ عَنِ الطّا * عةِ وَاسْتَأْثَرَتْ بِها الأقْوِيَاءُ)

معناه ياصاحبي لا تأس والاسا هو الوقوع في محنة الندم والحزن بكاء من الكرب قال لا تأس من فوات الطاعة ان استأثرت بها الاقوياء عنك فقد يكون من الله فيض الهي يعطى المقعد عن الطاعة مالا يعطيه الاقوياء فيها قال بعضهم أردت الحج وكان في أسفل العراق فسمع به بعض المقعدين من لا يقدر على المشى فطلبه أن يمشى معه الى الحج فلما رآه مقعدا امتنع من مرافقته فقال له لا أستطيع مرافقتك وانت مقعد قال فمشيت صباحا من البلد وتركته بها فلما كان آخر النهار وقد دخلت قرية فدخلت المسجد فرأيته جالسا عند محرابها فتعجبت وقلت من حملك الى هنا فاشار اليه ان الله حمله فلما أصبحت عجلت الخروج من القرية فمازلت سائرا الى آخر النهار فدخلت قرية وسرت الى مسجدها فرأيته جالسا عند المحراب قال فتعجبت ثم لم أزال كذلك كل يوم ادخل في آخر سفرى الى قرية فاذا دخلت مسجدها رأيته عند محرابها الى ان دخلت مكة فرأيته بها فهذه هى مواهب الله تعالى للمقعد مالا يقدر عليه القوى * ثم قال رضى الله عنه

(إنَّ لِلهِ رَحْمَةً وَأَحَقُّ النّا * سِ مِنْهُ بالرَّحمةِ الضُّعَفَاءُ)

قال ان لله تعالى رحمة بخلقه جل جلاله وأحق الناس منه بالرحمة الضعفاء الذين لا حيلة لهم ولا يقدرون على حيل الاقوياء * ثم قال رضى الله عنه

(فَابْقَ فى العُرْجِ عِنْدَ مُنْقَلَبِ الذَّوْ * دِ فَفِى العَوْدِ تَسْبِقُ العَرْجَاءُ)

* معناه اذا لم تجد سبيلا الى الطاعة التي فاز بها الاقوياء فابق في العرج التي في آخر الذود يمشون رويدا رويدا فعند منقلب الذود تسبق العرجاء * ثم قال رضي الله عنه

(لَا تَقُلْ حَاسِداً لِغَيْرِكَ هَـذَا * أَثْمَرَتْ نَخْلُهُ وَنَخْلِي عَفَاءُ)

يعني ماذكرته لك يا صاحبي من عدم الاسا على فوات الطاعة والبقاء في العرج آخر الذود لا تقل هذا حسدمني أو تظن اني حاسد لغيري هذا اثمرت نخله ونخلي عفاء اذا قلت اني حاسد تقول اثمرت نخله بكثرة الطاعة ونخلي عفاء من الثمار لاشئ فيها لا تقل هـذا بل اني نصحتك أن تسلم الامر له فيما اقامك الله فيه من غير انزعاج ولا اضطراب فتستوى مع الاقوياء في الرضا والتسليم * ثم قال رضي الله عنه

(وَأْتِ بِالْمُسْتَطَاعِ مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ فَقَدْ يُسْقِطُ الثِّمَارَ الأَتَاءُ)

يعني خذ نصيحتي وأت ما تستطيع من عمل البر وارض بالمطر الذي يمطرك في ذلك وان كان قليلا فكم من طل أنفع من وابل واياك أن يستخفك الشره فتصير في حال الان لا ترضى من الله الا بالمطر الغزير العظيم فاذا صرت في هذه الحالة سخطت المقدور وسقطت من عين الله تعالى وفسد نظرك لانه قد يكون المطر الغزير مسقطا للثمار مفسدا لها من قوة انصبابه فلا تدري الخير هل في المطر الغزير او المطر القليل والاتاء هو المطر الغزير * ثم قال رضي الله عنه

(وَبِحُبِّ النَّبِيِّ فَابْغِ رِضَا اللَّـهِ فَفِي حُبِّهِ الرِّضَا وَالْحِبَاءُ)

قال اذا أردت رضا الله الكامل في الدنيا والآخرة فاسع في حب النبي صلى الله عليه وسلم حتى تذوقه ذوقا فان من وصل اليه وصل الى رضا الله الكامل في الدنيا والآخرة ولا سبيل إلى السعي في حبه صلى الله عليه وسلم كالمثابرة على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بحضور القلب تعظيما واجلالا لله و رسوله فان المثابرة على ذلك تنبت في القلب حبه صلى الله عليه وسلم ولا يزال ينمو و يكبر بدوام الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم حتى لا يبقى فيه متسع لغيره فان من وصل الى هذه الحالة اتصلت روحه بروح النبي صلى الله عليه وسلم في الغيب فجذبتها الى الله روح النبي صلى الله عليه وسلم وجالت معها في لجة المعارف والتحقيق فيصير بذلك من العارفين عيانا لا اعتقادا فهو غاية الرضا من الله لمن أدرك المعرفة ففي حبه صلى الله عليه وسلم الرضا من الله والحباء هو العطاء الوافر الذي لا يحد بحد ولا غاية ولا يوقف له على نهاية * ثم قال رضي الله عنه

(يَا نَبِيَّ الْهُدَى اسْتِغَاثَةَ مَلْهُوفٍ * أَضَرَّتْ بِحَالِهِ الْحَوْبَاءُ)

ناداه مستغيثا به صلى الله عليه وسلم قال يا نبي الهدى الذي جاء بها وتحلى بها وتحقق بها د بثها في قلوب اتباعه صلى الله عليه وسلم * قوله استغاثة على تقدير محذوف وهو قوله أجب استغاثة ملهوف مما حل به من الهلاك فقد أضرت بحاله الحوباء هي مجمع الذنوب العظيمة * ثم قال رضي الله عنه

(لا تقل) حال كونك (حاسدا) متمنيا زوال النعمة (لغيرك) اذا رأيته كثير الطاعة (هذا أثمرت) بمثلثة أي حملت (نخله) أي كثرت أعماله الصالحة (ونخلي) أنا (عفاء) بفتح عين مهملة أي أرض لا نبات ولا ثمر فيها (وأت) فعل أمر من أتى أي جئ (بالمستطاع) أي بما استطعت وقدرت عليه (من عمل البر) أي الطاعة وان قل قال تعالى فاتقوا الله ما استطعتم (فقد يسقط) بضم تحتية أي ينتج ويخرج (الثمار) بكسر مثلثة جمع ثمر بفتحتين (الأتاء) بفتح همزة وفوقية كسماء صغار النخل والشجر وفي نسخة أشاء بفتح همزة وشين معجمة صغار النخل اذا طابت أرضه وكثر ريه وكذلك العمل القليل اذا كان معه اخلاص فانه ينفع جدا (وبحب النبي) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (فابغ) أي اطلب (رضا الله) وثوابه العظيم (ففي حبه) صلى الله عليه وعلى آله وسلم متعلق بمحذوف خبر عن قوله (الرضا) أي رضا الله تعالى (والحباء) بكسر حاء مهملة ككساء العطاء الكثير دنيا وأخرى (يا) حرف نداء واستعطاف وترحم (نبي الهدى) صلى الله وسلم عليك وعلى آلك أستغيث بك (استغاثة ملهوف) مضطر ومحتاج الى من ينقذه من الشدائد ويخلصه من المهالك (أضرت) (بحاله) أي بنفسه في حبك (الحوباء) بفتح حاء الحاجة والافتقار والخوف من ذنوبه

(يدعى) ذلك الملهوف أى ينسب لنفسه (الحب) أى محبة الله ورسوله (وهو) بسكون الهاء أى ذلك الملهوف (يأمر) نفسه وغيرها (بالسوء) أى بفعل السوء القبيح من العمل (١٤٦) (ومن) مبتدأ استفهامية يتشكل (لى) فيه التفات من الغيبة الى التكلم (ان تصدق الرغباء) التضرع والانابة الى الله تعالى (أى) اسم استفهام ابعادى (حب) لله ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (يصح منى) وفى نسخة منه بضمير الغيبة أى من ذلك الملهوف وفيه التفات من التكلم الى الغيبة (وطرفى) بصرى وعين قلبى (للكرى) بفتحتين النوم والغفلة (واصل) أى متصل ودائم لا ينفك عنه (وطيفك) خيالك وهو ما يرى فى النوم (راء) أى مثل الراء فى احتجابها وامتناعها عن واصل بن عطاء كان لا ينطق بكلمة فيها راء (ليت شعرى) أى علمى (أذاك) أى هل عدم رؤية طيفك فى النوم (من) أجل (عظم) بضم عين كقفل كبر (ذنب) بتنوين وفى نسخة بياء متكلم (أم) حظوظ) جمع حظ أى نصيب (المتيمين) بضم ميم وفتح تحتية مشددة من تيمه الحب عبده وأذله أى الصادقين المخلصين فى محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (حظاء) بضم حاء مهملة وكسرها جمع حظوة كذلك المكانة العظيمة والمنزلة الفخيمة . (ان يكن عظم) بضم عين كقفل كبر (زلتى) أى خطيئتى وفى نسخة ذنبى بفتح ياء متكلم (حجب) بضم حاء كقفل المنع أى سبب امتناع (رؤياك) فى النوم (فقد عز) أى قل وفقد وعدم (داء) أى لداء ومرض (قلبى الدواء) بفتح دال مهملة ما يداوى به المريض

(يَدَّعِي الحُبَّ وَهْوَ يَأْمُرُ بِالسُّوءِ * وَمَنْ لِي أَنْ تَصْدُقَ الرَّغْبَاءُ)

ثم وصف نفسه بعد الاستغاثة بكونه أضرت به الحوباء فصار من أجلها يدعى الحب وهو يأمر بالسوء يريد النفس الامارة بالسوء قال ومن لى أن تصدق الرغباء معناه من لى أن تصدق الرغباء وهو جمع المرغوب فيها من لى أن تصدق فى حتى أتحقق بها ظاهرا وباطنا * ثم قال رضى الله عنه

(أَيُّ حُبٍّ يَصِحُّ مِنْهُ وَطَرْفِي * لِلْكَرَى وَاصِلٌ وَطَيْفُكَ رَاءُ)

قال اى حب يصح له فيما يدعيه من الحب وطيف الكرى واصل الى عينيه وطيفك يارسول الله راء معناه رأى يعنى يرى عجزى وتقصيرى * ثم قال رضى الله عنه

(لَيْتَ شِعْرِي أَذَاكَ مِنْ عُظْمِ ذَنْبٍ * أَمْ حُظُوظُ المُتَيَّمِينَ حُظَاءُ)

قال والطيف المضاف اليه صلى الله عليه وسلم هو خياله والمراد به روحه الكريم يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث سجد لك سوادى وخيالى فالسواد هو الجسد الكريم والخيال هو روحه الاكرم صلى الله عليه وسلم ثم قال ليت شعرى الخ ثم عطف على نفسه وهو يتعجب من حاله والمراد بالحال الذى يتعجب منه كونه يدعى المحبة وطرفه يتصل بطيف الكرى وهو النوم لانهما وصفان متناقضان لان المحبة اذا صدقت ذهب النوم من أجلها فلا يتصل بالكرى، فهذا هو الامر الذى تعجب منه قال بعض الشعراء

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا محال فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

* قوله ليت شعرى أهذا الذى حل بى من دعوى المحبة واتصال الكرى بطيفى حتى حكم على لسان الحال بالكذب ام ذاك من عظم ذنبى أم حظوظ المتيمين حظاء والمتيم هو الذى فارق كل ما يهواه وانعزل عن كل ما يريده ويتمناه وهجر أ كاه وكراه طمعا ان يتصل بمحبوبه فهذا هو المتيم أم ذاك الذى حل بى لان حظوظ المتيمين حظاء يعنى ذات حظوة ومكانة هى محجوبة عن الكاذبين فى المحبة فلا يصلون اليها ولا يشمون ر ائحتها وحظوظ المتيمين أعنى الصادقين فى المحبة بانفتاح الابواب لهم ورفع الحجب حتى يرتقوا المراقى العالية والزلف البهية ومواقف التعظيم والجلال واعطاؤهم من الفيض الربانى مالا يوقف له على غاية ولا تحد له نهاية ولا يصفه لسان ولا يحيط به جنان فهذه حظوظ المتيمين ومعنى ذلك انها محجوبة عمن يدعى المحبة بالكذب * ثم قال رضى الله عنه

(إِنْ يَكُنْ عُظْمُ زَلَّتِي حُجْبَ رُؤْيَا * كَ فَقَدْ عَزَّ دَاءَ قَلْبِي الدَّوَاءُ)

* معناه إن يكن عظم ذنبى هو الذى حجب عنى رؤياك فى المنام فداء قلبى حينئذ عز عليه الدواء لا يصل اليه أبدا * ثم قال رضى الله عنه

(كيف) اسم استفهام انكاري (يصدا) بفتح تحتية ودال مهملة من صدى الحديد كرضي علاه وكثر عليه الوسخ أي اسود (ب)سبب ارتكاب (الذنب قلب) برفع فاعل يصدا (محب) لله ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (وله) أي والحال ان له أي لقلب ذلك المحب (ذكرك) أي ذكره لك (الجميل) الحسن (١٤٧) (جلاء) بكسر جيم ككساء أي صقالة (هذه) الحالة المذكورة (علتي)

(كَيفَ يَصدَا بالذَّنبِ قَلبُ مُحِبٍّ * وَلَهُ ذِكرُكَ الجَمِيلُ جِلاءُ)

ثم انعطف يستعطف النبي صلى الله عليه وسلم قال مخاطبا له كيف يصدا قلب محب بالصدا وهو السواد وذكرك الجميل له جلاء والمراد به الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فان لها أنوارا عظيمة تطهر القلوب وتجلو صداها من كل غبش (١) فلا يبقى فيها شيء فأتى هنا بكيف للتعجب والبعد فقال كيف يصدا قلب محب فكيف وذكرك الجميل له جلاء من الصداء * ثم قال رضي الله عنه

(هذهِ علتي وأنتَ طَبِيبِي * لَيسَ يَخفَى عَلَيكَ فِي القَلبِ دَاءُ)

قال هذه علتي التي شكوت اليك بها وأنت طبيبي في دوائها وز والها والطبيب هو الذي عرف العلل من أين منشؤها وكيف وبماذا تقوى وتضعف وعرف الدواء المزيل لها وكيف تناوله كما وكيفا وصورة ووقتا وحالا حتى يوصل المريض الى كمال الصحة ليس يخفى عليه من أمر العلل والادوية لا قليلا ولا كثيرا قال ليس يخفى عليك في القلب يارسول الله داء وهي الادواء التي تحل في القلوب * ثم قال رضي الله عنه

(وَمِنَ الفَوزِ أن أبثَّكَ شَكوَى * هِيَ شَكوَى إلَيكَ وَهِيَ اقتِضاءُ)

قال ومن الفوز يعني الفوز بالامر المحمود المحبوب أن أبثك شكواي مما أباحني سبحانه وتعالى من الفوز عنده أن أبثك شكواي أعني أخبرك بها وأظهرها بين يديك اذ لولا الفوز من الله لصرت عن هذا الموقف طريدا لا أقدر أن أصل الى بث الشكوى اليك هي شكوى اليك وهي اقتضاء يعني قضت لي تلك الشكوى منك بنيل المطلوب والفوز بدرك المحبوب عنده * ثم قال رضي الله عنه

(ضَمَّنَتها مَدَائِحٌ مُستَطابٌ * فِيكَ مِنهَا المَدِيحُ وَالإصغَاءُ)

لما قال شكواي اليك هي اقتضاء أعني مما ذكر قال تلك الاقتضاءات التي هي الفوز بالمطلوب ودرك المحبوب ضمنها مدائح فيك حين مدحتك ضمنت لي المطلوب وهذا المطلب قال مستطابة يعني حلوة لذيذة مأمونة الغائلة سليمة العاقبة منها المديح وهو المدح واستطاب المصغي اليها * ثم قال رضي الله عنه

(قلَّمَا حَاوَلَت مَدِيحَكَ إلَّا * سَاعَدَتهَا مِيمٌ وَدَالٌ وَحَاءُ)

قال كلما حاولت مديحك نفسي الا ساعدت نفسي بنيل مطلوبها ميم ودال وحاء وهو مدح محمد صلى الله

ومرضي أضرت بي واشتدت علي وحالت بيني وبين كل خير (وأنت) دوائي وشفائي و(طبيبي) لعلتي وعلة كل مؤمن فانك رؤف رحيم بنا أجمعين (ليس يخفى) بفتح تحتية وفاء من خفي كرضي استتر (عليك) ويغيب عنك (في القلب) أي في قلبي (داء) ومرض وعلة (ومن الفوز) أي ومن نجاتي من كل هول ومكروه وظفري بكل مأمول ومقصود (أن أبثك) بفتح همزة وضم موحدة ومثلثة من بث الخبر كرد نشره وأفشاه (شكوى) الاخبار بسوء حال نفسي وبدائي وعلتي (هي) أي الشكوى المذكورة (شكوى اليك) لا الى غيرك (وهي) بسكون هاء أي الشكوى التي تضمنها مدحي اليك (اقتضاء) اي طلب مني اليك لازالتها والتخلص من ورطتها بمحض فضلك وكرمك (ضمنتها) بضم ضاد وكسر ميم مشددة

من التضمين أي تلك الشكوى بنفسي وبعلتي (مدائح) بتنوين جمع مدحة بكسر ميم الثناء الحسن (مستطاب) بضم ميم وفتح طاء اسم مفعول من استطاب الشيء عده طيبا ولذيذا (فيك) يارسول الله (منها) أي من تلك الشكوى (المديح) للشمني ومن كل منشد (والاصغاء) بكسر همزة الاستماع من سامعيها (قلما) بمعنى كثير من الافعال التي لا فاعل لها كطالما (حاولت) أي أرادت وطلبت قريحتي وفطنتي (مديحك) أي انشاء مدحك بأي بحر من بحور الشعر (الا ساعدتها) أي وافقت قريحتي وفطنتي (ميم ودال وحاء)

(١) غبش بفتحتين ظلمة الليل اهـ

أى مسمى هذه الحروف وهو المدح (حق) بفتح حاء وتضم وجب وثبت (لى فيك) أى فى مدحى لك (ان أساجل) بضم همزة وكسر جيم من ساجله فاخره وغالبه (قوما) من الشعراء المادحين لك قبلى وبعدى حتى يذعنوا ويسلموا لى ويقولوا اما مدحت به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خير مما مدحناه به (سلمت) أذعنت وانقادت (منهم لدلوى) أى قريحتى وفطنتى (الدلاء) بكسر دال مهملة جمع دلو أى قرائحهم والدلو ما يستقى به من البئر وغيرها (ان) بكسر همزة وبفتحها لانها فى قوة التعليل (لى غُيرة) بفتح غين معجمة حمية عظيمة توجب لى أن لا أحب أن يسبقنى غيرى فى مدحك (و) لكن (قد زاحمتنى) شاركتنى وضيقت على (فى معانى) ألفاظ (مديحك الشعراء) أى المادحون لك وأرادوا أن يسبقونى فيه (ولقلبى) أى والحال ان لقلبى (فيك) أى فى مديحك ومحبتك (الغلو) بضمتين مجاوزة الحد والقدر (وأنى) بفتح همزة وتشديد نون استفهام ابعادى أى من أين (للسانى) بياء متكلم وجنانى (فى) انشاء (مدحك) البديع (الغلواء) بفتح غين لغة فى الغلو وفى نسخة بضم غين وفتح لام وواو مبالغة فيه أيضا لولا اسعادك وامدادك لى واعتناؤك بى (ف) بسبب ما ذكر من شدة محبتى وغيرتى عليك (أثب) بفتح همزة وكسر مثلثة فعل أمر من أثابه جازاه وكافأه (خاطرا) أى قلبا (يلذ) بفتح تحتية ولام أى يصير لذيذا (له) أى لذلك الخاطر (مدحك) أى انشاء مديحك (علما) أى لاجل علم ذلك الخاطر (بانه) أى مدحك (اللألاء) النور المضئ المشرق فى قلب كل من مدحك ولذلك (حاك) كباع نسج ذلك الخاطر (من صنعة) بفتح صاد حرفة الرجل وعمله (القريض) أى الشعر (برودا) جمع برد بضم موحدة كقفل ثياب ملونة بألوان حسنة جلب من اليمن فى مدحك (لك) متعلق بحاك (لم تحك) بفتح فوقية وكسر حاء من الحياكة النسج وفى نسخة تحك بسكون حاء من الحكاية المشابهة والمماثلة (وشيها) بفتح واو أى فى لون تلك البرود وحسنها صنعة (صنعاء) مدينة باليمن مشهورة بجودة النسج

عليه وسلم وهو معنى قوله فى البردة ماسامنى الدهر ضيما البيت * ثم قال رضى الله عنه

(حُقَّ لِى فِيكَ أَنْ أُسَاجِلَ قَوْماً * سَلَّمَتْ مِنْهُمْ لِدَلْوِى الدِّلَاءُ)

قال حق لى فيك يعنى يحق لى ان فعلت هذا الفعل بمن يجىء ان أساجل قوما يعنى أفاخرهم بعلو رتبتى عنهم قوما وهم المدعون مديحك سلمت دلاؤهم لدلوى لكونها اغترف جيما من بحاره فدلاؤهم تحمل قطرة ودلوى يحمل فيضة بما ظهر على مدحى من حسن الشعر ورونقه وبلاغة معانيه وصفاء مبانيه من الهذيان والتخليط فحينئذ سلمت دلاؤهم لدلوى * ثم قال رضى الله عنه

(إِنَّ لِى غَيْرَةً وَقَدْ زَاحَمَتْنِى * فِى مَعَانِى مَدِيحِكَ الشُّعَرَاءُ)

قال ان لى غيرة وحقيقة الغيرة هى جزع الغائر من مشاركة غيره فى رتبته أو علو رتبة الغير على رتبته فهذه الغيرة * أعنى أريد أن لا يشاركنى فى مديحك أحد وقد زاحمتنى فى مديحك الشعراء * ثم قال رضى الله عنه

(وَلِقَلْبِى فِيكَ الغُلُوُّ وَأَنَّى * لِلِسَانِى فِى مَدْحِكَ الغُلَوَاءُ)

قال ولقلبى فيك الغلو فى محبتك * وحقيقة الغلو هو الوصول فى الشئ الى غير نهاية قال ولقلبى فيك غلو لا نهاية له قال وأنى للسانى أى لا مطمع للسانى أن يصل فى مديحك الى الغلواء * والغلواء صفة مبالغة فى الغلو يعنى لا قدرة للسانى أن لا يفتر من مديحك أبدا * ثم قال رضى الله عنه

(فَأَثِبْ خَاطِراً يَلَذُّ لَهُ مَدْ * حُكَ عِلْماً بِأَنَّهُ اللَّأْلَاءُ)

قال فأثب معناه هب الثواب يارسول الله لخاطر والخاطر هو الامر القادح فى القلب يحرك عزيمته لطلب الفضل * فهذا هو الخاطر فأثب الخاطر الذى يحرك عزيمة القلب حتى صار يلذ له مديحك فأثبه بالعطاء الوافر عنك علما منه بان مديحك هو اللألاء هو الشئ المفرح ومنه سمى الياقوت لؤلؤا * ثم قال رضى الله عنه

(حَاكَ مِنْ صَنْعَةِ القَرِيضِ بُرُوداً * لَكَ لَمْ تَحْكِ وَشْيَهَا صَنْعَاءُ)

قال حاك الحيك هو النسج والصنعة هو الذى ينقل الامور من صورة الى صورة أخرى والقريض هو الكلام المقطع بالميزان قطعا قطعا لا يتفاوت والبرد هو شئ شريف ملبوس فوق الثياب يسمى البرد لم يحك والحكاية هى مماثلة الشئ المحكى بالفعل أو الكلام والوشى هو التزويق والطرز الذى يقع فى الثياب بالخياطة أو النسج وصنعاء هى مدينة عظيمة باليمن هى دار مملكتها تنسب اليها الثياب الرفيعة فى

والوشى وفى نسخة لم يحك بتحتية وعليها فالمراد أهلها (أعجز) من الاعجاز (الدر) اللؤلؤ حسنا وضياء وصفاء بنصب مفعول (نظمه) أى ذلك الخاطر أى قريضه البديع المشتمل على أنواع البلاغة (ف) بسبب ذلك (استوت) أى صارت على حد سواء (فيه) أى فى العجز عن الاتيان بمثله (اليدان) أى القرعتان (الصناع) بفتح صاد وتخفيف نون كسحاب أى الحاذقة الماهرة فى الصنعة (والخرقاء) بفتح خاء أى الحمقاء الغبية (١٤٩) التى لا صنعة لها (ف) بسبب ما تميز به هذا النظم البديع الفصيح البليغ (ارضه) بهمزة وصل وفتح ضاد فعل أمر من رضى أى ارض عن هذا الخاطر واقبل منه ما أتى به من النظم المذكور يا (أفصح) وأبلغ كل (امرئ) من العرب العرباء (نطق) تكلم ب (الضاد) منصوب بنزع الخافض لحديث أنا أفصح من نطق بالضاد بيد (١) أنى من قريش (ف) بسبب تعذر وتعسر النطق بالضاد بأحسنها وأكملها على غيره صلى الله عليه وعلى آله وسلم (قامت) من القيام ضد القعود غيرة وحمية على اختصاص الضاد بهذه المزية (تغار) بفتح فوقية من الغيرة (منها) أى من الضاد (الظاء) بظاء مشالة وجملة تغار حال منها (أ) الهمزة استفهام إبعادى (بذكر) متعلق بأوفيك (الآيات) أى المعجزات والكرامات فى هذا النظم البديع الفائق غيره (أوفيك) بضم همزة وكسر فاء من أوفاه حقه استكمله واستوفاه (مدحا أين) استفهام إبعادى (منى) ومن غيرى الوفاء بذلك (وأين منها) أى من الآيات المذكورة فى هذا النظم وفى غيره (الوفاء) بذلك اذ لا يمكن ذلك الا لمن أحاط بكل شئ علما سبحانه وتعالى (أم أمارى) بضم همزة من ماراه جادله (بهن) أى بذكر تلك الآيات (قوم) أى أمة (نبى) قبلك من الانبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام (ساء) بئس (ماظنه) أى اعتقده من ذلك (بى الاغبياء) بفتح همزة جمع غبى الجاهل الاحمق الذى لا يفهم شيئا وقد نهانا الله عن مجادلتهم

الوشى ومعنى البيت انه نسج فى مدحه صلى الله عليه وسلم برودا ألبسها المصطفى صلى الله عليه وسلم وهى نظم الصفات الحسنة والكمالات البهية التى نشرها المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الناس حتى صار الناس يعرفونه صلى الله عليه وسلم بهذه الصفات والمدائح نسج برودا من صناعة القريض يعنى الكلام الموزون وهو الشعر نسج منها برودا ألبسها المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم أخبر أن تلك البرود فى حسنها واتقانها و بهاء جمالها و رونق كمالها تحك وشيها صنعاء يعنى وان بلغت فى الوشى للبرود اتقانا و بهاء لم تحك هذه البرود التى نسجها فى القريض لم تحكها صنعاء * ثم قال رضى الله عنه

(أَعْجَزَ الدُّرَّ نَظْمُهُ فَاسْتَوَتْ فِيـــهِ الْيَدَانِ الصَّنَاعُ وَالْخَرْقَاءُ)

قال نظم هذا المادح أعجز الدر وهو الياقوت فى الحسن والاتقان والبهاء والجمال فلم يقدر الدر على مماثلته ولا مناظرته * قال فاستوت اليدان فى هذا المديح أولها اليد الصانعة وهى المراد بالصناع والخرقاء المسماة بردا فى حسنها واتقانها تعجز الدر فى حسنه واتقانه * ثم قال رضى الله عنه

(فَارْضَهُ أَفْصَحَ امْرِئٍ نَطَقَ الضَّا * دَ فَقَامَتْ تَغَارُ مِنْهَا الظَّاءُ)

معناه أنه يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم قال فارضه أى اجعله مرضيا عندك واثبته أفصح أمرئ يعنى احكم له بالفصاحة على كل أحد نطق الضاد اذ لا ينطق بها الا الفصيح من الرجال * ثم قال رضى الله عنه

(أَبِذِكْرِ الآيَاتِ أُوفِيكَ مَدْحًا * أَيْنَ مِنِّي وَأَيْنَ مِنْهَا الْوَفَاءُ)

دفع هنا ما يتوهمه المتوهم كأنه يقول له المادح صناعة مديحك وجعلتها تفوق الدر حسنا وجمالا كان الظن بك انك تعتقد الاحاطة بآياته ومدائحه صلى الله عليه وسلم وهى مستحيلة الاحاطة * قال أين منى على غاية قصورى وغاية عجزى أين منى الوفاء بها احاطة وهى لا غاية لها ولا نهاية فهو يذم من ظن به هذا * ثم قال رضى الله عنه

(أَمْ أُمَارِي بِهِنَّ قَوْمَ نَبِيٍّ * سَاءَ مَا ظَنَّهُ بِيَ الأَغْبِيَاءُ)

معناه قال ما أتيت به من المديح فى تعداده إن ظن بى الظانون أنى استوفيت حقوقه واستوفيت تعداد آياته أوظن الظانون فى أنى أمارى أى أجادل أمته صلى الله عليه وسلم ومعنى المجادلة أنه لم يأت أحد بمثل ما آتيت به والذين ظنوا فى هذا الظن ساء ما ظنوه فى وهم الاغبياء أعنى الجهلة * والغبى هو الجاهل قولا وفعلا وحالا * ثم قال رضى الله عنه

---

(١) بيد كغير وزنا ومعنى اه

(ولك) يارسول الله من بين الانبياء هذه (الامة) العظيمة القدر (التى غبطتها) بفتح موحدة كضرب أى تمنت أن تكون من هذه الامة (بك لما) أى حين (أوتيتها) أى أعطيتها وأرسلت اليها ساداتنا (الانبياء) على نبينا وعليهم الصلاة والسلام (لم نخف) بفتح نون وخاء معجمة لم نخش وفى نسخة تخف بفتح فوقية (بعدك) أى بعد وفاتك (الضلال) الميل عن الحق (و) الحال أن (فينا) معشر هذه الأمة مصابيح الهدى الذين (وارثو) عنك وعن أصحابك (نور) أى علم (هديك) دينك وسنتك (العلماء) العاملون بما علموا رضى الله عنهم الرضاء الابدى (ف) بسبب ذلك (انقضت) ذهبت وانمحت واضمحلت (آى) جمع آية أى معجزات ساداتنا (الانبياء) على نبينا وعليهم الصلاة والسلام بضلالة وغواية أممهم (وآياتك) أى معجزاتك وكراماتك (فى الناس) أى فى هذه الامة العظيمة المقدار والفخار (مالهن) أى لآياتك (انقضاء) وانتهاء ابد الآباد لأن فيها وارثى نورك وهديك (والكرامات) جمع كرامة وهى أمر خارق للعادة بدون التحدى التى تظهر (منهم) أى من هذه الامة فانها فى الحقيقة لك (معجزات) جمع معجزة وهى أمر خارق للعادة مع التحدى (حازها) وفازبها (من نوالك) عطائك وكرمك وفى نسخة تراثك بضم فوقية ومثلثة آخرا أى ميراثك (الاولياء) رضى الله عنهم

(وَلَكَ الأُمَّةُ التى غَبَطَتْهَا * بِكَ لَمَّا أُوتِيتَهَا الأَنْبِيَاءُ)

قال ولك الامة معناه أنه يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم قال ولك الامة المحمودة الممدوحة عند الله فى الغيب قال سبحانه وتعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وقال سبحانه وتعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا * وقد روى فى الخبر أن الله تعالى لما أمر القلم أن يكتب على الامم ماهم فيه وعواقبهم كتب من جملة ذلك أمة موسى من أطاع الله دخل الجنة ومن عصاه دخل النار ثم كتب امة عيسى من أطاع الله دخل الجنة ومن عصاه دخل النار ثم كتب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بلغ الى هنا أراد أن يكتب مثل ماكتب فى أمة موسى وعيسى فقال له ربه سبحانه وتعالى تأدب ياقلم فارتعد القلم من هيبة الله تعالى ثم قال رب ما أكتب قال اكتب أمة مذنبة ورب غفور * ولقد روى أنه صلى الله عليه وسلم تفكر يوما فى ذنوب أمته ونظر الى كثرتها وتفاحشها فاغتم لذلك غما شديدا فجاءه طائر فوقف بين يديه وسلم عليه ثم طار الطائر وهو ينظر اليه فمازال طائرا حتى نزل بحاشية البحر المحيط فاخذ بمنقاره التراب ورماه فى البحر ثم جعل يفعل كذلك مدة والنبى صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ثم جاء بعد ذلك حتى وقف بين يديه صلى الله عليه وسلم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال له هل رأيتنى ما كنت أفعل قال رأيتك تأخذ التراب بمنقارك وترميه فى البحر فقال له نعم فقال له صلى الله عليه وسلم لم ذلك فقال له الطائر أردت بذلك أن أردم البحر بالتراب فضحك صلى الله عليه وسلم منه فقال له الطائر ما الذى أضحكك قال له من قلة عقلك قال وكيف قال له لانك تريد أن تردم البحر المحيط بمنقارك فقال الطائر ان الله بعثنى اليك وضرب لك مثلا يقول لك ماذنوب أمتك فى جنب عفوى الا كما يقذف هذا الطائر بمنقاره من التراب فى البحر المحيط * قوله التى غبطتها الانبياء يعنى أن الانبياء تمنوا أن يكونوا من أمته صلى الله عليه وسلم لما أتيتها بالرسالة شرفها الله بك * وقد قال بعض الاكابر كل الانبياء بأممهم صدقة ونبينا صلى الله عليه وسلم لنا هدية ولا يعظم بالهدية الا العظيم صلى الله عليه وسلم * ثم قال رضى الله عنه

(لَمْ تَخَفْ بَعْدَكَ الضَّلَالَ وَفِينَا * وَارِثُو نُورِ هَدْيِكَ العُلَمَاءُ)

معناه أنه يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله لم تخف بعدك الامة الضلال لم تخف أن تضل عن الشريعة ومنهجها وعن الحقيقة ومداركها وعن الطريقة ومباهجها قال وفينا وارثو نورك العلماء والمراد بالعلماء العارفون بالله تعالى لانهم هم الذين ورثوا نور النبوة * ثم قال رضى الله عنه

(فانقَضَتْ آيُ الأَنْبِيَاءِ وَآيَا * تُكَ فى النَّاسِ مَالَهُنَّ انقِضَاءُ)

قال انقضت آى الانبياء بانقضاء وقتها وآياتك ممتدة فينا مالها انقضاء والمراد بهذه الآيات هى آيات القرآن فانها أكبر آياته اذ كان أعجز المشركين أن يأتوا بمثله دامت لدينا لا انقضاء لها الا بارتفاع الدين * ثم قال رضى الله عنه

(وَالكَرَامَاتُ مِنهُمُ مُعجِزَاتٌ * حَازَهَا مِنْ نَوَالِكَ الأَوْلِيَاءُ)

(ان) بكسر همزة (من) أعظم (معجزاتك) جمع معجزة (العجز) بنصب اسم ان من جميع الخلق (عن) استيعاب واستقصاء (وصفك) الجميل ونعتك الجليل (اذلا يحده) (١٥١) لا يحصره (الاحصاء) العد والاحاطة من أحد من الخلق (كيف) استفهام انكارى

معناه أن الكرامات هى خوارق العادات كانت تسمى فى حق الانبياء معجزة لان غيرهم يعجز عن الاتيان بمثلها وقد صارت تلك المعجزات فى حق الأولياء كرامات أنواعها ما أتت بها الانبياء وتعداد الكرامات فى أولياء هذه الامة هو أمر لا يأتى عليه الحصر وظهر فى هذه الامة كظهور الشمس فى الافق مثل المشى على الماء والمشى فى الهواء والطيران فيه والغوص فى الارض واحضار المكان البعيد جدا فى القدر اليسير من الزمان وظهور المآكل والمشارب من الهواء الى غير ذلك مما لا حصر له * ثم قال رضى الله عنه

(إِنَّ مِنْ مُعْجِزَاتِكَ الْعَجْزَ عَنْ وَصْفِكَ إِذْ لَا يَحُدُّهُ الإِحْصَاءُ)

معناه أنه يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ان من معجزاتك العجز عن احصاء أوصاف كمالاتك المحمودة ونعوتك البهية السنية ولا يتأتى عليها الحصر والعد ولا يحيط بها الا الله تعالى ان هذا من اكبر معجزاتك العظمى * ثم قال رضى الله عنه

(كَيْفَ يَسْتَوْعِبُ الْكَلَامُ سَجَايَا * كَ وَهَلْ تَنْزَحُ الْبِحَارَ الرِّكَاءُ)

قال كيف يستوعب الكلام سجاياك حتى يحيط بها وتصير محصورة فيه فهذا لا يتأتى فلذلك ترجم عليها كيف المقتضية للاستفهام والانكار والبعد واستحالة تصور الامكان ثم ضرب لها مثلا قال وهل ينزح البحار الركاء يعنى الركوة اذا كانت تغترف من البحر لا تستوعبه طول الامد * ثم قال رضى الله عنه

(لَيْسَ مِنْ غَايَةٍ لِوَصْفِكَ أَبْغِيهَا وَلِلْقَوْلِ غَايَةٌ وَانْتِهَاءُ)

معناه أنه يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ليس من غاية لوصفك أبغيها أى أوصافك الجميلة ليس لتعدادها من غاية أبغيها فلا غاية لها وللقول غاية وانتهاء لان أوصافه صلى الله عليه وسلم من السر المكتوم الذى لا غاية له ولا يدرك ولا يعقل * ثم قال رضى الله عنه

(إِنَّمَا فَضْلُكَ الزَّمَانُ وَآيَا * تُكَ فِيمَا نَعُدُّهُ الآنَاءُ)

قال انما فضلك أى فضائلك لا تعداد لها كما أن الزمان لا ينحصر فى تعداده وعظمته قال وآياتك وهى خوارق العادة التى يمكن أن يؤتى بها هى بمنزلة الاناء الذى يغترف من البحر فان الآيات التى هى خوارق العادة لو اطلقت من عنده الى غير نهاية الى الابد لم ينقص قدرك فى ذلك وما بقى من قدرك اكبر واعظم وكان ظهور تلك الخوارق بالنسبة الى قدرك كالاناء الذى يغترف من البحر فان البحر لا نفاد له لا يأتى عليه الاناء بالافراغ كذلك تعداد آياتك لو ظهرت منك ما بلغت غاية قدرك * ثم قال رضى الله عنه

(لَمْ أُطِلْ فِى تَعْدَادِ مَدْحِكَ نُطْقِى * وَمُرَادِى بِذَلِكَ اسْتِقْصَاءُ)

قال اطلت قولى فى مدحك ولكن لم أرد استقصاء مدائحك انما أردت تعداد المدح فقط من وجه لا يمكن

وابعادى (يستوعب) أى يحيط ويحصر (الكلام) من الواصفين لك برفع فاعل (سجاياك) جمع سجية أى شمائلك السنية وصفاتك البهية (وهل) استفهام انكارى (تنزح) بفتح فوقية وزاى معجمة وبكسرها من نزح البئر كمنع وضرب استقى وأفرغ ما فيها من الماء (البحار) التى لا احد لها طولا وعرضا وعمقا (الركاء) بكسر الراء جمع ركوة بتثليث الراء دلو صغير (ليس من غاية) ونهاية متعلق بأبغى (لوصفك) ومدحك وثنائك الجميل (أبغيها) أى أطلبها وأريدها بما ذكرت فى هذا النظم وغيره (وللقول) منى ومن غيرى (غاية وانتهاء) عطف تفسير (انما) حرف حصر (فضلك) العظيم العميم مبتدأ خبره (الزمان) أى كالزمان فى انه لا غاية لافراده تقريبا للذهن (و) انما (آياتك) أى معجزاتك وكراماتك (فيما نعده) نحسبه (الآناء) بفتح همزة جمع انى بكسر همزة وفتحها كرضا ورحى ساعات الليل والنهار (لم أطل) بضم همزة من أطال (فى تعداد) أى فى عدى وذكرى

(آيك) بتشديد تحتية جمع آية وفى نسخة مدحك أى مدائحك (نطقى) أى كلامى (و) الحالة ان (مرادى) ومقصودى (بذلك) الطول (استقصاء) واستيعاب لها لانها لا تنقضى أبد الآباد

(غير) أى الا (أنى) بفتح همزة (ظمآن) بفتح ظاء مشالة عطشان (وجد) بفتح واو أى محبة (وما) أى وليس يحصل (لى بقليل من الورود) بضم الواو مصدر ورد الماء أتاه وشربه (ارتواء) أى رى لشدة عطشى (١٥٢) (ف) أقول مختتما نظمى (سلام) عظيم أى تحية كريمة (عليك) يارسول الله (تترى) بفوقيتين وبألف تأنيث بتنوين وبدونها مصدر أى حال كونه متتابعا ومستمرا أبد الآباد وفى نسخة يترى يتتابع (من الله) متعلق بمحذوف خبر (وتبق) بفتح فوقية وقاف من بقى كرضى ويقال بقى كسعى أى تدوم وتستمر (به) أى بذلك السلام (لك البأواء) بفتح موحدة وسكون همزة الفخر والمجد والشرف (وسلام عليك) مبتدأ خبره (منك فما) نافية (غيرك) من جميع الخلق (منه) أى من ذلك الغير متعلق بقوله السلام (لك) أى عليك (السلام) متعلق بقوله (كفاء) بكسر كاف أى مكافأة لحضرتك ومساواة لسلامك ومجازاة (وسلام) عليك أيضا (من كل) أى جميع (ما) للعاقل وغيره وفى نسخة من للعاقل ويدخل غيره تغليبا (خلق الله) سبحانه وتعالى فى ملكه وملكوته (لتحيا) بفتح فوقية وتحتية من حيى كرضى (بذكرك) الجميل (الأملاء) جمع ملا كسبب الجماعة (وصلاة) عليك من الله ومنك ومن كل ماخلق الله طيبة (كالمسك) بكسر ميم طيب معروف (تحمله) أى ذلك المسك (منى شمال) بفتح شين كسحاب ريح تهب من ناحية القطب يابسة باردة (اليك) الى حضرتك يارسول الله (أو) تحمله منى اليك (نكباء) الصبا وهى ريح طيبة لينة تهب من مطلع الثريا

استقصاؤه * ثم قال رضى الله عنه

(غَيرَ أَنِّي ظَمآنُ وَجْدٍ وَمَا لِى * بِقَلِيلٍ مِنَ الوُرُودِ ارْتِوَاءُ)

قال لم أرد استقصاء مدائحك بما أطلت من المدح وانما انا ظمآن وجد والوجد هو اشتعال نيران الحب فى القلب على صورة بعد المحبوب عن محبه وهو أبدا ظمآن الى لقاء محبوبه * ثم قال رضى الله عنه ومالى بقليل من الورود ارتواء يعنى اذا أتيت بقليل من الكلام فى المدح فالى ارتواء بقليله لشدة ما أنا فيه من العطش والوجل * ثم قال رضى الله عنه

(فَسَلَامٌ عَلَيكَ يَترَى مِنَ اللّٰـهِ وَتَبقَى بِهِ لَكَ البَأْوَاءُ)

معناه انه يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليك من الله والسلام فى اللغة هو الامان يريد أن من وقع له السلام من الله تعالى لم تصبه نكبة فى الآخرة من الموت الى المستقر فى الجنة ولا يتأتى لأحد السلام من الله عليه الا لاهل الجنة فى الجنة فقط قال سبحانه وتعالى سلام قولا من رب رحيم يريد لاهل الجنة وأما فى الدنيا فلا طمع لاحد فى نيله من الله تعالى الا فى مرتبته وأصوله وهى السلام عليه صلى الله عليه وسلم فمن سلم على النبى صلى الله عليه وسلم سلم الله عليه بذاته بشاهد الحديث الصحيح بقوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الله يقول له من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه وقوله يترى من الله معناه يتتابع لا ينقطع * قال وهو السلام عليك يارسول الله من الله دائما يترى وتبقى لك بذلك السلام البأواء والبأواء مبالغة فى التبوء والتبوأ هو تحصيل المنزل وعدم الارتحال عنه بقوله سبحانه وتعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا الآية * ثم قال رضى الله عنه

(وَسَلَامٌ عَلَيكَ مِنكَ فَمَا غَيـرُكَ مِنهُ لَكَ السَّلَامُ كِفَاءُ)

سلم على النبى صلى الله عليه وسلم وأخبر أن ذلك من ذاته صلى الله عليه وسلم لانه لا يقدر أحد أن يصلى عليه أو يسلم عليه الا به صلى الله عليه وسلم معناه انه يمده بخيط من نوره ولولا ذلك ما أطاق وحقيقة السلام البارز من الخلق عليه صلى الله عليه وسلم انما هو بارز منه صلى الله عليه وسلم فهذا ما تعطيه العبارة من المعنى ظاهرا على قدر فهوم الخلق وله معنيان باطنان مكتومان لا يذكران ولا يدركهما الا الخاصة العليا من العارفين * قال فما غيرك منه لك السلام كفاء يعنى غيرك لا يقدر على ابراز السلام اليك منه الا بامداد نورك فيه اذا أمددته والا فلا يقدر عليه كفاء يعنى كاف * ثم قال رضى الله عنه

(وسَلَامٌ مِنْ كُلِّ مَا خَلَقَ اللّٰـهُ لِتَحيَا بِذِكرِكَ الأَمْلَاءُ)

قال وسلام عليك من كل ما خلق الله من مخلوقاته لتحيا بذكرك جميع مخلوقات الله وفى هذا البيت اشار الى المعنيين المكتومين فلا يذكران * ثم قال رضى الله عنه

(وَصَلَاةٌ كَالمِسْكِ تَحمِلُهُ مِنِّى * شَمَالٌ إِلَيكَ أَوْ نَكْبَاءُ)

يعني وعليك صلاة يارسول الله كالمسك تعبق روائحها تعطر الاكوان تحمله منى اليك الشمال وهى الريح الشامية من جهة الكعبة والنكباء هى الرياح الاربعة المنكبة بين الجهات الاربع الجهة الاولى جهة المشرق والثانية جهة الشمال وهى الريح الشامية ومابينهما منكبة ثم بعدها الريح الغربية وهى التى تأتى من دبر الكعبه ومابينهما و بين الريح الشمالية منكبة ثم بعدها الريح القبلية وهى الجنوبية وهى التى تهب عن يمين الكعبة تقابل الريح الشامية ومابينهما و بين الغربية منكبة ثم بعدها الريح الجنوبية وهى القبلية اليانية ومابينهما و بين الشرقية منكبة * ثم قال رضى الله عنه

(وسَلَامٌ عَلَى ضَرِيحِكَ تَخْضَلُ بِهِ مِنْهُ تُرْبَةٌ وَعَسَاءُ)

أراد السلام على الضريح الشريف والمراد به هو ذاته الشريفة عليها من الله فى كل حين أفضل الصلاة والتسليم قال تخضل وحقيقة الاخضلال هو الغصن من الشجرة الممتلئ ورقا ناعما وثمارا يانعة فهذا المخضل تخضل منه تلك الروضة الشريفة التى شرفت بوضع جسدك الكريم فيها فتصير مخضلة كالغصن الناعم اليانع من الشجرة فتصير تلك الروضة بذلك السلام فى غاية الجمال والبهاء رائيها وفى غاية الغبطة والرغبة لمن رآها وقوله والوعساء هى التربة اللينة الطيبة التى خلت من الحجر والعروق وهى التى تصلح لغرس الاشجار والاثمار دون غيرها * ثم قال رضى الله عنه

(وَثَنَاءً قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاي إذْ لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ ثَرَاءُ)

* قال وقد قدمت الثناء وهو المدح الحسن بين يدى نجواى يعنى حين اردت نجواه صلى الله عليه وسلم وأردت ان أخاطبه قدمت بين يدى عليه ثناء جميلا اذلم يكن لدى اثراء * والاثراء هو الغناء بكثرة الاموال لان الله سبحانه وتعالى قال يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة الآية يعنى المراد به المال قال حيث كنت فقيرا من المال لاثروة عندى أؤدى بها أمر الله تعالى حين أردت نجواه صلى الله عليه وسلم فقدمت بين يدى نجواى ثناء جميلا عليه صلى الله عليه وسلم نيابة عن المال الذى ليس لى منه شئ * ثم قال رضى الله عنه

﴿ مَا أَقَامَ الصَّلَاةَ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَقَامَتْ بِرَبِّهَا الأَشْيَاءُ ﴾

أراد فى هذا البيت تأبيد الصلاة عليه من الله سبحانه وتعالى قال الصلاة عليه واردة دواما ما أقام الصلاة وما هذه ترد مورد حصر الزمان ودوامه ومعناها كل ما أقام الصلاة من عبد الله من المؤمنين يعنى الصلاة المعلومة والصلاة عليك يارسول الله كل ماقامت بربها الاشياء والاشياء كل ماسوى الله تعالى فى كل ظهورها وقيامها فى الوجود كله بالله تعالى لان الله تعالى هو الممد لها بالقيام والوجود * وحقيقة ذلك أنه فى كل طرفة عين من الزمان يجدد خلق الاكوان وعدها بوجود جديد وقيام جديد وذلك من كونها ليس لها حقيقة البقاء من ذاتها اذ ليس لها من ذاتها الا العدم المحض والبقاء لله وحده لا يتغير بحالة عن حالة ولا يؤثر فيه طول الدهر ولا قصره فهو على الكمال الذاتى ودوام الوجود الذاتى

(وسلام) منى الله ومنك وبما خلق الله (على ضريحك) أى قبرك ومدفنك (تخضل) بفتح فوقية وضاد تبتل (به) أى بالسلام (منه) أى من ضريحك (تربة وعساء) لينة ذات رمل (وثناء) عليك أى ذكرا جميلا ومدحا جليلا بنصب مفعول به (قدمت بين يدى) أى قدام (نجواى) أى مناجاتى وسؤالى لك فى قولى جد لعاص الخ (اذ) أى لأجل (لم يكن لدى) (أى عندى) (ثراء) بفتح مثلثة مال أتصدق به لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول الآية (ما) ظرفية مصدرية (أقام) أى أدى (الصلاة) الشرعية واللغوية (من) فاعل أقام (عبد الله) تعالى ووحده وآمن به وبرسوله (و) ما (قامت) بقيت ووجدت (ب) قدرة (ربها الاشياء) أى الموجودات دنيا وأخرى ايجادا وامدادا * هنا انتهى وكل فلله الحمد وله المنة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والبقاء الذاتى بلا بداية ولا نهاية وماسواه كله بلا شذوذ كله العدم المحض بكل وجه وبكل اعتبار فلو أمسك سبحانه وتعالى عن الوجود تجديد الوجود لحظة واحدة لرأيت الوجود كله فى ظهور العدم ولا وجود لشئ منه وانما الله تعالى هو الذى يمده بتجديد الوجود وبهذا التجديد ظهر بقاؤه فى العيان فهذا قيام الاشياء بالله تعالى والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على أشرف المخلوقين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين * وقد كمل هذا التقييد المبارك المفيد من املاء سيدنا وشيخنا أبى العباس التجانى من املائه وحفظه علينا من أوله الى آخره بتاريخ تاسع عشر ذى الحجة الحرام عام أربعة عشر ومائتين وألف وذلك بمسجد الديوان من عدوة فاس القرويين عمرها الله بذكره آمين على يد أفقر العبيد الى مولاه الغنى الحميد على حرازم بن العربى برادة المغربى الفاسى دارا ومنشئا وقرارا التجانى طريقة المحمدى حقيقة أيده الله بفتوحه آمين

﴿ يقول راجي الصفح عن الزلات ٭ مصححه هاشم محمد الشحات ﴾

الحمد لله الذى أطلع فى سماء القلوب شمسا بازغه فكانت لظلمات الجهالات ناسخه دامغه وللهداية إلى طريق الحق حجة بالغـه ومحجة من سلكها لا تزل له قدم ولا تكون زائغه أحمده سبحانه حمد من أكمل احسانه إليه وأتمه واشكره شكر من خصه بالطافه وعمه وأصلى وأسلم على نبيه الذى ضرب عليه سرادق الكفاية والعصمه وكشف به عنا غياهب الجهالة وازال به عنا كل غمه واكرمه بشمائل ومعجزات وخصه بالطافه وعمه وطهر قلبه من ادناس الرين وملأه ايمانا وحكمه صلى الله عليه وعلى آله هداة الامه وصحبه الذين ازال الله بهم عنا العناء وكل نازلة مدلهمه (وبعد) فان من الفيوضات الصمدانيه والتوجهات الاحسانيه طبع كتاب (الارشادات الربانيه بالفتوحات الالهيه) التى تلقاها العلامة المفرد والفهامة الاوحد الشيخ على حرازم العربى برادة المغربى الفاسى التجانى عن شيخه قطب الاقطاب وغوث الاغواث ختام الاولياء بالاجماع مولاى أبى العباس أحمد التجانى رضى الله عنه على القصيدة (الهمزيه فى مدح خير البريه) للشيخ الامام شرف الدين أبى عبد الله محمد البوصيرى رضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه ولأجل تمام النفع به جعل على هامشه (الاطرزة الابريزيه على القصيدة الهمزيه) للعلامة الفريد والفهامة الوحيد الشيخ محمد فتحا ابن عبد الواحد النظيفى وهو لعمرى قد أحسن كل الاحسان فى تأليفها وأجاد كل الاجادة فى تصنيفها وكيف لا وهو سلالة مجد انتظمت فى عقد نخاره أفاضل العلماء وثمرة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء هذا وقد كمل طبعه البهيج عطر الانفاس الاريج تحت ملاحظة حضرة الحاج تهامى الريس التاجر بالفحامين كان الله له ناصرا ومعين وذلك بمطبعة السعادة العامره ذات الادوات الباهره التى مركزها بحارة الجداوى قريبا من محافظة مصر ادارة صاحبها ومالكها النبيل حضرة محمد افندى اسماعيل وكان انتهاء هذا الطبع وازدهاء هذا الينع فى ثانى الربيعين عام الف وثلثمائة وسبعة وأربعين من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما شدا الهزار وترنم